

الوزراء

أو

تُحْفَةُ الْأُمَرَاءِ فِي تَارِيخِ الْوُزَرَاءِ
لَأَبِي الْحَسَنِ الْهَلَالِ بْنِ الْحُسَيْنِ الصَّبَّاحِيِّ

تحقيق

عَبْدُ السَّيِّدِ الرَّحْمَنِ فَرَّاج

الناشر

مَكْتَبَةُ الْأَعْيَانِ

الوزراء

تُخَفَّهُ الْأَمْرَاءُ فِي تَارِيخِ الْوُزَرَاءِ
لَأَبِي الْحَسَنِ الْعِلَّالِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعِصَابِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكتاب

كتاب الوزراء للصائبي ، ككل الكتب النادرة ، يشتمل على حلقة هامة من التاريخ ، تدعو المؤرخ إلى أن يحرص على مراجعتها .
فيه أسرار تاريخية نادرة ، وحقائق تدعو إلى العظة والاعتبار ، توضح ما كانت عليه الحال في خلافة المقتدر وما سبقها .

طبع الكتاب سنة ١٩٠٤ ميلادية ونفدت طبعته الأولى من السوق منذ زمن طويل ، وقد كانت الطبعة الأولى حافلة بالأخطاء والغموض ، استطعت أن أوضح أغلبها عن طريق المراجع والسياق ، والاستعانة بنسخة مخطوطة في مكتبة الأزهر ، لا يوجد غيرها في مصر ، مالم يكن عند أحد الخاصة ولا يعلم به باحث ذو شأن .

سيتبين القارئ في هذا الكتاب الأنظمة التي كانت تسير عليها الدولة العباسية ، وأنواع الرقي في الدواوين ، والدقة في نظام المراسيم وإثباتها والتوقيع عليها ، وحفظها في ملفات ، وما كان يتبع في أمور الخطابات والمكاتبات الصادرة والواردة .

وسيرى الحقائق التاريخية المريعة القاسية ، والجزاء الإلهي العادل الذي كان يحل بأصحابه على ما قدمت أيديهم ، وكيف كانت تحالك المؤامرات والدسائس ، وكيف كانت النساء والجواري تتدخل في تغيير الحكم وتبديله لمصلحة مادية خاصة أو رغبة في الانتقام ، وما كان ينفق في سبيل الوصول إلى المناصب ، مع ما كان يعقب ذلك من مصادرات وما يحل من ويلات .

(ج)

كل هذا أشبه بالقصص الفنية الرائعة بل كما قيل: الحقيقة أبعد من الخيال . إن الحقائق المروية في هذا الكتاب . والمصائر الحسنة أو السيئة ، تقوم المعوج ، وتهدى الضال ، وتشجع المخلص المستقيم على أن يستمر في سلوكه سواء السبيل .

المؤلف^(١)

هلال بن الحسن بن إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون بن حجون الصابي الحراني مؤلف كتاب الوزراء ولد سنة ٣٥٩ هـ وتوفي سنة ٤٤٨ هـ .

من أسرة نبغت في العلم والأدب ، والتاريخ ، والطب ، وكانت لها قدم عند الحاكمين .

فجده الأكبر إبراهيم بن زهرون كان طبيباً مشهوراً ، مات سنة ٣٠٩ هـ « عيون الأنباء » الجزء الأول .

وهلال بن إبراهيم بن زهرون أبو الحسين والد جد المؤلف كان أيضاً طبيباً « إخبار العلماء » وله ذكر في تاريخ ابن العبري ص ٢٩٠ .

وثابت بن إبراهيم بن زهرون أبو الحسن ، وهو عم جد المؤلف كان من أشهر الأطباء ، وتروى عنه النوادر البازعة في فنه ، ولد سنة ٢٨٣ هـ وتوفي سنة ٣٦٥ هـ ، أو سنة ٣٦٩ هـ وروى بعض أخباره هلال بن الحسن ، ووالده الحسن . « انظر عيون الأنباء » الجزء الأول « وإخبار العلماء » .

أما جده أبو إسحاق إبراهيم بن هلال فإنه كان أديباً كاتباً شاعراً ، تقلد ديوان

(١) له ترجمة في ابن خلكان ومعجم الأديباء وازعة الألبا والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٦٠ حوادث سنة ٤٤٨ هـ وشذرات الذهب ج ٣ والمتنظم ج ٨ حوادث سنة ٤٤٨ هـ .

الرسائل وله مؤلفات ، ولد سنة ٣١٣ وتوفى سنة ٣٨٤ هـ وقد عرض عليه عز الدولة
بختيار بن معز الدولة بن بويه الوزارة إن أسلم ، فامتنع ، ومع هذا فقد كان يصوم
شهر رمضان مع المسلمين ، ويحفظ القرآن أحسن حفظ ، وكان يستعمله في رسائله .
وقد أثنى الشعراء على رسائله حتى قيل :

أصبحتُ مشتاقاً حليف صباية برسانل الصابي أبي إسحاق

صوبِ البلاغة والحلاوة والحجى ذوبِ البراعة سلوة العشاق

طوراً كما رقَّ النسيم وتارة يحكى لنا الأطواق في الأعناق

وكان أبو إسحاق في عفوان شبابه أحسن حالا منه في أيام اكنهاله ،

وفي ذلك يقول :

عجبا لحظي إذ أراه مُصالحى عَصَرَ الشَّبابِ وفي المشيب مغاضبي

أمن الغواني كان حتى خاني شيخاً ، وكان على صباي مصاحبي

أمع التضعع ملتي مُتَجَنِّباً ومع الترعزع كان غير مجاببي

وأهدى إصطرباً إلى المطهر بن عبدالله وزير عضد الدولة وكتب إليه

بهذه الأبيات :

أَهْدَى إِلَيْكَ بنو الحاجات واختلقوا في مهرجانٍ عظيم أنت مُبْلِيهِ

لكنَّ عبدك إبراهيم حين رأى علُوَّ قَدْرِكَ لاشي يساميه

لم يرض بالأرض يهديها إليك فقد أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه

ولما مات إبراهيم بن هلال أبو إسحاق رثاه الشريف الرضي بقصيدة تزيد عن

ثمانين بيتاً مطلعها :

أعلمت من حملوا على الأعواد أرايت كيف خبا ضياء النادى

يقول فيها :

قد كنت أهوى أن أشاطرك الردى لكن أراد الله غير مرادى
ولقد كبا طرف الرقاد بناظرى أسفا عليك فلا لعا^(١) لرقادى
ثكلتك أرض لم تلد لك ثانياً إني ومثلك معوز الميلاد
وهى قصيدة رائعة . ولقد عوتب الشريف الرضى فى رثائه له لكونه شريفاً يرثى
صائباً ، فقال : إنما رثيت فضله .

ورثاه أيضاً بقصيدة أخرى مطلعها :

لولا يذم الركب عندك موقفى حيث قبرك يا أبا إسحاق
كيف اشتياقك إذ نأيت إلى أخى قلق الضمير إليك بالأشواق
والشريف المرتضى رثى أيضاً أبا إسحاق بقصيدة عدد أبياتها خمسة وخمسون ،
وهى فى مجموعة الأستاذ رشيد الصغار المحامى ، ومطلع القصيدة :

ما كان يومك يا أبا إسحاق إلا وداعى للفنى وفراقى
وأشد ما كان الفراق على الفقى ما كان موصولا بغير تلاق
ومنها :

إن لم تكن من عنصرى فلا أنت بالآداب من أهلى وبالأخلاق
ومودة بين الرجال تضمهم وتلفهم خير من الأعراق
ويختتمها بقوله :

وإذا مضيت وفيك فضل باهر فبمن نسلت فأنت حتى باق
والحسن والد المؤلف كان أديباً وكان يلقب صاحب الشامة ، ونقل ياقوت عن خطه
فى معجم الأدباء « انظر ترجمة أبى الفرج الأصفهاني على بن الحسين » .
وابن المؤلف غرس النعمة محمد بن هلال له عدة مؤلفات ، ولد سنة ٤١٦ بعد
إسلام أبيه وتوفى سنة ٤٨٠ .

(١) لا لعاله : دعاء عليه بأن لا ينسه الله .

هذا من ناحية آباء المؤلف. أما أخواله فإنهم ذرية ثابت بن قرة الصابي الطبيب العالم الفيلسوف « انظر ترجمته مثلاً في ابن خلكان » وأغلب ذرية ثابت بن قرة أطباء ومؤلفون ، والخطأ يقع من بعض المؤرخين ، فيذكرون أن ثابت بن سنان ابن ثابت بن قرة هو خال هلال بن الحسن ، ذكر ذلك في عيون الأنباء في ترجمة ثابت ، كما ذكره القفطي في كتابه إخبار العلماء ، وابن العبري في تاريخه ، لكن الحقيقة أن ثابت بن سنان هو خال إبراهيم بن هلال الصابي جد هلال بن الحسن ابن إبراهيم ، ففي معجم الأدباء في ترجمة ثابت بن سنان يقول ياقوت : « وقال أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي يرثي خاله أبا الحسن ثابت بن سنان بن ثابت ابن قرة ... » هذا وعمر إبراهيم بن هلال من ٣١٣-٣٨٤ يتناسب مع كونه ابن أخت ثابت بن سنان المولود في أواخر القرن الثالث ٢٩٥ تقريباً والمتوفى سنة ٣٦٥ أو ٣٦٣ هـ .

هذا وثابت بن سنان له كتاب في التاريخ ، وكتاب في أخبار الشام ومصر . وهاتان الأسرتان كانتا متمسكتين بالديانة الصابئية ، والقصة التي رويت عن سبب إسلام هلال بن الحسن مؤلف كتاب الوزراء يفهم منها أن الحسن والده كان مؤمناً بكميتهم إيمانه . إذ يقال : « إن هلالاً رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه يدعوهُ إلى الإسلام ... فلما استيقظ قص قصته على أهله ، فوجوا إلا آباء الحسن فإنه تبسم وقال : ارجع إلى فراشك فالحديث يكون عند الصباح ، وتقدم والده إلى الجماعة بكميتان ماجرى ، وقال : يا بني هذا منام صحيح ، وبشرى محمود ، إلا أن إظهار هذا الأمر فجأة ، والانتقال من شريعة إلى شريعة ، يحتاج إلى مقدمة وأهبة ، ولكن اعتقد ما وصيت به فإنتى معتقد مثله ، وتصرفت في دعائك وصلاتك على أحكامه . »

لهذا كان عجيباً من ابن الجوزي أن يذكر في كتابه المنتظم أن أباه الحسن كان صابئاً، مع أنه أورد قصة سبب إسلامه .

هذا وقد أسلم هلال بن الحسن بعد أن تجاوز الأربعين من عمره . وكان أديباً فاضلاً أخذ عن أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي صاحب المؤلفات في علوم العربية المتوفى سنة ٣٧٧ كما أخذ عن أبي الحسن علي بن عيسى الرماني المولود سنة ٢٩٦ والذي كان من كبار النحويين ومتقناً للغة والفقه وغيرها وتوفى سنة ٣٨٤ ومعنى هذا أن هلالاً تلقى العلم على أشهر العلماء وهو صغير، مما يدل على مكانة أهله وسمو مركزهم .

وكنية هلال في أغلب تراجمه هي أبو الحسن ، جاء ذلك مثلاً في معجم الأدباء وابن خلكان ونزهة الألبا في ترجمته في كل منها . وقد ذكر في النقل عنه في مواضع أخر أنه أبو الحسين ، انظر مثلاً معجم الأدباء في ترجمة أحمد بن محمد بن الفضل بن الخزاز ، وانظر معجم البلدان ج ١ ص ٣٨٢ « أنطاكية » وج ٢ ص ٢٧٢ « حساس » لهذا قد تكون له كنيستان أو أن إحدى الكنيتين تحريف من النسخ .

وقد ناب هلال عن جده في تولى ديوان الإنشاء ، كما تولى الكتابة لفخر الملك محمد بن خلف .

شعره

لم تورد الكتب التي ترجمت لهلال شيئاً من الشعر ، ولم تذكر أنه شاعر لكن في ديوان الشريف المرتضى ، وهو مجموعة الأستاذ رشيد الصفار الحامي - وقد قدم إلى هذا النص مشكوراً - جاء ما يأتي :

« وكتب هلال بن الحسن بن أبي إسحاق الصابي إليه - إلى الشريف المرتضى -

هذه الأبيات :

أسيدنا الشريف علوت عن أن تضاف إليك أوصاف الجلالة
لأنك أوحده والناس دُونَ وَمَنْ يسمو لمجدك أن يناله؟
وفت وزدت فضلاً إن فضلاً كفضلك لا تحيط به مقالته
ولى أمل سادره وشيكاً بعون الله فيك بلا تحالة
وليس على موالتي مزيداً لأنى لم أرها عن كلاله »

والواقع أن هذه الأبيات تشبه النثر، خللها من الإبداع الفنى، ولما فيها من
التعليلات الظاهرة . وقرق كبير بينها وبين ما كتب به إليه الشريف المرتضى
يحجيه بقصيدة عدد أبياتها ٢٤ تقتصر منها على ما يأتى :

متى يُبدى الكتيب لنا غزاه - ويُدنى من أناملنا مناله
وكيف يُنيلنا من ليس نلقى - وقد وعد الندى - إلا مطاله
أراد زيارتى غلطاً فلما مدتُ ليلها كفى بداه
ولما أن جفا عيني نهارة رضيتُ بأن أرى ليلاً خيالته
وعفت حرامه فأنال عيني وقلبي فى الدُّجى منه حاله

يقول فيها :

وإنك من أناس ما رأينا لهم إلا الرياسة والجلالة
علوا قلل الكلام الجزل فينا وحلوا كيفما شاءوا جباله
وكم رام امرؤ بهم لحوقاً بطرق المأثرات فما استوى له
وما زالوا بيوم ندى سيولا لمفخرة ويوم وعى فصالة
وكم ماضى البيان رددت منه غيباً لا تبين له مقالة

وذي لسن رجعت به صموتا وذي جدل عكست له جدالة
فخذها اليوم قافية شرودا تجوب بها البلاد ولا ضلالة
فإن قصرت فقد أغنتك منها إشارات لطفن عن الإطالة
فلا ملل لقلبي منك دهرأ وحاشا الله قلبي من ملالة

مؤلفاته

- ١ - الوزراء أو أخبار الوزراء أو تحفة الأمراء .
- ٢ - غرر البلاغة في الرسائل ، وهذا الكتاب توجد منه نسخة بدار الكتب . وذكر الأستاذ ميخائيل عواد أن هناك نسخة منه موجودة في خزانة المكتب العلمي الملوكي في بطرسبرج .
- ٣ - رسوم دار الخلافة . وتوجد منه نسخة بدار الكتب مصورة عن نسخة بمكتبة الأزهر . ويقول الأستاذ ميخائيل عواد : إنه فرغ من تحقيقه والتعليق عليه وأعدده للنشر .
- ٤ - كتاب في التاريخ اشتمل على الأحداث التاريخية من سنة ٣٦٠ هـ إلى سنة ٤٤٧ هـ ولا يوجد منه إلا قطعة صغيرة نشرها آمد روز ملحقة بكتابه تحفة الأمراء وهي تشتمل على حوادث سنة ٣٨٩ إلى سنة ٣٩٣ .
- ٥ - كتاب بغداد ، وسماه الصفدي كتاب أخبار بغداد ، نقل عنه ياقوت في معجم البلدان ج ٢ ص ٢٥٥ « الحرير » : وقرأت في كتاب بغداد تصنيف هلال ابن الحسن الصابي . . .

وفي ج ٢ ص ٥٤٢ « الداهرية » وقال ابن الصابي في كتاب بغداد

وفي ج ٢ ص ٥٦٥ « درتا » وذكر الصابي في كتاب بغداد

وفي ج ٤ ص ١٢٣ « قصر ابن هبيرة » وقال هلال بن الحسن في كتاب بغداد

٦ - الأعيان والأماثل أو الأماثل والأعيان .

ففى ابن خلكان فى ترجمة ابن الفرات على بن محمد : الأعيان والأماثل . وفى الفهرست سماء « كتاب الأعيان والأماثل » .

وفى ابن خلكان فى ترجمة هلال بن الحسن : رأيت له تصنيفاً جمع فيه حكايات مستملحة وأخباراً نادرة وسماه كتاب الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والإحسان . ومثل ذلك فى شدرات الذهب فى ترجمة هلال حوادث سنة ٤٤٨ هـ ومعجم الأدباء فى ترجمته . وقد ذهب بعضهم إلى أن كتاب الأماثل والأعيان هو كتاب الوزراء ، لأن معجم الأدباء وابن خلكان نقلتا قصة فى الأماثل والأعيان ، توجد فى كتاب الوزراء بنصها . لكن وصف ابن خلكان لكتاب الأماثل يدل على أنه مجلد واحد ، وما لا شك فيه أن الوزراء للصائبى كان فى عدة مجلدات ، يدل على ذلك أن ياقوت فى معجم الأدباء ، فى ترجمة أبى الفرج الأصفهاني على بن الحسين يقول : « حدث الرئيس أبو الحسن هلال بن الحسن بن إبراهيم بن هلال الصائبى فى الكتاب الذى ألفه فى أخبار الوزير المهلبى . . » فكان أخبار بعض الوزراء كانت من الكثرة بحيث صارت كتباً قائمة بنفسها . والوزراء الذين تناولهم الصائبى لا يكفى فى ذكرهم مجلد واحد ، وهذا واضح من القسم الذى بين أيدينا ،

وهذه كتب أربعة عدّها الصفدى فى الوافى بالوفيات نقلها آمدروز فى مقدمة طبعة سنة ١٩٠٤ مضافة إلى الكتب الأخرى التى ذكرها وذكرناها .

١ - كتاب رسالة أنشأها عن الملوك والوزراء تقارب رسائل جده أبى إسحاق .

٢ - كتاب مآثر أهله .

٣ - كتاب الكُتّاب .

٤ - كتاب السياسة .

ثروته وسبب تأليفه التاريخ ولقبه

يذكر ابن الجوزي في المنتظم ج ٨ ص ١٠١ في ترجمة الحسن بن الحسين أبي علي الرخبي الذي كان وزيراً لشرف الدولة والمتوفى سنة ٤٣٠ هـ ما يأتي :

كان فخر الملك قد أودع أقواماً مالا ، ولحن بأسمائهم - أي جعل لها رموزاً - وكفى عن ألقابهم ، فكان فيها : عند الكوسج اللحياني عشرون ألف دينار . وعند بُسْرَةِ بقمعها ثلاثون ألف دينار . فلم يعرف الحسن بن الحسين الرخبي من هذان فدخل عليه رجل كان يتطايب لفخر الملك ويأنس به - وكان يلقبه الكوسج اللحياني لكثافة الشعر في أحد عارضيه وخفته في الآخر ، فدخل على الرخبي متظلماً من جاره له ، متقرّباً إليه بخدمة فخر الملك ، فقال : يامولانا إنه كان يطعنني فخر الملك على أسراره ، ويلقبني بالكوسج اللحياني . فقال الرخبي لأصحابه : لاتفاقوه إلا بعشرين ألف دينار . وتهّدّه بالعقوبة ، فحملها بحتومها ، ثم تفكر الرخبي في قول فخر الملك : عند بسرة بقمعها . فقال : هو الصابي . فأحضر هلال بن الحسن ، وخاطبه سرّاً . وكان هلال أحد كتاب فخر الملك ، فلم ينكر . فقال له الرخبي : قم أيها الرئيس آمننا ، ولا تظهر هذا الحديث لأحد ، وأنفق المال على نفسك وولدك . ثم حضر ابن الصابي على أبي سعد بن عبد الرحيم في وزارته . فقال له : قد عرفتُ ماذا بينك وبين الرخبي ، وأنت تعلم حاجتي إلى حبة واحدة ، وتأوّل على من لا معاملة بيني وبينه ، ولا يسبقني الرخبي إلى مكرمة ، وما كنت لأنكب مثلك ، والصواب أن تشتغل بتاريخ أخبار الناس . فاشتغل ابن الصابي من ذلك الوقت بتاريخه الذي ذيله على تاريخ [ثابت بن] سنان فاستخدمه الملوك ، فلم يحتاج إلى إنفاق شيء من المال ، وخلف ولده أبا الحسن غرس النعمة محمداً وخلف له أملاً كافية على نهر عيسى ، وأنفق مقتصداً في النفقة وعمر الأملاك ، ولم يطلع أحداً من أولاده على ذلك . وظن

أولاده أن تركته تقارب ألف دينار ، فوجدوا له تذكرة تشتمل على دفاتن في داره ،
 فخفروها فكانت اثني عشر ألف دينار ، وكان ما خلفه من القماش وغيره لا يبلغ
 خمسين ديناراً . وأنفق أولاده التركة في أسرع زمان .

اسم الكتاب ومحتوياته ومنهجه

فوق النسخة التي نشرها آمدروز سمي الكتاب : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء .
 وهذا العنوان موجود على النسخة الخطية التي في مكتبة الأزهر .

لكننا نجد في النقل عنه أن الكتاب يسمى أخبار الوزراء « معجم الأدباء ج ١
 ص ٣٢٨ في ترجمة الوزير المهابي .

ويسمى كتاب الوزراء في معجم الأدباء ج ١ ص ٣٤٢ و ج ٢ ص ٤٠ و ج ٥ ص ٩
 و ص ١٥٦ و ص ٢٢٤ وابن خلكان في ترجمة ابن العميد محمد بن الحسين . ومن
 المحتمل أن تسميته تحفة الأمراء صحيحة ، فالسجع كان في عهده ، وهناك كتاب منسوب
 للثعالبي اسمه تحفة الوزراء . والثعالبي سابق له (٣٥٠ - ٤٢٩) . على أن اختلاف التسمية
 للكتاب الواحد حدث في غيره لأن النسخة الأصلية للمؤلف لم تصل إلى أيدينا ، فلم نعرف
 الاسم الذي أطلقه المؤلف على كتابه .

وكتاب أنساب الأشراف للبلاذري مثلاً سمي شروح الأشراف ، وتاريخ
 البلاذري ، ومفاهيم الأشراف ، والعالم ، وجمل أنساب الأشراف وأخبارهم ، وكتاب
 الأنساب ، وتاريخ الأشراف ، واستقصاء في الأنساب والأخبار ، وكتاب الأخبار
 والأنساب .

والوزراء الذين ترجم لهم في هذا الكتاب وقص أخبارهم ، هم : ابن القرات ، وأبو علي
 الخاقاني وعلي بن عيسى . وفي أثناء ذلك يعرض أخبارا لوزراء آخرين تتصل بالترجم

لهم . وقد عد في مقدمته وزراء أشار إلى أنه سيؤلف عنهم ، ونجده في أثناء كلامه يشير إلى أنه ألف أو يؤلف أخبارا عن وزراء .

ففي ص ٤٤ « عن حامد بن العباس » : ونحن نذكر تمام حديثه إلى حين وفاته في أخباره .

وانظر ص ٣١٣ : قد أوردنا في أخبار حامد عن وزارته ماجرى . . .

وفي ص ٤٥ « عن ابن مقلة » وقد شرحنا حديثه في أخباره .

وفي ص ٦٠ ونظر أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الخاقاني في الوزارة على ما ذكرنا في أخباره .

وفي ص ٣٣٦ وقد ذكرنا حاله فيما نقله من أعمال الشام في وزارة الحصيبي .

والمؤلف كما نرى من مقدمته لا يسير حسب التسلسل التاريخي ، بل يتناول الوزير الأول ثم وزاراته إلى أن يستوفيهما ، تاركا ما تحلل عزله ، ويأتي بعد ذلك بأخبار منشورة للوزير ، فيها طرائف ونواذر ، وهي كما قال : مما لم تتضمن التواريخ ذكره « ص ٢٩ » ثم يأتي بعد ذلك بالوزير التالي له ، ويستعرض وزاراته إن تكررت ثم يأتي بأخباره المنشورة .

وهذا المنهج سلكه بعناية كما رسمه في مقدمته إذ يقول :

ونحن نبدأ فيما نورد بأخبار أبي الحسن علي بن محمد بن القرات لأنه تلا أبا أحمد العباس بن الحسن . ونجعل ذكر وزاراته الثلاث متصلا غير منقطع . ومجمعا غير منقطع ، ونجرب على هذا المثال في الوزراء الذين تكررت ولاياتهم ، إذ كان الغرض سياقة أخبارهم ، ومجاري أمورهم ، إلى غاية مددهم ، وانقضاء أيامهم ، لا ترتيب خلفائهم وأمرائهم وأوقاتهم وأزمانهم .

وقد أراد هلال أن يكمل بكتابه ما انتهى إليه الجهشيارى في تأليفه للوزراء والكتاب . إذ وقف عند نهاية العباس بن الحسن في مطلع خلافة المعتدر . ولم يقم وزنا لما ألفه الصولي عن الوزراء .

المؤلفون في الموضوع

كان الكتاب في العصور الإسلامية الأولى يحسنون أمور التدبير، ويتقنون فنون السياسة ونظام الدولة. وكان لا يبلغ الواحد منزلة الكاتب إلا بعد أن تكون ثقافته ومداركه في الغاية من الرقي والكمال. ثم صار الخلفاء يختارون من بين هؤلاء الكتاب من يسندون إليه الوزارة.

لهذا ألف داود بن الجراح - كان في منتصف القرن الثالث - كتاباً سماه أخبار الكتاب « الفهرست ١٢٨ » ولعل داود بن الجراح هو أول مؤلف في هذا الموضوع.

وجاء ابنه محمد بن داود بن الجراح - قتل سنة ٢٩٦ - فألف كتاباً اسمه كتاب الوزراء « الفهرست ١٢٨ » وابن خلكان في ترجمة ابن الفرات على بن محمد، وكشف الظنون تحت عنوان أخبار الوزراء.

وجاء ابن عمار الثقفي - كتب في الفهرست خطأ ابن عماد - أبو العباس أحمد ابن عبيد الله بن محمد بن عمار المعروف بحمار العزيز والمتوفى سنة ٣١٤ أو ٣١٩ فألف كتاب الزيادات في أخبار الوزراء « الفهرست ١٤٨ » والتنبيه والإشراف عند ذكر خلافة الهادي، ولسان الميزان ترجمته.

وعلى بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق ألف كتاب الوزراء، ذكر فيه وزراء المقتدر وغيرهم، ووصل به كتاب محمد بن داود بن الجراح، وعمله إلى أيام أبي القاسم الكلوزاني « الفهرست ١٢٩ » وكشف الظنون تحت عنوان أخبار الوزراء. وفي التنبيه والإشراف عند ذكر خلافة الهادي: وعلى بن الفتح المعروف بالمطوق صنف من أخبارهم إلى سنة ٣٢٠.

وإبراهيم بن موسى الواسطي الكاتب له كتاب في أخبار الوزراء عارض فيه

كتاب محمد بن داود بن الجراح في الوزراء « معجم الأدباء ج ١ / ص ٣٢٤ وكشف الظنون تحت عنوان أخبار الوزراء .

وألف الجهمياري أبو عبد الله محمد بن عبدوس كتاباً اسمه الوزراء والكتاب طبع القسم الموجود منه ، وأغلبه مفقود .

وكذلك الصولي أبو بكر محمد بن يحيى ألف كتاباً عن الوزراء ، وتوجد بالكتب نقول عنه .

والصاحب إسماعيل بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ ألف كتاباً اسمه أخبار الوزراء « الفهرست ١٣٥ وكشف الظنون تحت عنوان أخبار الوزراء وتحت عنوان كتاب الوزراء .

وألف أبو حيان التوحيدى على بن محمد كتاباً اسمه متالب الوزيرين أو ذم الوزيرين . وكان أبو حيان يعيش إلى سنة ٤٠٠ هـ والوزيران هما صاحب إسماعيل بن عباد وأبو الفضل محمد بن العميد « معجم الأدباء ترجمته وابن خلكان ترجمة محمد بن العميد » .

وألف ابن ماكولا على بن هبة الله بن جعفر المولود سنة ٤٢٢ والمقتول سنة ٤٨٥ كتاب الوزراء « معجم الأدباء ترجمته وفوات الوفيات ترجمته » .

وابن الماشطة أبو الحسن على بن الحسن أو على بن محمد الماشطة كما في كشف الظنون ألف كتاباً عن الوزراء « التنبيه والإشراف عند ذكر خلافة الهادي » وكشف الظنون تحت عنوان أخبار الوزراء . أما في الفهرست ١٣٥ فلم يذكر من مؤلفاته أنه ألف كتاباً في الوزراء .

وأبو عبد الله محمد بن أحمد الفارسي ألف كتاب الوزراء « ابن خلكان في ترجمة ابن القرات على بن محمد » وكشف الظنون تحت عنوان كتاب الوزراء . هذا وفي ابن خلكان في ترجمة محمد بن علي بن خلف فخر الملك : « وقال أبو عبد الله أحمد ابن القادسي في أخبار الوزراء » ويغلب على الظن أن القادسي هذا هو أبو عبد الله

(ع)

محمد بن أحمد الفارسي وحدث فيه نقص وتحريف . على أننا نجد في كشف الظنون تحت عنوان « تاريخ » ما يأتي « ثم ذيله ابن القادسي إلى سنة ٦١٦ » فهل القادسي غير الفارسي أو أن الفارسي محرف ..

ولأبي الحسن محمد بن عبد الملك الهمداني المتوفى سنة ٥٢١ كتاب في أخبار الوزراء « كشف الظنون » .

ولعمارة اليميني المتوفى سنة ٥٦٩ كتاب اسمه النكت المصرية في أخبار الوزراء المصرية « طبع في باريس سنة ١٨٩٧ » « وانظر كشف الظنون » .

وتخليل بن الحسن كتاب الوزراء « كشف الظنون » .

ذيله الشيخ تاج الدين علي بن أنجب بن الساعي البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤ « كشف الظنون تحت عنوان أخبار الوزراء وتواريخ الوزراء وكتاب الوزراء » .
وخواند أمير غياث الدين ألف كتابا اسمه تاريخ الوزراء « كشف الظنون تحت عنوان تواريخ الوزراء » .

هذا وللتعالبي كتاب اسمه تحفة الوزراء « موجود بدار الكتب » لكنه ليس بتاريخ لهم ، وإنما هو يشتمل على خمسة أبواب : الباب الأول في أصل الوزارة واشتقاقها ، الباب الثاني في فضائلها ومنافعها ، الباب الثالث في آدابها وحقوقها ولوازمها ، الباب الرابع في أقسامها ورسومها ، الباب الخامس في ذكر كفتهم ونكت ألقاظهم وعقوم ومدائحهم .

ومن العجب أن المؤلف بعد أن تكلم عن الجهشياري والصولي ، وذكر أنهما ألفا في الوزراء يقول في ص ٤ « ولم أر أحداً بعدهما تم ابتداءهما ولا هم به » وقد رأينا أن جماعة ألغوا في الوزراء ، وتمموا بعد الجهشياري والصولي وقبل هلال بن الحسن

(ف)

فلعل هذه الكتب لم تصل إلى المؤلف ؛ ولكن كيف يغوته بعضها؟ مثل ما للصاحب ابن عباد ، الذى ألف هو عنه فى الوزراء ، وهل لم يقرأ كتاب الفهرست أو التنبيه والإشراف ؟ وفيهما ذكر لمن ألفوا عن الوزراء .

نسخة الأزهر وتنبية وتوضيح

والنسخة الخطية الموجودة بمكتبة الأزهر مسطرتها ٢٥ سطراً تحت رقم [٣٧٤] أباطة ٦٦٦٧ تاريخ فى ٩٧ ورقة ، لا يعلم ناسخها ولا من أى نسخة نقلت ولا تاريخ نسخها . وكل ما عليها هو تاريخ ، وقف من ورثة سليمان أباطة سنة ١٣١٦ هـ وعلى صفحتها الأولى كتب : تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء . وبهذه النسخة بعض النقص ، ونقصها بسبب ضياع أوراق منها .

وأول نقص منها يبدأ من قوله : « وجعل عطاء الإفضال أكثر » ص ٧ السطر السابع . إلى قوله « مال فارغة وابتداء عقد لخليفة جديد الأمر » ص ١٣ السطر ١٨ .

والنقص الثانى يبدأ من قوله : « أرزاق المختارين الذين انتخبهم من كل قيادة وكان عرفهم » ص ١٩ السطر ٥ إلى قوله : « المتوكل على الله وأولادهم رجالاً ونساء » ص ٢٥ السطر ٣ .

والنقص الثالث يبدأ من قوله : « ثم رفع رأسه فقال : سمعت ما كنا فيه ، فقلت نعم وما » ص ١٤٣ السطر ٥ إلى قوله : « قراءة تأمل ، وانظر فيها نظر تصفح » ص ١٤٥ السطر ٢٠ .

والنقص الرابع يبدأ من قوله : « وتوجهت بأجمعها من الحضرة » ص ٢٣١

السطر ١٧ إلى قوله « فعلت ما فعلت صدقت عن باطن الأمر » ص ٢٣٧ السطر ٩ والنقص الخامس يبدأ من قوله :

ووالله ما أدري أرايك تنتضي أم القدر الماضى إذا الخطب أجحضا
ص ٢٩٨ السطر ٣ إلى قوله : « يعنى التلوذى بالحضور فوقع إليه » ص ٣٢٨
السطر ٨ .

خُملة النقص تقرب من خمسين صفحة في كتابنا هذا . وبما لاشك فيه أن نسخة الأزهر نسخت من المخطوط الموجود بالمكتبة الأهلية بباريس قبل أن ينقل من القاهرة، أو أن مخطوط باريس منسوخ منها ، لأن آمدرور يذكر أن به نقصاً والصفحة الأولى موجودة .

وقد لاحظت أن الأخطاء، أو الإبهام أو الكلمات غير الواضحة النقط في مطبوع آمدرور تتفق كثيراً مع مخطوط الأزهر . والنهاية المفقودة في مخطوط الجوتا والموجودة في مخطوط باريس متفقة مع مخطوط الأزهر ، وكذلك العنوان للكتاب . ولم أستفد في التصحيح من قراءة نسخة الأزهر إلا القليل ، أما التصويبات فهمى من السياق أو المراجع الأخرى وبخاصة تجارب الأمم ونشوار المحاضرة .

وإذ كانت نسخة الأزهر غير كاملة ، وغير مثبت عليها اسم ناسخ ولا تاريخ النسخ ؛ ولما كانت مشبهة أشد الشبه لما هو موجود من غموض في المطبوع ، لم أجعلها أصلاً ، بل اعتبرت ما طبعه آمدرور هو الأصل ، لأنه مقابل على نسختين وإحداها أكل من الأخرى وهى نسخة الجوتا .

وإذا وجد باقى الكتاب ، فالذى لا شك فيه أنه سيجرم بعد على ابن عيسى لحامد بن العباس ، فأبى القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخاقانى ، فأبى العباس أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن ، الخصيب فأبى على محمد بن على

ابن مقلة . . . وهكذا يتتبع الولاية الأولى لكل وزير فيجعل الترجمة له تالية لمن سبقه بولايته الأولى .

وقد ألحقت بالكتاب خلاصة لما كتبه أمدرود في آخر طبعته التي كانت سنة ١٩٠٤ وهو بحق صاحب الفضل الأول في إمتاعنا بهذا الكتاب ، وقد انتفعت بإشاراته وملاحظاتة .

وللأستاذ ميخائيل عواد فضل كبير فيما جمعه وطبعه من أقسام ضائعة من كتاب تحفة الأمراء ، وما اهتم به من دراسات ، وما أطلعه عليه الأستاذ المحقق الدكتور مصطفى جواد وقد استفدت من ذلك كثيرا ، وأشارت إلى ما جمع في نهاية الكتاب ، لينتفع بذلك الباحثون ، وإن كان لاغنى للمستوعب من مراجعة الكتاب لما استوفاه فيه .

وفي هذا الكتاب ألفاظ يصادفها القارئ ، كانت تجرى في تلك العصور العباسية تواضعوا عليها أو عرّبوها عن الفارسية ، وضعت لها في نهاية الكتاب قائمة وتوضيحا لها من مظان تعريفها .

ولا يفوتني أن أنبه القارئ إلى أن يرجع إلى التصويب الملحق بالكتاب قبل الاطلاع ، فلا عصمة للمرء من السهو وزوغان البصر وسبق الفكر ، ولا سلامة كاملة من أخطاء التطبيع بعد التصحيح وهذا كتاب أبي حيان التوحيدي « مثالب الوزيرين » أبي التطبيع إلا أن يجعله مقابل الوزيرين ، فلما صوبته حرفته إلى مثالب . ولا أزعج أني قد بلغت في تحقيق الكتاب غاية ما أتمناه . والفكر في بعض الأحيان يركد فلا يلحظ البديهيات ، ويتمنى المرء بعد ذلك لو أن آلات الطباعة توقفت عن الدوران ، ليدرك ما فات ، وهيئات .

الصابئة

في تفسير الألوسي عند قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ » قال : هم قوم مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين واتخاذهم وسائل . ولما لم يتيسر لهم التقرب إليها بأعيانها والتلقى منها بذواتها ، فزعت جماعة منهم إلى هياكلها ، فصابئة الروم مفزعها السيارات ، وصابئة الهند مفزعها الثوابت ، وجماعة نزلوا عن الهياكل إلى الأشخاص التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفى عن أحد شيئاً ، فالفرقة الأولى هم عبدة الكواكب ، والثانية هم عبدة الأصنام . وكل من هاتين الفرقتين أصناف شتى مختلفون في الاعتقادات والتجديدات . والإمام أبو حنيفة رضى الله عنه يقول : إنهم ليسوا بعبدة أوثان وإنما يعظمون النجوم كما تعظم الكعبة . وقيل : هم قوم موحدون يعتقدون تأثير النجوم ويقرؤون ببعض الأنبياء كيحيى عليه السلام . وقيل : إنهم يقرؤون بالله تعالى ، وقرءون الزبور ويعبدون الملائكة ، ويصلون إلى الكعبة ، وقيل : إلى مهب الجنوب ، وقد أخذوا من كل دين شيئاً .

أما الزمخشري في الكشف فيقول : إنهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة .

وفي القاموس « الصابئون يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام ، وقبلتهم من مهب الشمال عند منتصف النهار .

ونقل شارح القاموس عن التهذيب أنهم قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب ، ويزعمون أنهم على دين نوح وهم كاذبون ، قال شيخنا : وفي الروض : أنهم منسوبون إلى صابئ بن لأمك أخى نوح عليه السلام ، وهو اسم علم أعجمي . قال البيضاوى : وقيل : هم عبدة الملائكة . وقيل : عبدة الكواكب ،

(ش)

وقيل : عربى من « صبا » مهموز - إذا خرج من دين ، أو من « صبا » - مُعْتَلًا -
إذا مال ، ليلهم من الحق إلى الباطل .

وقيل غير ذلك .

وفى ابن خلكان ترجمة إبراهيم بن هلال الصابى : وقد اختلفوا فى هذه النسبة ،
فقيل : إنها إلى صابى بن متوشلح بن إدريس ، وكان على الحنيفية الأولى ، وقيل :
إلى صابى بن مارى ، وكان فى عصر الخليل عليه السلام . وقيل : الصابى عند العرب
من خرج عن دين قومه ، ولذلك كانت قریش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صابئاً لخروجه عن دين قومه .

وفى الملل والنحل : الصابئة قوم مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين أى
الملائكة ، ودعوتهم إلى الاكتساب لا إلى الفطرة التى يدعو إليها الخفاء .

ومذهبهم أن للعالم صانعاً فاطراً حكماً ، مقدساً عن سمات الحدثان ، والواجب
علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله ، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين
لديه ، وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرأً وفعلاً وحالةً . أما الجوهر فهم
المقدسون عن المواد الجسدية . المبرهونون عن القوى الجسدية ، المنزهون عن الحركات
المكانية والتغيرات الزمانية ، قد جبلوا على الطهارة وفطروا على التقديس والتسييح ،
لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وإنما أرشدنا إلى هذا معلنا الأول عاذيهم وهرمس ، فنحن نتقرب إليهم
وتتوكل عليهم ، فهم أربابنا وآلهتنا ووسائلنا ، وشفعاؤنا عند الله ، وهورب الأرباب ،
وإله الآلهة ، فالواجب علينا أن نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية ، ونهذب
أخلاقنا عن علائق القوى الشهوية والغضبية ، حتى يحصل مناسبة ما بيننا
وبين الروحانيات ، فنسأل حاجتنا منهم ، ونعرض أحوالنا عليهم ، ونصبو فى جميع

(ت)

أمورنا إليهم ، فيشفعون لنا إلى خالقنا وخالقهم ورازقنا ورازقهم .

وهذا التطهير والتهذيب ليس يحصل إلا باكتسابنا ورياستنا ، وفطامنا أنفسنا عن درنجات الشهوات استمداداً من جهة الروحانيات ، والاستمداد هو التضرع والابتهاال بالدعوات ، وإقامة الصلوات ، وبذل الزكوات ، والصيام عن المطعومات والمشروبات ، وتقريب القرابين والذبايح ، وتخفيف البخورات ، وتعزيم العزائم ، فيحصل لنفوسنا استمداد واستمداد من غير واسطة ، بل يكون حكماً وحكم من يدعى الوحي على وتيرة واحدة .

قالوا : والأنبياء أمثالنا في النوع ، وأشكالنا في الصورة ، يشاركوننا في المادة ، يأكلون مما نأكل ، ويشربون مما نشرب ، ويساهموننا في الصورة ، أناس بشر مثلنا ، فمن أين لنا طاعتهم ؟ وبأى مزية لهم لزم متابعتهم ؟ ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون .

وقالوا : الروحانيات هم الأسباب المتوسطون في الاختراع والإيجاد وتصريف الأمور من حال إلى حال ، وتوجيه المخلوقات من مبدأ إلى كمال ، يستمدون القوة من الحضرة الإلهية القدسية ، ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية ، فمنها : مدبرات الكواكب السبع السيارة في أفلاكها وهي هياكلها ، ولكل روحاني هيكل ولكل هيكل فلك ، ونسبة الروحاني إلى ذلك الهيكل الذي اختص به نسبة الروح إلى الجسد ، فهو ربه ومدبره ومديره .

وكانو يسمون الهياكل أرباباً ، وربما يسمونها آباء ، والعناصر أمهات . ففعل الروحانيات تحريكها على قدر مخصوص ، ليحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر . فيحصل من ذلك تركيبات وامتزاجات في المركبات فيتبعها قوى جسمانية ، ويركب عليها نفوس روحانية ، مثل أنواع النبات وأنواع الحيوان ، ثم قد تكون

(ث)

التأثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي، وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي. فمع جنس المطر ملك ، ومع كل قطرة ملك ، ومنها مدبرات الآثار العلوية الظاهرة في الجو ، مما يصعد من الأرض فينزل مثل الأمطار والثلوج والبرد والرياح ؛ وما ينزل من السماء مثل الصواعق والشهب ، وما يحدث في الجو من الرعد والبرق والسحاب والضباب وقوس قزح وذوات الأذنان والهالة والحجرة، وما يحدث في الأرض من الزلازل والمياه والأبحر إلى غير ذلك .

ومنها متوسطات القوى السارية في جميع الموجودات ، ومدبرات الهداية الشائعة في جميع الكائنات ، حتى لا ترى موجوداً ما خالياً عن قوة وهداية ، إذا كان قابلاً لها .

قالوا : وأما الحالة ، فأحوال الروحانيات من الروح والريحان والنعمة واللذة والراحة والبهجة والسرور في جوار رب الأرباب كيف تحفى ؟ ثم طعامهم وشرابهم التسبيح والتعديس والتمجيد والتهليل ، وأنسهم بذكر الله تعالى وطاعته ، فمن قائم ومن راكم ومن ساجد ومن قاعد لا تبدل حالته لما هو فيه من البهجة واللذة . ومن خاشع بصره لا يرفع ، ومن ناظر لا يغمض ، ومن ساكن لا يتحرك ، ومن متحرك لا يسكن ، ومن كروبي في عالم القبض ، ومن روحاني في عالم البسط : لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وقد جرت مناظرات ومحاورات بين الصابئة والخفء في المفاضلة بين الروحاني الخض وبين البشرية النبوية .

انظرها في الملل والنحل بتطويل .

(خ)

الوزير

في صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٤٨ الوزير : هو المتحدث للملك في أمر مملكته .
واختلف في اشتقاقه :

ف قيل : مشتق من الوزر بفتح الواو والزاي وهو الملبأ ومنه قوله تعالى : « كَلَّا لَا وَزَرَ »^(١) . سمي بذلك لأن الرعية يلجئون إليه في حوائجهم .

وقيل : مشتق من الأوزار وهي الأمتعة . ومنه قوله تعالى « وَلَكِنَّا مُحِلُّنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ »^(٢) . سمي بذلك لأنه متقلد بخزان الملك وأمتعته .

وقيل : مشتق من الوزر بكسر الواو وإسكان الزاي وهو الثقل . ومنه قوله تعالى :
« حتى تضع الحرب أوزارها »^(٣) . سمي بذلك لأنه يتحمل أثقال الملك .

« ومثله ما قاله الثعالبي في كتابه تحفة الوزراء »

وقيل : مشتق من الأزر وهو الظهر ، سمي بذلك لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر ، وتكون الواو فيه على هذا التقدير منقلبة عن همزة . وأول من لقب بالوزارة في الإسلام أبو سلمة حفص بن سلمان الخلال وزير السفاح ، وإنما كانوا قبل ذلك يقولون : كاتب . ثم هو إما وزير تفويض وهو الذي يفوض الإمام إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده .

وإما وزير تنفيذ وهو الذي يكون وسيطا بين الإمام والرعايا معتمدا على رأى الإمام وتدييره . وهذه هي التي كان أهل الدولة الفاطمية يعبرون عنها بالوساطة

وفي كتاب تحفة الوزراء للثعالبي : أنه مشتق من الإعانة لأن الوزير يعين الملك على ما هو بصدد من أعباء السياسة .

(ذ)

وقيل هو فارسي معرب وأصله من « الزور » وهو عندهم اسم للشدة والقوة
فاستعير وعُرب ، والمعنى فيه أنه يشد من صاحب الدولة ويقويه ويُعينه على
ما هو بصده .

والأظهر أنه : من المساعدة والإعانة .

وروى الثعالبي حديثاً هو : إذا أراد الله بعبد خيراً - أو قال : بالأمير خيراً -
جعل له وزير صدق إن ذكر أعانه ، وإن نسي ذكره . وإذا أراد به غير ذلك جعل
له وزير سوء إن نسي لم يذكره ، وإن ذكر لم يعنه

وأورده برواية أخرى في الصفحة الثالثة : إذا أراد الله بملك خيراً قيض له
وزيراً صالحاً ، إن نسي ذكره وإن نوى خيراً أعانه ، وإن أراد شراً كفه

وفي كتب اللغة : الوزير حَبَأُ الملك - أى جابسه وخاصته - الذى يحمل ثقله
عنو يعينه برأيه . وفي التنزيل : « وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي » ^(١) . قال أبو إسحاق
اشتقاقه في اللغة من الوزر : الجبل الذى يعتصم به لينجى من الهلاك ، وكذلك وزير
الخليفة معناه : الذى يعتمد على رأيه : وقيل لوزير السلطان وزير لأنه يزرعن السلطان
أُنْقَالَ ما أسند إليه أى يحمل ذلك .

وفي حديث السقيفة « نحن الأمراء وأنتم الوزراء » .

(ض)

مصادر الكتاب والمقتبسون

أتيحت للصابي في تأليف كتابه أمور جعلته ثقة فيما يروى ، وأول ذلك صفته الرسمية في الدولة التي أظفرتة بالوثائق الرسمية . ففي صفحة ١٥ يقول : « ووجدت عملاً يشتمل على ذكر أحمد بن محمد الطائي وما ضمنه من الأعمال . . . » وفي ص ١٦٦ يقول : « ووجدت ثبثاً بما كان أبو الحسن بن الفرات يخاطب به السيدة والأمراء وأولاد الخلفاء والولاة والكبراء . . . » وفي ص ٢٤٥ يقول : « ووقع بيدي ثبت أخرج من ديوان المغرب في أيام الراضي بما أخذه الحسن بن علي بن محمد بن الفرات من الخطوط ممن قبض عليه وصادره في أيام وزارتهم الثالثة . . . » ولا غرابة في أن يتمكن من الاطلاع على الوثائق الرسمية ، فقد اشترك في أرقى المناصب وعمره لم يتجاوز العشرين ، ويدل على ذلك مايقوله في ص ١٧٠ « وعهدى وأنا أوقع في قصص المتظلمين في أيام صمصام الدولة عن أبي إسحاق جدى في ديوان الإنشاء إلى قضاء الحضرة . . . » ومعلوم أن جده توفي سنة ٣٨٤ وأن هلالا المؤلف ولد سنة ٣٥٩ وصمصام الدولة تولى الملك سنة ٣٧٢ وقتل سنة ٣٨٨ . هـ .

والأمر الثاني الذي وثقه اطلاعه على تاريخ ثابت بن سنان خال جده وقد أرخ ثابت من أواخر القرن الثالث الهجرى إلى سنة ٣٦٠ هجرية ، وهي فترة عاصرها ، أولتي معاصريها .

والأمر الثالث مارواه أو نقله عن القاضى التنوخى أبى على الحسن مؤلف نشوار المحاضرة ، والفرج بعد الشدة ، والمستجد من فعلات الأجواد . والتنوخى ولد سنة ٣٢٧ وتوفي سنة ٣٨٤ والأخبار التي رواها شافه أغلب معاصريها .

يضاف إلى هذا أنه اطلع على كتاب الوزراء والكتاب للجشيارى ، وكتاب

(ظ)

الوزراء للصولى . والجهشيارى توفى سنة ٣٣١ والصولى توفى سنة ٣٣٥ ، ومع هذا لم يعجبه الصولى فى تأليفه ، حيث يقول عنه : « لكنه ملاءه بالحشو الزائد ، وكسفه بشعره البارد . . » انظر صفحة ٤ من هذا الكتاب . وعلى الرغم من تسخيفه للصولى نقل عنه خبرين فى ص ٢٤١ وص ٣٨١ .

وإلى جانب هذا تلقى عن طريق الرواية والسند أخباراً من أناس انصلوا بالدواوين ، وخاططوا الحاكمين ، وتجد ذلك منبئاً فى أغلب الكتاب .

أما الناقلون عن كتاب الوزراء للصائبى فأهمهم ياقوت الحموى صاحب معجم الأدباء ومعجم البلدان (ولد سنة ٥٧٤ وتوفى سنة ٦٢٦) وأغلب نصوصه هى من الأقسام الضائعة من الكتاب « انظر ص ٤٥٥ من كتابنا هذا » وفى كتابه معجم البلدان « صريقون » خبر هو فى الوزراء ص ١١ وابن خلكان نقل عنه فى ترجمة أبى الفضل محمد بن العميد . أما فى ترجمته لهلال وفى ترجمته لعل بن القزات فإنه يذكر كتاب الأعيان والأمثال :

وقد أشار آمدروز إلى أن الصفدى نقل عنه فى كتابه الوافى والوفيات ، كما نبه الأستاذ ميخائيل عواد إلى نصوص منقولة ، وفى خطط المقرئى ، وصيغ الأعشى ، وبدائع البدائن ، والنجوم الزاهرة ، والأذكياء لابن الجوزى انظر ص ٤٥٥ .
وبه الدكتور مصطفى جواد إلى نصوص منقولة ، توجد فى معجم الألقاب وتاريخ ابن التجار .

إن هلال بن الحسن قد أتممنا بالنوادر فى كتابه الوزراء ، وكان - كما قال فيه مؤلف تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٧٦ - صدوقاً .

عبد الستار أحمد فراج

مَقَرَّةُ اللُّوْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد ، فإن أول ما افتتح به القولُ فأفلحت مصادره ، وأُعمل به النطقُ فأنجحت ^(١) مقاصده ، وتوَجَّحَ به الخيرُ فأصاب مواضعه ، وترجَّى فيه الخطُّ فأرجمت بضائعه ، حمدُ الله ذى الحولِ القاهر ، والطَّولُ الباهر ، والنعمة السابغة والحجة البالغة ، الذى ابتدأ الصنعة وأحكمها ، وابتدع الحكمة وعلمها ، وخصَّ الإنسان منها بما عرَفَ به مسالكَ حظَّه ورشده ، ومواقعَ خيره وشره ، فصار معه عجوجاً ^(٢) فى أسباب فعله ، ومحجوباً عن البوابِ عذره ، مخيراً فى مجارى سعيه ، ومُخْلِ مع دواعى نفسه .

وصلى الله على من اضطفى من خلقه ، وارتضى لإقامة حقه ، محمد ذى الأصلِ الشامخ ، والفخرِ الباذخ ، والقولِ الناصح ، والعملِ الصالح ، الذى هدانا من الضلالةِ بما أوردنا من الدلالة ، وأقذنا من الجمالةِ بما بَلَّغنا من الرسالة ، فقال له ربُّه تبارك وتعالى اسمه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ ^(٣) .

ولما رأيت المتقدمين من أهل المعرفة قد أشركوا من بعدهم فيما وصلوا إليه من الفائدة بعلوم أدركوها قبلهم ، فخلقوها بالجمع والتأليف لهم ، وأحاديث سمعوها

(٢) المحجوج : الغلوب بالحجة .

(١) أنجحت : صارت ذات نجاح

(٣) الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ .

عَمَّنْ تقدمهم ، فحَدِّدوها بالتطير والتصنيف لمن لحقهم ، وجعلت ذلك من أفضل ما اقتناه المقتنون ، واقتناه المقتدون ، إذ لولا هذه الطريقة لما عُرِفَتْ فضائل الأخلاق فاستُحْسِنَتْ ، ورذائل الأفعال فاستُهْجِنَتْ ، وعوائد الخير فطُلِبَتْ ، وعواقب الشرِّ فاجْتُنِبَتْ ، وأئى حديثٍ أوقع ، وذكرٍ أنفع ، من الإخبار بمجاري الأمور التي مازال أرباب الهمم الشريفة يتطلعون إلى أمثالها ليجعلوها لقاءً لآدابهم ، وصفاء لأذهانهم ، وتذكرة لقلوبهم ، وريضة لعقولهم ، فمعلوم أنه لا وجدان أقرب ، ولا إدراك أطيب ، من أن يأخذ الإنسان عَفْوً ^(١) ما كدَّت الفِطْنُ في استخراجِه ، وبعثت القرائح لاستباطه ، ويعلم - على سلامة من الخطار ^(٢) ، وأمن من العثار - ما بان الخطأ والصواب من مجاريه ، واستتر القبيح والجميل في مطاويه ، فيهندي بذلك مهتد ، ويقتدى مقتد ، ويستفيد مستفيد ، ويستزيد مستزيد .

وكان أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري ^(٣) جمع من أخبار الوزراء ما وقف فيه عند أبي أحمد العباس بن الحسن ^(٤) ، وصنع أبو بكر محمد بن يحيى الصولى ^(٥) في مثل ذلك كتاباً رأيت منه ما كان إلى آخر أيام القاسم بن عبيد الله ^(٦) ، لكنه ملأه بالحشو الزائد ، وكسفه بشعره البارد ، ولم أر أحداً بعدها تم ابتداءها ولا همَّ به ، فكان ذلك مما بُحِثَتْ فيه حظوظٌ من قطعاً قبل عصره ، ووقفاً قبل ذكره ، وما في أكثرهم إلّا من له الفضائل المذكورة . والمناقب الماثورة ، والآثار المشهودة

(١) انفعو من معانيه : خيار الشيء وأطيبه ، والفضل .

(٢) الخطار : الخطورة .

(٣) توفي سنة ٣٣١ راجع ترجمة له في مقدمة كتابه الوزراء والكتاب تحقيق السقا والايارى .

(٤) قتل سنة ٢٩٦ هـ وزير للمكنتى والقتدر .

(٥) راجع ترجمة له في ابن خلكان توفي سنة ٣٣٥ .

(٦) توفي سنة ٢٩١ هـ وزير للمعتضد ثم المكنتى ، له ترجمة في التلّظم ٤٦/٦ .

والأفعال المشهورة : من مثل أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وأبي الحسن علي ابن عيسى بن داود بن الجراح ، وأبي علي محمد بن علي بن مقله^(١) ومن بعدهم من وزراء الدولة العباسية ، ومثل أبي محمد الحسن بن محمد^(٢) الملهبي ، وأبي الفضل محمد ابن الحسين بن العميد^(٣) ، وأبي القاسم إسماعيل بن عباد^(٤) ، وأبي غالب محمد ابن علي بن خلف^(٥) ، ومن قعد مقعدهم بالعراق وفارس والري من كتّاب الأيام الديلية ، ومثل السيد الأجل الأوحّد العادل أبي منصور بهرام بن مافته^(٦) ، حرس الله مدته ، وواصل سعادته ، الذي تأخر عنهم عصره ، وأبرّ عليهم^(٧) فضله ، وصلى^(٨) بعدهم عهدُه ، وفات جُذَمَ عَفْوُه^(٩) . ثم نقول : إنه لو كان التأخر مُقْعِدًا عن ذُرْوَةٍ في الخير بأسقة ، وغَلْوَةٍ^(١٠) في الفخر سابقة ، ورُبَّةٍ في الجِدِّ مبلوغة ، وغاية في المجد مرفوعة ، لما جعل الله محمدًا صلى الله عليه آخِرَ المرسلين أوانًا ، وأذْكَرَهم زمانًا ، وأظهرهم في معجزاته حُجَّةً ، وأعلامهم في جنّاته درجة ، وأجراهم إلى طاعته خُطوة ، وأولامهم بكرامته خُطوة ، ثم نسخ به ما شرعوا ، وفسخ به ما وُضِعوا ، ونقض ما بنَوْا ، ودَحَضَ ما قرّروا ، حتى صار دينُه المرفوع ، وشرعه المتبوع ، وعَقْدُه الشديد ، وبنائوه المشيد ، وقال تبارك اسمه في ذلك : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ

(١) توفي سنة ٣٢٨ راجع ترجمة له في ابن خلكان والتنظيم ٣٠٩/٦ وراجع توليه الوزارات وما نكتب به في حوادث التاريخ من ٣١٦-٣٢٨ .

(٢) توفي سنة ٣٥٩-٣٥٢ راجع ترجمة له في معجم الأدياء وابن خلكان .

(٣) توفي سنة ٣٥٩-٣٦٠ راجع ترجمة له في ابن خلكان ومعجم الأدياء .

(٤) توفي سنة ٣٨٥ راجع ترجمة له في معجم الأدياء .

(٥) قتل سنة ٤٠٧ راجع ترجمة له في معجم الأدياء .

(٦) توفي سنة ٤٢٣ انظر ابن الأثير حوادث سنة ٤٢٣ .

(٧) أبر عليهم : غلبهم وفاتهم . (٨) صلى ، معناها هنا : جاء نالها .

(٩) عَفْوُه : فضله ومعروفه . (١٠) غَلْوَةٌ : غاية .

وَدِينٍ أَحَقُّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ^(١) . وإيها يبين مواضع الفضل، ويقوم معام العدل، بالموازنة والقياس . والتطبيق بين الناس والناس، وإلا فالنوع شامل، والجنس متشاكل، والأزمان متقاربة، والأوقات متناسبة، وما جعل الله الفضيلة محجوزة عن قوم دون قوم، محجوبة لأن بابها ممنوع، ورائدها مدفوع، وطريق منالها مسدود، وعقد مرامها مشدود، بل لأن التَّطَلُّبَ متعب، والمَسَلَكُ متوعر، ولذلك قال الأعرابي ^(٢) :

لَا تَحْسِبِ الْمَجْدَ تَمَرًا أَنْتَ آكَلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَنْفَقَ الصَّبْرَ
ولولا خشونة المُمْتَطَى، وحُزُونَةُ المُرْتَقَى ^(٣)، وأن ركوب الصعاب أسهلُ من اكتساب الآداب، وتكلف المشاق أخف من تهذيب الأخلاق، لما قلَّ الفاضل وكثر المفضول، ودقَّ العقل وجلَّ المرسوم . ومع كون الحال في هذه الصورة وتصرُّفها على هذه الصفة، فللمقدور بين ذلك ولُوج ودخول، وللتوفيق وقوع وخلول، فكم من رام يُجيد أخطأ مرماه، وراثمٌ مجدأ ضلَّ مسعاه، وبأغ حريصٍ أقعد مبغاه ^(٤)، ورائدٍ مُشيع ^(٥) أعجزه منتحاه ^(٦)، وما تختلف الهمم في اللَهَجِ بذاك والصَّبَابَةِ، وتتفاوت المُنَن ^(٧) في الإدراك والإصابة، إلا لأن الهممة الشريفة تُحَلِّقُ علوًّا للضعود، والمُنة الضعيفة تُسِفُّ دُنُوًّا للقصور، وما زال الفضل زينة راضية، والنقص سِمةً واضعة . ومن المعلوم السليم من اعتراضات المعترضين، البعيد من مناقضات

(١) التوبة ٣٣

(٢) هو في الحماسة ١٧٧/٢ والمضنون به على غير أهله ٤٧٢ ونسب لرجل من بني أسد .

(٣) حزونة : غلظ . (٤) أقعد : لم يقدر على التهور .

(٥) لمشيح هنا : الجاد والمهذر . (٦) منتحاه : مقصده .

(٧) المنة جمع منة : القوى .

الناقضين ، أن الله تعالى خلق الحيوانات كلها على اختلاف الفطر والأوضاع ، وتباين
الضور والأنواع ، خلقاً واحداً في الأشخاص والأشباح ، والأفئدة والأرواح ،
ثم خصَّ الإنسان من بينها بالعقل الذي أرشده به إلى معرفته ، وما أراده له من
عبادته ، وأوجب له من الطاعة وشكرِ المنَّة مزيداً حاضراً ، وثواباً منتظراً ، وأوجب
عليه عن المخالفة وكفر النعمة انتقاماً عاجلاً ، وعذاباً آجلاً : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ
عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(١) . وجعل
عطاء الإفضال أكثر ، وعطاء العقل أقل ، لأن مادة الإفضال غزيرة ، ومادة
العقل عزيزة .

وقد اختلف في كيفية العقل ، فقال قوم : نور من الله مُقتبس ، وقال آخرون :
خلقٌ مُستخلص ، واستشهدوا بالحدث الذي ترويه العامة « من أن الله تعالى قال
للعقل وقد خلقه : أَقْبِلْ . فَأَقْبَلَ . وَأَدْرُ ، فَأَدْبَرَ . فلما فعل ذاك قال : وَعَزَّزْنِي
وجلالى وعظمتى ما خلقت خلقاً أحسن منك ، بك آخذ وبك أعطى » ، وقال
أهل الكلام : هو معارف يجمعها الله تعالى في قلب عبده إذا أخذه بالتكليف
يُحَسِّنُ له بها الحسن ويقبِّح القبيح . وإنما سمى عقلاً لأنه يَعْقِلُ عن القبيح ،
أى يحبس كعقال الناقة الذى يمنعها أن تسرح . وليس تكليف العقلاء كتكليف
الجهلاء ، ولا آلة الفريقين في الأفعال متوازية ، ولا مؤاخذتهما بالأعمال متساوية ،
ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(٢) ، ولو أُؤخذ
الجاهلون كما يؤخذ العالمون لكان ذلك جوراً في القضاء ، وحيفاً في الجزاء ، لأن
الله تعالى كلف كل نفس بحسب قوتها ، وأخذها بما جعله في قدرتها . ولو أن أحداً

غَلَطَ غَلَطًا جَاهِلًا بِحِكْمِهِ ، وَأَخْطَأَ خَطَأً خَارِجًا عَنْ عِلْمِهِ ، لَمَّا تَعَيَّنَ عَلَيْهِ حُكْمٌ ،
وَلَا تَعْلَقُ بِهِ حَدٌّ . وَعَلَى ذَاكَ ، فَتَى كَانَ عِلْمُ الْإِنْسَانِ أَكْثَرَ مِنْ عَقْلِهِ كَانَ حَقِّقَهُ
فِي عِلْمِهِ ، أَوْ عَقْلِهِ أَكْثَرَ مِنْ عِلْمِهِ أَمْكَنَهُ بِهِ جَبَرٌ عَجْزُهُ وَإِتِمَامٌ نَقَصُهُ ؛ وَمَا دَبَّرَ الْعَقْلُ
شَيْئًا إِلَّا أَقَامَ أَوَدَهُ وَعَدَلَ مِئِدَهُ ^(١) ، وَلَا دَخَلَ الْجَهْلُ أَمْرًا إِلَّا حَلَّ نِظَامَهُ
وَأَحَالَ التَّامَهُ .

فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْفَضْلَ فَرَعٌ أَصْلُهُ الْعَقْلُ . ثُمَّ تَدْعُو الْحَاجَةُ مَعَ وَجُودِ هَذَا الْأَصْلِ
إِلَى بَيَانِ يُغْلِي أَسَاسَهُ ، وَيَسْقِي غِرَاسَهُ ، مِنْ أَدَبٍ يُقْتَسَبُ ، وَعِلْمٍ يُكْتَسَبُ ،
وَرِيَاضَةٍ تُصْلِحُ ، وَتَوْفِيقٍ يَلْحَقُ ، فَإِذَا التَّقَى مِنْ ذَيْنِكَ فَرَعٌ وَأَصْلٌ ، وَاقْتَرَنَ أَدَبٌ
وَعَقْلٌ ، اجْتَمَعَ بِهِمَا قُوَى الْعَقْلِ ، وَلَمَعَ بَيْنَهُمَا نَوْرُ الْحِزْمِ ، وَأَمَكُنَ رَافِعُ الْبِنَاءِ أَنْ يَرْتَقِيَ
ذِرْوَتُهُ ، وَغَارَسَ الْغَرَسَ أَنْ يَحْتَنِي ثَمَرَتَهُ . وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ مَوْلَانَا مِنَ الْعَقْلِ الْبَارِعِ ،
وَالْفَضْلِ الرَّائِعِ ، بِالشَّاهِدِ الشَّائِعِ ، وَالْدَلِيلِ النَّاصِعِ ، مِنْ أَخْلَاقِ الرِّئَاسَةِ الْمُجْتَمِعَةِ فِيهِ ،
وَمَجَارَى السِّيَاسَةِ السَّائِرَةِ عَنْهُ ، مَا جَعَلَ النِّعْمَةَ مُقْتَسَمَةً بَيْنَ خَاصٍّ لَهُ بِحَقِّ الْإِنْفِرَادِ بِهَا ،
وَعَامٍّ لِمَنْ سِوَاهُ بِحُكْمِ الْإِشْتِرَاقِ فِيهَا ، لَا جَرَمَ أَنَّهَا تَصْغُرُ عَلَى الذِّكْرِ ، وَتَكْبُرُ
عَلَى الْفِكْرِ ، وَتَقِلُّ عَلَى الْإِخْبَارِ ، وَتَجُلُّ مَعَ الْاِخْتِبَارِ ، وَتَدْعُو فِي تَصْرِفِ الْأَحْوَالِ
إِلَى الشُّكْرِ مَا بَلَّ رِيقُ فَمَا ، وَعَلَتْ سَاقُ قَدَمَا . فَإِنَّهُ - أَدَامَ اللَّهُ تَمَكِينَهُ - جَدَّدَ
مَعَالِمَ مِنَ الْخَيْرِ دَارِسَةً ، وَأَعَادَ مَعَاهِدَ مِنَ الْكَرَمِ طَامِسَةً ، وَرَدَّ رُسُومًا مِنَ الْعَدْلِ
دَائِرَةً ، وَأَنْهَضَ أَقْدَامًا مِنَ الْأَمَلِ عَائِرَةً ، وَأَرَانَا عَلَى الْعِيَانِ وَالْوِجْدَانِ مَا عَدِمْنَاهُ
عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ وَالْأَزْمَانِ ، فَقَدْ تَعْلَقَ بِهِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - أَهْلُ الْقَوْلِ بِالتَّنَاسُخِ
إِلَّا تَحَلَّ فِيهِ كُلُّ رُوحٍ زَكِيٍّ ، وَنَفْسٍ كَرِيمَةٍ ، وَخَلِيقَةٍ طَاهِرَةٍ ، وَفَضِيلَةٍ ظَاهِرَةٍ ،

وَجُمِعَ بِهِ مَا كَانَ مَتَرَفًا فِي الْأَشْخَاصِ الْمُنْقُودَةِ ، مِنْ مَنَاقِبِ مَذْكُورَةٍ ، وَمَحَاسِنِ مَأْتُورَةٍ ، وَمَسَاجِدِ مَشْكُورَةٍ ، وَمَعَالِي مَنْشُورَةٍ :

هَنِيئًا لَكَ الْفَخْرُ الَّذِي قَدْ مَلَكَتَهُ وَمَا لَكَ فِيهِ مِنْ قَدِيمٍ وَحَادِثٍ
فَأَنْتَ بِمَا اسْتَأْنَفْتَ أَفْضَلُ كَاسِبٍ وَأَنْتَ بِمَا قَدَّمْتَ أَكْرَمُ وَارِثٍ

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ جَعَلَهُ غُرَّةً لِلدَّهْرِ لَا تُحْتَفَى فِي جَبِينِهِ ، وَلُحْمَةً ^(١) قَائِمَةً بِزَيْنِهِ ، وَجُنَّةً وَاقِيَةً مِنْ صَرْفِهِ ^(٢) ، وَعَصْمَةً مَانِعَةً مِنْ قَصْدِهِ ، حَتَّى دَعَاهُ الدَّاعُونَ دُونَهُ فَأَجَابَهُمْ وَلَبَّاهُمْ ، وَاسْتَجَارَهُ السَّجِيرُونَ مِنْهُ فَأَجَارَهُمْ وَأَوَّاهُمْ ، وَعَرَّضَ لَهُ الْمَعْرِضُونَ قَرَفَدَهُمْ ^(٣) وَأَغْنَاهُمْ ، وَلَوَّحَ لَهُ الْمُلَوِّحُونَ فَأَعْطَاهُمْ وَأَوْفَاهُمْ ، فَطَنَتْ ثَاقِبَةٌ فِي الْمَكَارِمِ ، وَصَرِيحَةٌ ^(٤) مَاضِيَةٌ فِي الْعَرَائِمِ ، وَإِنَّمَا لَاسْتِمَالُ الْجَلِيلِ صَارَ عَادَةً ثَابِتَةً ، وَاسْتِمْرَارًا عَلَى اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ عَادَ طَبِيعَةً ثَانِيَةً ، وَبَيَّاهُ أَسْأَلَ أَنْ يُسَبِّحَ عَلَيْهِ ظِلًّا مِنَ الْحِرَاسَةِ شَامِلًا ، وَيُسَوِّغَهُ فَضْلًا مِنَ السَّعَادَةِ كَامِلًا ، وَيَتَوَلَّدَ فِي كُلِّ مَا أَعْطَاهُ وَأَوْلَاهُ ، بِدَوَامٍ لَا يَنْقَطِعُ مَدَدُهُ ، وَتَرَامٍ لَا يَقِفُ أَمْدُهُ ، بِمَجْدِهِ وَمَجْدِهِ .

وَمَا كَانَتْ الْعُلُومُ تُجْلَبُ إِلَى أَسْوَاقِهَا بِحَسَبِ مَا يَوْجَدُ فِيهَا مِنْ نَفَاقِهَا ، وَتُعْرَضُ عَلَى خُطَّابِهَا بِقَدْرِ مَا يُلَوِّحُ فِيهِمْ مِنْ قَبُولِهَا . وَكَانَ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي شَرَعْنَا فِي تَأْلِيفِهِ وَعَمَلْنَا عَلَى تَصْنِيفِهِ ، مُحْتَاجًا إِلَى كُفٍّ كَرِيمٍ يُزَفُّ إِلَيْهِ زِفَافُ الْعُرُوسِ ، وَيُخَلَّدُ ذِكْرُهُ فِي بَطُونِ الطُّرُوسِ ، أَدَّانَا فَضْلُ الْإِرْتِيَادِ ، وَفَرَطُ الْاجْتِهَادِ ، إِلَى الْحَضَرَةِ الْعَالِيَةِ الْكَرِيمَةِ الْأَحْسَابِ ، الرَّاغِبَةِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ ، فَهَدَيْنَاهُ ^(٥)

(١) اللحمة من الجسد : بريق لونه .

(٢) الجنة : ما وقى من السلاح . والصرف : النوايب .

(٣) رقدتم : أعطاهم .

(٤) الصريحة : العريضة .

(٥) هديناه : زققناه .

إليها ، ورجونا نفاقه عليها ، ومن الله تعالى نستمد التوفيق والتسديد ، وحسن المعونة والتأييد .

ونحن نبدأ فيما نورده بأخبار أبي الحسن علي بن محمد بن القرات ، لأنه تلا أبا أحمد العباس بن الحسن ، ونجعل ذكر وزاراته الثلاث متصلاً غير منقطع ، ومجتمعاً غير متقطع ، ونجرب على هذا المثال في الوزراء الذين تكررت ولاياتهم ، إذ كان الغرضُ سياقة أخبارهم ومجاري أمورهم إلى غاية مددهم وانقضاء أيامهم ، لا ترتيب خلفائهم وأمرائهم وأوقاتهم وأزمانهم .

على بن محمد بن موسى بن الفرات

أبو الحسن عليّ بن محمد بن موسى بن الفرات ، مولده في يوم الثلاثاء لخمس
 ليال خون من رجب سنة إحدى وأربعين ومائتين ، والطالع ^(١) القوس يلو ،
 والزهرة فيه يلو ، والقمر في الدلو خ بن ، وسهم السعادة فيه ، كد لب ، وزحل
 راجع في السرطان ب لح ، والذنب فيه يزمو ، والشمس في العقرب كه لح ، والمشتري
 فيه وكا . وعطارد فيه ح مو ، والنريخ فيه مح يه .

وبنو الفرات من قرية تدعى بابليّ صريّفين ، من النهر وان الأعلى ، وكان لهم بها

(١) ينقسم الفلكيون القديمي وأصحاب الصالح الأبراج إلى اثني عشر برجاً والكواكب إلى سبعة
 فالكواكب هي : زحل والمشتري والريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر . أما الأبراج فهي :
 الأسد والثور والجدي والجوزاء والحمل والحوث والدلو والسرطان والسنبلة والعقرب والقوس
 والميزان . ثم يرمزون إلى الدرجات والدقائق بحروف تعادل أرقاماً . والقسم الأول منها يعادل
 الدرجات ، والقسم الثاني يعادل الدقائق . ولهم من وراء ذلك حساب يزعمون أنهم يعرفون به
 الحظوظ والأحداث . ونجد في هذا الكلام عشرة رموز توضيحها كما يأتي على التوالي ١١ درجة
 ٦ دقائق ، ١١-٦ ، ٨-٥٢ ، ٢٤-٣٢ ، ٢-٣٨ ، ١٧-٤٦ ، ٢٥-٣٨ ، ٦-٢١ ،
 ٨-٤٦ ، ١٨-١٥ . وهذا وحروف الهجاء في حساب الجمل مرتبة هكذا اب ج د هـ و ز ح ط ي
 ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ث ذ ض ظ غ : تتوالى الأحاد والعشرات فالثلاث على هذا
 الترتيب ١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠-٢٠-٣٠-٤٠-٥٠-
 ٦٠-٧٠-٨٠-٩٠-١٠٠-٢٠٠-٣٠٠-٤٠٠-٥٠٠-٦٠٠-٧٠٠-
 ٨٠٠-٩٠٠-١٠٠٠ فلألف تقابل الواحد والياء تقابل العشرة والكاف تقابل العشرين
 والقالق تقابل المائة والراء تقابل المائتين . والفين تقابل الألف ، وهذا وبعض الفلكيين الحديثين
 يسمون برج السنبلة برج المنراء . ويسمون برج الجوزاء برج التوأمين . وزمن البروج في السنة الشمسية
 في النظام الحديث كما يأتي : برج الجدي ١٢/٢٣ - ١/٢٠ . برج الدلو ١/٢١ - ١٩-٢ .
 برج الحوت ٢/٢٠ - ٣/٢١ . برج الحمل ٣/٢٢ - ٤/٢٠ . برج الثور ٤/٢١ - ٥/٢١ .
 برج الجوزاء أو التوأمين ٥/٢٢ - ٦-٢١ . برج السرطان ٦/٢٢ - ٧/٢٣ . الأسد
 ٧/٢٤ - ٨/٢٣ . برج السنبلة أو المنراء ٨/٢٤ - ٩-٢٣ . برج الميزان ٩/٢٤ - ١٠/٢٣ .
 برج العقرب ١٠/٢٤ - ١١/٢٢ . برج القوس ١١/٢٣ - ١٢/٢٢ .

أقارب يزيدون على ثلاثمائة نفس . وأول من ساد منهم أبو العباس أحمد بن محمد ابن موسى بن الفرات ، وكان حسن الكتابة ، ظاهر الكفاية خبيراً بالحساب والأعمال ، متقدماً على أهل زمانه في هذه الأحوال . فحدث محمد بن أحمد بن أبي الأصبع قال : ورد عليّ من أبي العباس بن بسطام كتابٌ بالترجمة احتجت إلى عرضه على أبي القاسم عبيد الله بن سليمان ^(١) ، وهو إذ ذاك وزير المعتضد بالله رحمة الله عليه ، فحضرت مجلسه ، وفيه أبو أحمد بن يزداد وجعفر بن محمد بن حفص ، وعرضت عليه ما كان ورد ، وأمرني في جوابه بما رسم لي كتبه في مجلسه . فاستدعيت دواقي وجلست وراء مسندِهِ وتشاغل بمسألة أبي أحمد وابن حفص عن أمور الأعمال والعمال والأموال ، فما فيهما من أجابه بما شفاه ، فطلب أبا الحسن عليّ بن محمد بن الفرات وهو محبوس يومئذ مع أبي العباس أحمد أخيه ، وقد لحقتهما مكاره ، وعلّق أبو العباس بحال في يديه بقيت آثارها فيهما مدة حياته ، وصور على مائة وعشرين ألف دينار صَحَّ منها ستون ، فجيء به من محبسه يرُسِفُ في قيوده ، وعليه جُبَّةٌ دَنَسَةٌ وشعره طويل ، فلما مثل بين يديه قال : الله الله أيها الوزير . وجعل يشكو ما أصابه وأصاب أبا العباس أخاه من المكاره . وفرائضه تُرْعَد ، فسكّنه عبيدُ الله بن سليمان وقربه ، وأجلسه وخاطبه بما أزال به رَوْعَهُ وخوفه . ثم خاطبه في المسألة عن أمر الأعمال والعمال ، فانبسط أبو الحسن انبساط رجلٍ جالسٍ في الصّدر ، وأخذ يقول : « ناحيةٌ كذا مبتلغُ مالِها كذا ، وقد حُمِلَ منه كذا وبقي كذا . وعاملُها مستقيمُ الطريقة ، وناحيةٌ كذا على صورة كذا ، وعاملُها غيرُ مُضْطَلَعٍ بها وينبغي أن يُسْتَبَدَلَ به فيها . وناحيةٌ كذا على حال كذا ، وعاملُها ضعيفٌ وينبغي أن يُشَدَّ بِمِشَارِكٍ أو مُشَارِفٍ ^(٢) » .

(١) توفي سنة ٢٨٨ انظر الطبري وابن الأثير حوادث سنة ٢٨٨ .

(٢) الشارف : من يطلع على الأمور من علو أو قرب .

حتى أتى على أمور الدنيا . قال ابن أبي الأصبح : فاطلعت فرأيت وجه عبيد الله يتهلل ، ثم قال له : اعتزل واعمل لنا عملاً يشتمل على جميع ما ذكرته لى مخاطبة . واعتزل معه أبو عيسى محمد بن سعيد الدينارى وأملى عليه ذلك وأحضره الثبّت به ^(١) . ثم سأله فى أمره وأمر أبى العباس أخيه ، وذكر له عظيم ما حلّ بهما ونيل منهما ، فتقدّم بفكّ قيودهما والتوسعة عليهما ، ووعدّه بمسألة المعتضد بالله فى بايئهما والتلطّف فى استخلاصهما ، وصرفه إلى موضعه . وقال لأبى أحمد بن يزداد وجعفر بن محمد ابن حفص : قوما إلى دواوينكما . والتفت إلى من كان بين يديه وقال : أرايتم مثل ابن القرات ومثل كُتّابى الذين صرفوه ؟ ! والله لأخاطبنّ الخليفة فى العفو عن أبى الحسن وأبى العباس وأستعيننّ بهما ، فإنه لا عوض للسلطان عنهما .

ومضت أيام وخاطب فى معناها واستوهبهما واستعملهما .

وحدث أبو الفضل بن عبد الحميد الكاتب قال : لما تولى أبو القاسم عبيد الله ابن سليمان وزارة المعتضد بالله رحمة الله عليه - والدنيا مُنْقَلِقَةٌ ^(٢) بالخوارج ، والأطماع مستحكمة من جميع الجوانب ، والموادّ قاصرة ، والأموال معدومة ، وقد استخرج إسماعيل بن بُلبُل خراج السّوادِ لسنتين فى سنة ، وليس فى الخزائن موجودٌ من مالٍ ولا صياغة - احتاج فى كل يوم إلى ما لا بدّ منه من النفقات إلى سبعة آلاف دينار ، وتعدّر عليه قيامُ وجهيها ، وقال لى يوما وهو فى مجلسه من دار المعتضد بالله : يا أبا الفضل قد وردنا على دنيا خرابٍ مُسْتَقْلِقَةٍ ، وبيوت مالٍ فارغة ، وابتداء عَقْدٍ لخليفةٍ جديدٍ الأمرِ ، وبيننا وبين الافتتاح مُدَّةٌ ، ولا بدّ لى فى كل يوم من سبعة آلاف دينار لنفقات الحضرة على غاية الاقتصار والتجربة ،

(١) الثبّت : الحجة والبرهان .

(٢) منقلقة ، يكتنى بها عن عسرها .

فإن كنت تعرف وجهاً تعينني به فأحب أن ترشدني إليه - وكنت أعرف منها وجوها بالنصف - فقلت وأنا أحب تخلص بني الفرات : إن أردت أن أحصل لك ذلك وزيادة فأطلق ابني الفرات واستعملهما . قال : فنهض ودخل على المعتض بالله وعرفه الصورة وقال : أنا بعيد العهد بالعمل ، وابنا الفرات قد خبرا الأعمال ووجوه الأموال ، وعندهما من علم ذاك ما يحتاج إليهما فيه . فقال له المعتض : وكيف تصلح لنا بناتهما وقد استفسدناهما وأسأنا إليهما وصادرناهما ؟ فقال له : إذا أردت أن تصطنعهما وتستصلحهما صلحا ونصحا . فقال له المعتض : ربما اجتمعا عليك وأفسدا بيني وبينك ، والأمر في حبسهما وإطلاقهما إليك . فخرج وعرفني ما جرى ، وأحضر أبا العباس وأدناه وقال له : قد استوهبتك وعملت على اصطناعك والاستعانة بك ، فكيف تكون ؟ قال : أبذل وسعي في كل ما قضى حَقَّ وخفف عنك .

وخرج إليه عبيد الله بما هو فيه ، وقصَّ عليه أمره فيما يعاينه ، فقال له : يتقدم الوزير بإحضار أحمد بن محمد الطائي وعلي بن محمد أخى - يعنى أبا الحسن - وتفرّدنى وإياهما . ففعل عبيد الله ذلك ، واعتزل أبو العباس وأبو الحسن وخاطبا الطائي على أن يضمناه أعمال الكوفة والقصر وباروسما الأعلى والأسفل وما يجرى مع ذلك ، وقررا معه الضمان على أن يحمل من ماله في كل يوم سبعة آلاف دينار ، وفي كل شهر ستة آلاف دينار ، وأخذوا خطه بالتزام الضمان وتصحيح المال على ما تقرر من أوقاته ، واستقبلا به في اللياومة يومئها ، وفي المشاهرة غدئها ، وجاء إلى عبيد الله فسما إليه الخط . فلما وقف عليه اشتطير سرورا ، ودخل إلى المعتض وعرفه ما جرى ، فقال له : قد كنت يا عبيد الله أعلم مني بهما ، وما يجب إضاعة مثلهما .

ووجدت عملاً يشتمل على ذِكْرِ أحمد بن محمد الطائى وما ضَمِنَهُ من الأعمال ،
وشرَطَهُ على نفسه من حَمْلِ مال الضمان مِياومةً إلى بيت المال ، وقد شرح فيه وجوهَ
خَرَجِ المِياومة ، وكانت نُسخَتُهُ :

أصلُ ضمان أحمد بن محمد الطائى فى أول أيام المعتضد بالله - رحمه الله عليه -
أعمال سقى الفرات ودجلة وجوخي وواسط وكسكر وطاسيج نهر بوق والذيين
وكلواذى ونهر بين والراذائين وطريق خراسان مما شرط عليه أداؤه مِياوماً فى بيت
المال من العَين .

ألفى ^(١) ألف وخمسة ألف وعشرين ألف دينار .

قسط كل شهر من ذلك - مائتى ألف وعشرة آلاف دينار .

وكل يوم سبعة آلاف دينار .

تفصيل وجوه خَرَجِ المِياومة مما شرط فيه ما قرَّره المعتضد بالله - رحمه الله
عليه - منه :

أرزاق ^(٢) أصحاب النوبة من الرِّجالة ومن برسمهم من البوابين ومن يجرى
تجراهم - من جُحلة ثلاثين ألف دينار فى الشهر - ألف دينار . من ذلك البيضان
من الجنائين والبصريين وأصحاب المصافى باب العامة ، ومن على أبواب القواد
المُفْلِحيَّة والديلمة والطبرية والمغاربة - ويُفْتَتَحُ الإعطاء فى مجلسهم بنحو مائة رجل
من البوابين - سبعمائة دينار .

(١) مجرور على أنه بدل من الضمير فى أداؤه ، وممكننا كل ما يأتى فهو بدل منه حتى يفتق ذلك
مع كل ما أتى فى الأصل بالجر أى أداء ألفى ألف وأداء قسط كل شهر من ذلك أداء مائتى ألف .
(٢) نصب على أنه بدل من الضمير الذى فى عمل نصب فى قرره ، أى قرر أرزاق أصحاب
النوبة . . . ألف دينار .

السودان - وأكثرت ممالك الناصر رحمه الله من رَغَاوَةٍ ونُوبَةٍ ابتيعوا من مصر ومكة . ومنهم الزنج العجم المستأمن من عسكر الخارجى بالبصرة ممن كان صبر معه وألقى نفسه عليه عند قتله ، وهم عُثَمُ ^(١) قُحَّحٌ يَأْكُلُونَ لحوم الناس والبهائم الميتة ، وقد عوقبوا على ذلك فلم يرجعوا ، وكانوا منفردين لا يختلطون بالبيضان . ومن رَشْمُهُمْ أن ينوبوا في مصافِّ باب الخاصة وحوالى القصر ، ولهم وظيفة خُبْزٍ يميزون بها لقلة رزقهم - في اليوم ثلاثمائة دينار .

أرزاق الغلمان الذين أعتقهم الناصر رحمه الله - ويعرفون بالغلمان الخاصة ، وقد كانت أضافهم في الجريد ^(٢) إلى الأحرار الذين أيام شهرهم خمسون يوما ليكونوا مختلطين بالقواد والموالى ، فلا يُقَدَّرُونَ أنهم مُفَضَّلُونَ عليهم في زيادة رِزْقٍ أو نقصان مدة ، وكانت أيام شهرهم في القديم أربعين يوما فأساءوا الأدب في بعض الأوقات في مطالبة كانت منهم ، تخلف أن يجعل أيام شهرهم خمسين يوما ، وفعل وجرى الأمر على ذلك . فلما قام المعتض بالله نقلهم إلى جملة الأحرار وجعل أيام شهرهم ستين يوما ، وفيهم حاجبه وخلفاء الحجاب وعدتهم خمسة وعشرون رجلا ، خمسة ملازمون وعشرون نوبتيون ^(٣) . فإذا وقع سفر قريب أو بعيد أمر جميعهم بالملازمة الدائمة في المضرب ^(٤) واللوكب ، وكان لهم دواب في الإصطبل فأسقطت علوقها من مال الطمع ^(٥) من جملة ستين ألف دينار في الشهر - ألف دينار ^(٦) .

(١) القم جمع أغم وهو من فيه عجمة ولا يفصح في كلامه .

(٢) الجريد جمع جريدة وهي هنا الصحيفة التي يكتب عليها

(٣) نسبة إلى النوبة بمعنى أنهم يتناوبون . والنسبة غير قياسية

(٤) يراد بالمضرب هنا موضع الإقامة (٥) الطمع من معانيه رزق الجند

(٦) يلاحظ أن شهرهم مدته ستون يوما في كل يوم ألف فهو ستون ألفا والمراد بشهرهم هو

المدة التي يطون فيها مرتبهم .

فأما ممالك المعتضد بالله فإنه رتب أمرهم على المقام في القصر والحجر تحت مراعاة الخدم الأستاذين ، وسماهم الحَجْرِيَّة ومنعهم من الخروج والركوب إلا مع خلفاء الأستاذين .

أرزاق الفرسان من الأحرار والمميزين الذين كانت أيام شهرهم خمسين فجعلت تسعين ^(١) - ونسبوا عند ذلك إلى التسعينية . وكان المعتضد بالله عرض جمهور الجند في الميدان الصغير الذي فيه دار الأَرَج ^(٢) والأربعيني والمقاصير والسجون ، وجلس لذلك في مجالس وخَوَزَنَات ^(٣) على ظهور المجالس والأروقة التي تلي بركة السباع ، ويُرْتَقى إليها من درجة في حجرة كانت هناك للوضوء ، ولم يكن يدخل الدار الحسنية يومئذ إلا الخدم بِرَسم الخدمة ، وعبيد الله بن سليمان وبدْر وراشد ومن رَسمه أن يَفْلِق أبواب البستان في الصَّحْن الحسني ، ويقف القواد والغلمان بين يديه في الميدان ، ويجلس كُتَّاب العطاء أسفل بحيث لا يراهم ، ويتقدّم القائد ومعه جَرِيْدَةٌ بأسماء أصحابه وأرزاقهم فيأخذها خادمٌ منه ويضعدها إلى المعتضد بالله ، ويدعو عبيدُ الله بن سليمان بواحدٍ واحدٍ من فيها ، فيدخل الميدان ويُمتحن على البرجاص ^(٤) ، فإن كان يَرْمِي رمياً جيداً . وهو مُتَمَكِّن من نفسه ، ومستقرٌّ في سَرَجِه ومصيبٌ أو مقاربٌ في رميه ، عُلِّم على اسمه ج وهي علامة الجيد ، ومن كان دون ذلك عُلِّم على اسمه ط وهي علامة المتوسط ، ومن كان متخلِّفاً لا يُحْسِن أن يَرَكِب فرسه أو يرمي هدفه عُلِّم على اسمه د وهي علامة الدون . ثم يُحْمَلُ بعد

(١) تسعة الكلام . تأتي وهي : قسط كل يوم من تسعين يوماً ألف وخمسمائة دينار .

(٢) الأَرَج : البيت بيني طولاً ، ولطه يريد بذلك أن هذا الميدان به بيت مستطيل .

(٣) الحورنق من معانيه : المجلس الذي يأكل فيه الملك ويعرب .

(٤) البرجاص . ضرب من أنواع القروسية يكون على ظهور الخيل .

العرض والامتحان إلى كتاب الجيش ليتأملوا حليته ، ويقابلوا بها ما عندهم من صفته ،
 لتلا يكون دخيلاً أو بديلاً ، فإذا تكامل عرض أصحاب القائد دفعت جريدته التي
 فيها العلامات بخط المعتضد بالله إلى عبيد الله بن سليمان ليدفعها من وقتها إلى الكاتب ،
 ويميز ما فيها من أرباب العلامات ، ويُفرد لكل صنف منهم جريدة ، وإذا
 عمل الكاتب من ذاك ما يعمله ، قابل عليه بنفسه ثلاثاً يتم على عبيد الله مغالطة فيه
 ثم أخذ الجرائد الميضات المجردات وسلم إلى عبيد الله ذات العلامات ، وكل هذا
 من غير أن يعلم القائد وأصحابه بما يجري منه ، ثم يخرج كل جريدة إلى مجلس
 قد أفرِد لذلك الصنف ، وجعل شهر الذين ارتضاهم وأمضاهم تسعين يوماً ، وسماه
 عسكرة الخاصة . وضم المتوسطين إلى بدر ليكونوا في شحنة ^(١) طريق خراسان
 والأنبار وزاذان ودقوقا وخانيجار ، ودعاهم عسكرة الخدمة ، وجعل أيام شهرهم مائةً
 وعشرين يوماً ، وأمر عبيد الله بن سليمان بأن يرسم الطبقة الدون بالخروج إلى أعمال
 الخراج للاستحاث على حمل الأموال بعد أن يسقط منهم الرضاة ^(٢) والأثبات ^(٣)
 المشاكليين للرعية ، وأن يسبب ^(٤) أموالهم على النواحي في دفعتين من السنة ، ويوفر
 عليهم مرافق المسقطين ومنافعهم ومكاسبهم ، ويجعل منهم من يكون مع أصحاب
 المعاوين ^(٥) ببغداد وواسط والكوفة ، وأمضى من أرزاق التسعينية المختارين ما كان
 لهم في أيام الناصر ، وأسقط ثمن قضم ^(٦) دوابهم وعلوقهم ، وهو للدابة في كل خمسة

(١) الشحنة : من ألقاهم الملك بضبط المكان

(٢) الرضاة جم زائى وهو من يدل الحبل ويملأها السير

(٣) الأثبات : الموثوق بهم

(٤) سبب الأمر كان سبباً له وفي الأصل بأموالهم . ويراد أن يجعل أرزاقهم مفروضة على الجهات
 التي يذهبون إليها بحيث تكون على دفعتين في السنة

(٥) أصحاب المعاوين هم المرتبون لتقويم أمور العامة أو من يساعدون القضاء والحكام .

(٦) القضم يراد به الشعر .

وثلاثين يوماً أربعة دنانير ، والبقول ثلاثة دنانير ونصف ، وللحمار برسم الرَّجَّالَة ديناران ، وأسقط من ثمن جِراياتهم ووظائفهم نصفَ ورُبْعَ دينار في كل شهر ، فبلغ مال من أمضى من هؤلاء التسعين مائة وخمسة وثلاثين ألف دينار في كُلِّ طَمْعٍ - قِسْطُ كل يوم من تسعين يوماً ألف وخمسمائة دينار .

أرزاق المختارين الذين انتخبهم من كل قيادة ، وكان عَرَفَهم بالشهامة والشجاعة من المماليك الناصرية ^(١) والبغائية والمسرورية والبكجورية واليانسية والفليحية والأزكوتكينية والكيفلانية والكنداجية واستخلصهم لمواكبهم وملازمة داره ، والدخول أوقات جلوسه ، والسُّقَامِ من أول النهار إلى آخره ، ورسم رشيقات القارئ لمراعاة أمورهم وتَنْجِيزِ حوائجهم واستخدامهم ، وجعل أيام شهرهم سبعين يوماً من جملة مال طَمْعِهِمْ ، وهو اثنان وأربعون ألف دينار ، بقسْطِ كل يوم ستمائة دينار .

أرزاق الفرسان الثبتين في أيامه ، والمميزين ممن ضمَّ إلى بدرٍ من عسكر الخدمة على ماتقدم من ذكره ، وأيام شهرهم مائة وعشرون يوماً بحسب ما كان أوجه ابن أبي دُلْفٍ وصاحب أذربيجان للجليلين ، ومال طَمْعِهِمْ سِتُون ألف دينار ولكل يوم خمسمائة دينار .

أرزاق سبعة عشر صِنْفًا من المرسومين بخدمة الدار والرسائل الخاصة والقراء وأصحاب الأخبار والمؤذنين والمنجّمين والفتجامين والفرانقيين ^(٢) والأنصار والحرس والمكوس ^(٣) ، والشيعية والسند وأصحاب الأعلام والبوقيين ^(٤) والمحرّفين والمضحكين والطبائيف ممن كان برسم النوبة ، فنُقِلَ إلى المشاهدة التي أيام

(١) كل هؤلاء منسوبون إلى أشخاص من المماليك الكبار السابقين

(٢) الفراهيون الذين يسعون بالرسائل (٣) الكلمة غير واضحة النقط

(٤) نسبة إلى البوق أى من ينفخون في الأبواق .

كل شهر منها ثلاثون يوماً من جملة ثلاثة آلاف وثلاثمائة دينار بقسط كل يوم مائة وعشرة دنانير.

المرتزة برسم الشرطة بمدينة السلام، والخلفاء عليهم، وأصحاب الأرباع والصالح، والأعوان والسجاني وأصحاب الطوف والمصريين^(١)، ومن في جملتهم من الفرسان الذين ميزوا وألحقوا بطبقة الدون من المشايخ والمترفين، ومن هذه سبيله من الرجال الموكلين بأبواب المدينة، وأيام شهرهم مائة وعشرون يوماً من جملة ستة آلاف دينار في المشاهرة، خمسين ديناراً.

أثمان أنزال^(٢) الغلمان المالك السنيية المقدم ذكرهم مما كان يطلق للخدم الأستاذين [الذين] كانوا عليهم، والقواد المضموم بعضهم إليهم ليقيم كل متقدم الخبز واللحم لمن في ناحيته، ويؤكل عليه من يستجيد الإقامة لهم ويطلب يادارها عليهم، من جملة تسعة آلاف دينار في الشهر، ثلاثمائة دينار.

نفقات المطابخ الخاصة والعامة والمحابر وأنزال الحرم والحشم ومحابر السودان، من جملة عشرة آلاف دينار في الشهر، ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ديناراً وثلاثاً، من ذلك الخاصة ثمانين ديناراً، العامة والأنزل مائتين وثلاثة وخمسين ديناراً وثلاثاً.

ثمن وظائف شراب الخاصة والعامة وآلاته ونفقات خزائن الكسوة والخلع والطيب وحوائج الوضوء والحمام، ونفقات خزائن السلاح وما يؤرم من الجواشن^(٣) والدروع ويتخذ من النشاب والأعلام والمطارد^(٤)، ونفقات خزانة السروج

(١) في الأصل الماصرين هذا والماصر. الحاجزين الشيعين ولعله يريد بهم من يقضون المشاجرات.

(٢) الأتزال جمع نزل وهو ما مي للضيف من طعام.

(٣) الجواشن جمع جوشن: زرد يلبس على الصدر.

(٤) المطارد جمع مطرد وهو الرمح القصير.

وما يُجَدَّد منها ويُصْلَح ، ونفقات خرائن الفرش وثمن الخيش والربخ^(١) والحصر والستائر والسرادات وأجور الحمالين والأعوان للسريير وغير ذلك على ما ثبت من تفصيله في ديوان النفقات ، ويتولى إنفاق جميعه النفقون المرتقون من جملة ثلاثة آلاف دينار في الشهر ، ليوم مائة دينار .

أرزاق السقائين بالقرب في القصر والخزائن والمطابخ والحياز والدور والحجر ، والخدم ، [في] داخل وفي الرحاب ، ولوضوء الخاص ، ومن يعمل بالزوايا^(٢) على البغال من الاصطبلات للحرم والبوابين في دار العامة من جملة مائة وعشرين ديناراً في الشهر ، ليوم أربعة دنانير .

أرزاق الخاصة ومن يجري مجراه من الغلمان والماليك دون الأكابر الأحرار ، ومن أضيف إليهم من الحشم القدماء الذين أُقِرُّوا في دار رجاء ، وأمر مؤنس الخادم بآلا يُسْتَخْدَمُوا في خدم الدار لئلا يَدُلُّوا^(٣) على الغلمان المتعلقين بالناصر رحمه الله بقديم حرمتهم ، ولأنه لا معرفة لهم برسوم الخلافة ، وأُجروا في المشاهرة على خمسة وأربعين يوماً على ما قرره الناصر عناية بهم ورعاية لهم ، ولما ابتاع المعتضد بالله الأتراك العجم ورتبهم في الحجر لم يُلَحِّقْهم بهم ، بل جعل أيام شهرهم خمسين يوماً ، ورسم للأصاغر خمسة دنانير وللأكابر عشرة دنانير ، وزادهم بعد سنتين دينارين فسموا الاثنى عشرية . فلما تقلد المكتفي بالله وأشفق من أن يميلوا إلى بدد ، وكان إذ ذاك بفارس ، ألحق من كان له سبعة دنانير بالاثنى عشرية ، وقرّر مال الأكابر على ستة عشر ديناراً وجرى الأمر على ذلك إلى آخر أيامه ، فلما تفرد الوزراء

(١) في الأصل الربخ ، هذا والربخ واحد الربخ وهو القتب الضخم ، ويرى أميد روز : أنه الديج .

(٢) الروايا جمع الراوية ومن معانيها : الزادة تكون من ثلاثة جلود يحمل فيها اللاء .

(٣) لئلا يدلوا أي لئلا يظهروا الدلال ويخترثوا عليهم .

بالتدبير صار قسط كل يوم من مال الخدم مائة وسبعة وستين دينارا .

أرزاق الحشم الذين شهرهم خمسون يوما من المستخدمين في شراب العامة وخزائن الكسوة ، والصُّنَّاع من الصاغة والخياطين والقضَّارين ^(١) والأساكفة والحدادين والرفائين والفرائين والمطرِّزين والنَّجَّادين والورَّاقين والمطَّارين والمشهرين ^(٢) والنجارين والخراطين والأسفاطين ^(٣) وغيرهم ، ومن في خزانة السلاح من الخُزَّان والصُّنَّاع وفي خزانة الشُّروخ من مثل ذلك - ولكلِّ خزانة وطائفة صكٌّ مفرد يكتب من الديوان - من جملة ثلاثة آلاف دينار في الشهر ، ليوم مائة دينار .

أرزاق الحرم صائهنَّ الله من جملة ثلاثة آلاف دينار ، ليوم مائة دينار .

ثمن علوفة الكُراع ^(٤) في الإصطبلات الخمسة وهي : إصطبل الخاص ويشتمل على الخيل والحجورة ^(٥) . والشَّهاري والبراذين وبغال السروج والقباب والهوادج والفردات والحُمير . وإصطبل العامة وفيه دواب الخدم والعلمان والتفاريق والبازياريين . وإصطبل الدواب والحمليات وما يَرِد من المروج من المهارة المحرَّمة وبتناع ويهدى ، وفيه يُرْتَبَط ما يحتاج إلى العلاج والمراعاة ، وما يرد من الأسفار وفيه عَقْرٌ وعَمْرٌ . وإصطبل لبغال الأثقال وتَحْمَل العُلُوفات . وإصطبل بقصر البطين في السَّماسِيَّة لِمَبَارِك الإبل والجمالَازات ^(٦) - وكان المعتضد بالله يعرض ما في هذه

(١) القصارون هم محورو الثياب ومبيضوها .

(٢) لها معرفة أيضاً عن التَّجْمِيرين أي المبخرين بالطيب أو لها تسكون المبخرين .

(٣) نسبة إلى جمع السِّفَط وهو ما يعبأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات الدِّواء .

(٤) الكُراع من معانيه أنه يطلق على الخيل والبغال والحُمير .

(٥) الحجورة : جمع حجر وهي الآنق من الخيل . والشَّهاري نوع من البراذين .

(٦) الجمار هو السَّريع الجري ويوصف به الجمار .

الإصطبلات في كل شهر - إلا ما كان من الخاص فإنه جعله قريبا منه ومشدودا في الأواخي ^(١) بين يديه - وفي الميدان والريضة والكدّ مُتَصِلًا عليه ، ومتى أَحْمَدَ قيام من يقبّده شيئا من ذلك زاده في رزقه ، ومن اطّلع منه على تقصير أو إضاعة صرفه واستبدل به . ثم جمع النظر في هذه الإصطبلات للنوشجاني لكفايته وثقته - وأثمان كسوة الدواب وآلاتها وأدويتها وعلاجاتها وأجور الساسة والمُكارية والراضة والبيطرة والوكلاء وغيرهم ، من جملة اثني عشر ألف دينار في الشهر ، ليوم أربعمئة دينار .

ما يصرف في ثمن الكُراع والإبل وما يبتاع من الخيل الموصوفة في أحياء العرب ويستبدل به إذا عطِب في العمل من جملة ألفي دينار في الشهر ، ليوم ستة وستين دينارا وثلثي دينار .

أرزاق المطبخيين في كل شهر أيامه خمسون يوما من جملة ألف وخمسمئة دينار في الشهر ، ليوم ثلاثين دينارا .

أرزاق الفراشين والجلسيين وخُزّان الفرش وخزان الشمع وأجرة الأعوان والحالين فيها ، في كل شهر أيامه خمسون يوما ، من جملة ألف وخمسمئة دينار ، ثلاثين دينارا .

ثمن الشمع والزيت من جملة مائتي دينار في الشهر ، ليوم ستة دنانير وثلثي دينار .

أرزاق أصحاب الرُّكّاب ^(٢) والجنائب والسروج ومن يخدم في دوابّ البريد من جملة مائة وخمسين دينارا في الشهر ، ليوم خمسة دنانير .

(١) الأواخي جمع أخبة وهو جبل يدفن في الأرض مثنيا فيبرز منه شبه حلقة تشد فيها الدابة .

(٢) الركاب هي الإبل .

أرزاقَ الجلساءِ وأكابرِ الملّهيْن ومن كان يجرى تجّراهم في الجلوس إذا حضر ،
مثل أبي العلاء القاسم بن زَرْزَرٍ وَوَرَّادٍ وأبي عيسى ، وأيامُ شهرهم خمسةٌ وأربعون
يوماً أسوةً بالخدم ، من جملة ألفي دينار ، ليوم أربعة وأربعين ديناراً وثلاثاً .

أرزاقَ جماعة من رؤساء المتطبِّبين وتلاميذتهم الملازمين ، مع ثلاثين ديناراً
لثمن الأدوية في خِزَانَةِ تكون في القصر ، من جملة سبعمائة دينار ، ليوم ثلاثة
وعشرين ديناراً وثلاثاً .

أرزاق أصحاب الصيد من البازياريين ^(١) والفهّادين والكلايين والصقّارين
والصيادين ، وثمن الطّعم والعلاج للجوارح وأصحاب الحراب والسباعين وأصحاب
الشّباك واللبايد والفحّالين ومن معهم من الأعوان والخالين وأصحاب المرور وغيرهم ،
في كل شهر أيامه خمسةٌ وثلاثون يوماً من جملة ألفين وخسمائة دينار في الشهر ،
ومع القسط من خمسين ديناراً لتحديد آلائها ، سبعين ديناراً .

أرزاق الملاحين في الطّيّارات ^(٢) والشذاءات والشميريات والحرّاقات
والزّلاّلات وزواريق المعابر ، من جملة خمسمائة دينار في كل شهر ، ستة عشر ديناراً
وثلاثي دينار .

ثمن النّفط والمُشاقّة ^(٣) للنّفاطات ^(٤) والمشاغل ، وأجرة الرجال في خدمتها ، من
جملة مائة وعشرين ديناراً ، أربعة دنانير .

الصدقة التي تُخضّر في كل يوم عند صلاة الصبح في خِزْقَةِ سوداء ، على
ما كان الناصر رحمه الله رسمه . وأمر المعتضد بالله ، رحمه الله ، بعده بتفرقة على من

(١) هم حلة البراة .

(٢) المشاقّة : القطعة من القطن ونحوه .

(٣) النفاطة بتشديد الفاء وتخفيفها : نوع من السرج يستضاء به .

(٤) هي وما بعدها أنواع من السفن .

في قصر الرضافة من الحرم المحتاجات من قيمة مائتي درهمٍ مُحدَّداً ، في كل يوم خمسة عشر ديناراً .

جاري أولاد المتوكل على الله وأولادهم رجالاً ونساء من جملة ألف دينار في الشهر ، ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلاث دينار .

جاري ولد الواثق والمهتدي بالله والمستعين وسائر أولاد الخلفاء ، ومن في قصر أم حبيب ، من جملة خمسمائة دينار في الشهر ، ستة عشر ديناراً وثلاث دينار .

جاري ولداً لناصر رحمه الله عبد الواحد وأخواته من جملة خمسمائة دينار في الشهر ، ستة عشر ديناراً وثلاث دينار .

أرزاق مشايخ الهاشميين وأصحاب المراتب والخطباء في المساجد الجامعة بمدينة السلام خاصّة من جملة ستمائة دينار في الشهر ، عشرين ديناراً .

جاري جُهور بني هاشم من العباسيين والطلبين مما كان الناصر رحمه الله قرّره لهم من ذلك ، وأوجه لكل من أولادهم ذكورهم وإناثهم حساباً لكل واحد في كل شهر ديناراً ، وأمر بإطلاقه من ارتفاع^(١) ضيعته المعروفة بنهر الموفق ، واقتصر المعتضد بالله - رحمه الله - بهم منه على ربع دينار في كل شهر ، وكانت عدّتهم بالحضرة أربعة آلاف نفس ، من جملة ألف دينار في كل شهر ، ليوم ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلاثاً .

أرزاق عبيد الله بن سليمان مع خمسمائة دينار للقاسم ابنه برسم العرض بالحضرة وكتابة بدر على الجيش من جملة ألف وخمسمائة دينار مشاهرة ، ليوم ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلاثاً وقبض ذلك سنتين إلى أن عمّرت ضيعته المردودة عليه ثم وفرّه

(١) براد بالارتفاع الإبراد والضريبة .

وَحَمَلٌ مِنْ فَاضِلِ ارْتِفَاعِ الضَّيْعَةِ مَائَتَى أَلْفِ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ .

أَرْزَاقَ أَكْبَرِ الْكِتَابِ وَأَصْحَابِ الدَّوَاوِينِ وَالْخَزَّانِ وَالْبُيُوتِ وَالْمُدِيرِينَ
وَالْأَعْوَانَ وَسَائِرَ مَنْ فِي الدَّوَاوِينِ ؛ وَثَمَنَ الصَّحَفِ وَالْقَرَاتِيسِ وَالْكَأَغِدِ - سِوَى
كِتَابِ دَوَاوِينِ الْإِعْطَاءِ وَخُلَفَائِهِمْ عَلَى مَجَالِسِ التَّفَرُّقَةِ وَأَصْحَابِهِمْ وَأَعْوَانِهِمْ وَخَزَّانِ
بَيْتِ الْمَالِ ، فَإِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ أَرْزَاقَهُمْ بِمَا يَوْفِرُونَهُ مِنْ أَمْوَالِ السَّاقِطِينَ وَغُرْمِ الْمُخْلِينَ
بِدَوَائِهِمْ ، مِنْ جَمَلَةِ أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَسَبْعِمِائَةٍ فِي الشَّهْرِ ، مِائَةً وَسِتَّةً وَخَمْسِينَ
دِينَاراً وَثَلَاثِينَ .

جَارَى إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقَاضِي وَخَلِيفَتُهُ يَوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ وَالِدِ أَبِي عُمَرَ
وَأَوْلَادِهِمَا وَعَشْرَةُ نَفَرٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ ، مِنْ جَمَلَةِ خَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ فِي الشَّهْرِ ، لِيَوْمِ سِتَّةٍ
عَشَرَ دِينَاراً وَثَلَاثِي دِينَارٍ .

جَارَى الْمُؤَذِّنِينَ فِي الْمَسْجِدَيْنِ الْجَامِعَيْنِ وَالْمَكْتَبَيْنِ وَالْقَوَامِ وَالْأُتَمَّةِ وَالْبُيُوتِ
وَتَمَنَ الزَّيْتِ لِلصَّايِحِ وَالْخَضِرِ وَالْبُورَى ^(١) وَالْمَاءِ وَالْخَلُوقِ ^(٢) ، وَثَمَنَ السَّائِرِ فِي الصَّيْفِ
وَالْحَبَابِ ^(٣) وَالْخَرْفِ وَالْعِمَارَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ جَمَلَةِ مِائَةِ دِينَارٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، ثَلَاثَةً
دِينَارٍ وَثَلَاثًا .

نَفَقَاتِ السَّجُونِ وَثَمَنَ أَوْقَاتِ الْمُحَبَّسِينَ وَمِائَتِهِمْ وَسَائِرِ مُؤَنِّهِمْ فِي جَمَلَةِ أَلْفِ دِينَارٍ
وَخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ فِي الشَّهْرِ ، خَمْسِينَ دِينَاراً .

نَفَقَاتِ الْجِثْرَيْنِ وَثَمَنَ مَا يُبَدَّلُ مِنْ سَقْمَيْهِمَا وَالْقُلُوسِ ^(٤) وَأَرْزَاقِ الْجَسَّارِينَ مِنْ
جَمَلَةِ ثَلَاثَةِ دِينَارٍ فِي الشَّهْرِ ، عَشْرَةَ دِينَارٍ .

نَفَقَاتِ الْبِمَارِسْتَانِ الصَّاعِدِي - وَلَمْ يَكُنْ بِوَمَثَلِ غَيْرِهِ - وَأَرْزَاقِ الْمُتَطَبِّبِينَ

(١) الْبُورَى تَشْبُهُ الْحَصْرَ

(٢) الْخَلُوقُ مَا يُتَطَبَّبُ بِهِ

(٣) الْحَبَابُ جَمْعُ حَبٍّ وَهُوَ الْجُرَّةُ الْكَبِيرَةُ

(٤) الْقُلُوسُ جَمْعُ قُلَسٍ وَهُوَ حَبْلٌ لِلْبَيْتَةِ ضَخْمٌ

والمُتَّانين^(١) والكَحَّالين ومن يخدم المغلوبيين على عقولهم والبوايين والخبَّازين وغيرهم وأثمان الطعام والأشربة من جملة أربعائة وخمسين ديناراً في الشهر ، خمسة عشر ديناراً .

فتلك النفقة كلَّ يومٍ على ما يُبَيَّن من وجوهها سبعة آلاف دينار .

وأجرى الأمر على هذا سنتين . ثم أمرَ عبيدَ الله بن سليمان وبدراً بالآلِ يَخْضُرَا ولا أحدٌ من القواد والأولياء الدارَ في يَوْمِ الجمعة والثلاثاء لحاجة الناس في وسط الأسبوع إلى الراحة والنظر في أمورهم والتشاغل بما يخصهم ، ولأنَّ يومَ الجمعة يوم صلاة وكان يُحِبُّه لأنَّ مؤدَّبه كان يصرفه فيه عن مكتبه . وتقدم إلى عبيد الله بأنَّ يجلس في يوم الجمعة للظالم العامة ، وإلى بَدْر بأنَّ يجلس للظالم الخاصة ، ومنع من أن يُفْتَحَ في هذين اليومين ديوانٌ أو يُخْرَجَ شيءٌ إلى مجلس التفرقة على الجيش خاصة ، فوفر من مالها أربعة آلاف دينارٍ وسبعائة دينار وسبعين ديناراً ، منها : مال النوبة ألف دينار ، المالك ألف دينار ، التسعينية ألف وخمسمائة دينار ، المختارين ستمائة دينار ، الجبليين خمسمائة دينار ، أصناف خدم الدار مائة وعشرين ديناراً ، شحنة الشرطة خمسين ديناراً ، يكون ذلك لثمانية أيام في كل شهر ثمانية وثلاثين ألفاً ومائة وستين ديناراً ، ولسنة أربعائة وسبعة وخمسين ألف دينار ، وتسعمائة وعشرين ديناراً .

وَرَسَمَ أن يُحْمَلَ هذا المُوَفَّرُ إلى مؤنس الخادم ليَجْعَلَهُ في بيت مال الخاصة ليُضَرَفَ فيما يُحْتَاج إليه من نفقات الموسم ومن يخرج في الغزوات الصائفة ونفقات الأبنية والمَرَمَّات والحوادث والمَلَمَّات والرسل الواردين والفداء .

(١) من يقومون على مؤتهم .

[وزارة أبي الحسن الأولى]

وكان أبو الحسن بن الفرات يَدْعِي أبا العباس أخاه وينوب عنه إلى أن توفي أبو العباس فتقلد الأعمال رياسة . وولى الوزارة ثلاث دفعات في أيام المقتدر بالله ، فالأولى^(١) منها بعد قتل العباس بن الحسن وزوال فتنة عبد الله بن المعتز .

قال أبو الحسن ثابت بن سنان فيما أرّخه من الأخبار .

لما زالت فتنة عبد الله بن المعتز قلّد المقتدر بالله مؤنساً الخادم الشرطة بالحضرة مكان ابن عمرويه ، وأنفذه إلى أبي الحسن على بن محمد بن الفرات بحامته ليحضره ويُقلّده وزارته ، وكان أبو الحسن مُستتراً عند بعض التجّار من جيران داره بسوق العطش ، فظهر لمونس وركب معه إلى دار السلطان ، ووصل إلى المقتدر بالله - رحمه الله عليه - في يوم الأحد لعشر يَقيين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين ، فخطب به بما سَكَنَ منه وأعلمه تَعْوِيلَه في تدبير الأمور عليه ، وخلع عليه من غدي خلع الوزارة ، وركب في موكبه أبو القاسم غريب الخال والحجّاب والأمرء والقوّاد والعلمان وسائر الناس حتى صار إلى داره بسوق العطش ، ونظر في الأمور ورَتَّبَ مؤنساً في المعونة ، وأمر جماعة من القوّاد يطوفُ البلد لِئَلَّا والإيقاع بأهل الدّعارة ومن يَرَوْنَه متعرّضاً لنهب دارٍ وأخذ مال ، لأنّ أصاغر الجند والعوام قد كانوا قصدوا دار العباس ابن الحسن ودوراً اتصلت بها ونهبوها .

وانتقل أبو الحسن بن الفرات من بعد ذلك إلى ما أقطعه المقتدر بالله إياه من دار سليمان بن وهب بباب المُحرَّم على دجلة ، وما يحاورها من دار إبراهيم بن سليمان ،

والإصطبل الذي كان للسلطان ، والدور التي كانت في يد داية المكتفي بالله ، ومساحه ذلك مائة ألف وثلاثة وسبعون ألفاً وثلثمائة وستة وأربعون ذراعاً ، وغير ذلك وجدده وأنشأ المجالس الجليلة والأبنية الحسنة وعمل للدار مُسْنَأَةً^(١) مشرفة على دجلة ، وأقطعه المقتدر بالله أيضاً الضياع التي كان المكتفي بالله أقطعها العباس بن الحسن وارتفعها خمسون ألف دينار ، وأجرى له خمسة آلاف دينار في كل شهر ، وللمحسن والحسين والفضل أولاده ألفاً وخمسمائة دينار أثلاثاً بينهم . وسلم إليه علي بن عيسى ومحمد بن عبدون فاعتقلهما في دار بذر اللاني ، وقرّر عليهما مصادرة خففها عن علي بن عيسى ، وثقلها على محمد بن عبدون لعداوة كانت بينهما . ثم تكفل بتخليصهما وإبعادهما عن الحضرة وقال للمقتدر : إنهما لم يدخلا في أمر عبدالله بن المعتز ولا حضرا داره وقت البيعة إلا عن ضرورة ، وأخرج محمد بن عبدون إلى الأهواز ، وعلي بن عيسى إلى واسط بعد أن أعطى سوسناً الحاجب خمسة آلاف دينار كفّه بها عن ذكر علي بن عيسى والإغراء به ، وكتب إلى وكيله بواسط بخدمته وإقامة ما يحتاج إليه لنفقته ، وأنفذ معه حافظاً من جهته ، ومع محمد بن عبدون خادماً من خدم المقتدر بالله ، ووافقه على منعه من مكاتبة أحد أو قراءة كتابه . وجرت أمور أبي الحسن ، والأمور في نظره^(٢) ما ليس غرضنا استيفاءه على سياقته ، وإنما نورد أطرافاً منه وما كان منشوراً مما لم تتضمن التواريخ ذكره .

وكان محمد^(٣) بن داود بن الجراح قد ورر لعبد الله بن المعتز ودبره . فلما انتقض أمره استتر وأخفى شخصه . وذكر أبو الحسن بن سنان أن مومي

(١) المسناة : ما يبنى في وجه السيل أو تحبس به المياه

(٢) لعله يريد : والأمور - في إشرافه عليها - شيء ليس غرضنا استيفاءه .

(٣) انظر تجارب الأمم ١٠/٥ .

ابن عيسى كاتب مؤنس الخازن عرض على أبي الحسن بن الفرات رقعة من محمد ابن داود ، فلما قرأها قال : تقول له الاستتار صناعة وجُرْمُكَ عظيم ، وأمرُكَ بَعْدُ طَرِيٌّ . فتَوَقَّفَ إلى أن تَخْلُقَ القصة ، ثم دعنى فإنى أسوق الأمر إلى أخذ أمان الخليفة لك بخطه والإشهاد عليه فى الوفاء به وإظهارك وبلوغ إشارك . فلما عاد موسى ابن عيسى إلى محمد بن داود بذلك ارتاب بقول ابن الفرات ، وشك فيه ، وقدَّر أنه على وجه المغالطة والمدافعة ليستم عليه الاستتارُ والتكبة فقال : أى ذنب لى أحتاج معه إلى زيادة فى الاستظهار ومطالوة الانتظار ؟! ومضى إلى سوسن الحاجب ، فلما استؤذن عليه لم يُصَدِّقْ ، وظَنَّ أنه رسول منه ، واستتبت حاجبه واستفهمه ، فخرج وعاد وقال : قد حضر هو بنفسه . فعجب من ذلك وأدخله ، وأنهى خبره إلى المقتدر بالله ، فأمره بتسليمه إلى مؤنس الخازن ، فسلمه إليه ، فقتله وطرحه على باب سقاية حتى أخذه أهله ودفنوه ، وعرف أبو الحسن بن الفرات خبره فغمَّ أمره وقال : كان على عداوته لى فاضلاً زاجحاً ومتقدماً فى الصناعة بارعاً ، وقد جرى عليه من القتل صبراً أمراً عظيماً .

وحدث ^(١) أبو عبد الله زنجى قال : كنت بحضرة أبي الحسن بن الفرات فى أول ما وَزَرَ إذ كتب إليه صاحب الخبر بحضور رجل يقول : إن عنده نصيحة لا يذكرها إلا للوزير فاستدعاه وسأله عما عنده ، فأمره إليه بما لم نَقِفْ عليه ، وتقدم إلى العباس الفرغانى حاجبه بأن يُجْلِسَه فى دار العامة إلى أن يطلبه منه ، ثم أمره بجمع الرجال الذين برِثمه ، ودعا أبا بشر بن فرجويه وقال له : قد حضر هذا الرجل المتصَّحِّح ، وذكر أنه يعرف موضع محمد بن داود ، وأنه بات الياحة عنده ،

والتبس أن يُنفذَ معه من يَدُّه عليه ويسمه إليه ، وقد بذلت له ألف دينار عند صحة قوله ، أو نيلَه بالعقوبة إن كان كاذبا فيه ، فرضى بذلك . فاكْتُبَ إلى محمد الساعى أن ينتقل عن موضعه أين كان ، فإننى على إنفاذ من يَكْبِسُه ويطلبه . ولم يزل ابن الفرات يحثُ العباس الحاجب فى جَمْع الرجال ، وهو يذكر إنفاذ من يجمعهم على اختلافٍ وتباعدٍ منازلهم ، ويدفع بالأمر ، إلى أن عاد جوابُ محمد إلى أبى بشر يشكر ما فعله ، وبأنه قد تحوّل من مكانه إلى غيره . فسأل حينئذ العباسَ عن اجتماع من الرجال فقال : خمسمائة نفر . وأمره بأخذ الرجل وأخذهم وقصدَ الموضع الذى يذكره والاحتياطِ عليه من سطوحه وحوانبه ، وكبسه بعد ذلك وتفتيشه ، والقبض على محمد بن داود إن وجده وحمله ، وإن لم يجد رَدَّ الرجل معه . فمضى العباس ، وعمل ما رسمه له ابن الفرات ، فلم يصادف أحدا ، وعاد والرجل معه ، وأمر ابنُ الفرات بضربه مائتى سوط على باب العامة ، وشهره على جبل والنداء عليه ^(١) . وطالع المقتدر بالله بما فعله فاستصابه . وما خَلَّى الرجل الساعى بمحمد بن داود بعد ما لحقه أعطاه ابن الفرات مائتى دينار وحَدَرَه إلى البصرة وقال لابن فرجويه : ما كذب الرجل فى قوله وإنما عاقبناه على شره .

وكان سوسن ^(٢) الحاجب يدخل مع العباس بن الحسن فى التدبير ، فلما وَزَرَ أبو الحسن بن الفرات لم يجر هذا الجرى ، فنقل عليه ذلك ، وشاع الحديثُ بأن سوسنا قد عمِلَ على قتل ابن الفرات فى دار الخلافة وَوَأَقَفَ عليه جماعة من العُلماء الحُجَرِيَّة ، وأشار على المقتدر بالله بإحضار محمد بن عبدون وتقليده الوزارة ، وضمنَ عنه استخراج أموالٍ كثيرة من ابن الفرات ، ونَفَذَ بُنَى بن نفيس إلى الأهواز

(١) فى تجارب الأمم ١١/٥ أنه نودى عليه : هذا جزء من يسمى بالباطل .

(٢) تجارب الأمم ١٢/٥ .

على ظاهر يخالف هذا الباطن . وعرف أبو الحسن بن الفرات الصورة بعد حصول
بني بن نفيس بواسط . فتوصل إلى أن قرر في نفس المقتدر بالله أن سوسناً كان
من أكبر أعضاد عبد الله بن المعتز والداخلين معه في التدبير عليه ، وإنما قعد
أخيراً عنه لما استخجب عبد الله بن المعتز غيره . وأودع صدره فيه ما أذن له معه
بالقبض عليه ، فقبض عليه وقتله سرّاً في يومه ، وأنفذ إلى محمد بن عبدون من قبض
عليه في طريقه وحمله إلى الحضرة ، فصادره مصادرة مُجدّدة ثم سلّمه إلى مؤنس
الخادم قتلته .

وعرف أبو الحسن ^(١) عليّ بن عيسى وهو بواسط ما جرى في أمر محمد
ابن عبدون ، فأقلقه وأزعجه ، وكتب إلى ابن الفرات كتاباً يخلف فيه [أنه] على
قديم عداوته لمحمد بن عبدون ، إلا أنه مع ذلك لا يدع الصدق عن حاله ^(٢) ،
ويقول : إنه لم يكن يسعى على دم نفسه بضمان الوزارة ، وقد كان راضياً بالسلامة
بعد فتنة عبد الله بن المعتز ، وإن سوسناً أسماه وذكره بغير معرفته ولا موافقته .
وخرج من ذلك إلى أن سأله الإذن له في المضي إلى مكة ليسلم من الظنّة وينسى
السلطان ذكره . فأجابه إلى ما طلبه ، وأخرجه من واسط إلى مكة على طريق
البصرة مرفّهاً محروساً . وكان غرض علي بن عيسى - فيما ذكر محمد بن عبدون به -
حراسة نفسه ، فوصل كتابه وقد مضى لسبيله .

وكان ^(٣) من جملة الداخلين في فتنة عبد الله بن المعتز أبو عمر محمد بن يوسف
القاضي فأخذ فيمن أخذ وحبس ، وحضر أيوه يوسف وهو شيخ كبير مجلس
أبي الحسن بن الفرات ، وبكى بين يديه بكاء شديداً ، رقّ له منه وسأله حراسة

(١) تجارب الأمم ٩٣/٥ . (٢) في تجارب الأمم : من فعله .

(٣) انظر التراج بعد الشدة ١٠٧/١ وقصة الإفراج عن أبي عمر القاضي .

نفسٍ ولده أبي عمر والتصدق عليه به . فقال أبو الحسن : الجناية عظيمة ، ولا يمكن تحليته إلا بمال جليل يُطمع الخليفة فيه من جهته . فبذل يوسف أن يُفقر نفسه وابنه طلباً لبقائه . وتلطّف ابن الفرات فيما قاله المقتدر بالله وقرّر أمر أبي عمر على مائة ألف دينار ، فأدى منها تسعين ألفاً ، من جملتها خمسة وأربعون ألفاً كانت عند العباس بن الحسن ، وأمره ابن الفرات بعد ذلك بملازمة داره وألا يخرج منها ثلثاً يُجعل له حديث مجدد .

وكان أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد مُدلاً على أبي الحسن بن الفرات بمودة بين أسلافه وبين أبي جعفر والد أبي الحسن وأبي العباس عمه ، وباختصاصه هوبه ، فوجّه أبو الحسن الكتب إلى أصحاب المُعَاوَن في البيعة لعبد الله بن المعتز بخطه ، فلم يُظهِر ذلك للمقتدر بالله ولا ذكره ، واعتمد التقديم له والتنويه به ، وكان ^(١) سليمان قد تقلد لعل بن عيسى مجلس العامة في ديوان الخاصة . فقلده ابن الفرات هذا الديوان رئاسة . ثم إن سليمان شرع لأبي الحسن بن عبد الحميد في الوزارة ، وعمل في ذلك نسخة بخطه عن نفسه إلى المقتدر بالله يسعى فيها بابن الفرات وكتّابه وضيّاعه وأمواله ، وقام ليصلي صلاة المغرب مع جماعة من الكتاب فسقطت من كفه ، فأخذها الصقر بن محمد الكاتب ، وكان إلى جانبه ، فحملها إلى ابن الفرات من وقته ، فلما وقف عليها قبض عليه وحذّره في زورق مُطبق إلى واسط ، وقد أوردنا مستأنفا ما فعله معه بعد ذلك .

ومضى لأبي الحسن بن الفرات في وزارته هذه ثلاث سنين وثمانية أشهر

(١) انظر ابن الأثير حوادث ٢٩٦ وتجارب الأمم ١٥/٥ والفرج بعد الشدة ١/ ١١٠ ونشوار المحاضرة ١١٥/٨ .

وأربعة عشر يوما ، اختلفت عليه الأمور فيها ، وحدثت الحوادث في متصرفاتها
ومجاريها وحضر عيد النحر من سنة تسع وتسعين ومائتين فاحتيج فيه من النفقات
إلى ما جرت العادة به ، وكانت المواد قد قصرت ، واللؤن قد تضاعفت ، وطلب من
المقتدر بالله أن يُعطيه من بيت مال الخاصة ما يصرفه في نفقات هذا العيد ، فتمعه
ذلك ، وألزمه القيام به من جهته ، فأقام على أنه لا وجه له إلا بما يُمكن به ، ووجد
بذلك أعداؤه الطريق إلى الوقعة فيه .

وركب في يوم الأربعاء لأربع خلون من ذى الحجة إلى دار الخلافة وهو على
غاية السكون والطمأنينة ، وجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه قبل الوصول
إلى السلطان ، قُبِضَ عليه وعلى محمد بن أحمد الكلوزاني - وكان يكتب بين
يديه - وعلى محمود بن صالح وكان معه من أصحابه ، ومضى القواد للقبض على
أسبابه ^(١) وكتباه قبضوا على عبد الله وأبي نوح ابني جبير ، وموسى بن خلف
وكان من خواصه . وصار مؤنس الخادم إلى دار الوزارة فوكل بها ^(٢) ، وأنفذ يلبق
إلى دار ابن القرات بسوق العطش فأحاط عليها . وتسرع الجند والعوام إلى دور
أولاده وأهله فنهبوها وأخربوها وأخذوا ساجها وسقفوها ، وعظم الأمر في النهب
حتى ركب أبو القاسم الخلال بعد العصر في القواد والغلمان وطلب النّهابة ، وعاقب
قوماً منهم ، فقامت الهية ، وسكنت الفتنة .

وأخضر أبو علي محمد بن عبيد الله بن خاقان واستوزر ، وقبض ما كان
لأبي الحسن من الضياع والإقطاع والأموال والعقار والأموال والغلات ، وصح له
ما مقداره ألف دينار عينا وستمائة ألف دينار سوى الأثاث والرحل

(١) أسبابه يراد بهم أتباعه والمتصلون به . (٢) انظر ابن الأثير حوادث ٢٩٩ .

والسكراع^(١) والجمال ، ولم يؤخذ من أحد من الوزراء قبله ولا بعده مثل ذلك .
ومما حدث^(٢) قبل القبض عليه أن طلع في شهر رمضان من السنة المذكورة
كوكبٌ ذو ذؤابة ، فطلع آخرٌ مثله في شوال في مطلع الهلال ، وطلع ثالثٌ في
ذى القعدة في مطلع الشمس ، وأكثر الناس القول في ذلك وما يحدثه من حادث ،
فكان زوالُ أمر ابن الفرات .

وزارة أبي الحسن الثانية^(٣)

لما قبض عليه في اليوم المقدم ذكره من سنة تسع وتسعين ومائتين اعتقل في بعض
الحجر من دار الخلافة ، ولم يزل معروف الخبّر إلى جمادى الآخرة سنة ثلاثمائة ،
فإنه نُقل إلى بعض المواضع المستورة ، وخفي أمره على الناس عامة حتى رجعت
الظنون فيه . ثم أُخرج تابوت فيه هارون الشاري - وقد مات - على أنه تابوته ،
فزال الشك في موته ، وصلى عليه أبو الحسن على بن عيسى ، وظهر بعد ذلك
بقاؤه وحياته .

وكان أبو بشر^(٤) عبد الله بن فرجويه قد سلم من النكبة عند القبض على
ابن الفرات في الوزارة الأولى ، وقام على الاستئثار مدة وزارة أبي على الخاقاني ووزارة
أبي الحسن على بن عيسى . وواصل مكاتبة أبي الحسن بن الفرات في محبه على يد
سوّمنة الطبيب^(٥) وتعريفه الأمور ، وترددت جواباته إليه بما رسمه له من مكاتبة
المقتدر بالله عن نفسه بالطن على أبي الحسن على بن عيسى ووقوف الأمر على يده ،

(١) السكراع من معانيه أنه يطلق على الخيل والبغال والحمير .

(٢) المنتظم ١٠٩/٦ وابن الأثير حوادث ٢٩٩ .

(٣) ابن الأثير حوادث ٣٠٤ وتجارب الأمم ٤١/٥ والمنتظم ١٣٨/٦ ، وصلة عرب ٣٢

(٤) راجع تجارب الأمم ٤٣/٥ . (٥) في تجارب الأمم على يد عيسى الطبيب .

وتأخر أرزاق الجند والحواشي في نظره . وكانت رقاعه تصل إلى المقتدر بالله فيقف عليها ابن الفرات فيقرر عنده صحة ما يذكره ويؤرده ، ويهم [المقتدر] بصرف على بن عيسى ، فإذا شاور مؤنسا فيه منعه منه ، ووصفه بالأمانة والكفاية عنده ، إلى أن أخرج مؤنس إلى مصر لمحاربة الملو ، فقام غريب الخال ونصر الحاجب بأمر ابن الفرات ^(١) قياما تم على بن عيسى الصرف معه . ثم كتب ابن فرجويه رقعة يقول فيها : متى صرف على بن عيسى ورد ابن الفرات أطلق المولد والحرم والخدم ومن بالحضرة من الفرسان يرسم التفاريق مثل ما كان يطلقه في وزارته الأولى تماما وإدارا ، وحمل إلى المقتدر بالله في كل يوم ألف دينار وإلى السيدة والأمراء خمسمائة دينار . واتمس وقوف ابن الفرات على رقعته وتعرف ما عنده على ما بذله عنه ، فعرضها المقتدر بالله عليه فالتزم القيام بذلك والوفاء بجميعه وكتب له خطا واستقر أمره . وأطلق في اليوم الذي قبض فيه على بن عيسى ، ووصل إلى المقتدر بالله وخاطبه بالجميل ، وقلده النظر في الأمور ، وخلع عليه خلع الوزارة ، وركب معه أبو القاسم غريب الخال وبين يديه الحجاب والقواد والعلمان ، ونزل في دار سليمان بن وهب وحضره الناس على طبقاتهم للسلام والتهنئة .

وحمل إليه المقتدر مالا وثيابا وطيبا وطعاما وأشربة وثلجا وكذلك السيدة . وأقام في هذه الدار ثم نقل الدواوين إليها ، وكتب إلى الأمراء والعمال بنحبه وإقرارهم على أعمالهم . ورد المقتدر بالله عليه ما كان قبض عنه وعن أهله وكتابه وأسبابه من الضياع والأموال ، فارتجع ما كان حصل في أيدي الناس القواد

(١) في تجارب الأمم وكان غريب الخال ونصر الحاجب يدفعان عن على بن عيسى لما غاب مؤنس ، فلما تبين لابن فرجويه دفع غريب ونصر عن على بن عيسى كتب رقعة بخطه إلى المقتدر . . .

وخواص المقتدر من ذلك ، ووقع بأن يُؤغَر^(١) حق بيت المال في جميعه بألف درهم في كل سنة على استقبال سنة أربع وثلثمائة ، ووفّر جاري^(٢) الوزارة ولم يأخذه ، وتقدم برّد جاري أصحاب الدواوين وكتبابهم وكتبابه إلى ما كان عليه في أيامه الأولى فأضعف ذلك ، وصار جاري صاحب ديوان السواد وكتبابه مع ثمن الكاغذ والقراطيس نحو سبعة آلاف دينار في كل شهر . وأقطع زيدان التي كانت موكّلة به ضياعاً بنواحي كسكر ومستغلات بالبصرة لها ارتفاع وافر ، ووقع لجماعة من أصحاب السلطان بتسوينات وإقطاع وحمالات^(٣) ، وبسط يده في كل ما فعله من ذلك ، وأدرّ على المقتدر بالله ما كان وعده به ، وللاُمراء والسيدة من ألف وخمسمائة دينار منسوبة إلى رسم الخريطة ، ونصب ديوايا للرافق واستوفاهما فيه من العمال والمتصرفين كما تُستوفى الحقوق ، وتَتَّبِعَ ما بقى من ودائع السلفة في نكبتة ، فارتجع منها خمسمائة ألف دينار .

وقدّم عبد الله بن فرجويه وعوّل عليه ، وتوفّر على أبي علي محمد بن علي ابن مقلّة ، وأدخله في أموره وأسراره ، وقلده أعمالاً كثيرة ، فكانت مدة أبي الحسن بن الفرات في اعتقال المقتدر بالله خمس سنين وأربعة أيام .

وكان^(٤) عبد الله بن جبير عند مقامه بواسط في أيام علي بن عيسى قد عرف قدر ارتفاعها وما يتحصّل لحامد بن العباس من الفضل في ضمانها ، فلما عاد إلى بغداد وقد وُزَرَ ابن الفرات عَظُمَ ذلك عنده .

وكان حامداً لما انقضت مدة الضمان الذي عقده الخاقاني عليه أخر عن علي

(١) أوغره مالا : أقطعه إياه . ويريد أنه يتنازل من ماله لبيت المال عن ألف درهم سنوياً فبدأ من سنة ٣٠٤ .

(٢) يعني أنه تنازل عن مرتب الوزارة . (٣) الحملات الكفالات .

(٤) تجارب الأمم ٥٧/٥ وابن الأثير حوادث ٣٠٦ .

ابن عيسى الوظيفة^(١) التي كان يحملها في كل شهر ، وطالب بتجديد الضمان .
وكانت علي بن عيسى بأنه محمول على ما كان تقرّر معه ومُجرى في الشرائط عليه ،
وله على ما في وثيقته^(٢) ، ولم يثبت الكتاب في الدواوين ، لكن حامداً ركن إليه
وعوّل عليه .

واستأذن^(٣) عبد الله بن جبير ابن الفرات في مكتبة حامد بما أخرج عليه^(٤) ،
فأذن له ، وكتبه مكتبة أجاب عنها بالاحتجاج لنفسه ، وتردّد من القول ما بسط
ابن جبير معه لسانه فيه . وبلغه فظن أنه عن مؤاطاة من ابن الفرات له عليه ،
وشرع^(٥) فيما يدفع به التأوّل عنه .

وكان قسيم الجوهري يشرف للسيدة أم المقتدر بالله على ضياعها بواسطة ،
ويُكثّر هناك المقام ، ويحضر عند حامد فيبسطه ويتوقّر عليه ، فوافقه على السفارة له
في الوزارة ، وأصعد قسيم وخاطب نصراً الحاجب في ذلك وأطعمه في حامد ، وملاً
يده منه ، وعرفه سعة صدره وسخاء نفسه ، وضمن له عنه تصحيح المال الكثير من
ابن الفرات وأسبابه ، وراسل السيدة أيضاً .

ووافق هذا القول والسعي سوء رأى نصر الحاجب في ابن الفرات ، وخوفه^(٦)
منه وكثرة الوقعة فيه ، وقول الناس إنه قد قلّد ولده الدواوين ، وأقاربه الأعمال وأخذ
من ودائعه القديمة التي الجملة اتسعت الأقوال فيها وكُتِبَتْ إلى العمال بحمل المرافق إلى
هارون بن عمران ، وإفراذه إياه بذلك وبقيض أموال المصالحين والمصادر من وعدّه
بها عن بيت المال . وأن المقتدر بالله طلب من ابن الفرات ما لا لبعض مهمّة فنبهه منه

(١) الوظيفة ما يعين من عمل أو رزق أو مقرر معلوم .

(٢) أي له ما تقرّر عليه في عهده . (٣) تجارب الأمم ٥٧/٥ .

(٤) في تجارب الأمم : أن يكتب حامداً في بعض ما كان أنباه إليه من ضمان حامد فأذن له
فيه إذنا ضعيفاً .

(٥) في تجارب الأمم : ولقي قد عرفه من نيته فأفند من يسفر في الوزارة .

(٦) تجارب الأمم ٥٧/٥ .

واعْتَلَّ عليه فيه ، فتم بذلك أمرُ حامد ، وروسل^(١) بالإصعاد إلى الحضرة ، وأنَّ يَكْتُبَ على عدة^(٢) أطيارٍ بخروجه في يومه لِيُقَبَّضَ على ابن الفرات عند المعرفة يَتَوَجَّهَ ، فأصعد ، وكتب بخبره ، وعرض الكتاب أبو القاسم بن الحواري على المقتدر بالله ، فلما وقف^(٣) عليه أنشد نصراً الحاجب وشفيعاً المقتدرى إلى دار أبي الحسن ابن الفرات حتى قبضا عليه في وقت العصر من يوم الخميس لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة ست وثلثمائة^(٤) ، وعلى الحسن ابنه وموسى بن خلف وعبد الله بن فرجويه وعيسى بن جبير وسعيد بن إبراهيم التستري ودولة أم ولد أبي الحسن بن الفرات والحسن ابنها منه ، وحملوا الجماعة إلى دار الخلافة . واعتقل أبو الحسن وحده عند زيدان والباقون عند نصر الحاجب ، وختم أبو نصر بشر بن علي خليفته حامد ببغداد على جميع الدواوين . وإنما قبض على ابن الفرات في داره لأن الإرجاف قوى بصرفه قوة استوحش منها كتابه وأصحابه - وكان إذا ركب إلى دار السلطان تفرقوا واستتروا ، وإذا عاد إلى داره ظهروا وحضروا - وركب في أول النهار وهم على الجملة من الخوف والإشفاق ، وعاد فعادوا على السكون إلى ذلك .

وكانت مدة نظره في هذه الدفعة سنة وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً .

ثم وزر الوزارة الثالثة^(٥)

وأخرج من حبسه عند زيدان القهرمانه يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلثمائة ، وخلع عليه وعلى أبي أحمد الحسن ابنه ، وقد كان

(١) في تجارب الأمم : على أجنحة الطير

(١) التنظم ١٤٧/٦

(٣) تجارب الأمم

(٤) انظر ابن الأثير حوادث ٣٠٦ وتجارب الأمم ٥٦/٥ والتنظم ١٤٧/٦ .

(٥) راجع تجارب الأمم ٨٥ / ٥ وما بعدها وابن الأثير حوادث ٣١١ والتنظم ١٧٣ / ٦ .

وصلة عرب ٥٧ - ٦٢

أُفْرِجَ عَنِ الْحَسَنِ مِنْ قَبْلُ وَأُقَامَ فِي مَنْزِلِهِ ، وَرَكِبَا إِلَى دَارِيهِمَا بِسَوْقِ الْعَطَشِ وَجَلَسَا لِلتَّهْنِئَةِ ، وَظَهَرَ أَوْلَادُهُمَا وَكُتَّابُهُمَا وَحَوَاشِيُهُمَا وَأَسْبَابُهُمَا . فَأَمَّا حَامِدٌ ^(١) فَإِنَّ أَبَا الْحَسَنِ ابْنَ الْفَرَاتِ أَقْرَهُ عَلَى أَعْمَالٍ وَاسِطٍ بِحُكْمٍ مَاشِرُطُهُ الْقَنْدَرُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ فِي أَمْرِهِ . وَخَاطَبَهُ بَنُجُوٌّ نَمَّا خَاطَبَ هُوَ عَلَى بْنِ عَيْسَى بِهِ عِنْدَ خِلَافَتِهِ إِيَّاهُ .

وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ الدَّوَاوِينَ فِي وَزَارَةِ أَبِي عَلَى الْخَلْقَانِي شَرَطُوا عَلَى حَامِدٍ فِي ضَمَانِهِ الْأَوَّلِ لِأَعْمَالٍ وَاسِطٍ أَنْ يُؤَدَّى فِي آخِرِ سَنِي ضَمَانِهِ لِمَا يُتَّفَقُ عَلَى كَرْمِي ^(٢) الْأَنْهَارِ وَحِرَاسَةِ الْبَزَنْدَاتِ ^(٣) وَالْبُذُورِ وَالْمَعَاوِينَ مِثْلَ مَا أُنْفَقَ وَأُطْلِقَ فِي ذَلِكَ فِي آخِرِ سَنَةِ مِنْ سَنِي الْإِعْتِبَارِ عَلَيْهِ . وَكَانَ نَيْفًا وَتَسْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . لِيَتَوَلَّى عُمَالُ السُّلْطَانِ الْإِنْفَاقَ ، وَشَرَطُوا لَهُ أَنْ يُؤَخَّرَ بِإِعْتِبَارِ أَمْوَالِ الْخَرَاجِ وَالضِّيَاعِ الْخَاصَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ . وَبِمُغْلَفِهِ مِائَةٌ وَسَبْعَةٌ وَخَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ . إِلَى آخِرِ سَنِي الضَّمَانِ لِتَصِيرَ الْجُمْلَةُ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَمَا زَالَتِ الْمَطَالِبَةُ بِذَلِكَ تَتَأَخَّرُ مَعَ تَجْدِيدِ الضَّمَانِ سَنَةً بَعْدَ أُخْرَى .

وَقَدْ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ أَبَا سَهْلٍ النُّوبُخْتِيُّ أَعْمَالَ الْمُبَارِكِ ، وَأَبَا الْعَلَاءِ مُحَمَّدَ ابْنَ عَلِيٍّ الْبَزْوَفَرِيَّ أَعْمَالَ الصَّلْحِ وَالْمَزَارَعَاتِ ، وَوَأَفْقَهُمَا عَلَى مَطَالِبَةِ حَامِدٍ بِالْمَالِ الْمَذْكُورِ ، فَطَالِبُهُ النُّوبُخْتِيُّ مَطَالِبَةُ الْكُتَّابِ ، وَسَلْكُ الْبَزْوَفَرِيَّ مَعَهُ سَبِيلَ الْعَنْتِ وَالْإِرْهَاقِ ، وَتَبَسَّطَ عَلَيْهِ فِي الْمَنَاطِرَةِ وَالْخِطَابِ ، ثُمَّ عَمِلَ لَهُ الْأَعْمَالُ ، وَادَّعَى عَلَيْهِ أَنَّهُ ابْتِاعَ مِنَ الْمَزَارَعَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ بِأَسَافِلِ الصَّلْحِ ضَوَاحِيَ الْجَامِدَةِ فِي أَيَّامِ الْخَلْقَانِي

(١) انظر ترجمة حامد بن العباس في المنتظم ١٨٠/٦ استوزره القندر سنة ٢٠٦ وتوفي سنة ٣١١ .

(٢) كرمي الأنهار هو الحفر فيها ويريد تطهيرها يقال كرمي النهر : حفر فيه حفرة جديدة .

(٣) البرزندات جمع برند وقد شرحه المؤلف في أخبار علي بن عيسى فقال وتسمى البرزندات بحصر جسوراً .

وبعدها ضياعاً جلية ، وأخرج عليه من الفضل فيها خمسمائة ألف دينار ، مُكثراً عليه بذلك .

ورأى ابن الفرات تجرّد البزوفرى لما هو متجرّد له من استعمال القبيح مع حامد وعمل الأعمال فيه ، فكتبه وأحمد ^(١) فعلته ، وأنفذ إليه ^(٢) المؤامرات المعمولة بالحضرة له ، وأمره بمطالبته والاستقصاء عليه والابتداء بنفقات المصالح والبزندات والبذور والمعاون هو والنوبختى ، وإيفاقها على عمارة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة .

فأجاب البزوفرى بأن حامدا ليس يكتفت إليه ، ولا يُعطى شيئاً من المال ، وقد بدأ بإطلاق ما يريد إطلاقه للمزارعين وأهل البلاد للعمارة المستأنفة ، وأدعى شُرُوعه فى ضمان سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، وأنه غير متمكن منه مع قوّته ، وأن معه أربعائة غلام كبار يتبعهم آخرون وسبعائة رجل ، وأهل البلاد على مِثْلِ إليه وتعصب له . ففرض ابن الفرات كتابه على المقتدر بالله ، فأمر مُقلحا الأسود بإفخاذ مائة غلام من الحُجْريّة ومائة راجلٍ من المصافيّة إلى واسط للشدّ من البزوفرى وبسط يده . وقال لابن الفرات : اكتب إليه بإثبات خمس مائة راجل يستظهر بهم على أمره . ففعل جميع ذلك .

وكتب ابن الفرات ^(٣) إلى البزوفرى يرسم له التوكيل بحامد عند وصول من أنفذ إليه ، ومطالبته عاجلاً بالمصالح والبذور ، إذ ليس يأذنُ السلطان فى عقد الضمان مستأنفاً عليه . فأشاع البزوفرى ذلك قبل ورود القوم ، وعرف حامد ^(٤) الخبر فى وقته ، فأظهر ورود كتاب المقتدر بالله عليه بالمبادرة إلى الحضرة ، ففُضِرَ البوق

(١) أحمد فعلته : عندما حمّده ورضى فعلها وتصرفه فيها .

(٢) انظر تجارب الأمم ٩٤/٥ .

(٣) انظر تجارب الأمم ٩٤/٥ .

(٤) انظر تجارب الأمم ٩٤/٥ .

وأصعد بكتابه وخواشييه وغلمايه ورجالاته ، ومعه ^(١) ثيابه وفرشه وآلته بعد ما أودعه بواسط من ماله ، وسار في السفن والسميريات ^(٢) ، وأنفذ كراعاه على الظهر ^(٣) ، فلم يقدر البرزقري على منعه ولا الاعتراض عليه في فعله ، لكنه بادر إلى ابن القرات بالخبر على الطيور .

فلما عرفه انزعج منه ، وظن أنه عن أصل انطوى ^(٤) عنه ، واستشار ^(٥) الحسن ابنه وخواصه فيما يدبر الأمر به ، فقالوا تمهبي إلى المقتدر ما كان منه ، وتستعلم ما عنده فيه . ففعل وقال المقتدر : ما كوتب بشيء مما ادعى أنه كوتب به ، وتقرر بينه وبين ابن القرات إنفاذ نازوك إلى المدائن في عدد كثير من الغلمان والرجال والفرسان للقبض على حامد وأسبابه ، ووقف نازوك على ذلك .

واتصل بحامد انحدار نازوك ، فاستتر وترك سفته وماله وأصحابه ، ووافى نازوك قبض على ما وجده له وحمله ، وأمر المقتدر بالله بتسليم الحسابات إلى ابن القرات ، والكراع في الاصطبلات ، وما سوى ذلك إلى الخزان . ووقع الإرجاف ^(٦) بأن المقتدر بالله كاتب حامدا ينكر عليه خروجه من واسط على الحال التي خرج عليها ، ورسم له الاستتار ودخول بغداد سرا ليرده إلى الوزارة ، ويسلم إليه الجماعة ، فأشفق ^(٧) أبو الحسن بن القرات واستتر المحسن والحسين والحسن أولاده وحرّمهم وكتبهم .

(١) في تحارب الأمم : وخرج من واسط مع جميع كتابه وحاشيته ورجاله وحمل معه من الفرس والآلات والسكوة جميع ما كان يخدم به بعد أن احتاط في أمواله وأتمته الفاخرة وأودعها عند ثقاته بواسط .

(٢) السميريات نوع من السفن .

(٣) يعني أنه أرسل خيله وبناله وحمله بطريق الر .

(٤) أي عن أمر دبر خفية عنه لا يعلمه . (٥) تحارب الأمم ٩٥/٥ .

(٦) تحارب الأمم ٩٦/٥ . (٧) أشفق من ممانيتها : خاف وحاذر وحرص .

وكانت سعادة^(١) حامد قد انقضت ، ومدته قد انقضت ، فدعاه المقدور إلى قصد دار السلطان في زى الرهبان ، واستأذن على نصر الحاجب ، فلما دخل ورآه قال له : إلى أين جئت ؟ قال : جئت بكتابك . قال : إلى هاهنا كاتبك بالحي ؟ ولم يقم له ولا وفاء حقه ؛ واعتذر إليه بخوفه من سخط الخليفة متى تجاوز به ما وقف عنده . وراسل نصر مفلح الأسود بالخروج إليه ، لأن المقتدر بالله كان عند الحرم ، فخرج إليه وقال له : قد ورد حامد على ما تراه من هذه الصورة ، وهو اليوم في موضع رحمة ، وما أولئك باستعمال الجليل معه . وقال حامد^(٢) لمفلح : تقول لأمر المؤمنين أنا أرى بأن أعتقل في دارك كما أعتقل على بن عيسى ، وينظرني الوزير والحسن والكتاب بحضرة القضاة والفقهاء والقواد ، فإن وجب على شيء خرجت منه بعد أن أومن على نفسي ، وأمكن من استيفاء حجبي . ويمنع الحسن من مقابلتي على المكارة التي أوقعتها به في طاعة أمير المؤمنين ، فإنه شاب وبسط يده على مثلي - ممن بلغ إلى مثل سنى ووجب له من الحرم ما وجب لي - غير لائق بعبادات أمير المؤمنين . فأراه مفلح أنه يفعل ، ودخل إلى المقتدر فأورد عليه ضد ما قاله ، وتكلمت السيدة في أمر حامد وأجابته إلى سؤاله . فقال مفلح : متى فعل ذلك لم يتم لابن الفرات أمر مع الأراجيف الواقعة به . فقال له المقتدر بالله : صدقت . وأمره بأن يتقدم إلى نصر بإنفاذ حامد إلى ابن الفرات ، فخرج إليه وعرفه مارسم له . فاستدعى حامد من نصر ثياباً يغير بها ما عليه ، فامتنع مفلح من الإذن له في ذلك ، وقال : قد أمرني مولانا بإنفاذه على زيه الذي حضر فيه . فلم يزل نصر يشفع له إلى أن أذن في تسييره ، وأنفذه مع ابن الرنداق^(٣) الحاجب .

(١) تجارب الأمم ٩٦/٥ .

(٢) تجارب الأمم أيضا .

(٣) في تجارب الأمم ٩٧/٥ ابن رنداق « براء مهلة » .

فلما دخل على^(١) ابن الفرات قال له : لم جئت ؟ قال بكتابك . قال له : فلم لم تقصد دارى ؟ قال : حرمتُ التوفيق . قال له : لا ولكنك عملتها طائفةً فجاءتك طائفة . وذلك أن الطائي ضمن إسماعيل بن بلبل من الموفق وصار إلى داره في رى القيوج^(٢) ليقم فيها ليلته ويُنجز له من غد ما وعده ، فلما حصل عنده أنفذه إلى إسماعيل في ذلك الرى ، فأوقع به إسماعيل مكروهاً غليظاً ، واستخرج منه ومن كتّابه مالا جليلاً .

وتقدم^(٣) أبو الحسن بن الفرات إلى أستاذ^(٤) داره بأن يُفرد لحامد داراً يُفري شُهاً فرساً جيلاً ، ويتفقدّه في طعامه وشرابه وطيبه تنقداً كثيراً . ونحن نذكر تمام حديثه إلى حين وفاته في أخباره .

أسماء القوم الذين قبض المحسن بن أبى الحسن بن الفرات عليهم
ونكبهم وقتلهم وأبعدهم وما جرى عليه أمر كل واحد منهم

قد ذكرنا من أخبار حامد بن العباس وعلى بن عيسى مالا فائدة في تكريره ، فأما سليمان بن الحسن فقبض الحسن عليه من ديوان المشرق ، وكان يتولاه مع غيره من الدواوين ، فصادره على ماصحٍّ منه خمسون ألف دينار ثم أخرجه إلى فارس . وأما أبو على^(٥) بن مقلّة فكان يتقلد لعلى بن عيسى في وزارة حامد زمام السّواد ، فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات تجلّد ولم يستتر ، وحضر مجلسه ، فأعرض عنه إعراضاً

(١) تجارب الأمم ٩٧/٥

(٢) القيوج جمع فيج وهو رسول السلطان الذى يسمى على رجليه أو الخادم

(٣) تجارب الأمم ٩٨/٥

(٤) في تجارب الامم ذكر أنه يحيى بن عبدالله قهرمان داره

(٥) تجارب الأمم ٩١/٥

غض به من محله ، ولم يَقْبِضْ عليه مراعاة للمودة بينه وبين أبي القاسم بن الحواري .
فلما قُبِضَ على ابن الحواري أنفذ الحسن أبا غانم كاتبه حتى قبض على ابن مقلة وقيدته ،
وقد شرحنا حديثه في أخباره .

وأما أبو القاسم ^(١) على بن محمد الحواري فإنه تأخر عن تهنة ابن الفرات في صدر
نهار يوم الجمعة ، وراح إليه في آخره ، وأطال عنده ، وأنسه ابنُ الفرات وشاوره
في أموره ، وخَلَا به خُلُوَّة طويلاً اعتمد فيها سكون نفسه ، وراسله ^(٢) ابنُ الفرات
فتحقق بخدمته وأظهر السرور بولايته مع ما اعتقده باطناً من مخافته ، وقد كان ^(٣)
أصحابُ ابن الحواري أشاروا عليه بالاستتار عن ابن الفرات وقالوا له : إن الخليفة لم
يَكْتُمْكَ أمره وما عزم عليه من تقليده - مع ما يعرفه من العداوة بينكما - إلا لسوء
رأى فيك . فلم يقبل ذلك وقال : لو كان الأمر على ما قلتم لقبض على قبل إخراج
إياه وإظهار أمره ، وما أرى أن أَتَكْبَ نفسى بسوء الاستشعار منى ^(٤) .

لكنه ستر حرمة وولده واستظهر بعض استظهارٍ في رَحْلِهِ وماله .

وركب ^(٥) ابنُ الحواري إلى دار السلطان وحضر ابنُ الفرات وأُذِنَ له ولم
يُؤَذَّنَ لابن الحواري . فاستوحش من ذلك ، ثم صَرَفَ الأمرَ إلى أن ابنُ الفرات
قد شَرَطَ على المقتدر بالله أن يُجَرِّبَهُ على رسمه في وزارته الثانية ، فإن ابنَ الحواري
لم يكن يصل معه ظاهراً وإنما كان يصل سراً . فلما خرج ابن الفرات من حضرة
المقتدر بالله وجلس في الدار التي أفردت له للنظر في أمر القواد والحواشي دخل معه

(٢) يريد أنه جاره في الكلام وواقفه

(١) تجارب الأمم ٩١/٥

(٣) تجارب الأمم ٩١/٥ - ٩٢

(٤) الاستشعار هنا من قولهم استشعر الخوف : جملة شعار قلبه

(٥) تجارب الأمم ٩٢/٥

ابن الحواري فأقبل عليه وشاوره في ما كان يُخاطَبُ^(١) عليه ، وقال له : قد غُيِّبَتْ عن مجارى الأمور منذ خمس سنين وأنت عارف بما كان على بن عيسى قَرَّرَ عليه أمر الحاشية ، وأريد أن تنبهنى وتُرشدنى وتعاونتنى وتعاظدننى ، وتستعمل فى ذلك ما تقتضيه المودة . فقال له : السمع والطاعة . ووعدته بالإخلاص فى المناجحة ، وفاوضه ابن القرات حديثا طويلا ونهض قبل أن يستمعه ، ونزل إلى طيَّارِه^(٢) ونزل ابن الحواري معه وأحمد بن نصر البازيارُ ابنُ أخيه ، ومحمد بن عيسى صهره ، وعلى بن مأمون الإسكافى كاتبه ، وعلى بن خلف أخو محمد بن خلف صهره ، فأكرم جماعتهم وأخذ يحادثهم ويضاحكهم إلى أن صعد من طياره إلى داره ، ووصل إلى بعض الأروقة ثم أسرَّ إلى العباس الفرغانى حاجبه سرًّا أمره فيه بالقبض عليهم ففعل ، واعتقلهم فى بعض الحجر ، واستدعى شفيعا اللؤلؤى ، وأنفذه إلى دار ابن الحواري وأمره بحفظها وحراستها ، وأنفذ إلى إصطبلاته بمن قاد دوابه وبغاله وساق جماله إلى إصطبلات السلطان ، ونقل فاخر ثيابه وفرشه وآلاته إلى الخزان ، ووضى ابن القرات قهرمان داره بإحسان مراعاة ابن الحواري فى ما كوله ومشروبه . ثم راسله مع عبدالله بن جبير وغيره فى تقرير أمره ، وواقفه على أعمالٍ عُحِلَتْ له قبل القبض عليه ، فسأل أن يُوسَّطَ بينه وبينه أبا بكر بن قزاة ، وكان [ابن قزاة] متحققا^(٣) بآبِ القرات فى هذا الوقت وبابن الحواري من قبل ، فوسطه ذلك ، وتقررت مصادرة ابن الحواري خاصة من دون كتابه وأسبابه على سبعمائة ألف دينار ، يُعَجَّلَ منها مائتين وخمسين ألف دينار ويُحْتَسَبُ له عن ثمن المأخوذ منه بمخمين

(١) فى تجارب الأمم : وشاوره فى جميع أموره .

(٢) الطيار نوع من السفن .

(٣) يريد بهذا التعبير أنه متصل به وائق من مكاته عنده .

ألف دينار ويؤكدى الباقي في أربعة وعشرين شهرا بعد أن حلف أن قيمة الأخوذ منه ثلاثمائة ألف دينار .

واشترط إطلاق أحد بن نصر البازيار ليقوم بمال التعجيل ، فأطلق وأزيل التوكيل عن دوره وسلم الباقي فيها إلى أحد بن نصر .

وتسلم ^(١) الحسن بن أبي الحسن بن القرات من بعد ذلك ابن الحواري قصفه صنفا عظيما في دفتات وضربه بلقاروع . ثم أخرجه إلى الأهواز في طائر خدَمِه غَيْرَ مُقَيَّد ، وأخذ معه الحبشيَّ المتخَرِّج . وحذر أيضا في هذه الجلة سليمان بن الحسن وأبا علي بن مقله ، فلما وصلوا إلى البصرة وتوجها منها إلى الأهواز طرح الحبشيُّ ابن الحواري في الماء منكمَّحاً وشدَّ رجله في شِكَاتٍ ^(٢) الطيار وهو سائر وبلغ موضعا يعرف بالنارة أحفل الأبله بقرسخ فأخرجه ، وقد بقي فيه أدنى رمن فخنقه غلمان سودان كانوا معه ودفعوه ، وحمل سليمان وابن مقله إلى الأهواز .

وأما ابن حماد الموصلي فإن ابن القرات كتب إلى محمد بن نصر بالقبض عليه وحمله إلى الحضرة ، فصرف ابن حماد ذلك وهرب ، فوجد في عُمُرٍ ^(٣) يقارب بلد فأخذ وحمل إلى محمد بن نصر فصره ضربا أثمته ، لعلولة كانت بينه وبينه ، ثم أخذته ، فقتله الحسن ^(٤) وأمر ابن أبي عمر كاتبه وابن حبشي للمتخرج بصفه ، فأوقما به فلم يرض بذلك حتى أحضره بين يديه وصفه على رأسه إلى أن خرج الدم من فيه ومات في ليلته . وخاف الحسن إنكار المقتدر بالله ما جرى في أمره فأظهر أن محمد ابن نصر أخذته مثمنا بالضرب خلف عما ناله منه .

(١) تجارب الأمم ١١٣/٥

(٢) شكات الطيار يريد بها الحبشة البارزة من السفينة .

(٣) المر من معانيه اليبسة والكبيسة .

(٤) تجارب الأمم ٩٣/٥ .

وأما علي بن الحسن الباذيني ، وكان رجلاً مُتَسَلِّماً^(١) ، وتقلد ديوان الضياع المقبوضة في أيام علي بن عيسى ، فقبض عليه الحسن وصادره على أحد عشر ألف دينار . وأعاد المكروه عليه فبلح^(٢) في يديه ، وأيس من حصول شيء منه . وأخرجه إلى الموصل فلم يزل مقيماً بها إلى أن وُزر أبو القاسم عبد الله بن محمد الخاقاني . وأما أبو المنذر النعمان بن عبد الله فقد كان تاب من خدمة السلطان ، ولبس الخُفَّ والطيلسان ، وحضر مجالس الوزراء بهما كما تَحْضُرُ مشايخُ الكتَّاب إلا أنه كان متحققاً بحامد بن العباس وعلي بن عيسى ونصر الحاجب . فلما تقلد ابن الفرات الوزارة في هذا الوقت لم يجد عليه مُتَعَلِّقاً ولا مُتَسَلِّقاً ، وكان يحضر مجلسه فيكرمه ، وخاف النعمان على نفسه منه لِمَا كان يشاهده من الحسن وإقدامه على ما يُقَدِّم عليه فلازم نصراً الحاجب وثلماً القهرمانة ، وكان يروح إليهما في أكثر العشيات ويقيم عندهما إلى أن تَمُضِيَ قطعة من الليل . فاتفق أن خرج في بعض الليالي من دار ثمل القهرمانة ومعه إبراهيم حاجبه فراه أحد أصحاب الأخبار الذين لابن الفرات ، فسكتب إليه بخبره ، وبأنه سمعه يقول لبعض العمال المُعْطَلِّين وقد لقيته في طريقه : ما عندك من الأخبار ؟ فقال : كثرة الأراجيف بابن الفرات . فقال له النعمان : على أن يكون الوزير من ؟ قال : أنت أو محمد بن علي المادرائي أو عبد الله بن محمد الخاقاني ، والأقوى في الظنون أنت . فقال له : ومن لم بأن أساعدهم على ذلك .

فلما قرأ ابن الفرات هذا الفصل سلمه إلى الحسن ، وأمره بإحضار النعمان وأن

(١) الذي دخل الإسلام قسار مسلماً .

(٢) جاء في حاشية أحد مخطوطات الكتاب ما يأتي : بلع الرجل وبلع « بتشديد اللام » إذا أعيأ وأصله من بلع الثرى إذا يبس ، والمراد به هاهنا أنه لم يبق عنده ما يدفع به عن نفسه أذى المطالبة . اهـ ، هذا ومن معاني بلع : أفلس .

يعرض عليه ولاية الأعمال بالأهواز وفارس ، فإن استجاب حمله معه ليكتب له الكتب ويخرج إلى عمله ، وإن امتنع أوقفه على الفصل وقال له : ليس يصلح للوزير ولا لى مقامك بالحضرة ، فأخرج إلى حيث تختار من غير إخراج ولا توكيل . فأحضره الحسن وخاطبه بذلك فامتنع من العمل ، فأقرأه حينئذ الفصل من رقعة صاحب الخبر ، وتقدم إليه بالخروج إلى حيث يريد ، فاختر واسط ، وانحدر إليها لحينه ^(١) . فلما دخلها قصده العمال والتناء ^(٢) هناك ، ولقوه وأكرموه وعظموه . وكُتِبَ إلى ابن الفرات بذلك ، فكتب إلى محمد بن علي البرزوفى بالقبض عليه ، فقبض عليه في يوم جمعة من المسجد الجامع ، وطالع ابن الفرات بحاله ، فرسم له مطالبته بما بقى عليه من مالٍ مُصَادَرَتِهِ في وزارته الثانية وهو سبعة عشر ألف دينار . ففعل البرزوفى ذلك وأدّى النعمان سبعة آلاف دينار .

وأما أحمد ^(٣) بن محمد بن بسطام فكان مصاهراً لحامد بن العباس ومتقلداً بهر سِير والرومقان وإيفار ^(٤) يقطين في وزارة علي بن عيسى . فلما رأى ما الناس فيه مع الحسن بن الفرات استتر عند الشاه بن ميكال ، وعرف الحسن خبره فكبسه وأخذته وقرر عليه ثلاثمائة ألف دينار ، وطالبه مطالبة زاد فيها ، حتى أخرجه من نعمته وضيعته ^(٥) ، ثم عمل على إخراجهِ إلى واسط عند قُرْبِ مُؤَنِسٍ واستيحاشه منه ،

(١) في الأصل لنفسه .

(٢) التناء جمع تأنى . والتناء هو التميم بالمكان .

(٣) - انظر تجارب الأمم ٩٣/٥ وذكر أنه أبو الحسين محمد بن أحمد بن بسطام صهر حامد بن العباس .

(٤) الإيفار أن يقطع الأرض بغير خراج . وجاء في حاشية بعض مخطوطات الكتاب ما يأتي : الإيفار تسويغ السلطان الأرض من شاء من غير أن يؤدي ما عليها .

(٥) في تجارب الأمم . استخرج منه ستين ألف دينار وأخذ خطه بمائتي ألف دينار ، بعد مكروه غليظ .

وكتب له بولاية بعض النواحي لخاف وقوع حيلة عليه بذلك ، فاستتر استتاراً ثانياً حتى زال أمر ابن الفرات .

وأما إبراهيم أخو علي بن عيسى فإنه كان ملازماً لمنزله في أيام حامد وعلي ابن عيسى ، فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات تأخر عن تهنئته ، فوقع إليه ^(١) توقيعاً جميلاً أمره فيه بالمصير إليه ، فجاءه من وقته ، وقبض عليه وطالبه بأحد عشر ألف دينار ، بقيت عليه من جملة خمسين ألف دينار صادرة عليها في وزارته الثانية . فاحتج إبراهيم بأن المقتدر بالله وضعها عنه ، وأظهر توقيعاً معمولاً في اللواوين شاهداً على قوله ، فلم يقبل ذلك منه ، وطالبه حتى أدى المال ، فلما أداه أحضره مجلسه ، وواقفه على أمور كانت في نفسه عليه منذ أيام العباس بن الحسن ، وصادره مصادرة مُجَدَّدة على عشرين ألف دينار ، ثم سلمه إلى الحسن فأوقع به مكروهاً شديداً إلى أن وفي القيمة ، ثم نفاه إلى البصرة ، وسلمه إلى ابن أبي الأصبع عاملها ، ف قيل : إنه سمه فات .

وأما عبيد الله أخوه فإنه كان عليلاً في منزله ، فأنفذ الحسن من جملة إليهم حَقَّةً وطالبه وأوقع به مكروهاً كرَّره إلى أن ضمنه أبو الحسين بن روح وجماعة بما قرره عليه . فلما أداه أخرجه إلى الكوفة .

وأما أبو علي عبد الرحمن فإنه استتر بعد القبض على أبي الحسن أخيه ، فلم يُعرَف له خبرٌ مع شدة الطلب له ، والحرص على حصوله .

وأما أبو الحسن علي بن مأمون الإسكافي كاتب ابن الحواري فصور على مائة ألف دينار ، وأدى بعضها ، وتلف تحت المكروه .

(١) في الأصل فوقع عليه .

وأما أبو الحسين محمد بن أحمد بن أبي البغل فكان بفارس ، وكتب الحسن إلى جعفر بن محمد العامل هناك بالقبض عليه وعلى زيد بن إبراهيم عامل كرمّان ، ومصادرتيهما على مال حدّه له ، فإن أذعنّا وإلا أشخصهما إلى الحضرة ، فافتديا أنفسهما بما التمس منهما إشفاقا من إنفاذهما إلى الحسن .

وأما أبو زنبور^(١) الحسين بن أحمد المادرائي فكان ضامنا لمصر والشام في أيام حامد فتكر له أبو الحسن علي بن عيسى وصرفه بأبي الحسين محمد بن الحسن بن عبد الوهاب كاتبه ووليّ أبو الحسن بن الفرات فأقرّ أبا الحسين على نظره وكاتبه بحمل أبي زنبور إلى الحضرة ، وكان بدمشق ، فأنفذه إلى مؤنس المظفر وهو بحلب ، وأنفذ ابن الفرات رائقا خادما السيدة حتى حمله من حلب إلى بغداد ، ووصل فاعتقله ابن الفرات اعتقالا جبيلا . ثم جمع القضاة وأصحاب الدواوين وأخرجه إلى مجلسه ، وقد حضر الحسن وأبو العلاء بن سنجلا كاتبه على ديوان المغرب وأحضرا أعمالا عملاها له ، ووقعت المناظرة له على أبوابها ، فألزمه ابن الفرات منها ألف وأربعمائة ألف دينار ، ثم استكثرها فحط منها سبعمائة ألف دينار ، وأخذ خطه بالباقي وعرضه على المقتدر بالله فأحْدَ فِعله فيه ، وزاد^(٢) ابن الفرات في مراعاة أبي زنبور وإحسان عشرته لأنه كان يسترجله ويستجلده ، وسامه أن يواجهه على بن عيسى بأنه أرققه^(٣) في أيام تقلده ديوان المغرب وبعد ذلك في وزارته ، فاستعفاه . فقال له ابن الفرات : فلم واجهتنى^(٤) بأمره وليس تواجهه بأمرى . فقال له : ما أُنْجِدَتْ عاقبة تلك الحال ولا استحسناها لي أحدٌ ، مع الظاهر من إساءة الوزير إليّ بتسليمه إياي إلى ابن بسطام

(١) انظر تجارب الأمم ٥/ ١١٤ .

(٢) تجارب الأمم ٥/ ١١٤ .

(٣) أرققه هنا يراد بها أنه نفعه بأموال .

(٤) راجع هذه المواجهة فيما سيأتى وتجارب الأمم ٥/ ٦١ .

وَبَسَطَ يدهَ عَلَيَّ [في أيام وزارته الثانية] ^(١) فكيف تستحسنون لي الآن معاملة
علي بن عيسى بالقبيح على ماله عندي من الجليل القديم ؟ فأمسك ابن الفرات عنه .

وقدم ^(٢) محمد بن علي المادرائي من مصر ، ولم يكن تقلد في وزارة حامد عملا ،
فبوَظِرَ على أموال تلزمه وبقياء عليه في وقت شركته للحسين بن أحمد ، فاحتج لنفسه
احتجاجا قال له ابن الفرات في آخره : فلست بأعلم وأعرف من الحسين بن أحمد ،
وقد أورد أكثر مما أوردت ، فلم يدفع ذلك عنه ما وجب عليه . وأخذ خطه طوعا
بألف ألف ومائة ألف دينار . وكتب عليه بها كتاب دين للمقتدر بالله في نجوم ^(٣)
ثُبَّتَتْ ، وأشهد على نفسه القضاة والشهود فيه .

وكان الحسن ^(٤) بن الفرات يكرم محمد بن علي ويتطاول له إذا حضر عنده ،
وأطلقه إلى داره رعاية لما ذكر أنه حمله إليه من أموال كثيرة وجواهر ثمينة وخدم
رُوقَةً ^(٥) وسلم محمد بن علي والحسين بن أحمد إلى مؤنس المظفر عند خروجه إلى الرقة
ليستوفيَ منهما ما تقرر عليه أمرهما ويصرفه في نفقات رجاله .

وكان مؤنس ^(٦) المظفر عند تقلد أبي الحسن بن الفرات الوزارة في هذه الدفعة
غائبا في الغزو . فلما عاد كثُرَ الحديث بإنكاره ما جرى على الكتّاب وغيرهم من
أبي الحسن بن الفرات والحسن ابنه ، وما كان من وفاة حامد مسموما وأن أكثر
الفرسان التفاريق المقيمين بالخضرة قد عملوا على أن ينضموا إليه لتروج لهم أرزاقهم
به ، فثقل ذلك على ابن الفرات ، وركب بعد أسبوع من قدوم مؤنس إلى المقتدر بالله

(١) زيادة من تجارب الأمم ليتضح بها الكلام والكلام فيه يكاد يتفق مع الأصل .

(٢) تجارب الأمم ١١٤/٥ .

(٣) النجوم يراد بها الأقسام . (٤) تجارب الأمم ٩٥/٥ .

(٥) الخدم الروقة هم الحسان ، يستعمل لفظ روقة للمذكر والمؤنث المفرد والمثنى والجمع بلفظ واحد .

(٦) تجارب الأمم ١١٥/٥ .

وخلا به ، وعرفه ما عليه مؤنس من اجتذاب الجند إليه ، وأن ذلك إن تَمَّ غلب على الأمر وصار أمير الأمراء ومدَّ يده إلى الأموال وأقلَّ مُراعاة الخدمة واحتشام الخلافة . وأغراه به إغراء شديدا وخوفه منه تخويفا كثيرا .

فلما ركب مؤنس إلى المقتدر بالله قال له بمحضر من ابن الفرات : ما شئ أحب إليّ من مقامك ، عندى لأنتى أجمع فى ذلك بين الأنس بقرب دارك ، والتبرك برأيك والانتفاع بمكانك ، ولكن أرزاق الفرسان التفريق عظيمة ، وما يمكن إطلاقها ولا النصف منها على إدارار ، ولا يطيعون فى الخروج إلى بعض الجهات ، وإذا أقت طالبوا بالانضواء إليك ، فإن أحيوا لم يَفِ ما يُحْمَل من أموال السواد والأهواز وفارس والمشرق بنفقات الخصرة ومال من يجتمع معك ، وإن لم يُجَابُوا شغبوا وافتتن البلد . ثم إنك إن أقت لم يُرْجَ مالُ ديار مُضَرَ وربيعه والشام ، ووقفَ ماقرّر على المادرائين ، والصواب أن تخرج إلى الرقة ، فإنها واسطة أعمالك وعمال الخراج والمعاون بمصر والشام يهابونك ويراقبونك ، ويحملون الأموال مراعاة لك وخوفا منك ، ويستقيم أمرُ المملكة بذلك .

وأمره بالشخص إلى هناك من وقته فى سائر مَنْ يرشيه .

وكان المتكلم عن المقتدر بالله ابن الفرات . فعلم مؤنس أنه أمر قد تقرّر برأيه وتديبره وعلى حكم ما يعتقد من عداوته ، فقال : السمع والطاعة لأمير المؤمنين ، إلا أنتى استأذن فى المقام بقية شهر رمضان ، فإذا أفطرت وعيّدت سرت وتوجهت . فقال له : افعل .

فلما عيّد ركب إلى ابن الفرات لوداعه ودخل إليه فقام له قياما تاما ، واستغناه مؤنس من ذلك فلم يُعْفِه وحلف عليه أن يجلس معه على المصلى فامتنع . وسأله مؤنس فى عدة أمور فوقع له بها وأجابها إلى جميعها ، ونهض فأراد ابن الفرات

القيام له عند نهوضه فأقسم عليه برأس الخليفة أن لا يفعل، وسار إلى الرقة.

وأما نصر^(١) القشورى الحاجب فإن ابن الفرات لما فرغ من إخراج مؤنس وإبعاده عن الحضرة عدل إلى أمره، وكثر على المقتدر بالله الأموال في جنبه، وأعلمه عظم ضياعه وارتقاعه ومراقبته ومنافقته وما يصل إليه من أعمال المعاون المرسومة بولايته، فأجابه إلى القبض عليه، وتسليمه إليه دون شفيح [المقتدرى]^(٢). وقد كان القول منه فيهما جميعا.

وعرف نصر ما جرى في بابه، فلجأ إلى السيدة، ومضى في بعض أيام نوبته إلى منزله واستتر، وكلت السيدة المقتدر بالله في أمره وقالت له: قد أبعد ابن الفرات مؤنسا وهو سيفك، ويريد أن ينكب نصراً وهو حاجبك، ليتمكن من مجازاتك على ما فعلته من إزالة نعمته وهتك حريمه. فيا ليت شعري من يكون عونك عليه مع ما قد ظهر من شره وشر الحسن ابنه وأخذها الأموال وقتلها النفوس؟ فوعدها بالدفع عن نصر، وراست السيدة نصراً بالظهور والحضور، فأمن وأنس، وعاد إلى خلعتة.

واستأنف التذلل لابن الفرات وابنه. وما ترك ابن الفرات الواقعة فيه، والإغراء به حتى قال للمقتدر بالله: ما ضيغ عليك الأموال التي أنفقتها على محاربة ابن أبي الساج^(٣) غيره، لأنه عاداه وأوحشه من أجل غلام له كان يتولى أعمال أرمينية، فصرقه ابن أبي الساج، فأفسد رأيك فيه حتى جرى ما جرى.

فلما^(٤) كان في بعض أيام حضر صاحب لأبى طاهر محمد بن عبد الصمد

(١) تجارب الأمم ١١٧/٥.

(٢) أى أذن له في القبض على نصر ولم يأذن له في القبض على شفيح المقتدرى.

(٣) انظر - يوسف بن أبي الساج حوادث ٣٠٤ تاريخ ابن الأثير.

(٤) تجارب الأمم ١١٧/٥.

— أحد القواد المضمومين إلى ابن أبي الساج — عند ابن الفرات ، فعرفه أن كتاب أبي طاهر ورد عليه بأن يوسف ^(١) بن أبي الساج واقع أحمد بن علي فقتله وأخذ رأسه وحمله مع جثته إلى بغداد . وركب الحسن إلى المقتدر بالله واستأذن عليه ، فأوصله مفلح الأسود حيث لم يحضر نصر الحاجب ، وبشره بالفتح وقرأ عليه الكتاب الوارد به ، وعرفه أن نصرا يكره ذلك ، فلماذا طواه عنه وكنمه إياه .

ولم يبق ^(٢) بعد هذه الحال أن وجد المقتدر بالله رجلاً أعجمياً واقفاً على سطح مجلس من مجالسه ، وعليه ثياب ديبقية ^(٣) . ومن تحتها ثياب صوف ومعه مخبرة ومقلمة ، وأقلام وسكين وورق وسويق . فأخذ وسئل عن أمره فقال : ما أخطب إلا صاحب الدار . فقيل : قل ما عندك . قال : ما يجوز . وأخرج إلى أبي الحسن ابن الفرات ، فقال : أنا أقوم مقام صاحب الدار ، قل ما عندك . فقال : ليس يجوز إلا خطابي في نفسي ^(٤) . فرفق به فلم يغب الرفق . وحمله الخدم حينئذ وضربوه ضرباً عنيفاً ، فعدل عن الكلام بالعربية إلى قوله بالفارسية : « ندانم » ^(٥) ولزم هذه اللفظة فلم يزل عنها في كل ما يخاطب به ، وأخرج بعد أن مات تحت القنطرة إلى رجة الجسر ، وصلب هناك ^(٦) وضرب بالنار .

وتحدث الناس بأن ابن الفرات دسّ ليؤم المقتدر بالله أن نصراً الحاجب أراد الاحتيال عليه به .

(١) انظر ذلك في ابن الأثير حوادث ٣١١ وورد شرح الخبر بذلك في ٣١٢ كما ينظر تجارب الأمم ١١٩/٥ .

(٢) ذكرت القصة في ابن الأثير حوادث ٣١٢ والمنظم ١٨٧/٦ وتجارب الأمم ١١٨/٥ .

(٣) نسبة إلى ديبق كانت تصنع بها ثياب حسنة .

(٤) زاد تجارب الأمم : ومأثته عما أحتاج إليه .

(٥) فصرها ابن الأثير فقال معاصها : لا أدري .

(٦) في تجارب الأمم : فصلب ولم عليه حبل من قنب ومشاقة ولطخ بالنفط وضرب بالنار .

وخطب^(١) ابن الفرات نصرا الحاجب بخضرة المقتدر بالله في أمر هذا الرجل فقال له : ما أظنك ترضى أن يجزى عليك في دارك مثل ما جرى على دار أمير المؤمنين، وأنت حاجبه ، مما لم يتم على أحد من الخلفاء ، ولا شك أن الرجل صاحب أحمد بن علي أخى صغورك لأنه عجمي ، فإما أن يكون أحد بن علي وإطالك عل أمره قبل قتله وأفضله فورد في هذا الوقت ، أو تكون دسسته لثقتك بأمر المؤمنين خوفاً على نفسك منه ، فعلوم أن ابن أبي الساج عدوك وأنت صديق أحمد بن علي . فقال له نصر الحاجب : ليت شعري لم أفعل بأمر المؤمنين وهو مصطنع مثل ذلك ، لأنه أخذ أموال^(٢) وضياعي وحسني خمس سنين ؟ قال المقتدر بالله لنصر : دع هذا ، فلو تم على بعض العامة ما تم على لكان عظيماً . فقال : يا أمير المؤمنين ، ابن الفرات يقف أمري ، ويسعى على بقبيح أثري ، ويؤخر أرزاق الرّجالة المصافّة الذين برسي - وكانوا عشرة آلاف رجل - فأجابه ابن الفرات جواباً استوفاه ، وبين الزيادة فيما ينصرف إليه على ما كان يقبضه نظراؤه . وقال للمقتدر بالله : إن أمر أمير المؤمنين أن أخرج أرزاقه وأرزاق أولاده وغلما نه وفوائده ومراقفه وما كان يُقام لأمثاله من الحجاب في أيام الناصر والمعتضد والمكتفي فعلت . فتقدم إليه بذلك ، وواقف ابن الفرات الكتاب عليه ، وضعفت نفس نصر الحاجب وكانت السيدة تشد منه ، وتواصل خطاب المقتدر بالله في معناه ، واندفع^(٣) أمره إلى أن ورد الخبر في يوم الجمعة لثمان بقين من الحرم

(١) تجارب الأمم. ٩ / ١١٨

(٢) يمرض بذلك إلى أن ابن الفرات هو الذي حبسه الخليفة وهو الذي يدبر ذلك . وفي تجارب الأمم : ليت شعري أدير على أمير المؤمنين لأنه أخذ أمواله وهتك حرمة أوقبض ضياعي أو حسني عشر سنين ؟ وفي ابن الأثير : لم أقتل أمير المؤمنين وقد رفقني من التري إلى التري لا عما يسعى في قتله من ضامره وأخذ أمواله وأطال حبسه هذه السنين وأخذ ضياعه .

(٣) الذي في تجارب الأمم وهو أوضح ٥ / ١١٩ واندفع عنه المكروه بما ورد به الخبر مما جرى على الحاج .

سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة بأن أبا^(١) طاهر بن أبى سعيد الجنابى أخذ الحاج بالهَيِّير وأسر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان وأحمد بن كشمرد ونحريرا العمري وأحمد بن بدر عم السيدة وشفيعاً خادمها ولفلاً وجماعة من الحرم والخدم ، ومات الكثير من الناس بالعطش والخنق والرُّجْلَة^(٢) فانقلبت بغداد فى جانبيها ، وخرجت النساء إلى الطرقات مُسَوِّدَاتِ الوجوه مُنَشَّرَاتِ الشعور يصرخن ويلطمُن ، وانصرف إليهن حُرْمٌ من نكبه وقتله ابنُ الفرات . فَقَبَّحَتِ الحالُ قُبْحاً شديداً . وتقدَّم ابنُ الفرات^(٣) إلى نازوك بالركوب إلى المساجد الجامعة لِزَمَّ^(٤) العامة ومنع الفتنة . وضعت نفسُ ابنِ الفرات بهذه الحادثة ، وركب فى آخر نهار يوم السبت إلى المقتدر بالله ، وشرح له الصورة على ما أورده الزنجى سابق الحاج ، واستدعى المقتدر بالله نصرأ الحاجب ، وأدخله فى الخطاب والمشاورة ، فانبسط لسان نصري على ابنِ الفرات وقال : الساعة تقول ما الرؤى بعد أن زعزعت أركانَ الملكة ، وأطمعت الأعداء بإبعاد مؤنس عن الحضرة ، ومن يدفع الآن هذا العدوَّ إن حاول بالسلطان أمراً ؟ وأشار على المقتدر بالله بمكاتبة مؤنس واستقدامه ، فأمره بذلك .

فلما خرجا سأل ابنُ الفرات نصرأ ألا يكتب إلى مؤنس شيئاً إلا بعد نفوذ كتابه ، فوعده بالتوقف وعداً لم يف به . وأنفذ الرُّسلَ من وقته ، وكتب إليه ابنُ الفرات عن المقتدر بالله بالانكفاء^(٥) إلى الحضرة . ووثب العامة إلى ابنِ الفرات ، ورجحوا طيَّاره بالآجر^(٦) ورجحوا ابنه الحسن وهو فى موكبه على الظهر^(٧)

- (١) انظر تجارب الأمم ١٢٠/٥ وابن الأثير حوادث ٣١٢ ذكر أخذ الحاج، والمنظم ١٩٨/٦

(٢) الرجل المشى على الأرجل .

(٣) تقدم إليه بكنا طلب إليه أن يفعله وأمره به

(٤) أى - كبح جماحهم كأنه يربطهم ويشدهم .

(٥) أى بالرجوع إلى دار الخلافة . (٦) الآجر : الطوب المحروق بالنار .

(٧) وهو راكب على جواد أو ما أشبهه .

وذكروها في الطرق والأسواق بالدعاء عليهما . وبرز ياقوت إلى مضاربه بباب الكناس للتوجه إلى الكوفة ، ومنع القرمطي منها إن حدث نفسه برودها . ثم وردت الكتب والأخبار بانصراف القرمطي إلى بلده بما أخذه من الأموال والأمتعة والأحمال والأسارى ، فرُدَّ ياقوت وكثر الإرجاف بابن الفرات وابنه الحسن . فكتب ^(١) إليهما المقتدر بالله رقعة تتضمن التسكين منهما ، واليمين على حسن اعتقاده فيهما ، وما هو عليه من الثقة بموالتهما والإحسان لخدمتهما ، وأمرهما بإظهارها لأهل الحضرة وإنفاذ نسخها إلى عمال المعاون والخراج .

وركب أبو الحسن وابنه الحسن إلى المقتدر بالله في يوم الأحد ثمان بقين من صفر ، فأصلح ^(٢) بينهما وبين نصر الحاجب ، وأمرهم بالتصافر على ما فيه صلاح الدولة ، وورد هلال بن بدر برسالة مؤنس إلى المقتدر بالله . فوصل وأدّاها وسمع جوابها ، وعاد به إلى مؤنس من غير أن يحضر ابن الفرات ، ووافق دخول مؤنس في أول شهر ربيع الأول ، فخرج نصر الحاجب والأستاذون ووجوه القواد والعلماء لاستقباله .

ثم دخل يوم الأحد لسبع خلون منه . ثم بدأ بدار المقتدر من وقته ، وخدم وانصرف إلى داره ، فركب ابن ^(٣) الفرات إليه للسلام عليه ، ولم يفعل مثل ذلك أحد من الوزراء قبله ، وأوذن مؤنس به ، فخرج إلى باب داره واستغفاه من الصعود فلم يقفه ، وصعد وهناك بمورده ، ونهض لينصرف ، فخرج مؤنس معه إلى أن نزل إلى طياره وقبل يده ، وسأله العود إلى موضعه فقبل . وركب أبو العباس بن المقتدر بالله إليه أيضاً فخرج حافيا حتى نزل إلى طياره . وصار ابن الفرات وابنه الحسن

(٢) تجارب الأمم ١٢٢/٥

(١) تجارب الأمم ٢٤/٥

(٣) تجارب الأمم ١٢٢/٥

من غد وهو يوم الاثنين إلى دار المقتدر بالله ، ووصلا إليه وخاطباه بما أراداه وَوَلَّيَا
للانصراف ، فعاد الحسن وحده وقال للمقتدر بالله : قد عرفت يا أمير المؤمنين ضيقَ
المال وكثرة النفقات ، وهاهنا وجوه ثلاثمائة ألف دينار تصحُّ في مدَّةٍ قريبة ، فإن
أذنت في استخراجها استُخْرِجَتْ . فقال : قد أذنت لك . وخرج فلحق أباه . فلما
أرادا ^(١) الخروج من الصحن التسعيني أقصدهما نصرُ الحاجب في مجلس بالقرب ،
وراسل الغلمانُ الحجزيةُ المقتدرَ بالله في القبض عليهما على لسان مفلح الأسود ، فدخل
وأدى إليه ذلك . ثم قال له : إنَّ في صرف الوزير بقول هذه الطائفة خطأ في التدبير
وإطماعا للغلمان . فأمره بأن يخرج ويقول لنصر حتى يصرفه ، ويقول للغلمان : إننا
نفعل فيما راسلتمونا به ما يجرى الأمر فيه على محابكم . فلم يُقدِّم مفلح على الخروج
إلى نصر بهذا الجواب ووقف عند الستر وقال : ينصرف الوزير .

فتكلم الغلمانُ كلاما كثيرا حتى أنفذ إليه مفلح من وعدمه عن الخليفة بلوغَ
مرادهم ، فحينئذ أذن نصر للوزير في الانصراف . فذكر بعض من كان معهما أنهما
لم يزالا يمشيان في الممرات مشيا سريعا حتى نزلا إلى طيارهما ، وقدما إلى دار الوزير
وصعدا . وسارَّ المحسن أباه سِرًّا طويلا . ثم خرج ومضى إلى داره فجلس فيها ساعة
حتى نظر في أمره واستتر .

وجلس ابنُ الفرات ينظر في الأعمال وبين يديه جماعة من كتابه . ثم قام
إلى دور حُرِّمه فأكل عندهم . وخرج وقت العصر فتشاغل بالوقوف على ما ورد ،
وأمر ونهى على رسمه من غير أن يبين فيه خوف أو زوال عن العادة ، وبات

تلك الليلة على هذه الجلبة ، فحدث ^(١) بعض خواصه أنه سمعه في آخر الليل وهو في مرقده يتمثل بهذا البيت :

وأصبح لا يدري وإن كان حازماً أقدمه خير له أم وراؤه

وبكر من غد فجلس لأصحاب المظالم . قال أبو القاسم ^(٢) بن زنجي : فبينما هو في قراءة رفاقهم واستماع ظلامتهم إذ وردت عليه رقعة لطيفة مختومة ، لم أعلم في الوقت بمن هي ، ثم عرفت أنها كانت من مفلح ، وتلتها رقعة أخرى من كاتب مفلح ^(٣) ، فلما وقف عليها أمسك قليلاً ، ثم دعا أبا زكرياء يحيى الدقيق قهرمانه فآسرت إليه مالا أدرى ما هو ، فانصرف . وقال لأبي إسحاق المدبر : خذ قصص المتظلمين واجمعها لتعرضها الليلة على وأوقع فيها وتفرقها عليهم من غد .

ونهب من مجلسه إلى دور حرمه وتفرق الناس ولم يبعد أن وافى نازوك ومعه سلاح ، ويده دُبُوس ^(٤) ، وتلاه يلبق على مثل هذه الصورة ، ومع كل واحد منهما خمسة عشر غلاماً . فلما لم يروه هجموا على دار حرمه ، وأخرجوه حاسراً ، وأنزلوه في طيار ، وحمل إلى دار نازوك ، وقُبض معه على الفضل والحسن ابنيه ، وعبد الله بن جبر وسعيد بن إبراهيم التستري وأبي غانم سعيد بن محمد كاتب الحسن وابن هشام وأبي الطيب الكلؤذاني .

ومضى ^(٥) نازوك ويلبِق إلى مؤنس فرفاه الخبر ، وقد خرج إلى باب الشمسية للترحم ، فأنحدر معه هلال بن بدر ، وجماعة من القواد ، وسار يلبق إلى دار نازوك وأخرج

(١) تجارب الأمم ١٢٥/٥ وابن الأثير حوادث ٣١٢ ذكر القبض على الوزير ابن القرات .

(٢) تجارب الأمم ١٢٥/٥ .

(٣) في تجارب الأمم : من رجل يجري مجرى الجند - كان ملازماً لدار السلطان .

(٤) الدبوس : عصا من خشب أو حديد في رأسها شيء كالكرة .

(٥) تجارب الأمم ١٢٦/٥

ابن الفرات وابنيه وكتبه إلى شاطئ دجلة . فلما شاهدهم العامة رجوم . وأنزل مؤنس ابن الفرات معه في طياره ، فأظهر السرور بحصوله في يده ، ورفع مؤنس وخاطبه بجميل وعاتبه مع ذلك عتاباً كثيراً بحضرة الناس ، فتذلل له وخاطبه بالأستاذية . فقال له : الآن تخاطبني بالأستاذية وبالأس تخرجني إلى الرقة على النقي^(١) والمطر ينزل على رأسي ؟ ! وتقول لمولانا أمير المؤمنين إنني أسعى في فساد مملكته ؟

وانحدر به إلى دار السلطان وأصعد به إليها . وسلم ولده وكتبه إلى نصر الحاجب . واجتمع^(٢) القواد إلى مؤنس ونصر وقالوا : إن اعتقل ابن الفرات في دار الخلافة خرجنا بأسرنا إلى المصلى وشعبنا .

وزادوا في القول وأكثروا ، فاستدعى المقتدر بالله مؤنساً ونصراً واستشارهما ، فأشارا بإخراج ابن الفرات من الدار وتسليمه إلى شفيع اللؤلؤى ليكون عنده ويسكن القواد إلى ذلك . فاستدعى شفيع وسلم إليه .

ونظر أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الخاقاني في الوزارة ، على ما ذكرناه في أخباره^(٣) .

واتهى^(٤) الأمر في ابن الفرات إلى أن تقدم المقتدر بالله بتسليمه إلى الخاقاني فتسلمه في يوم الأحد لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وسلم معه الدقيق قهرمانه ، ورد الخاقاني مناظرة ابن الفرات إلى ابن بُعد شر^(٥) ، فأخذ من

(١) في الأصل على البقر . وفي تجارب الأمم ١٢٦/٥ تخرجني على سبيل النقي إلى الرقة والمطر يصب ، هذا وقد تكون الكلمة أيضاً معرفة عن نفر « بفتح فسكون » وهم الذين ينفرون معك

(٢) تجارب الأمم ١٢٧/٥ (٣) انظر أيضاً تجارب الأمم ١٢٧/٥

(٤) تجارب الأمم ١٢٧/٥ - ١٢٨

(٥) هو أبو العباس كاتب الخاقاني كما في تجارب الأمم ١٢٨/٥ .

ودائع أقرَّبها مائة وخمسين ألف دينار . ثم أوقع به مكروها كان سببا لتقاعده عن أداء شيء بعده . ومضى هارون بن غريب - وكان موكَّلاً به - إلى المقتدر بالله فقال له : إن ابن الفرات ممن لا يُذعن بـمال وينقاد إلى أداء بالقبيح ، وقد جنى الخاقانيُ جنايةً كبيرةً بتسليمه إياه إلى ابن بعد شرٍّ حتى خرَّق به ^(١) وعَسَفَه . فتقدم المقتدر بالله إلى الخاقاني بأن يحمل مطالبة ابن الفرات بحضرة هارون بن غريب ، وكان ابنُ بعدٍ شرٍّ قد ضيق على ابن الفرات في مطعمه ومشربه ، واقتصر به على خبز خُشكار ^(٢) وقناء وماء الهواء . فحمل إليه الخاقاني طعاما واسما جميلا وفاكهة وثلجا كثيرا ، واعتذر إليه مما جرى وحلف أنه لم يعلم به .

ثم راسله ^(٣) مع خاقان بن أحمد بن يحيى ومحمد بن سعيد حاجبه وقال له : الرأي أن تفرَّ بأموالك ولا تُتَلَّجَ ^(٤) السلطان فتؤكد سوء رأيه فيك . فأجابه بما قال فيه : لستُ أيها الوزيرُ حَدَثًا تَخْدَعُنِي ، ولا غِرًّا فتحتالَ عليَّ ، وما أقولُ إنني ما أقدر على المال ، لكنني إن وثَّقتُ لنفسي بالسلامة والخلاص ، وأعطاني الخليفة أمانه بخطه ، وأشهدَ لي فيه الوزير والقضاة والغلمان . وسأني إما إلى مؤنس المظفر ، وإن كان عدوى ، أو إلى شفيع اللؤلؤي ، قرَّرتُ أمري وأعطيت مالي . فأما أن أكون على ما أنا عليه ويراد مني المال فذلك ما لا أفعله .

فأعاد الخاقاني ^(٥) مراسلته : بأنني لو قدرت على التوثق لك توثَّقتُ ، ومتى قلتُ في هذا المعنى قولاً عاداني خواصُّ الدولة ولم تنفع أنت ، وقد ردَّ أمير المؤمنين أمرَك إلى هارون بن غريب ، وهو قريبه وثَّقته . ولعمري إنه عدوك ، ولكن العدو ربما رقَّ في مثل هذه الصورة ، والصوابُ أن تُدارِيَهُ وتلاطفه .

(١) خرَّق به : ارتكب معه أفعال الحق . وعَسَفَه : ظلمه .

(٢) الخبز الخشكار : هو غير النقي من رده . (٣) تجارب الأمم ١٣٠/٥ .

(٤) لاجه : تهادى معه في الحصومة . (٥) تجارب الأمم ١٣٠/٥ .

وحضر هارون^(١) دار الخاقاني واستحضر ابن الفرات وناظره ابن بُعْدِ شَرِّ بحضرته . فلما خرج من القول إلى الإسماع^(٢) زبره هارون^(٣) وقال له : تريد أن تستخرج المال من ابن الفرات على هذا الوجه ! وأقبل على ابن الفرات وقال له : أنت أعرف بالأمور من أن تُعَرِّفَهَا^(٤) . والخلفاء لا يُبَلِّغُهُمْ كُتَابُهُمْ وَوَزَرَاؤُهُمْ إذا سخطوا عليهم ، والرأي لك ، غَيَّرَ ما أنت فيه . فقال : أشر على أيها الوزير ، فإن الرأي عازِبٌ عَنِّي^(٥) مع حصولي فيما أنا حاصل فيه . ولم يزل معه في مقالة ومراوضة إلى أن أخذ خطه بألني ألف دينار يُعَجَّلُ منها الربع ، على أن يُحْتَسَبَ له من الربع بما ضح من ودائعهِ بإقراره وغير إقراره منذ وقت القبض عليه ، ويُطْلَقَ في بيع ما يستبيع من ضياعه وأملاكه وينقل إلى دار شقيق اللؤلؤى أو غيره من ثِقَاتِ السلطان ، ويطلق أبو الطيب كاتبه ليتصرف له في أموره ، وتطلق له الدَّوَاةُ ليُكَاتِبَ من يريد أن يكتبه ، ويُوَدَّنَ لمن يَبْتَاعُ شيئاً من أملاكه في الوصول إليه .

وصار هارون بن غريب بالخط إلى المقتدر بالله فعرضه عليه . واتفق أن وُجِدَ ابنُه الحسن ليلة الجمعة الحادية عشرة من ربيع الأول ، فقبض عليه ، ومُحِلَّ إلى دار الوزارة بالمُخَرَّم . وكان^(٦) من شرح الحال في أخذه أنه لجأ في استتاره بعد القبض على أبيه إلى حماته حنزابة^(٧) والدة الفضل بن جعفر بن الفرات ، فكانت تخفيه كل يوم بُكَرَةً إلى المقابر في زِيَّ النساء ، وتعيده إلى المواضع التي تثق بها ، فقصت به

(١) تجارب الأمم ١٣٠/٥

(٢) إلى الإسماع : إلى الكلام المكروه ، وفي تجارب الأمم : فبدأ ابن بعد شريسته المكروه

(٣) زبره : منعه ونهاه (٤) في تجارب الأمم : أنت أعرف بالأمور من كل من يخاطبك

(٥) عازب عني : أي غائب .

(٦) ابن الأثير حوادث ٣١٢ ذكر قتل ابن الفرات وولده الحسن ، وتجارب الأمم ١٣١/٥

(٧) في ابن الأثير : حزانة .

بكراً يوم الخميس على هذه السبيل إلى مقابر قریش ، فأُمسّت مساءً بعدَ عليها معه الوصولُ إلى دواخل الكَرْخ ، فَوَصَّتْ لها امرأةٌ كانت معها منزلَ امرأةٍ تعرفها وتأمّنها ، ولا زوج لها لأنّه تُوفِّي قبل ذلك بسنة ، فحملته حِزَابَةٌ ومعه جماعةُ نساءٍ إلى هذه المرأة التي ذُكِرَتْ لها وهي غيرُ عارفةٍ بها ، ودخلت الدار وقالت : معي امرأةٌ عاتقٌ لم تتزوج ^(١) وقد انصرفت من مأتمٍ وضاق عليها الوقت ، وسألتها أن تُفَرِّدَ لها موضعاً . فأفردت لها بيتاً في صُفَّةٍ ^(٢) ، وأدخلت الحسن إليه وردّت الباب عليه ، وجلست النسوة معه في البيت ، ووافت جاريةٌ سوداء للقوم بسراج فتركته في الصُفَّةِ ، وجاءت حِزَابَةٌ إلى الحسن بسويقٍ ^(٣) ليشرّبه وقد نزع ثيابه . وأطلعت الجارية السوداء فرأته من غير أن تشعربها حِزَابُهُ ، وعلمت أنه رجل ، فخذت مولاتها بذلك ، فلما تَصَرَّعَ الليلُ قامت مولاتها إلى الموضع سرّاً حتى شاهدته .

وكان من سوء الاتفاق أن كانت المرأةُ زوجةَ محمد بن نصرٍ وكيل أبي الحسن على بن عيسى على ثقافته ، وكان الحسنُ طلبه فحضر ودخل ديوانه ، ورأى ما يعاملُ الناس به من المكاره ، فمات فرحاً من غير أن يُكَلِّمَهُ الحسنُ أو يوقع به مكروهاً . فمضت المرأة في الوقت إلى دار السلطان حتى وصلت إلى نصرٍ الحاجب ، وشرحت له الصورة . وأنهاها نصرٌ إلى المقتدر بالله . فتقدم بالبعثة إلى نازوك بالركوب إلى الموضع والقبض عليه . فركب من وقته وكبسه وأخذه . وضربت الدِّبَادِبُ ليلاً ^(٤) عند وصوله حتى ارتاع الناس لأصواتها ، وظنوا أن حادثاً حدث

(١) المرأة العاتق : هي التي أول ما أدركت أو بين الإدراك والتعيس .

(٢) الصُفَّة : بيت مسقوف بالجريد ونحوه .

(٣) السويق : من معانيه الحر . وفي تجارب الأمم : بسويق وسكر والسويق معناه أيضاً الدقيق الناعم .

(٤) الدِّبَادِب : الطبول ، جمع دبداب سمى بذلك لصوته .

من جهة القَرَمَطِي . وَوُجِدَ الْحَسَنُ فِي زِيِّ امْرَأَةٍ ، وَقَدْ قَصَّ لِحِيته ، وَخَضَبَ يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ ، وَلَبَسَ قَمِيصًا مُعَصْفَرًا . فَأَوْقَعَ بِهِ ابْنُ بُعْدِ شَرٍّ مِنْ وَقْتِهِ مَكْرُوهًا عَظِيمًا ، وَأَخَذَ خَطَّهُ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ أَلْفٍ دِينَارٍ ، يُودِي الرَّبْعَ مِنْهَا مَعْجَلًا .

وَحَضَرَ مِنْ غَدِ هَارُونَ بْنِ غَرِيبٍ ، وَخَاطَبَهُ عَلَى إِظْهَارِ مَالِهِ ، فَوَعَدَهُ بِتَذْكَرٍ وَدَائِعِهِ وَالدَّلَالَةِ عَلَى مُوَاضِعِهَا ، وَنَالَهُ مَكْرُوهٌ عَظِيمٌ فِي يَوْمَيْنِ فَلَمْ يُذْغِنْ بِلَوْحٍ وَاحِدٍ . وَقَالَ : لَا أَجْمَعُ بَيْنَ ذَهَابِ نَفْسِي وَمَالِي . وَأَعِيدَتْ مَخَاطَبَتُهُ وَمَطَالَبَتُهُ بِمَخْضَرٍ مِنْ هَارُونَ بْنِ غَرِيبٍ وَشَفِيعِ الزُّلَوِيِّ . وَجُدُّ الْمَكْرُوهِ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ هَارُونَ : هَبْكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ فَمَا تَقْدِرُ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ ؟ قَالَ : بَلَى إِذَا أُتْمِلْتُ وَأُزِيلَ عَنِّي الْمَكْرُوهُ . فَقَالَ لَهُ : نَحْنُ نُتْمِلُكَ وَنُزِفُّكَ ، فَاصْبِرْ خَطَّكَ بِأَنَّكَ تَوْدِي مِائَةَ أَلْفٍ دِينَارٍ . فَكَتَبَ وَقَالَ : فِي مَدَّةِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا .

فَلَمَّا قَرَأَ ذَلِكَ هَارُونَ قَالَ لَهُ : كَأَنَّكَ تَرِيدُ أَنْ تَعِيشَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا : فَخَضَعَ الْحَسَنُ وَقَالَ : أَفْعَلُ مَا يَأْمُرُ بِهِ الْأَمِيرُ . فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ أَنَّكَ تَوْدِيهَا فِي سَبْعَةِ أَيَّامٍ . فَارْتَجَعَ الرِّقْعَةَ لِيَكْتُبَ بَدَلًا مِنْهَا ، فَلَمَّا حَصَلَتْ فِي يَدِهِ خَرَقَهَا وَأَكَلَهَا . وَضَرَبَ عَلَى رَأْسِهِ وَسَاقَرَجَسَدَهُ بِالطَّبْرِزِينَاتِ ^(١) عَلَى أَنْ يَكْتُبَ غَيْرَهَا فَلَمْ يَكْتُبْ . فَقَبِضَ حِينَئِذٍ وَغُلِّ ، وَأَلْبَسَ جَبَّةَ صُوفٍ وَجَبَّةَ شَعَرٍ ، وَأَعِيدَ إِلَى مَجْلِسِهِ ، وَعُذِّبَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، فَلَمْ يُعْطَ دِرْهَمًا وَاحِدًا . وَتَشَاغَلَ أَبُو الْقَاسِمِ الْخَلْقَانِيُّ بِوَفَاةِ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدٍ أَبِيهِ ، فَوَقَفَ الْأَمْرُ فِي مَطَالِبَةِ ابْنِ الْفَرَاتِ .

فَلَمَّا كَانَ ^(٢) يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لَسْتُ بِقَيْنٍ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ حَضَرَ مُؤَنَسٌ

(١) الطَّبْرِزِينَاتُ : الْقَتُوسُ وَهِيَ جَمْعُ طَبْرِزِينٍ وَكَذَلِكَ فِي مَعْنَاهَا الطَّبَرُ .

(٢) تَجَارِبُ الْأُمَمِ ١٣٢/٥ .

المظفر ونصرته الحاجب الأستاذان^(١) والقضاة والكتاب في مجلس الوزير أبي القاسم الخاقاني وأحضر ابن الفرات ، وناظره الخاقاني ، فلم يكن من رجاله ، وكاد ابن الفرات أن يأكله . وكان من قوله له : أغلّت ضياعك في مدة أحد عشر شهراً ألف ألف دينار .

فقال : قد كانت الضياع في يد علي بن عيسى عشر سنين ، هي أيام وزارته وأيام نظره مع حامد فما ارتفع له منها^(٢) أربعمئة ألف دينار . فإذا أغلّتها أنا في مدة أحد عشر شهراً ألف ألف دينار فقد ادّعى لي المعجز بذلك . فقال له : قد أضفت إلى حق الرقبة^(٣) حقوق بيت المال . فقال : ما يتمكن أحد أن يستر ما في الدواوين ، فانظروا ارتفاع النواحي السلطانية في أيامي ، وارتفاعها في أيام علي بن عيسى وحامد ووزارة أبيك التي دبرتها أنت ، فإن كان ارتفاع نقص في أيامي لزمته الحجة ، أو في أيامكم عرف أترى . ومع هذا فقد علم الخاص والعام ماجرى في وزارة أبيك من الشعب حتى أخرج أمير المؤمنين من بيت مال الخاصة خمسمئة ألف دينار أنفقتها في الجيش على يد شبيب اللؤلؤي . وما فعله علي بن عيسى من إسقاط^(٤) الناس وحطهم من أرزاقهم ، وما فعلته أنا في نظري^(٥) من توفية الحاشية جميع استحقاقها مع زيادات تكلفتها وتحملتها لأحبب أمير المؤمنين إلى خدمته وأولياء دولته .

وخوَّط على أمر من قتل من المصادرين ، فقال : ليس يخلو الأمر من أن

(١) في الأصل والأستاذان . وفي تجارب الأمم : حضر الأستاذ مؤنس ونصرته الحاجب والقضاة والكتاب .

(٢) في تجارب الأمم إلا أربعمئة ألف دينار .

(٣) الرقبة الحراسة والتحفّظ أو هو المال الذي لا يورث عن أصل ويريد بهذا أنه أضاف أموال بيت المال إلى ماله . وفي تجارب الأمم : فقد أضفت حقوق ضياع السلطان إلى ضياعك

(٤) يريد بإسقاط الناس أنه يحو أسماءهم من كشوف الرواتب

(٥) يريد بنظره لإشرافه

يقال إني قتلهم فأنا مقيم بالحضرة ، والمدعى قتله بالبعد منها ، أو إني كتبت بقتلهم
فعمال المعاوين ثقات^(١) السلطان ، وعمال الخراج وجوه المتصرفين ، وقد حكمتهم
على نفسى فيما يقولونه . أو كانت الدعوى على الحسن ابنى فأنا غير ابنى . فقال له
ابنُ بُعْدِ شر : إذا قتل ابنك فأنت قتل . فقال ابنُ الفرات : هذا غير ما حكم الله
ورسوله به وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾^(٢) وقال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم لبعض أصحابه : « هذا ابنك . فقال نعم . فقال : إنه لا يجنني عليك
ولا تجنني عليه » ومع ذلك فإنه فى أيديكم فسأله فإن وجب عليه قود^(٣) بادعاء قتل
فى بلد نأى عنه^(٤) ، ويقال . إن غيره تولى القتل فيه ، فاحكموا بما ترون .

فتحير القوم فى الجواب . وقال عثمان^(٥) بن سعيد صاحب ديوان الجيش لنصر
الحاجب : إن رأى الأستاذ أن يقول له : حيث كنت تقول لمن تطالبه : إن أدبت
وإلا سلمتك إلى الحسن . أ كنت تسلمه ليسقيه السويق والشكر أو ليعذب به ؟
ومن أطلق العذاب على الناس فقد أطلق إتلاف نفوسهم ، لأنه قد يتلف الإنسان
من مِرْعَةٍ واحدة . فقال له نصر ذلك ، فقال له فى الجواب : الخليفة أطال الله بقاءه
ونى الحسن ، وهو ضمن له ماضيه بواسطة مُفْلِحٍ وغيره من ثقاته ، وأنا إذ ذاك
محبوس ، وكنت أحب الرِّفْقَ بالناس فأناظرهم بالقول ، فإن أذعنوا وقاربوا قاربتهم
وقبلت عُقُوبَهُمْ ، وإن امتنعوا سلمتهم إلى من أمر الخليفة أيده الله بتسليمهم إليه ،
فقال له مؤنس : كأنك تُحِيلُ على الخليفة فى قتل الناس ! قد قال : إنه ما أمر

(١) فى تجارب الأمم : فعمال المعاوين وثقات السلطان وعمال الخراج ووجوه المتصرفين

(٢) الأنعام ١٦٤ ، الإسراء ١٥ ، واطر ١٨ ، والزمر ٧ .

(٣) القود : القصاص

(٤) فى تجارب الأمم : قود بادعاء قتل فى موضع ناء عنه يقال فيه إن غيره تولى قتله

(٥) تجارب الأمم ١٣٤/٥

بقتل أحد غير ابن الحواري فقط . ثم قال له : الخليفة أيده الله يقول : سَلِّمْ إِلَيْكَ قوماً بِمَالٍ ضَمَنَتْهُ لِي ، فإِذَا وَفَّيْتَنِي الْمَالَ أُرَدِّدْتَ عَلَيَّ الْقَوْمَ . فاضطرب ابن الفرات من هذا القول وقال : أما المال فصَحَّ في بيت المال ، وأما الرجال فماتوا حتف أنفهم ، فقال له مؤنس : هب لك عذراً في كل شيء ، أي عذر لك في إخراجي إلى الرِّقَّة حتى كَأْنِي مِنَ الْعَمَالِ الْمَصَادِرِينَ أَوْ مِنْ أَعْدَاءِ دَوْلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قال : فَأَنَا أَخْرَجْتُكَ ؟ ! فقال : فمن ؟ قال : مولاك . في السَّفَطِ ^(١) الْخَيْرُ رَانَ - المَكْتُوبِ عَلَيْهِ بِخَطِّي : مَا يُحْتَفَظُ بِهِ مِنَ الْمَهْمَاتِ - رَقْعَةً بِخَطِّ الْخَلِيفَةِ ، أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، إِلَيَّ يَشْكُو فِيهَا أَعْمَالُكَ وَقَتاً بَعْدَ وَقْتٍ ، وَفَتَحْتَ الْبِلْدَانَ ثُمَّ إِغْلَاقَكَ إِيَّاهَا بِالتَّنْدِيرَاتِ الْقَبِيحَةِ ، وَيَأْمُرُ بِإِخْرَاجِكَ إِلَى الرِّقَّةِ وَالتَّوَكُّيلِ بِكَ حَتَّى تَخْرُجَ .

فأنفذ الخاقاني وأحضر السفط وعليه ختم ابن الفرات وفتحته فوجدت الرقعة من المقتدر على ما حكى من مضمونها . فأخذها مؤنس ومضى من وقته إلى المقتدر حتى أقرأه إيها ، فاغتاظ المقتدر بالله على ابن الفرات ، وأمر هارون بن غريب بضربه بالسوط ، فعاد وأقامه بين الهنبازين ^(٢) وضربه خمس درر ^(٣) وقال له : أَذْغِ عَيْنَ يَافِئٍ هَذَا بِالْمَالِ ، فَكُتِبَ لَهُ خَطُّهُ بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .

وأخرج ^(٤) المحسن وضربه حتى كاد يتلف فلم يُعَفِّ ^(٥) بشيء وصار هارون إلى المقتدر بالله واستغنى من مطالبة ابن الفرات وابنه وقال : هؤلاء قوم قد استقتلوا ^(٦) وما ينقادون ولا يذعنون . فأمر بتسليمهما إلى تاروك وإيقاع المكروه بهما . فأوقع

(١) السفط وعاء كائفة أو الجوالق . أو هو ما يعبأ فيه الطيب وما أشبهه .

(٢) الهنبازان : حبران .

(٣) الدرر جمع درة وهي السوط .

(٤) أعفاه بحقه : وفاه إيها . وفي تجارب الأمم : لم يذعن بشيء .

(٥) استقتلوا : استسلموا للقتل وعرضوا أنفسهم له .

نازوك المكاره بالحسن حتى تدوّد بدنه ولم يَبْقَ فيه فَضْلٌ لضرب . وضرب ابن الفرات ثلاثَ دفعات بالقلوس ^(١) فلم يُعطِ شيئاً ، ولا صَحَّ للمحسن في مدة حياته أكثر من سبعة آلاف دينار منها خمسة آلاف أقرَّ بها الحسن بن شبيب العتي تبرُّعاً ، وواجه الحسن بأمرها فأنكر أن يكون له وقال : هذا مال اجتمع من الوقف الذي كان والدى أسنده إلىَّ وترك عند ابن شبيب لينضاف إليه غيره ويُفرَّق في أهله . ومنها ألف دينار اجتمعت من ثمن فرش وثيابٍ صِحَّاحٍ ومقطوعة كانت مودعة عند بعض التجار بسوق العطش . وأقرَّت بها دنائيرُ ورهبان جاريता زوجة الحسن ، فإنهما كانتا ممن قبضَ عليهما وضربهما ابنُ بُعْدٍ شَرَّ ضرباً مُبرِّحاً فلم تُقرأ بغير ذلك . واستبطأ المقتدرُ بالله أبا القاسم الخاقاني وقال له : أين أموال ابن الفرات وابنه التي ضمنتها لي ؟ فقال : لم أترك تَدْيِيرَ أمرِهما ^(٢) ، ولما رأيا أن قد سلَّما إلى أصحاب السيوف وعُدِلَ بهما عن الكتاب خافا القتل وضنَّ بأموالهما . وقال نازوك : قد بلغت في مكاره القوم إلى الغاية ، والمحسن أيام لم يَطْعَمَ فيها طعاماً ، وإنما يشرب الماء شرباً قليلاً ، وهو في أكثر أوقاته مَفْشِيٌّ عليه . فقال المقتدر بالله : إذا كان الأمر على ذلك فليُحْتَمَلًا إلى داري . فقال مؤنس والجماعة : الأمر لمولانا . وقال الخاقاني : قد وفق الله رأى أمير المؤمنين .

وخرجوا من بين يديه . فقال الخاقاني لهم : ما قال أمير المؤمنين ذلك إلا وقد واصل أسباب ابن الفرات مكاتبته بأنه متى حُملَ وابنه إلى داره ورُفِّها وأُمنّا على نفوسهما أدباً مالا كثيراً . ولعلمهم قد بذلوا عنهما ألف ألف دينار وأكثر . وأشار بأن يجتمع القواد ويتحالفوا على أنه متى نُقلَ ابن الفرات وابنه إلى دار الخليفة

(١) القلوس : الحبال الغليظة جمع قلس .

(٢) في تجارب الأمم : فقال : لأنه لم يترك والتدبير . يعني أنه لم يترك له تدبير الأمر معها .

خلعوا الطاعة ، وأن يثبِتُوا على هذا القول ثبات التظاهر^(١) وقوة العزيمة ، وإلا فإن حصل ابنُ الفرات عند السلطان وأدّى ماله وتوثّق لنفسه ضمنَ الجماعة منه^(٢) ، وحمله على القبض عليهم وتسليمهم إليه . فقال مؤنس : هذا أمر متى لم نفعله لم تسكن نفوسنا ولم يَصْفُ عِشْنَا . وتكفل هارون بن غريب ونازوك بجمع القواد ووجوه الغلمان الحَجْرِيَّة وموافقهم على ذلك . وقام يَلْبِقُ باستحلاف قُودِ مؤنس .

فلما كان يوم الخميس السابع من شهر ربيع الآخر كاشفوا المقنن بالله وقالوا : إن لم يُقتل ابنُ الفرات وابنه خَلَعَ الأولياء كلهم الطاعة . فقال لهم : دعوني حتى أفكر . وجدَّ هارون بن غريب خاصَّة . وأرادت الجماعة من الخاقاني التجريد في ذلك فقال : ما أدخل في دم . والذي أشرتُ به أن يُمنَعَ من خمله إلى دار السلطان . فأما قتله فإنه خطأ ؛ لأنه متى سهل القتلُ على الملوك ضَرُّوا عليه^(٣) ، ولم يُميِّزُوا فيه .

وقدَّم إلى^(٤) ابن الفرات طعامه في يوم الأحد الثاني عشر من الشهر فامتنع عنه وقال : أنا صائم . وحضر وقتُ الإفطار فأعيد إليه فقال : لست أَفْطِر الليلة . واجتهد به فلم يفعل وقال : أنا مقتول في غدٍ لا محالة . فقيل له : نعيذك بالله . فقال : بلى ، رأيتُ البارحة في النوم أبا العباس أخى وقال لى : « أنت تُفْطِر عندنا يوم الاثنين الذى هو غد . وما قال لى في النوم شيئاً إلا صَحَّ ، وغدَّ يوم الاثنين ، وهو اليوم الذى قتل فيه الحسن^(٥) صلوات الله عليه .

(١) التظاهر : هو التظاهر والتعاون .

(٢) أى أنه تمهد أن يصادر من أموالهم قدر ما معلوما .

(٣) ضربى بالشىء : تعوده وأولع به . (٤) تجارب الأمم ١٣٧/٥ .

(٥) فى تجارب الأمم : الحسين .

وانحدر الناس في يوم الاثنين إلى دار السلطان فلم يصلوا ، وكتب هؤلاء الرؤساء إلى المقتدر بالله رقعة بأنه إن تأخر قتل ابن الفرات وابنه عن يومهم جرى مالا يتلافى . وأشاروا ^(١) إلى ما عظموا الأمر فيه .

فوقع إلى نازوك بأن يركب إلى موضعهما ويضرب أعناقهما ويحمل رأسيهما . فقال نازوك : هذا أمر لا يجوز أن أعمل فيه بتوقيع . فأمر المقتدر بالله الأستاذين الخدم بأداء رسالة عنه إليه في هذا المعنى ، فخرجوا وأدوها ، فامتنع وقال : لا بد من المشافهة بذلك ، فأمر بأن ينصرف ويعود على خلوة ، ففضى وعاد ، فأوصله المقتدر بالله حتى سمع قوله .

وكان ابن الفرات يرعى الخبر ، فلما عرف انصراف الناس ونازوك سكن قليلا ثم قيل له : قد عاد نازوك . فخاف وأيقن بالهلاك ، وصار نازوك إلى دار الوزارة بعد الظهر من ذلك اليوم ، وجلس في الحجرة التي كان ابن الفرات معتقلا فيها ، وأنفذ عجيبا خادمه - ومعه جماعة من السودان - حتى ضرب عنق الحسن ابنه وجاء برأسه إلى أبيه فوضعه بين يديه ، فارتاع لذلك ارتياعا شديدا . وعرض ^(٢) هو على السيف . فقال لنازوك : يا أبا منصور ليس إلا السيف ؟ راجع أمير المؤمنين في أمرى فإننى أقر بأموالى وودائعى وعندى جوهر جليل . فقال له نازوك : جل الأمر عما تُقدّر . ثم أمر به فضربت عنقه وحمل رأسه ورأس الحسن إلى دار السلطان مع عجيب خادمه فقرأ في الفرات وطرح جثتهما في دجلة .

ومضى ابن الفرات عن إحدى وسبعين سنة وشهور ، والحسن عن ثلاث وثلاثين سنة . وكانت مدة وزارته الثالثة سنة واحدة .

(١) في الأصل : فأشاروا .

(٢) ابن الأثير حوادث ٣١٢ وتجارب الأمم ١٣٨/٥ .

وذكر أبو الطيب الكلوزاني كاتب ابن الفرات قال : رأيت في منامي وأنا في الاعتقال كأن مؤنسا المنظر قد دخل إلى موضعي وفي يديه عشرة خواتيم ، فصوصها ياقوت أحمر وواحد منها لطيف في البنصر ، فقال لي : قد قُتل ابن الفرات والله ما أردت قتله ، وإنما قيل لي فيه وأمسكتُ وسنقتلُ كلنا بالسيف ، وأولنا جعفرُ المقدر بالله ، ولا يسلم منا من السيف إلا نصرُ الحاجب فإنه يموت مسموما . قال : فسألته عن الخواتيم فقال : هي عدد سني ولأيتي . قلت : فلم هذا الواحد الصغير ؟ فقال : إنه لا يُسمَّى سنة . فعاش مؤنسٌ بعد هذه الرؤيا دون عشر سنين وقُتل بالسيف ،

قد مضت سياقة أمر ابن الفرات

ونحن نتبعه بما عرفناه من أخباره مشورا

حدث أبو الفتح عبد الله بن محمد المروزي الكاتب قال :

حدثني بعض الشيوخ الكتاب أن أبا الحسن بن الفرات قال لأبي منصور ابن جبير كاتبه : أينما أكنفي أنا أو علي بن عيسى ؟ فقال : الوزير أكنفي وأضبط . قال : دعني من استعمال التَّقيَّة واسلك معي سبيل الحقيقة . قال : إن أردت أن تحبَّر ما عندي وتَسِير^(١) عقلي فأجعلني آمنا في قولي . قال له : أنت آمن قال : إذا حضر علي بن عيسى بين يدي خليفة فأراد أن يكتب سيرا كتب وأسحى^(٢) وختمَ وخرط^(٣) ولم يحتج إلى مُعين ، وأنت تستدعي زنجيا ليكتب ،

(١) سيرة . اختبره وجربه .

(٢) أسحى الكتاب : شده بسحاة ، وهي ما يشده .

(٣) خرطه وضعه في الخريطة وهي وعاء من جلد أو غيره يشد على ما فيه .

وللزنجي صاحب دواة فيقرأ^(١) فيخرج السرفيا بين ذلك . فقال له : فضلت علينا . قال : لم أفضله ولكن يكون^(٢) كاتبك .

وقيل : إنه^(٣) لما خلع على أبي الحسن بن الفرات خلع الوزارة زاد في ذلك اليوم في ثمن الشمع قيراط في كل من^(٤) ، وزاد سعر القرايطس لكثرة استعماله لهما ولأنه كان من رسمه ألا يخرج أحد من داره في وقت عشاء إلا ومعه شمعة منور^(٥) ودرج^(٦) منصورى ، وأنه سقى في داره في ذلك اليوم والليلة أربعون ألف رطل ثلجا .

وحدث أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبرى الشاهد قال : حدثني الكاتب النصراني الملقب بظُرَّ أم الدنيا قال :

قال أبو الحسن بن الفرات : أصلُ أمور السلطان محرقة^(٧) فإذا تمت واستحكمت صارت سياسة .

وحدث أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد قال : حدثني بعض شيوخ الكتاب ببغداد عن حدثه أنه :

سمع أبا الحسن بن الفرات يقول لأبي جعفر بن بسطام وكان سى^{*} رأى فيه :

(١) في الأصل ولزنجي صاحب دواة يقرأ .

(٢) كذا بالأصل ولعلها : انظر من يكون كاتبك . أو : ولكن تصون كاتبك .

(٣) انظر ابن الأثير ذكر قتل ابن الفرات وتجارب الأمم ١٢٠/٥ .

(٤) المن ١٨٠ مثقالا والقيراط جزء من أربعة وعشرين من الدينار أو جزء من عشرين منه .

(٥) الشمعة المنوية حوالى رطلين نسبة إلى المنا وهو مقدار رطلين .

(٦) قد يكون مرادها به ما يكتب فيه فيسكون ضبطه بفتح فسكون وقد يراد به الوعاء الصغير يدخر فيه الأشياء فضبطه بضم فسكون .

(٧) المحرقة المحق .

ويحك يا أبا جعفر ما قصّة لك في رغيّف^(١) ؟ قال : ما أعرف لى قصة فيه . قال
لتصدّقنى فإنه خير لك . قال : نعم ، إن أمى كانت امرأة سالحة ، وعودتنى منذ يوم
وُلدت أن تجعل تحت رأسى عند نومي فى كل ليلة رغيفا فيه رطل ، فإذا كان الصباح
تصدّقته به ، فأنا أفعل ذلك إلى هذه الغاية . فقال ابن القرات : ما سمعت بأعجب
من هذه الحال . اعلم أننى من أقبح الناس رأيا فىك ، وأشدّهم انحرافا عنك ، لأمر
أوجبت ذاك ، منها ومنها ؛ وعدد بعضها . وكنت مفكرا منذ أيام فى القبض عليك
ومصادرتك . فإذا أويت إلى فراشى رأيت فى منامى كأننى قد استدعيتك لأقبض
عليك فتمتّع علىّ وتحاربنى ، وأتقدّم بمحاربتك ، فتخرجُ إلى من قد أمرته
بمحاربتك ويديك رغيّف كالثرس تدفع به السهام فلا تصيبك ، وأتبه ، وإذا قد
أخبرتني بأمر هذا الرغيّف فأشهد الله تعالى أننى قد وهبتُ كلّ ما فى نفسى عليك ،
وعدتُ لك إلى أجل ثبّة ، وأحسن طويّة . فاسكن وابسط . فأكب أبو جعفر
على يديه ورجليه يقبلهما .

وحدث^(٢) أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخى ، فى أيام عطلته وكبر سنه
ولزومه بيته ، قال : عرّضتُ علىّ أبى الحسن بن القرات رقعة فى حاجة لى ، فقرأها
ثم وضعها بين يديه ولم يوقّع فيها ، فأخذتها وقت [و] أنا أقول متشلا من
حيث^(٣) يسمع :

وإذا طلبت إلى كريم حاجةً فأبى فلا تعقّد عليه بحاجب^(٤)

(١) انظر المنتظم ١٩٢/٦ والفرج بعد الشدة ١٥٩/١ طبعة الصناديق ١٩٣٨ .

(٢) النصّة فى المستطرف طبع بولاق ١٣٨/١ الباب الثمانى والمشرون فى اصطناع العروف
وإغاثة اللهوف

(٣) فى الأصل : لم يسمع . والتصويب من السياق والمستطرف .

(٤) الشعر فى المستطرف كما ورد البيت الثانى فى المتعل ١٠٥ منسوباً لملك بن أسماء بن خارجة .

فَلَرُبَّمَا مَنَعَ الْكَرِيمُ وَمَا بِهِ نَجَلٌ وَلَكِنْ شُوِّمَ جَدُّ الطَّالِبِ
فَقَالَ وَقَدْ سَمِعَ مَاقَلَّتُهُ : ارجع يا أبا جعفر بغيرِ شُوِّمِ جَدِّ الطَّالِبِ ، ولكن إذا
سألتمونا الحاجة فعاودونا ، فإن الله تعالى يُقَلِّبُ الْقُلُوبَ ، هَاتِ رَقْعَتَكَ ، فَأَعْطَيْتَهُ إِيَّاهَا
فَوَقَعَ بِمَا أَرَدْتُ فِيهَا .

ولما طهرَ المقتدر بالله بعضَ ولده في سنة خمس وثلاثمائة . أنفذ إلى الوزير أبي الحسن
ابن الفرات ثلاث موائد ، استدارةُ المائدة الكبيرة منها خمسون شبراً ، يحملها حاملون
بدُهُوق^(١) ، ورِيمٌ أَنْ تُدْخَلَ مِنْ بَابِ الدَّارِ الَّتِي يَنْزِلُهَا ، فِضَاقٌ عَنْهَا ، حَتَّى قُلِعَ
وَوُسِّعَ الْمَوْضِعُ . وَحُمِلَ إِلَيْهِ فِي عَشَى هَذَا الْيَوْمِ تَحْتَانِ ، فِيهِمَا ثَوْبٌ وَثِيٌّ مَنْسُوجٌ
بِالذَّهَبِ ، وَثَوْبٌ أَخْضَرُ ، وَثَلَاثَةُ أَثْوَابٍ بَيْضَاءَ وَصِينِيَّةُ ذَهَبٍ فِيهَا دَنَانِيرُ وَلَوْزٌ وَجُوزٌ
وَفُسْتَقٌ وَبَنْدُقٌ ، وَمَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى مِنَ الْأَصْنَافِ ، وَجَمِيعِهِ مِنْ ذَهَبٍ ، وَقَدَرَهُ
خَمْسَةُ آلَافٍ دِينَارٍ .

وحدث أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن إسماعيل زنجي . قال : حدثني أبو صلح
مفلح الأسود خادم المقتدر بالله قال :

كان أبو القاسم سليمان^(٢) بن الحسن عند تقلده وزارة المقتدر بالله يكثر ذكر أبي
الحسن على بن محمد بن الفرات بحضرة المقتدر بالله والطنن عليه ، وتبين من المقتدر بالله
النُّكْرَةَ لما يسمعه منه ، فلما كان في بعض الأيام عادَ سليمانُ بن الحسنَ ذِكْرَ
ابن الفرات والوقية فيه ، فقال له المقتدر بالله :

أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ مِنَ اللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
قَالَ : فَتَأَمَّلْتُ سُلَيْمَانَ وَقَدْ امْتَنَعَ لَوْنُهُ وَمَا أَعَادَ بَعْدَهَا ذِكْرَهُ .

(١) الدهوق : الخشب يحمل عليه .

(٢) تقلد الوزارة أول مرة للمقتدر سنة ٣١٨ هـ بعد القبض على ابن مقله .

وحدث أبو علي زكريا بن يحيى الكاتب قال : كنت في ديوان السَّوَادِ في وزارة أبي الحسن بن الفرات الثانية في يوم الثلاثاء ، وكان أكثر الكتاب يُخلون بالحضور فيه ، وأصحابُ المجالس في مجلس الوزير أبي الحسن العظمى ، فوافي فراتق^(١) وقال لميمون الخازن : قال لك الوزير أحضرنى جماعة جازرَ والمدينة العتيقة لسنة أربع ومائتين ، فأخذها وركب بغل فراتق حتى لحق بالمجلس ، فلما انصرف ميمون وأبو الحسين الصقر بن محمد وأبو القاسم عبيد الله بن محمد الكلوزاني تحدّثوا أن زكريا بن يحيى بن شاذان عرض خُرْجاً في أمر قطعة بَرَّازَ المباركة كان أبو القاسم الكلوزاني أخرجه من مجلسه ، ووقع الكتاب أسماءهم عليه على الرسم في ذلك الوقت ، وعليه توقيع أبي منصور عبد الله بن جبير صاحب مجلس الأصل . فقال الوزير أبو الحسن : أصح ما في هذا الخُرْج من ذكر هذه القطعة سنة أربع ومائتين وهي على حَكٍّ ؟ لست أمضيه . فقال زكريا بن يحيى بن شاذان لأبي القاسم الكلوزاني : أخرجه . فتأمل الكلوزاني ذكر السنة ، فوجد تحت اسم الضيعة : هذه اللفظة على حَكٍّ ، بخط دقيق^(٢) فقال : ما أعرف حَكًّا ، وهذا خط عبد الله ابن جبير . فاعترف عبد الله بن جبير بخطه وقال : لما وجدت الاسم على حَكٍّ حكيت^(٣) الصورة . وأقام أبو القاسم على أنه لاحك هناك ، وحلف بأيمان غليظة لا يخرج له منها إلا بالطلاق والعِتاق وما شا كلهما على ذلك . فتقدم بإحضار ميمون الخازن والجماعة ، فلما تصفّحها الوزير وجد الحك وواقف الكلوزاني عليه . فحبل وتخيّر . وقتش الوزير التفصيل إلى أن انتهى إلى باب المبيع ، فكان حاصل برّاز المباركة مما بيع مُصَابَرَةً وأُسِبَتْ إلى القطيعة . فلم الوزير ومن حضر أن الحك في

(١) الفراتي ساعى البريد .

(٢) يعني أنه وجد كتابة بخط دقيق تنس على أن هذه اللفظة على حك .

(٣) حكيت الصورة . يعني أنه ذكر ما وجده وأثبت أنها عكوكه ، ويرى الأستاذ ميخائيل عواد أنها حككت الصورة .

الصدر على سبيل حيلةٍ ممن رَفَعَ ذِكْرَ الحَكِّ . وانصرف الكلوذانيُّ مسروراً ومن نُسب إليه الحَكُّ مغموماً . ووقع لابن شاذان بإمضاء القطيعة .

وحدث أبو منصور فرخان شاه بن إسحاق : أنه كان يوماً مع أبي الحسن على ابن الحسن بن هبنتي القناني بحضرة أبي الحسن على بن محمد بن الفرات وهو وزير في الدفعة الأخيرة ، فدخل إليه أبو بكر بن قرابة ، وجلس ودنا منه وسارّه بما لم نسمعه حتى نفّض أبو الحسن يده وأبعده وقال له جاهراً بالقول : أقول لى : لا يُوحِشُك شيءٌ بلغك عن امرأة ؟ ! والله لو علمتُ أتى إذا ذُكِرتُ الملك الروم وبين يديه بطارقته ، وملك التُّركِ وحواليه عُدَّه لم ترتد فرائصهما لما قعدت هذا المقعد ^(١) ! أنخوفنى من كلام امرأة ؟ عنى بذلك السيدة أم المقتدر بالله . فلما خرجنا من حضرته أقبل على أبو الحسن وقال لى : سمعتَ الكلام ؟ قلت : نعم . قال : هذا آخر عهد الوزير بالحياة . فما مضت مُدَيِّدَةٌ حتى قبض عليه .

وقال أبو الفضل بن حمد : دخل أبو الحسن على بن محمد بن نصر بن بسّام على أبي على بن مقلّة إلى ديوان الدار في وزارة أبي الحسن بن الفرات الأولى . فقال له أبو على : قال لى الوزير : قد تغيّر شعْرُ على بن محمد . فأخذ قلماً من دَوَاتِهِ وكتب فى رقعة شيئاً ، ودفعها إليه ، وسأله أن يعرضها على ابن الفرات وكان فيها :

قالوا تغيّر شعْرُهُ عن حاله فالسوقُ كاسِدةٌ بغيرِ تجارٍ
أما الهجاءُ فقد عرّاني كثرةً والمدحُ قلَّ لِقَلَّةِ الأحرارِ

وحدث أبو القاسم قريب بن قريب قال : رفع الفراجلة ^(٢) إلى أبي الحسن

(١) هكذا في الأصل ، ولعل صواب الجملة : لم ترتد فرائصى ولو قعدت هذا المقعد .

(٢) الفراجلة : هم السعاة وناقلا الرسائل .

ابن القرات : أن رجلا من اليهود ادّعى أن معه كتابا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأمره بإخراج الكتاب ، فلما قرأه قال : هذا مزور ، لأن خَيْرَ افْتُتِحَتْ بعد تاريخ كتابك بسبعة وستين يوما ، ولكنّا نَحْتَمِلُ عنك جزيتك إعظاماً لحقّ مَنْ لجأت بالاعتصام به . قال أبو القاسم قريب : فرُجِعَ إلى كُتُب التاريخ فوجد الأمر كما ذكره ابن القرات .

وقال أبو الحسن بن القرات في مجلسه وفيه خواصه وقد جرى ذِكْرُ السَّوَادِ : لم يُسَمَّ السَّوَادُ سواداً ؟ فذكر كلُّ واحد ما عنده . فقال : ليس كذلك ، إنما سُمِّيَ السَّوَادَ لأن العرب لما جاءت في أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأُشْرِفَ عليه ، ونظرت إلى مثل الليل من النخل والشجر والزرع والمياه قالت : ما هذا السَّوَادُ ؟ فسُمِّيَ سواداً لذلك . والعرب تقول : سَوَادُ الأرض وبياضها ، فالسَّوَادُ : العامرُ . والبياضُ العامرُ ^(١) .

وحدث أبو عمر بن الأَطْرُوش قال : كنت بحضرة أبي الحسن على بن القرات يوما وهو جالس للقواد ، فعرضَ أحمد بن عبد الرحمن بن جعفر بن الخياط رقاعاً كثيرةً ، فوقعَ فيها ، حتى بلغ إلى بعضها فقرأها ووضعها بين يديه ، فعاوده أحمدُ فيها ، فقال : يا هذا ، إن كان بيني وبين علي بن عيسى ما يعرفه الناسُ فإنني لا أدع الصدقَ عنه وقولَ الحقِّ فيه حيّاً كان أو ميتاً . عليُّ بنُ عيسى لا يُطْلِقُ يَدَهُ بمثل هذه التوقيعات في أموال السلطان ، ولا يَتَجَوَّرُ ، مع المألوف منه في الاستقصاء والاحتياط وتجنُّب ما يعيبه . وقد أمسكتُ عن أن أقول هذا القول حتى أحوَجَّتَنِي إليه .

وأؤمى إلى أن التوقيع مُرَوَّرٌ . فقبل ابن الخياط وقام .

والمُجمع بين أبي الحسن بن الفرات وحامد بن العباس وعلي بن عيسى في دار السلطان ، وعلي بن عيسى كالسَّكَّةِ^(١) المَحْمَاة على ابن الفرات ، لأنه قرر في نفس المقتدر بالله مكاتبتَه الجَنَابِيَّ^(٢) وَحَمَلَهُ الْأَلْطَافَ^(٣) إليه ، بدأ ابنُ الفرات فقال لعلي بن عيسى : يا أبا الحسن ، بعد السنِّ والوزارة والرئاسة والاستشهاد في الأطراف بالكفايةِ وَعُلُوِّ المَنْزَلَةِ صِرْتَ عَوْنًا لِهَذَا ! - يعني حامدا - قال علي بن عيسى : فكنْتُ كَنَارٍ صُبَّ عَلَيْهَا الْمَاءُ فَمَا نَاطَقَتْهُ بِحَرْفٍ . فقال له أبو القاسم بنُ الحواري - وكان يَحْطِبُ في^(٤) جبل حامد - : وأيُّ عيب في هذا ؟ الجماعة خَدَمَ السلطان يتصرفون على ما رآه لهم وأترهم به ، ومنازِلهم في الخُصُوصِ عنده غيرُ منقوصة ولا محطوبة . فقال ابنُ الفرات لحامد لَمَّا أُمْسَكَ علي بنُ عيسى : أيها الوزير ، متى رأيتَ وزيراً ضَمِنَ النَوَاحِي ، وخرج يطوف على الْعَالَتِ ، وَوَكَّلَ خِدْمَةَ الْخَلِيفَةِ وَعِلْمَ سِرِّهِ وتدييرَ الْعَامَةِ والخاصة إلى ضده ، اللهم إلا أن يكون اشتاق إلى وطنه وداره ؟ - يُعَرِّضُ بأنَّ له مَالًا مستورا يريد مراعاته - فتَحَيَّرَ حامدٌ وأمسك . فلما أَمْسَكُوا قال ابنُ الفرات : لأيِّ شَيْءٍ جُئْنَا . فقال حامد : لتبينَ للسلطان خياناتك . فبسم وقال : فَبَيِّنْ - بارك الله عليك - فإن كفايتك^(٥) حسنة . قال : كنتُ تَرْتَفِقُ^(٦) من العمال . قال : أنتَ أَحَدُ عَمَّالِي فإن كنتُ ارتفعتُ منك أَوْ سَاحَتُكَ بفضلٍ في يدك أَوْ حَقٌّ تَرِكَ لَكَ فاذكر ما يجب عليك رَدُّهُ لِيَلْزَمَنِي أَرْضُ^(٧) الجَنَايَةِ في المَسَاحَةِ به والخيانة فيه .

(١) السكة : الحديدية التي يشق بها الأرض .

(٢) الجَنَابِي : هو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد القرمطي .

(٣) الْأَلْطَاف : الهدايا جمع لطف .

(٤) يقال حطب في جبل فلان : يراد به أنه أعانه ونصره .

(٥) في الأصل : كفايتك .

(٦) يعني أنه كان يأخذ منهم أموالا على سبيل الإهداء رشوة له .

(٧) الأرض : الدية .

فأخذ حامد في السفه والشتيمة وابن الفرات مُطْرِقٌ يتبسم . وأمر القوم بالانصراف ، فخرج عليُّ بنُ عيسى وهو يقول : ما كان أغنانا عن هذا الاجتماع .
 فحدث مؤنس بن عبد الكريم قال : قال لي الحسن بن علي بن الفرات :
 كتبتُ أبي وهو محبوس وأشرت عليه بأن يضمن حامدا وعليَّ بن عيسى وأسبابهما فامتنع ، وقد كان القتدرُ بالله يعرض ذلك عليه فيأبى . وقال لرسولي : العافية أعفى لي ، قد استرحتُ وأمنتُ وعلتُ سني مع ذلك ، وتعرضي لما قد استرحتُ منه جهلٌ . فلما خاطبه ابنُ الحواري بما خاطبه به أحفظه ^(١) فضمن القوم علي أن لا يعارض فيهم ، وخرج ففعل الحسنُ ابنه الأفاعيل المشهورة ، وقتل ابن الحواري وغيره . فلما قبض عليه قام في نفسه أنه مقتول وقال لشفيع وقد تسكَّبه : قل لأمر المؤمنين : إن آمنتني وحيثني أعطيتك مالا كثيرا وجوهرا خطيرا وأشياء نفيسة ذخرتها ، وإن سلمتني إليهم لم أعطك والله حبه واحدة . فلم يُورد شفيع هذه الرسالة على القتدر ، لشيء كان في نفسه على ابن الفرات . فلما أمر بتسليمه إلى ابن بُعْدِ شَرٍّ قال لشفيع : يا أبا الفصن ، ليس بيننا إلا عبور دجلة والوفاء بأحد الضمَّانين . فوفا بما قال ، ولم يُعطهم شيئا .

وكان المكتفي بالله أمرَ العباس بن الحسن أن يُجرّد جيشا إلى الحاج ، فإذا انصرفوا وحصلوا بالكوفة طلبَ حينئذ زكرويه ^(٢) . فقال له العباس : إلى رجوع الحاج ربما يكفي الله مؤنته . وجلس العباس في داره وعنده وجوه الكتاب والقواد ، فقال لهم : إن أمير المؤمنين أمرني بكذا وكذا ، وإني أشرت بترك طلب

(١) أحفظه : أغضبه .

(٢) لعله هو يحيى بن زكرويه القرمطي كما في المنتظم ٣٨/٦ ، ٤٣ فإنه هو الذي كان في أيام المكتفي الذي تولى الخلافة سنة ٢٨٩ وقد قتل المصريون يحيى بن زكرويه على باب دمشق في سنة ٢٩٠ .

زكرويه ، فإن الله سيريح منه قبل وقتِ الحاج . فأترون ؟ فكلُّ صَوَّبَ رأيه ، وأبو الحسن بنُ الفرات ساكتٌ لا ينطق . فقال له العباسُ : ما عندك يا أبا الحسن . قال : أَلَّا تُخَالَفَ أميرَ المؤمنين ، فإنَّ ما رأى صواب كان توفيقاً ، وخطأ كان على رأيه دون رأيك ^(١) .

فأقام على رأيه الأول وكان من الوقعة بالحاجِّ ما كان ^(٢) .

وكان الحسين بن حمدان ورد إلى باب الشَّامِسيَّة ليدخل إلى حضرة المقتدر بالله ، فوقف أبو الحسن بنُ الفرات على أنهم يُريدون القتْلَ به . فكتب إليه مبتدئاً : قرأتُ كتابك تذكُرُ عِلَّتكَ بالنَّقْرِس ، وانلِمْ تُوافيك بمكانك .

فهم المعنى وتعالل ، فوجَّه إليه بالخَلْعِ وولى ديارَ ربيعةَ وغيرها .

وقال أبو بكر بن قرابة : شكى إلى أبي الحسن بن الفرات عاملُ قُطْرُبُل وإغفاله عمَلَ البرَزْدَات ^(٣) . فَوَقَّعَ إليه : ينبغي أن تراعى العمل قبل الوقت للوقت ، وفي الوقت للوقت

قال : وسمعتَه يقول : العامل في أوَّلِ سنة أعمى ، وفي الثانية أعور ، وفي الثالثة بصير .

قال : وجاراني يوماً ذِكَّرَ أبى علىَّ بن مقلَّة وسِعَايَتَه به ، فقال لى : سبيلُ كلِّ عاقل أن يتَحامى هذا الرجلَ ولا يَقْبَلَهُ ، فقد كان جرى مثل أمره في أيام

(١) يريد أنه إن كان أصاب في رأيه فذلك توفيق من الله وإن كان خطأ فهذا رأى الخليفة دون رأى العباس .

(٢) انظر أمر الوقعة في كتب التاريخ حوادث ٢٩٤ والمتنظم ٥٩/٦ .

(٣) البرَزْدَات : الجسور .

إسماعيل بن بُنْبُل ، وذلك أنه كثرت شكوى المعتمد إلى أخيه الموفق من إسماعيل ، فأراد الموفق أن يقضى حَقَّهُ بصرفِ إسماعيل إلى أن يَسْكُنَ ما في نفس المعتمد ، فقال له : اخرجْ إلى ضياعك بِكُوْتَى وَأَقِمْ فيها مدة شهرٍ معزلاً للعمل ، ثم عُدْ بعد ذلك . وقلدَ مكانه الحسن بن مخلد . فاستخلف الحسنُ أبا نوح ، وكان أبو نوح يكتب إسماعيلَ بن بلبِلَ بأخبار الحسن ، فلما عاد إسماعيل إلى الوزارة حضره أبو نوح ، وجعل يخاطبه مخاطبةً مأنوسٍ به . وإسماعيل يَلْوِي وجهه عنه . فلما خلا به أقبل عليه وقال له : إن الحال التي قدَّرتها قَرَّبَتْكَ مِنِّي هي التي نَفَرَتْني منك ومنعتني الثقة إليك ^(١) ، لأنك إذا لم تَصْلُحْ لمن اصطنعك ورفعك وقلدك من العمل أكثر مما قلدْتُكَ لم تَصْلُحْ لي ، وما أحِبُّ كونك بخضرتي ولا اختلاطك بخاصتي . فاختر بريدَ ناحيةٍ تُشاكل طبعك .

فاختار بريدَ ماء البصرة ، فقلده إياه .

وقال أبو الحسن بن قراية : سمعتُ أبا الحسن بن الفرات يقول للكاتبِ تُنجح وقد سأله تضييعة الصَّدَقَاتِ بفارس : إنما يُرْغَبُ في عقد الضمان على تاجرٍ مَلِيٍّ ^(٢) ، أو عاملٍ وِفِيٍّ ، أو تانيءٍ ^(٣) غنيٍّ . فأما أصحابُ الحروب فَعَقْدُ الضمان عليهم ومطالبَتُهُم بالخروج من أموالها تستدعي منهم العصيان ، وخلع طاعة السلطان .

قال : وسمعتَه يقول : من وازن من الكُتَّابِ الحاسبة ، وأوضحَ الحجَّةَ في المكاتبة ، وألزمَ العاملَ الواجبَ في المعاملة ، كان حقيقاً بما انتسب إليه .

(١) المروف أنه وثق به . ولكنه ضمنها معنى الركون : أي الركون إليك .

(٢) الملى : المقندر النقي .

(٣) في الأصل تان . ويجوز أنها خفت همزتها ، والتانيء : المقيم بالمكان .

قال : وسمعت يقول : العِمَارَةُ بالرَّغْبَةِ ، وَحِفْظُ النَّفَّةِ بِالرَّهْبَةِ . فَقَلَّ اسْتِخْرَاجُ^(١) وَقَعَ فِي أَيَّامِ عِمَارَةٍ إِلَّا أَبْطَلَهَا . وَقَدْ كَانَ عبيد الله بن يحيى يكتب إلى العُمَالِ فِي أَيَّامِ العِمَارَةِ : أَغْلِقُوا أَبْوَابَ دَوَابِنِ الْخِرَاجِ ، وَاصْرِفُوا الْمُسْتَخْرِجِينَ مِنْ حَضْرَتِكُمْ .

قال : وسمعت هشام بن عبد الله يقول : كتب أبو الحسن بن الفرات إلى نُجَيْشٍ - وَقَدْ أَنْفَذَ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ الْمَادِرَائِيَّ مُتَقَلِّدًا لِلْخِرَاجِ بِدَاوَا بِجُرْدَ ، مِنْ عَمَلِهِ : السِّيفُ تَابِعٌ وَالْقَلَمُ مُتَبَوِّعٌ ، وَقَلَّ سَيْفٌ غَلَبَ الْقَلَمَ إِلَّا كَانَ دَاعِيَةً الْخِرَابِ .

ولما قدم عبيد الله بن سليمان من الْجَبَلِ فِي أَيَّامِ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ صَارَ إِلَيْهِ أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَبُو الْحَسَنِ ابْنَا الْفَرَاتِ فِي عَشِيِّ يَوْمٍ ، فَوَجَدَاهُ يُمَيِّزُ أَعْمَالًا وَكُتُبًا ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ كَانُونٌ عَظِيمٌ يَحْرِقُ مَا لَا يَخْتِاجُ إِلَيْهِ ، فَدَفَعَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ إِضْبَارَةً ضَخْمَةً وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْعَبَّاسِ هَذِهِ الْإِضْبَارَةُ وَقَائِعٌ وَسَعَايَاتُ بَكَ وَبَأَخِيكَ مِنْ أَسْبَابِكُمْ وَثِقَاتِكُمْ وَصَنَائِعِكُمْ وَرَدَتْ عَلَى الْجَبَلِ ، فَخَبَأَتْهَا لَكَ لِتَعْرِفَ بِهَا مَنْ يَنْبَغِي أَنْ تَحْتَرِسَ مِنْهُ ، وَتُعَامَلَ كُلُّ وَاحِدٍ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ .

فَأَكْثَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي شُكْرِهِ وَالِدَعَاءِ لَهُ ، وَبَدَأَ أَبُو الْحَسَنِ يَقْرَأُ شَيْئًا مِنَ الْإِضْبَارَةِ ، فَاتَّهَرَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ وَقَالَ : لَا تَقْرَأْ شَيْئًا مِنْهَا . وَأَخَذَهَا فَطَرَحَهَا فِي الْكَانُونِ وَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَقَابِلَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى مَا وَهَبَهُ لِي مِنْ تَفَضُّلِ الْوَزِيرِ بِمَا يُوجِبُ الْإِسَاءَةَ إِلَى أَحَدٍ ، وَلَا حَاجَةَ لِي إِلَى قِرَاءَةِ مَا يُوحِشُنِي مِنْ أَسْبَابِي ، وَيَجْرُؤُ عَلَيْهِمْ إِسَاءَةٌ مِنِّي .

فلما نهضنا قال عبيد الله بن سليمان : أَرَدْتُ التَّنَفُّدَ بِمَكْرُمَةٍ فَسَبَقَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَيْهَا وَزَادَ عَلَيَّ فِيهَا .

قال وحدثني ابن الأجرى صاحب ابن الفرات قال : كنت لا أكاد أحضر

مجلس الوزير أبى الحسن إلا ليلاً ، فحضرت يوماً نهراً لأمر سألته ابن أبى البغل ، فوجدت عنده الحسن ابنه ، فلم أخاطبه بشيء خوفاً من بواده وشره ، حتى نهض وخلا المجلس ، فقلت له : ابن أبى البغل يعلم محلى من الوزير ، وصار إلى البارحة ليلاً فقال لى : لم أجد من آمنه على نفسى غيرك ، وقد قصدتك لتستأذن لى الوزير فى الخروج إلى عبّادان لأقيم بها وأليس الصوف وآمن على نفسى . قال : وإذا الحسن قد عاد ، فأمسك أبو الحسن حتى قام ، ثم قال : قد عرفت ذنبه إلا أنه قد لزمك ذِمّاهُ^(١) ، ومن لزمك ذِمّاهُ التزمناه ، لأنك واحد منا ، وغير منفصل عنا ، فلا تَمْلِكَنَّ بهذا أحداً ، وهذا صكٌّ على ابن فلانة بثلاثة آلاف درهم فيجعلها نفقته . قال : فأخذت الصكَّ وخطّه بالإذن له ، وعدت إلى الدار فوجدت ابن أبى البغل قد صعد السطح ، وألقى نفسه فى خربة تجاوزنا ومضى . فعلت إلى الوزير وحدثته بالصورة ، فأخذ الصكَّ وأمر بطلبه وقال : والله لو قتل أولادى جميعاً ثم دخل دارك لكان ذلك أماناً له وحققاً لدمه .

وحكى أن ابن الفرات اجتاز يوماً فى بعض الطرق ، فاتفق أن سار تحت ميزاب^(٢) ، فوقع عليه منه ما لوث ثيابه وسرجه ودابته ، فوقف فى الطريق ، وأنفذ إلى داره من يُحضِرُهُ خِلعة ثياب أخرى ، فراه رجل عطّار كان فى الموضع ، فقام إليه ، وسأله أن يدخل إلى منزله ويقيم فيه إلى أن يعود الرسول بالثياب . ففعل وأقام عنده ، وخلع ما كان عليه ، وتنظف بالماء مما كان أصابه ، وأحضره الغلام الثياب فلبسها ، ثم سأله العطّار أن يأذن له فى إحضار بخور يَبَخَّرُ به ، فأذن له ، وركب أبو الحسن . ومضت الأيام ، فلما ولي الوزارة كانت حال العطّار قد اختلفت

وَرَزَحَتْ^(١) ، فقالت له زوجته : لومضيتَ إلى الوزير وتعرّفتَ إليه بخدمتك كانت له^(٢) لرجوتَ أن ينظر في أمرك نظراً تُغيّر به حالك . فأعرض عن قولها واستبعد الأمل مما ذكرته ، ثم أُلحّت عليه في القول ، فمضى ودخل دار أبي الحسن وتعرض له إلى أن رآه فأمسك وانصرف ، فعرفَ زوجته ماجرى ، فأشارت عليه بالعود ، فعاد ومعه رقعةٌ يستميحُه^(٣) فيها ، ولم يزل حتى وجد فرصة منه فعرضها عليه ، فلما وقف عليها قال : سل حاجةً تُقضى لك ، واتفق أن صار إليه من خاطبه في أمر كاتبٍ للعيال^(٤) كان محبوساً ، وسأله مسألة الوزير إطلاقه ، وضمن له خمسة آلاف دينار في خاصه ، وللوزير عشرين ألف دينار على يده^(٥) ، وللحواشي خمسة آلاف دينار ، ووافقه على تعديل^(٦) المال عند بعض التجار بالكُرخ . فلما توثّق منه قصد الوزير ومعه رقعةً بالصورة ، فأمره بحمل المال ليُطْلَقَ له الرجل ، فحمل المال ، فلما حصل في الدار منعه بعض الخدم من إدخاله إلى الخزانة إلى أن يؤذن في قبضه . وعرف الوزير أمره ، فتقدم إلى العطار أن يُفَرِّقَ ما للحاشية عليهم ويأخذ جميع الباقي لنفسه . وأمر بإطلاق كاتبِ العيال ، فاستعظم العطار ذلك وملاً قلبه ، ورأى قدره يصغر عن مثله ، فقال للوزير : يُقْنِني من هذا كله ألف دينار أُغيّر بها حالي . وأجعلها رأسَ مالي ، فقال له : خذ الجميع عافاك الله ولا تُكثِرْ عَلَيَّ في الخطاب . فخرج من حضرته وصار إلى أبي أحمد الحسن ، وعرفه الحال ، وأنه يقنعه اليسير مما أُعْطِيَ ، وأوْمنى إلى تحلّي الباقي إليه ،

(١) يريد بقوله رزحت أنها ضعفت جداً كما يرزح الجمل بأن يستط وياصق بالأرض ولا يستطيع النهوض هزلاً وتعباً وقد تكون الكلمة : رزح « بشديد الزأى يقال رزح الرجل ترزيماً » إذا ضعف وذهب ما بيده .

(٢) أي بخدمتك التي كانت له (٣) يستميحه : يسأله العطاء

(٤) هكذا هي في الأصل ولعلها محرقة عن المال

(٥) يده : معروفه . وقد يكون المراد أن يؤدي هذا المتوسط بنفسه المشرين الألف الدينار إلى الوزير .

(٦) يقصد بتعديل المال أن يقيمه ويضعه عند بعض التجار .

فقال له أبو أحمد : يا أمر لك الوزير بشيء وأصابعك عليه ! خذ المال وانصرف .

ولأبي الحسن بن الفرات :

خَلِيلِي قَدْ أَمْسَيْتُ حَيْرَانٌ مُوجِعًا وَقَدْ بَانَ شَرِيخُ^(١) لِلشَّبَابِ فَوَدَّعَا
وَلَا بَدَّ أَنْ أُعْطِيَ اللِّذَازَةَ حَقَّهَا وَإِنْ شَابَ رَأْسِي فِي الْهَوَى وَتَصَلَّعَا
إِذَا كُنْتُ لِلْأَعْمَالِ غَيْرَ مُضَيِّعٍ فَمَا حَقُّ نَفْسِي أَنْ أَكُونَ مُضَيِّعَا
وَحَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ مَقْلَةَ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ يَقُولُ دَفْعَاتٍ :
مَا بَخَلْتُ بِشَيْءٍ قَطُّ إِلَّا نَدِمْتُ عَلَى بُخْلِي بِهِ .

ولابن بسام في أبي العباس أحمد وأبي الحسن عليّ ابني الفرات :

لِي أَحْمَدَانِ لِدُنْيَايَ^(٢) وَآخَرَتِي وَلِي عِلْيَانٌ فَانْظُرْ مِنْ أَعْدَدِي
مِنْ خَاتَمِ الْمُلْكِ أَضْحَى وَسَطَ خَنْصَرِهِ وَمِنْ عَلَا كَتِفِيهِ خَاتَمُ الرُّسُلِ
فَلِلشِّفَاعَةِ حَسْبِي أَحْمَدٌ وَعَلِيٌّ^(٣) وَلِلْمَعِيشَةِ حَسْبِي أَحْمَدٌ وَعَلِيٌّ^(٤)
مِنْهُمْ يَأْتِنِينَ مَا حَاوَلْتُ يَسْهَلُ لِي كَمَا يَأْتِنِينَ إِنْ قَصَّرْتُ يُفْقِرُ لِي
تَشَبَّثْتُ رَاحَتِي مِنْهُمْ بِأَرْبَعَةٍ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالتَّائِمِلِ وَالْوَجَلِ
وَلَهُ أَيْضًا فِي هِجَائِهِمْ :

يَا رَبِّ إِنَّكَ عَدْلٌ عَلَى الْبَرِّيَّةِ شَاهِدٌ

بَنُو الْفَرَاتِ ثَقَالٌ وَكُلُّهُمْ لَكَ جَا حِدٌ

ثَلَاثَةٌ لَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا ثَقِيلٌ وَبَارِدٌ

يَا رَبِّ إِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنْ ثَقِيلٍ فَوَاحِدٌ

ولعبد الله بن المعتز إلى أبي العباس بن الفرات :

(١) شرح الشباب أوله ووريهاته
(٢) أحمد وعلي هما سيدنا محمد رسول الله وعلي بن أبي طالب .
(٣) أحمد وعلي هما ابنا الفرات .
(٤) يصح أن تعد أيضاً فيقال دنياي .

يادهرُ غَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ سَوَى رَأَى أَبِي الْعَبَّاسِ فَاتْرُكْهُ لِي
 قَدْ كَانَ لِي ذَا مَشْرَبٍ طَيِّبٍ حِينَ فَشِيبَ الْآنَ بِالْحَنْظَلِ
 عَيْنٌ أَصَابَتْ وَدَّهَ لَارَأَتْ وَجْهَ حَبِيبٍ - أَبَدًا - مُقِيلِ
 إِنْ كَانَ يَرْضَى لِي بِذَا أَحَدٍ فَلَيْسَ يَرْضَى لِي بِهَذَا عَلِيٍّ
 وللبحرئى في أبي العباس :

كُرمٌ أَنْجَزَ الْمَوَاعِيِدَ حَتَّى رَدَّ فِيهَا نَسِيئَةَ ^(١) الْوَعْدِ نَقْدًا
 كَلِمًا قُلْتُ أُعْتَقَ الْمَدْحُ رِفِّي رَجَعْتَنِي لَهُ أَيَّادِيهِ عَبْدًا

وحدث ^(٢) أبو الحسين علي بن هشام قال سمعت : أبا الحسن علي بن محمد بن القرات يحدث قال : كان النهيكي العامل قد لازم أبا القاسم عبيد الله بن سليمان في نكته ، فلما ولي الوزارة قلده بأدرويا ، وكان يتقلدها حيلة العمال . ولقد سمعت أبا العباس أخى يقول : من استقل ببادوريا استقل بديوان الخراج ، ومن استقل بديوان الخراج استقل بالوزارة ، وذلك لأن معاملاتها مختلفة وقصبتها الحضرة ^(٣) ، والمعاملة فيها مع الأمراء والوزراء والقواد والكتّاب والأشراف ووجوه الناس ، فإذا ضبط اختلاف المعاملات ، واستوفى على هذه الطبقات صلح للأمر الكبار . قال أبو الحسن بن القرات : فأقام النهيكي في عمالة بادوريا نحو سنتين ، تقلد فيها عبد الرحمن بن محمد بن يزداد ثم أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الأصبع ديوان الخراج في أيام عبيد الله بن سليمان ، فلما أطلقت أنا وأبو العباس أخى من الاعتقال ، وتقلد أخى ديوان الخراج والضيايع ، وخلفته عليهما . عاملنا النهيكي ، فكنا إذا كاتبناه برفع الحساب لم يجبنا ، وإذا خاطبناه بشيء في أمر العمل لم يحفل بنا ، إدلالاً

(٢) نشوار المحاضرة ١٦/٨ .

(١) النسيئة : التأخير .

(٣) في نشوار المحاضرة : وأنها عرصة الملكة .

بمكانه من الوزير وعفته ، وكان غنيا ، فلما طال ذلك منا ومنه شكواه إلى الوزير ، فوكل به من لازمه حتى رفع حسابه لعدة سنين ، وتشاغل بعمل مؤامرة ، فلم أجد عليه كبير تأوّل . وحضرنا بين يدي الوزير لمناظرته ، وقد كنت صدّرتُ أوّل باب من المؤامرة بأنّه فصل تفصيلاً لثمن الغلّة المبيعة جملته على موجب التفصيل أكثر من الجملة التي أوردتها بألف دينار ، فقال : أتتبع . فتبع إلى أن صحّ الباب . فقال : وماذا يكون ؟ هذا غلطٌ من الكاتب في الجملة . فبدأتُ أكلّمه . فأسكتني أخى ، وأقبل على الوزير فقال : أيها الوزير ، صدق . هذا غلط في الحساب ، فالدينير في كيس من حصّلت ؟ فقال الوزير : صدق أبو العباس ، والله لا وليت عملاً يالِص . ثم أتبعْتُ هذا الباب بباب آخر ، وهو ما رفعه ناقصاً عمّا كتب به من كليل غلّة عند قسمتها ، فلما توجهتُ عليه الحجة قال : أريد كتابي بعينه ، فبدأتُ أكلّمه ، فأسكتني أخى وقال : هذا أيها الوزير طعنٌ على ديوانك ، ونسخُ الكتب الواردة والنافذة شاهدٌ عدل . فقال : صدق يا عدو الله . وأسرّ بجره فجرّ . وما برحنا حتى أخذنا خطّه بثلاثة عشر ألف دينار فأهلكناه بها ، وما عمل كبير عمل بعدها .

وحدث^(١) أبو الحسين قال : سمعت أبا الحسن بن الفرات يقول : ناظرت الجهمط أحدَ العمال على مؤامرة قد عملناها له ، وكنت أنا وأخى نأخذ خطّه بباب باب ، فلما كثُر ذلك قال لي سرّاً : ليس العملُ في الخطّ ، العملُ في الأداء ، وستعلمون أنكم لا تحضّون منى على شيء ، فسمعتُه أنا وسمعه الوزير أبو القاسم عبيدُ الله بن سليمان ، لأننا كنا في مجلسه ، فقال له : أعد ما قلت . فاضطرب . فقال : لا بدّ أن تُعيده . فأعاده . فقال : إذن لا تلى لي والله عملاً أبداً ،

ثم عافاك الله إلى منزلك . خَرَّقُ يا غلامُ المؤامرة . فَخَرَّقَتْ في الحال ، وانصرف
الجهظُ ، وما صَرَفَهُ الوزير بعد ذلك . وشاع حديثه فتحاماه الناس كلُّهم ، وهلك
جوعاً في منزله حتى بلغني أنه احتاج إلى الصدقة .

وحدث ^(١) أبو الحسين قال : حدثني سليمان بن الحسن بن مخلد قال : قال
لي ناقدٌ خادمُ أبي وثيئة وكان يتولى نفقته : ما رأيت أجسرَ من مولاي على أخذ
مال السلطان ، ومن ذلك أتى باكرته يوماً وقد لبس سَوَادَهُ لِمِصْىَ إلى دار المعتضد
على الله ، وهو إذ ذاك يتولى دواوين الأزيمة والتوقيع وبيت المال ، فقلت له :
قد صَكَّكَ عَلَى ^(٢) البارحة للعاملين بألف وستمائة دينار ، وما عندى منها
حبة واحدة . فقال لي : يا بغيض ، تُخاطبني الساعة ! أين كُنْتَ عن خطابي
البارحة لأوجه وجهاً ما لها ^(٣) ؟ ولكن اتبعني إلى دار السلطان . فتبعته ، ودخل
إلى المعتمد مع الوزير عبيد الله بن يحيى ، ودخل معهما أحمد بن صالح بن شيرزاد
صاحب ديوان الخراج . فلما خرج قال : امض إلى صاحب بيت المال فخذْ منه
ما يدفعه إليك . فظننته قد استسلف شيئاً على رِزْقِهِ ، ومضيت إليه ، فأعطاني
ثلاثين ألف دينار ، فاستكثرت ذلك ، وعلمت أنه ليس من الرزق ، وحملتُها
إلى الدار وعَرَفْتَهُ خبرَها . فقال لي : أَطْلِقْ منها ^(٤) ما وَقَعْتُ به إليك ، واحفظ
الباقى ، فليس يَتَّفَقَ في كُلِّ وقتٍ مثلُ ما اتَّفَقَ . ومضى للحديث أياماً ، ودعا
دعوة فيها صاعد بن مخلد - وإليه إذ ذاك عِدَّةُ دواوين - وجماعةٌ من الكُتَّابِ ،
فأكلوا وناموا واتَّهبوا ، فإذا كاتب من كُتَّابِ أحمد بن صالح بن شيرزاد يستأذن

(١) نشوار المحاضرة ٢٢/٨

(٢) صك عليه صكاً : كتب عليه كتاب الإقرار بالمال وغير ذلك .

(٣) في الأصل : لأوجه وجه مالم . وفي نشوار المحاضرة : لأوجه لها وجهها .

(٤) في نشوار المحاضرة : أنفق .

على مولاي ، فأذن له ، وقام إلى مجلس واستدعاه إليه ، فسمعتة يقول له : أخوك أبو بكر يقرأ عليك السلام - يعني أحمد بن صالح - ويقول : أنت تعرف رُسمي مع صاحب بيت المال ، وأنَّ محاسبته في سائر الأموال إلى ، وإذا تمت ثلاثون يوماً وَجَّهْتُ حاجبي إلى الخازن لحمله مع صاحب بيت المال إلى ديواني لينتظم دُستورُ الخِتمَةِ بحضرتي ، ونحن في ذلك منذ عشرة أيام ، حتى تكاملت الخِتمَةُ ولم يبق إلا ثلاثون ألفَ دينار ، ذكرَ صاحب بيت المال أَنَّكَ خَرَجْتَ إليه من حضرة الخليفة وأمرته بحملها إلى خادمك ناقد ، ولست أدري في أي جهة صُرفَتْ ولا ما الحِجَّةُ فيها . فأجابه مولاي بغير توقف وقال : أخى أبو بكر والله رقيقٌ ، أسألُ أنا الخليفة في أي شيء صرفَ ما استدعاه إلى حضرته ؟ يجب أن يُكْتَبَ في الخِتمَةِ : وما حُجِّلَ إلى حضرة أمير المؤمنين في يوم كذا وكذا ثلاثون ألفَ دينار . قال : فقام الكاتب خجلاً ومرَّ ذلك في الحساب على هذا ، وما تَنَبَّه عليه أحد :

قال أبو الحسين ^(٢) وقال لي سليمان بعقب هذه الحكاية : وما رأيت لهذه القِصَّةَ شبيهاً إلا ما فعله أبو الحسن بن الفرات في وزارته الأولى ، فإنه نَصَبَ يوسف ابن فنحاس ^(١) ، وهارون بن عمران الجهميَّ ، فلم يدعْ مالا لابن المعز والعباس ابن الحسن ومن نُسِيبَ وقُتِلَ في الفتنة ، وما صَحَّ من مال المصادرين وغيرهم ممن يجري تجراهم إلا أجراه على أيديهما دون يدَي صاحبي بيت مال الخاصة والعامة ، وأفرد ابن فرجويه كاتبه بمحاسبتهما والاستيفاء عليهما ، فكان يحاسبهما ولا يرفع إلى الدواوين شيئاً من حسابهما . فلما كان في السنة التي قبض عليه فيها كتب

(١) نشوار المحاضرة ٢٣/٨ .

(٢) في الطبوع : فيجاس أو بنحاس . والتصويب من نشوار المحاضرة .

كتاباً عن نفسه إلى مؤنسٍ صاحب بيت المال ذكر فيه أنه حُوسِبَ يوسفُ ابن فنجاس وهارون بن عمران على ما حصل عندهما من كيت وكيت - حتى استغرق الوجوه - وكان الباقي قِبَلَهُمَا بعد الذي حُجِلَ إلى حضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، وصُرِفَ في مُهِمَّاتٍ أَمَرُ بِهَا هو والسادةُ أَيَّدَهُمُ اللهُ ، من الورق ألفُ ألفٍ وأربعمائةٍ وسبعون ألفاً وخمسمائةً وستةً وأربعون درهماً . وأمره بِقَبْضِ ذلك منهما وإيراده بيت المال الخاصة ، فقبضه مؤنس منها ، ومضى الأصل كُلُّهُ لا يُعْرَفُ في أى شيء صُرِفَ ، وكان مبلغه فيما ظنَّه الكُتَّابُ - وكانوا يَتَعَاوَدُونَهُ ^(١) - نحو ألف ألف دينار . وفاز ابنُ الفرات بالمال ، ولم يَقُمْ به حُجَّةٌ عليه .

قال أبو الحسين ^(٢) : فحدثني أبي بعد ذلك قال : لما قَدَّنى أبو الحسن على ابن عيسى في وزارته الأولى ديوانَ الدَّارِ الجامعِ للدَّوَّائين ، أمرنى بإحضار هذين الجُهْدَيْنِ ومطالبتيهما بِخَتَمَاتِهِمَا لِمَا كَانَ حصل في أيديهما أيام وزارة ابن الفرات الأولى من الجهات المقدم ذكرها . فاستدعيتهما وطالبتيهما ، فأحالاً على أن ابن الفرات أخذ حسابيهما ، وأعلتُ علىَّ بن عيسى بذلك ، فأمرنى بِحِسْبِهِمَا وتهديديهما ، ففعلت . وأحضراتى حساباً مُسَوِّدًا لم يكن منتظماً ولا مُتَسِقًا ، ولم أزل أُلْطِفُ بهما حتى أقرَّ بأنهما وصلَ إليهما من فَضْلِ الصَّرْفِ مما ورد على أيديهما وأنفقاه مائة ألف درهم ، وقَرَّرْتُ ^(٣) عليهما عشرة آلاف دينار ، وأخذت

(١) كذا في الأصل ونشوار المحاضرة ولعل معناها أنهم يراجع بعضهم بعضاً في ذلك ويسائل كل منهما الآخر عنه مرة بعد مرة .

(٢) نشوار المحاضرة ٢٤/٨ .

(٣) في نشوار المحاضرة : فجلتها عشرة آلاف دينار .

خطهما بها ، فلم يقنع أبو الحسن علي بن عيسى بذلك ، وأخذها من يدي ، وسلمهما إلى حمد بن محمد ، وكان إليه ديوان المغرب ، وأمره بأن يتبع أمرهما بنفسه ، من غير أن يعرفه ما أخذت خطهما به ، فنظر حمد في ذلك ، ولم يجد في الحساب إلا إحالات على : حُل إلى الخليفة والسادّة ، وشيء انصرف في خاص نفقات ابن الفرات . فقال له حمد : هذا مال مسروق والقوم معهم حجة بالابراء وما عليهم طريق . وقد كان ابن الفرات أجلد من أن يدعمهم فيفوزون بحجة من المال .

قال ^(١) أبو الحسين : قال أبي : فردهما الوزير أبو الحسن إلى وقال : اجتهد في إلزامهما مائتي ألف درهم . فقلت : لا يمكن ذلك . فقال : اعمل على أنك طالبتهما بمرفق ^(٢) لنفسك يكون تمة المائتين . فقلت : إذا فعلت هذا فأى شيء يحصل لي ؟ قال خذ منهما ^(٣) عشرين ألف درهم وأزمهما مائة وثمانين . فخرجت وجددت بهما حتى أزمتهما ذلك ، وأخذت لنفسى ما أعطانيه . فلما فرغت أخذت لهما خطه بالبراءة . فقال لي أبو الحسن علي بن عيسى : سأرسيك موضعى أنا من العمل ، فإن للرئيس في كل أمر موضعا لا يقوم فيه أحد مقامه . فأحضرهما إلى حضرته وأنا بين يديه وقال لهما : تريدان منى أن أزيل عنكما تبعّة إن لم أزيلها بقيت عليكما وعلى أورتكما أبداً ، ولست أفعل ذلك إلا بعروض قريب لا ضرر فيه عليكما ، وهو أنتى أحتاج في مُستَهَل كل شهر إلى مال أطلقه في ستة أيام ، منه للرجالة ما مبلغه ثلاثون ألف درهم ^(٤) . وربما لم يتجّه لي في أول يوم من الشهر ولا في ثانية ، وأريد أن تُقرضاني في أول كلّ شهر مائة وخمسين ألف درهم ، وترجعانها من مال الأهواز في مدة أيامه ^(٥) ؛ فإن جهّدت ^(٦) الأهواز إليكما ، ويكون هذا المال سلفاً واقفاً لكما أبداً .

(١) نشوار المحاضرة ٢٥/٨ : المرفق : ما انتفعت به

(٢) في الأصل : يحصل لي مال خدمتهما والتصويب من نشوار المحاضرة

(٣) في نشوار المحاضرة : دينار (٤) في نشوار المحاضرة : في مدة الشهر

(٥) ويراد من الجبهة هنا مهنة الصراف (٦) الجبهة : الناقد العارف بتميز الجيد من الردى .

وأضيف إلى هذا المال الوظيفة^(١) التي على حامد وتَرَدُّ في كل شهر وهو عشرون ألف دينار فيكون ذلك بإزاء مال القسط الأول^(٢).

فتأبياً ساعة ، ولم يفارقهما حتى استجابا . فقال لي علي بن عيسى : كيف رأيت^(٣) ؟ قلت : ومن يقى بهذا غير الوزير ؟ قال : وكان علي بن عيسى إذا حلَّ المال وليس له وجه استسلف من التجار - على سنانج وردت من الأطراف لم تحل^(٤) - عشرة آلاف دينار بربح دائره ونصف فصة في كل دينار ، يلزمه في كل شهر ألفان وخمسمائة درهم أرباحاً^(٥) ، فلم يزل هذا الرسم جارياً على يوسف بن فنحاس وهارون ابن عمران ومن قام مقامها مدة ست عشرة سنة .

وحدث^(٦) أبو الحسين علي بن هشام قال : حدثني أبي قال : حدثني أبو الحسن ابن الفرات قال : دخل على المقتدر بالله يوماً وأنا في حبسه ، والوزير إذ ذاك حامد ابن العباس فقال لي : أتعرف الحسن بن محمد الكرخي ؟ قلت : نعم . قال : أيُّ إنسان هو ؟ قلت : عامل ، وله محلٌّ من الصناعة ، وهو من صنائعي ووجوه عمالي ، وقد تقلد لعبيد الله بن سليمان قبلي ، وهو أخو القاسم بن محمد الكرخي ، ومن بيت معروف . فقال : قد كتب إليَّ يخطب الوزارة ويضمن حامدا وعلي بن عيسى . فقلت له : ولا كل هذا يا أمير المؤمنين . وإنما أطمعه فيما طلبه بلوغ حامد من مثله ما بلغه^(٧) . ولعمري إن الأمر قد وهن بحامد ، وإن هذا الرجل أجود حساباً

(١) الوظيفة يراد بها ما يقرر عليه .

(٢) في نشوار المحاضرة : النسط الأول من النوبة فيخف عني ثقل ثقل

(٣) في الأصل : كيف وأنت . والتصويب من نشوار المحاضرة .

(٤) أي لم يحسن ميعاد دفعها .

(٥) وجه ذلك أنه يستسلف بربح مقداره درهم عن كل أربعة دنانير ، إذ أن الدرهم = ٦ دنانق . والدينار بربحه دنانق ونصف فصة عشرة آلاف على أربعة = ألفين وخمسمائة درهم

(٦) نشوار المحاضرة : ٦٣/٨ .

(٧) في نشوار المحاضرة : وإنما طمع في الأمر لما رأى حامدا قد تقلد الوزارة ولعمري إنها قد انضعت بتقلده وطمع فيها كل أحد .

وأعفّ لسانا وأشدّ وقاراً منه ، وليس لأنه فوق حامد ترشّح لهذه المنزلة . ولا لأن الغلظ وقع في أمر حامدٍ وجب أن يُسلّك في مثل هذه الطريقة ، وعلى أنه قد غلظ في تقديره أنه يصلح لصرف حامد . لأن حامداً قديماً الرئاسة في العمالة ^(١) وله حال عظيمة ، ونعمة كبيرة ، ومروءة ظاهرة وهيبة معروفة ، وسن في ذلك وقُدْمة ^(٢) ، وكان نشأ بعيداً عن الحضرة ، فلم تستشَفْ أخلاقه وأفعاله إلا بعد الوزارة ، وفيه سعة صدرٍ وسخاء نفسٍ يُعطيان كثيراً من معانيه ، وترك الأمر في يده ويدٍ على بن عيسى أولى . فإن هذا لا يقارب على بن عيسى ، ولا يلحق أحد كتّابه ، وإني لأقول الحق فيهما على عداوتهما لي .

فأضربَ المقتدر بالله عن الحسن بن محمد ثم تمّ التدييرُ لأبي الحسن بن الفرات ، وصرف حامد ووَزَرَ ^(٣) ، فحين جاءه الحسن بن محمد ، وتذكّر ما جرى بينه وبين المقتدر بالله في بابِه هابِه وتصوّر بُمدَه همتَه وتقلّب رأى المقتدر بالله من حال إلى حال ، فأحبَّ إبعاده ، فقلّده الموصل وأعمالها ، وأخرجه إليها صارفاً لابن حماد ، فاستفَع الحسن بما حصل في نفس ابن الفرات .

قال ^(٤) أبو الحسين : فكنا في بعض الليالي بحضرة ابن الفرات ، وهو يعمل ، وأنا مع أبي ، والمجلس حافل ، إذ قرأ كتاباً ورد من صاحب البريد الموصل يذكر أن أبا أحمد الحسن هذا قد قسّط ^(٥) في الأعمال ، ومدّ يده إلى المال ، وزاد في إظهار المروءة ، وركب باللبود ^(٦) الطاهريّة ، وبين يديه عدّة حُجّاب ، وخلفه جماعة

(١) العمالة : حرفة العامل . وفي تشوار المحاضرة : العمال .

(٢) القُدْمة : السابقة في الأمر . (٣) أي وتولى ابن الفرات الوزارة .

(٤) تشوار المحاضرة ٦٤/٨ .

(٥) قسّط : جاز . وفي تشوار المحاضرة ببسط .

(٦) اللبود جمع لبّ وهو ما يوضع على الفرس . واللبود الطاهرية لعلمها نسبة إلى طاهر بن الحسين وأنها كانت في مظهر وائم .

غلمان ، حتى أنه يسير بينهم في موكب . وأنه وصل معه من البغال والجمال والزوارق التي تحمل أثقاله شيء كثير ، وهذا إنفاق وتوسّع لا يقتضيه الرزق ^(١) وإنما هو من الأصول . فرمى بالكتاب إلى أبي القاسم زنجي ، وكان إذ ذاك حَدَثًا يَخْطُ بِمَحْضَرْتِهِ . وقال له : وقع عليه : يُجَابُ بأنه نَفَعَ الرَّجُلَ من حيث أراد الإضرار به ، لأنه إذا كان في مثل هذا الصقع عَمِلَ ذو وجهة وَتَجَمَّلَ ومروءة صَلَحَ أن يتقلد للسلطان إلى مصر وأجناد الشام متى أنكر من عمالها حالا ^(٢) .

ثم أقبل على من في مجلسه وقال : حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن سليمان أن النوشجاني صاحب البريد رفع إلى المعتضد بالله بأن الأخبار شائعة ببغداد بأن حامد ابن العباس لما دخل فارس متقلداً لها كان معه مائتان وخمسون بغلا ، عليها رَحْلُهُ وأثقاله ، ومعه عدد كثير من الغلمان والحاشية وَسَلَّمَ إلى المعتضد بالله كتاب النوشجاني بذلك ، فقرأته وتحرّرت ، وخفت أن يكون قد أنكره وقدّر أن حامدا قد اجتاح المال واصطلمه ^(٣) ، وقال لي : يا أبا القاسم - وقد كان كَنَاءً - قرأت هذا الكتاب ؟ قلت : نعم . قال : قد سرني ما قد ظهر من تَجَمَّلِ حامد ومروءته و [ما] قام بذلك في نفوس الرعية من هيئته ، فكم رزقه ؟ فقلت . ألفان وخمسمائة دينار في كل شهر . قال : اجعلها ثلاثة آلاف ليستعين بها على مؤونته .

ثم قال ^(٤) أبو الحسن بن الفرات عَقِيبَ هذه الحكاية : وقد فعل المعتضد بالله قريبا من هذا مع أبي العباس أحمد بن بسطام ، فإن المعتضد طالبه بالعجز في

(١) الرزق يريد به هنا ما يقرر له من أجر معلوم . وفي نشوار المحاضرة : وإن هذا مالا يحتمله رزقه وإنما هو من الأصل .

(٢) في نشوار المحاضرة : صلح أن يبادر به السلطان إلى مصر وأجناد الشام متى أنكر على عمالها أمراً لأن هذه النواحي لا تصلح إلا لمن كان حسن التجمل والمروءة كثير النعمة . ثم أقبل ...

(٣) اصطلمه : استأصله

(٤) نشوار المحاضرة ٦٥/٨ .

ضمانه واسطاً وجبه في دار ابن طاهر ، وقرر عليه سبعين ألف دينار يؤديها ، وكان يُصحَّحها^(١) على جميل^(٢) وأصحاب عبيد الله بن سليمان يطالبونه ويفتضون المال فكتب النوشجاني قبل المعتضد بالله . فكتب النوشجاني : فيه بأنه كان يفرق في أيام ولايته عشرين كراً^(٣) حنطة في كل شهر على حاشيته والفقراء والمساكين والمستورين من أهل معرفته ، وأنه فرق ذلك في هذا الشهر على عادته . ودافع بأداء ماعليه من موافقته^(٤) ودخل عبيد الله بن سليمان على المعتضد فأقرأه^(٥) الرقعة وقال : قد سررتي فعل ابن بسطام وقيامته بمروءته ومعروفه وجمالنا بأن لم يظهر أننا ألزمناه ما أجحف به ، وأخوجه إلى تغيير رسمه^(٦) فيما كان يُطلقه ويبيز به ، فكم بقي عليه ؟ قلت : بضعة عشر ألف دينار . فقال : اتركها عليه وارددّه إلى عمله ، وعرفه إحمادي ما كان منه . ففعل عبيد الله ذلك .

وحدث أبو الحسين بن هشام قال : سمعت أبا الحسن بن الفرات يحدث قال : لما طال حبسي عقيب الوزارة الثانية تبينت أن المقتدر بالله لا يُفرج^(٧) عن ابن الحواري . وإن علم أنه من أكبر أعدائي . ولا يُجيبني إلى تسليمه إلى في جملة خصومي ، فتلطفت لإفساد رأيه بأن راسلت المقتدر بالله قبل أن يُطلقني بأربعة أشهر وعرفته أن أولادي في إضاعة وفاقة ، وسألته إطلاق مائة وخمسين ألف درهم لي ، أحل

(١) يصحها : يصلح حسابها .

(٢) في نشوار المحاضرة : على جميل وهو يوكل به من قبل المعتضد في دار ابن طاهر وأصحاب عبيد الله بن سليمان يطالبونه ويفتضون المال فكتب النوشجاني

(٣) الكر : مكيال قيل إنه أربعون أردبا .

(٤) في نشوار المحاضرة : وهو مع ذلك يعاظم بأداء ماعليه .

(٥) في نشوار المحاضرة : فأراه .

(٦) في الأصل : وجمالنا بأن لم يظهر أننا ألزمناه ما أجحف به ، والوجه إلى تغيير رسمه وفي نشوار المحاضرة : وقد جعلنا بما قد فعله حين لم يظهر أن ما قد ألزمناه أحوجه إلى الزوال عن مادته في العرف .

(٧) يريد أنه لا يتركه لي . من قولهم أفرج القوم عن المكان : انكشفوا عنه وتركوه .

إلى كل واحد الثلث منها لإصلاح أمره والقيام بتوحيته ، وأردّ العوض عنها بعد شهر من ثمن أمتعةٍ قد بقيت عند قومٍ من أصحابِ ودائعى . فقال : هذا قدّر يقبّح أن نمنعه إياه مع كثير ما أخذناه من ماله ، انحِلُوا إليه ذلك ، فحمل إلى . وراست السيدة وطلبت منها خمسين ألف درهم ، فكانت تلك سبيلها ^(١) ، وجمعت الجميع ودفعته إلى أم كلثوم قهرمانتى ، وأمرتها أن تتنازع به دنائير جُددًا حسانًا وتجئني بها . ففعلت . وكانت من عادة القنتر بالله إذا صام يوم الخميس أن يدخل إلى الحجرة التى أنا محبوسٌ فيها ، يقعد عندى ويحدثنى من وقت العصر إلى وقت المغرب . فلما كان يوم الخميس قبلَ وقت حضوره صَبَّبتُ الدنانير بين يديّ ، فدخل وقال : ماهذا يا أبا الحسن ؟ فقلت : أما يرى مولانا أمير المؤمنين كثرة هذه الدنانير ، وحُسْنُها ؟ قال : بلى ، فكم مبلغها ؟ قلت : سبعة عشر ألف دينار . قال : ولأى شيء هى بين يديك ؟ قلت . اقترضت ذلك المالَ من أمير المؤمنين ومن السيدة وزيدان ، وصرفته فيما أردتُ صرفَه فيه ، واستدعيت ما كان لى مُودَعًا من أمتعة وصياغاتٍ ممّن هو عنده ، فأنفذه إلى لِمَا ظهر لهم من تفضّل مولانا علىّ ، وزال بذلك طمعهم فىّ ، وبعته وحصلتُ ثمنه هذا لأرُدّه على من اقترضته منه . فقال : ما أقبح هذا ! أترانا نبخل عليك بما أطلقناه لك مع ما أخذناه منك مما رأينا تعويضك عنه وردّك إلى أفضل ما كانت منزلتك عندنا عليه ؟ فتبسّمت . فقال : مم تبسمك ؟ قلت : والله يا أمير المؤمنين ما طلبتُ المالَ الحاجةَ إليه فإن فى بقيّةِ حالى ما يُغنى عنه ، وإنما أردتُه لأصرفَه بالدنانير ، وأضعه بحضرتك ، فتشاهده وتعلم أن ابنَ الحواري الخائن يرتزقُ من مالك فى كلّ شهر مثلَ مبلغه ، ويقتطع مع ذلك كذا ، ويأخذ كذا .

(١) أى أنها أمرت بحملها إليه كما فعل القنتر .

وذكرت معاييه ومساوئه . قال : فرأيته قد استعظم الحال ، وكثر في عينه المال ، ولم ينهض من مجلسه حتى وعدني بتسليم ابن الحواري إلى ولم يقبل هو ولا السيدة ولا القهرمانه عوضاً ما أعطونه إلا بعد جهدٍ وسؤال .

وحدث أبو الحسين بن هشام قال : كنا على مائدة أبي العباس أحمد بن عبيد الله الخصبى^(١) في وزارته ، جرى ذكرُ علي بن عيسى وابن الفرات فقال : كان ابن الفرات نافذاً في عمل الخراج وتدير البلاد وجباية المال وافتتاح الأطراف ، وأليق من علي بن عيسى في سياسة الملك . وكان علي بن عيسى كثير التدبّر شديد التّصوّن عفيفاً عن المال ، وله مذهب في الترسل لا يلحقه فيه أحدٌ ولا ابن الفرات . والتفت إلى أبي عبد الله زنجي وكان حاضراً فقال له : ما عندك في هذا يا أبا عبد الله ؟ فقام قائماً وقال : من عادتني أيها الوزير إذا صحبت وزيراً أن أحصى محاسنه وأذكرها ، فأما مساوئه فلا أخطرها مني بالاً ، ولا أجرى بها لساناً ، وعلى ذلك فإن أذن الوزير في الجواب قلت ما عندي . قال : قل . فقال : كانت يد أبي الحسن بن الفرات تحوّه لفساد خطّه ، وكان يَمْلِكُ النّسخَ بأجزل كلامٍ وأحسنه ، ويُخْرِجُهَا إلى فاحرٍ رها ، والبارحة كنت أُميرُ شيتا فرّت بي ثلاث نسخ بخطّه ، إن أمر الوزير بإحضارها ليتبين له موقعه من الترسل أحضرتها . فقال : افعل . وأنفذ غلامه ليحضرها ، وتشاغلتنا بالأكل . فلما انقضى ونهض الوزير وغسل يده ونام ، جلس زنجي في مجلسه من الدار على انتظار النسخ حتى حلت إليه فقرأتها ، ولم أزل أكرّر النظر فيها . وكانت إحداها نسخة كتاب منه إلى مؤنس في أمر علي بن عيسى وهي : آثمارُ علي بن عيسى - أعزك الله - فيما تولاه من الأعمال ، وجرى على يده

(١) ولي الوزارة للمعتد في سنة ٣١٢ بعد صرف أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله الحافاني الذي تولى الوزارة بعد القبض على ابن الفرات بعد وزارته الثالثة .

من الأموال ، تدلُّ على مجزه وإضاعته ، وتُبْطِل ما يدَّعيه من صناعته وكفايته .
ولما صرفتُ عَمَّالَه عَمَّا وَلَوْه ، وطالبتهم بما اقتطعوه ، أَغْفَوُا^(١) بِمَالٍ جَزِيلٍ قَدْرُهُ ،
عَظِيمٍ خَطَرُهُ ، متجاوزٍ مبلغُهُ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وانضاف إليها ما توفَّرَ مما كانوا
يفوزون به من الارتفاقات^(٢) ، ويستثنونه في العقود والمقاطعات ، وهو أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفِ
دِينَارٍ ، وما وجب على الحسين بن أحمدَ ومحمد بن عليٍّ المادرائيّين من خراج ضياعهما
بمصرَ والشَّامِ في سِنِي ولايته ، فاستدركه عليُّ بنُ أحمدَ بنِ بَسطامٍ وهو ثَلَاثُ مِائَةِ
أَلْفِ دِينَارٍ ، فتحصَّلَ الجَمِيعُ أَلْفَ أَلْفٍ وَسَبْعِ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وحُلِّ منه إلى حضرة
أمير المؤمنين ! - أطال الله بقاءه - سِتِّ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وإليك أعزك الله للنفقة على
القادة النافذة لحاربة يوسف بن ديوداذ مع صَلَاتِ الْمُسْتَأْمِنَةِ^(٣) وأرزاقهم
خَمْسِ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وأطلق الباقي لقواد أمير المؤمنين - أيده الله - وأجناده وخواصه
عوضاً عما كان عليُّ بنُ عيسى حَطَّهُ من أرزاقهم ، ووضعَه من مُجَلَّةِ استحقاقاتهم ،
فكثرت الشاكر ، وسَكَنَ وأَمِنَ النافر ، وصَلَحَتِ الأحوال ، وانبسطت الآمال .
ولما قربت العساكرُ من يوسفَ أَفْرَجَ^(٤) عن الرىِّ وما يليها من الأعمال ، وزال
عن أهلها كل جور وعدوان ، وعَمَرَتْ تلك النواحي بِعَقِبِ خرابها ، واستوسقت^(٥)
الأُمُور بعد اضطرابها ، والله الموفق المعين . وقد توفَّرت - أعزك الله - مع ذلك
مِنِّي عليه العِنايةُ ، ولِحِقَّتْهُ الصِّيانةُ ، في نفسِه وماله ، وضياعه وحاله ، تَرَفُّعاً
عن مجازاته على أفعاله ، وجَرَّيًّا على عادتي في أمثاله . والله أسألُ معونتي على الجليل

(١) يريد أنهم وفوه المال من قولهم أغفاه بحقه وفاه إياه .

(٢) الارتفاقات ، يراد بها الانضغاطات والاستعانات .

(٣) المستأمنة : الذين يطلبون الأمان . (٤) أفرج : انكشف عنها وتركها .

(٥) استوسقت الأُمُور : انتظمت .

الذى أعتقده وأنويه ، وتوفيق لما يُحبُّه ويرُضيه ، إنه أهل الفضل ومُؤليه ، وحسبي الله ونعم الوكيل .

ونسخة الأخرى وكانت إلى أبى العباس أحمد

ابن بسطام عند تقلده ^(١) الوزارة الأولى :

نعم الله عند أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - تتجدد في سائر أوقاته ، وتتوكد في جميع حالاته ، فليس يخلو منها قاهرة لأعدائه ، وناصرة لأوليائه ، والله يُمينه على أداء حقها ، والقيام بشكرها ، إنه ذو فضل عظيم . وكان جماعة من حلة الكتاب والقواد ووجوه العلم والأجناد ، حسدوا أبا أحمد العباس بن الحسن رحمه الله على محله في الدولة ومنزله ، وما قام به لأمر المؤمنين أيده الله من عقد بيعته ، فسعوا في إتلاف مهجته ، وإزالة نعمته ، وتوصل إليهم عبد الله بن المعز بمكره وخديعته ، فأوحشهم من أمير المؤمنين وشيعته ، وحسن لهم الخروج عن طاعته ، فكثروا ومارقوا ، وغدروا وفسقوا ، وشهروا سيوف الفتنة وأظهروا أعلامها ، وأضرموا نيرانها ، وتفرّد الحسين بن حمدان بأبى أحمد فقتله ^(٢) ، وثنى بفاتك المعتضدى فأتلفه ، وقصد المارقون دار الخلافة حتى وصلوا إلى جدرانها ، وأحرقوا عدة من أبوابها ، ووفق الله الخدم والأولياء المصافية والعلمان الحجزية لمحاربتهم ومنارلتهم ، فانصرفوا مفلولين ، واجتمعوا إلى عبد الله فعاقدوه وبايعوه ، وتسمى بالخلافة في ليلته ، ووازره ^(٣) محمد بن داود على ضلالتة . وما صحتهم من غلمان

(٢) النظر تجارب الأمم ٥/٥

(١) أى عند تقلد ابن الفرات .

(٣) وازره : أعانه .

أمير المؤمنين - أدام الله عزه - وخاصته وذوى البأس من رعيته من حسن دينه ،
 وخلص يقينه ، فتحصنوا بالإبعاد في الحرب ، لما خافوه من شدة الطلب ، وأسير
 جماعة من كتّاب عبد الله وخواصه ، منهم محمد بن عبدون ، وعلي بن عيسى ،
 ومحمد بن سعيد الأزرق ، ومين الكبير ، ووصيف بن صوارتسكين ، وسرخاب
 الخادم ، وعليّ الليني ، ومحمد الرقاص وأبناء دميانة ، والمعروف بأبي المثنى ، ومحمد
 ابن يوسف ، ومُحَلوا إلى دار أمير المؤمنين - أيده الله - فحَصَلوا في أعظم بُوس ،
 وأضيق حُبوس . ولما خُذت النائرة ، وسكنت الفتنة الثائرة ، استدعاني
 أمير المؤمنين - أدام الله تأييده - فأوصلني إلى حضرته ، وخصني ببرّه وتكرّمه ،
 وفوّض إلىّ تدبير مملكته ، ورعاية خاصته وعامته ، واعتمد عليّ في حياطة مُلكه
 ودولته ، وقلّدتني سائر دواوينه مع وزارته ، وخلع عليّ خِلافاً ألبسني بها إجلالا
 وقُدْرا ، وجمالا وفخْرا ، وعدتُ إلى داري مغمورا بإحسانه ، مُثَقَلا بأياديه وامتنانه .
 وأسأل الله معونتي على طاعته ، وتبليغي غاية رضاه وإرادته بِمَنَّةٍ وقُدْرته .

وكان أوّل ما بدأتُ به الجِدِّ في طلب عدوّ الله عبد الله بن المعتز ، إلى أن هَيَأَ
 الله الظفرَ به على يدِ صافي^(١) مولى أمير المؤمنين ، بعد أن تنصّح في الدلالة على
 موضعه خادم مشهور الديانة ، مذكور الصيانة يُعرف بسوسن الجصاصي ، فأوجبتِ
 الحال إطلاق صِلَةٍ لسائر الأولياء وافرّة المبلغ ، وأنا بتجديد البيعة عليهم متشاغل ،
 وللخدمة مواصل ، والأمور جارية على أحمدٍ مجاريها . وأفضلُ المحابِّ فيها ، والحمد لله
 رب العالمين .

والأحوال - أعزك الله - بيننا توجب مشاركتك ، وتقتضي مُساهمتك ، وقد

(١) توفي سنة ٢٩٨ وكان إليه أمر دار الخليفة وصاحب الدولة كلها «التلّظم ٦/ ١٠٨» .

قَلَدْتُكَ الْخِرَاجَ وَالضِّيَاعَ الْعَامَّةَ وَالْمُسْتَحْدَثَةَ بِمَصْرٍ وَنَوَاحِيهَا ، وَالْكُورَ ^(١) الْجَارِيَةَ فِيهَا ، لِمَا أَعْرَفَهُ مِنْ كِفَايَتِكَ وَمَخَالَصَتِكَ ، وَأَتَقَى بِهِ مِنْ مُنَاصَحَتِكَ ، وَكُتِبَتْ بِهِ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بِتَسْلِيمِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ إِلَيْكَ ، وَأَعْلَمْتُهُ اعْتِمَادِي فِيهَا عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ بِصِنَاعَتِكَ وَكِفَايَتِكَ تَسْتَفْتِي عَنِ التَّنْبِيهِ وَالتَّبْصِيرِ ، وَتُوَفِّي عَلَى الظَّنِّ بِكَ وَالتَّقْدِيرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَكُتِبَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لَثْمَانِ لَيَالٍ خُلُوفَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ سِتِّ وَتِسْعِينَ وَمِائَتِينَ .

ونسخة الثالثة وكانت إلى ابن بسطام

في صرف سوسن عن الحِجَابَةِ وَالْقَبْضِ عَلَيْهِ

عَوَائِدُ اللَّهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - فِيمَنْ يُشَاقُّهُ وَيُنَاوِيهِ ، تَوَفَّى عَلَى غَايَةِ مَحَابَّةٍ وَنَهَايَةِ أَمَانِيهِ ، فَلَيْسَ يُظْهَرُ أَحَدٌ عَصِيَانَهُ وَبَيْدِيهِ ، أَوْ يَجَاهِرُ بِهِ أَوْ يَخْفِيهِ ، إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ عِظَةً لِلْأَنَامِ ، وَأَهْلَسَكَ بِمَاجِلِ الْأَصْطِلَامِ ^(٢) ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ . وَبِمَنْ نَكَتْ وَغَدَرَ ، وَفَسَقَ وَمَرَّقَ ، وَطَغَى وَبَغَى ، وَكَاشَفَ وَخَالَفَ ، سَوَسَنَ الْحَاجِبُ ، فَإِنَّهُ كَانَ لَدِمَ أَبِي أَحْمَدَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ السَّافِكِينَ ، وَفِي مُعَاوَنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِ عَلَى فَتْنَتِهِ مِنَ الْمُشْمَرِينَ . وَكَانَ يُظْهَرُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ مَوَالَاةً وَنَصْرًا ، وَيُضْمَرُ عِدَاوَةً وَغَدْرًا ، وَيَسْعَى فِي إِفْسَادِ مُلْكِهِ وَدَوْلَتِهِ ، وَيُوحِشُ وَجُوهَ غُلَامَانِهِ وَخَاصَتِهِ ، إِلَى أَنْ عَاجِلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ - بِسُطُوتِهِ ،

(١) الكور جمع كورة وهي البقعة التي تجتمع بها الساكن والقرى ويراد بها ما يشبه المراكز والدبريات .
(٢) الاصطلام : الاستئصال .

وأزال عن الدولة - حرسها الله - ما عراها من مَعَرَّة ، وقَلَد مكانه من وثق بدينه وأمانته ، ونصيحته ومخالصته ، فاستوسقت الأمور ، واستبشر الجمهور ، وارتفع الأولياء وانقمع الأعداء ، والله يُخَيِّرُ^(١) لأمير المؤمنين فيما يُبْرِمه ويُمضيه ، ويُوَقِّعه لما يُحِبُّه ويرُضيه بجوده ، وتُجده ، وكرمه وحَمده ، إنه فعَّال لِمَا يُريد .

هذه - أعزك الله - حالُ الباغين والمارقين ، والطاعين والناكثين ، ومن تَفَرَّقه المِهْلَة ، وتفسده الغفلة ، وتَزِلُّه^(٢) قَدَمَاهُ ، ويعصى مولاه ، فإن العاقبة للمتقين ، والدائرة على المجرمين ، والسلامة في طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ، والحمد لله رب العالمين .

وقال أبو الحسين بن هشام : سمعت أبا الحسن بن الفرات يُملى جواباً لبعض العمال على ظهر كتاب : وَرَدَ منه بجملة عشرة آلاف دينار ، فكان ما أحسن ولا قارب الإحسان ، ولا أنا بالراضى بشيء من أمره ، ولا بالمؤخر عنه ما يكرهه إن أقام على ما هو عليه ، وأين عشرة آلاف دينار مما يجب عليه حمله ؟ لِيُكْتَبَ إليه في ذلك أَغْلَظُ كتاب وأفظعه ، وَلِيَعْرِفَ أنى إن استفسدته بعد استصلاحى إياه أنسيته ما سلف مما جرى عليه ، فَلْيَخْتَرْ لنفسه ما يراه أَصْلَحَ لها إن شاء الله .

وحدث أبو الحسين قال^(٣) : حدثني أبو القاسم سليمان بن الحسن قال : حضرت مناظرة أبي محمد حامد بن العباس وأبي الحسن علي بن عيسى وأبي علي الحسين ابن أحمد اللادرائي الملقب بأبي زنبور ، لأبي الحسن علي بن محمد بن الفرات وكان ذلك بدار الخلافة ، وحضر نصر الحاجب والقواد والقضاة ، وأخرج ابن الفرات وعليه قَمِيصَانِ وَرِدَاةٍ ، فلما توسَّط المجلس سَلَّمَ سلاماً عاماً وجلس ، فكان ذلك أولَ

(١) خاز الله لى فى الأمر : جعل لى فيه خيرا

(٢) تزلّه : تراقه

(٣) راجع تجارب الأمم ٦١/٥ وما بعدها .

استخفافه بالقوم ، فأقبل عليه حامدٌ وقال له : مددتَ رجلك ، وأطمعت في المحال نفسك ، وعوّلت على القهرمانه - يعنى زيدان - في الشفاعة لك ، والمدافعة عنك وظننتَ أنه يُقنّع منك بثلاثمائة ألف دينار ونيف ، أقررتَ بها من ودائعك . نريد أن نحاسبك على ما أغلّت في ثمانية عشر شهراً من ارتفاعك ، وما انضاف إلى ذلك من رزقك ، وحق بيت المال في ضياعك التي رفعتَ عن نفسك لنفسك بأنك أوغرمتَ^(١) ، وخسّمتَ ألف دينار قد حَصَرَ مِنْ ثِقَاتِكَ مَنْ يوافقك على أنك ارجعتها من ودائعك التي بقيت لك بعد نكبتك الأولى فكتمتها السلطان - أعزه الله - بعد عيّنك له بالصدق عن جميع مالك ، فإذا فرغنا من ذلك عدّنا إلى مرافقك .

فقال : أما استغلال ضيقتي فلا مطالبة تتوجه عليّ به ، وقد ردّها أمير المؤمنين عليّ . وأما حق بيت المال الذي أوغرنيّه فالحال واحدة فيه . وأما الودائع فلم يكن يَبْقَى لى مالمْ أَصْدُقْ عنه فيما تقدم . وأما الثقة الذي أشرت إليه في موافقتي ، فالثقة لا يكون ساعياً لحق ويكنّى عن باطل .

فقال له : قد علمنا أنك تحسن المناظرة ، ويطول لسانك بالأقوال المحالّه ، هذا موقفٌ يحتاج فيه إلى وزن المال ، ولا تَعْتَرّ بالصيانة عن المكروه ، فإنني قد شرطتُ على أمير المؤمنين - أعزه الله - تسليمك إليّ ، فاحفظ نفسك مادمتَ في ظله قبل أن أبسطَ عليك من المكاره ما لا تثبت له .

قال له ابن الفرات : المكاره تُبَسِّطُ على مَنْ أخذ أموال السلطان وفاز بها ، وَصَمِنَ ضَمَانَاتٍ باطلةً بِقَتَاوَى الفقهاء والكتّاب ، وَحَصَلَ الْفَضْلَ الكبير منها ، ولولا إشفائك من ذلك لَمَا تَعَرَّضْتَ لِمَا لَا تُحْسِنُهُ وفضحتَ نفسك ، وهتكت الملكة بالدخول فيه .

(١) أوغرته : جعلها لك الخليفة بدوت خراج : يقال أوغر الملك لرجل أرضاً وأوغره أرضاً : جعلها له من غير خراج .

فقال له حامد : ما هذا التَّبَسُّطُ يا عاضَّ كذا من أبيه ، حتى كأنك الوزير ونحن بين يديك .

فقال ابنُ القرات : دار أمير المؤمنين تُصان عن الشُّخف ، وحضور هؤلاء القوادِ القضاء يمنع عن الفُخْش . فياليت شعري يا حامدُ ما الذى غرَّكَ ؟ وليس ما أنت فيه بَيِّدَرًا ^(١) تَقْسِمُهُ ، وَأَكَّارًا تَشْتُمُهُ وتُحْلِقُ لحيته وتضربه ، وعاملاً تَذْبِج دابَّته وتُعَلِّقُ رأسها فى عنقه ، فإنما هذه الدارُ وهذا المجلسُ دارُ ومجلسُ الخليفةِ اللذان منها يَشِيعُ العَدْلُ فى أقطار الأرض ، وإنما مُكِنَّتْ من مُناظرتى ، ولم تُجْعَلْ لك سبيلٌ إلى عِرْضى ، ولولا أننى أَتَصَوَّنُ عنِ قِفلِ مثلك لا قِصَصْتُ فى القول والشتمِ منك ، ومع إمساكى فقد وجب اِخْدُ عليك فيما أطلقت به لسانك . فأقبل على بنُ عيسى على حامدٍ وقال له : يَدْعُنى الوزيرُ - أعزّه الله - حتى أناظره ، وقال لأبى الحسن بن القرات : يا أبا الحسن - أعزك الله - تعرّف هذا ؟ - وأومى إلى أبى زُبَور - .

فقال : ما أنكرُهُ من سوء ^(٢) .

قال : هو أبو على الحسين بن أحمد المادرائى عامل مصر الذى قَصَدْتَهُ وأَقَرَّتَهُ . وَخِدْمَتُهُ معروفةٌ فى رَدِّهِ مصر على السلطان دفعاتٍ . فكيف لا تعرفه ؟ فقال : لِمَ يُنْكَرُ عَلَى أُنَى لم أَثْبِتْهُ ؟ فإن عهْدى طويل به ، وكنت أعرفه يكتب لعامل نهر جُوَبرَ بعشرين ديناراً فى الشهر . ثم صحب الطولونيين العصاة ، فَعَظُمَتْ حاله ونعمته معهم ، ولم أره إلى وقتى هذا .

فقال على بن عيسى لأبى زُبَور : واقِفْه على ما ذَكَرْت .

(١) البيدر : الموضع الذى يدرس فيه القمح ونحوه وهو الجرن والجرين .

(٢) بنى أنه لا يعرفه ولكن عدم معرفته له لم تكن بسبب ما أنكره من سوء كانه .

فقال : نعم .

وأقبل على ابن الفرات وقال : تَوَلَّيْتُ لك أعمالَ أجنادِ الشام سوى جُنْدِ
قَنْسَرِينَ والعَوَاصِمِ ، فطالبتني من المَرْفِقِ ^(١) بما كنتُ أحمله إلى العباس
ابن الحسن قبلك ، وهو عشرةُ آلافِ دينارٍ في كلِّ شهر . وأخذتُ ذلكَ لمدَّةِ
وزارتك الأولى ، فكان المبلغُ أَرْبَعَاةٍ وأربعين ألفَ دينارٍ . ثم إنك نصبتَ
في وزارتك الثانيةَ ديواناً للمرافق ، واستخرجتَ هذا المالَ وأوردته في جملةِ مرافقِ
حَمَلَتِهَا إلى أمير المؤمنين .

فأمسك ابن الفرات ساعة ، حتى قال نَعَرَ الحَاجِبُ بعُجُومَتِهِ : تَكَلَّمِي
يا قَرْمِطِيَّةَ .

فقال له : أمسك يا أبا القاسم عما لا ينفعك ولا يضرُّني . وقال لأبي زنبور :
ليس يخلو ما تدَّعيه من حالين ، إما أن يكونَ حَمَلُكَ للمالِ مع رُسُلٍ أو بِسَفَاحِجٍ ^(٢)
تُجَّارٍ على تِجَّارٍ ، فإن كان مع رسل فأخضِرْهم أو أخضِرِ القُبُوضَ التي كُتِبَتْ
على أيديهم ، أو بسفاحٍ فالقُبُوضُ مع أربابها .
فقال أبو زنبور : هذا شيء لا يُكْتَبُ به قُبُوضٌ .

فقال : إذا كان ذلك كذلك وجب أن تجعلَ بدلاً من أَرْبَعَاةِ ألفٍ أَرْبَعَةَ
آلافٍ ألفٍ لتكونَ الحالُ فيه واحدة .

ثم أقبل على علي بن عيسى فقال : حُكِمَ اللهُ ورسوله في الدعاوى معروفٌ ،
وأرجو ألا يُخْرِجَنِي أميرُ المؤمنين فيه عن الإنصافِ . ثم قال لأبي زنبور : قد وُلِّيتَ

(١) المرفق : ما ينتفع به

(٢) السفاح جمع سفتجة وهي أن تعطى ما لا لرجل فيعطيك خطأً بذلك يمكنك من استرداد ذلك
المال من عميل في مكان آخر « يشبه التحويل » .

لأبي الحسن - وأومى إلى علي بن عيسى - الشام أربع سنين ، فإن كنت حلت إليه هذا المرفق في هذه المدة فهو عليه ، أو لم تفعل فهو عليك لاعتراك بوجوبه .

فقال له أبو زنبور : هذا لا يلزمنى ، ولكن هاهنا مال الاستثناء بمصر ، وهو مائة ألف دينار في كل سنة ، وقد أخذت منه في وزارتك الأولى سبعمائة ألف وخمسين ألف دينار .

فقال له ابن الفرات : قد ولت أيضا مِصرَ لأبي الحسن أربع سنين ، وحكم ذلك فيما يتوجه على أبي الحسن أو عليك حكم ما قبله . والآن هاهنا ثمانمائة ألف دينار واجبة للأمير المؤمنين - أعزه الله - ومن الواجب أن تخرجها إليه منها .

فقال له علي بن عيسى : أنا معروف الطريقة ومكشوف الرأس من مثل هذه الأسباب - وكشف عن رأسه - .

قال : وكان المقتدر بالله قريبا من الموضع فسمع ما جرى . فقال ابن الفرات : ومن هاهنا - بارك الله عليك - منطى الرأس ؟ ولو تكلم الناس كلهم في هذا الموضع لوجب لك ألا تتكلم .

فقال : لم يا أبا الحسن ؟ - أعزك الله - .

قال : لأن لهذا الرجل - يعنى أبا زنبور - ومحمد بن علي ابن أخيه بمصر والشام من الضياع مسافة مائة فرسخ^(١) في مائة فرسخ ، وما أخذت من حق بيت المال منها في وزارتك درهما واحدا . فمن ترك على قوم حقوق بيت المال . لم لم يأخذ المرافق منهم ؟ ثم التفت إلى شفيع اللؤلؤى - وإليه البريد - وقال له : أنت ثقة أمير المؤمنين ، وقد تعين على هذا الرجل - يعنى أبا زنبور - ما يلزمه الخروج منه

(١) الفرسخ : ثلاثة أميال أو اثنا عشر ألف ذراع .

بإقراره واعترافه أو إقامة حُجَّةٍ تُبَيِّنُهُ منه ، فَأَنَّهُ إلى أمير المؤمنين ذلك ، وطالبه به .
وأقبل عليه حامد وقال له : قد أخذت في التموهيات ، وعوّلت - يا ابن الفاعلة -
على دفع الحق بالمباهات .

قال له : وأيُّ شيء في يدك من الحق حتى أدفعه يا حامد ، تحمّل إلى السلطان
مائتين وأربعين ألفَ دينار في كل سنة من واسط ، وتدّعي أن الخاقانيّ الأباه
المتخلفَ ضَمَنَكَ ثَمَنَ الحاصل من زرع لم يُزرع . ثم تعترفُ بأنك تُفْلُ ضَمَانَ هذه
الناحية سَبْعَمِائَةِ ألفِ دينار ، وتُسَنِّعُ بذلك ، أو ليس هذا الفعلُ شاهدٌ عقلك
وصناعتك ومقدارك في دينك وأمانتك ؟ وقد رضينا بهذا الشيخ - يعني على
ابن عيسى - في كشفِ أمرِك وتأملِ ما عليك ، فإنَّ شغلَ السلطان باستيفاء
ما يلزمك - مما دَخَلَتْ في الوزارة لِتُدْفَعَهُ عن نفسك لَمَّا أَرَدْتُ استخراجَه منك -
أَعُوذُ عليه وَأَنْفَعُ لَهُ .

فشتبهه حامدُ شَمًّا مُسْرِفاً ، وأمر أن تُنْتَفَ لِحِيَّتُهُ ، فلم يُقدِّم عليه أحد حتى
مدَّ حامدُ يَدَهُ إلى لِحِيَّتِهِ - وكان جالسا بالقرب منه - فأخذ منها خُصْلَةً ، وصاح
ابن الفرات : أوه . وضرب أبو زنبور يده إلى الدواة وكتب بأنه يضمن استخراجَ
مائة ألف دينار من ابن الفرات في مُدَّة ثلاثين يوماً إذا سَلَّمَ إليه بعد ما أداه إلى هذا
الوقت . فقال له ابن الفرات : يكون عليك ألفُ ألفٍ وثلاثمائة ألفِ دينار بالمواقفة
لك في هذا المجلس ، ثم تدفعها بأن تَصْمَنَنِي بأقلِّ من نصفها ؟ إن ذلك من أطرف
الأمر ، وأعجب السياسة !

فقال حامد : وأنا أَضْمَنُكَ بسبعمئة ألف دينار عاجلة في عشرة أيام ، إذا
سَلَّمْتَ إِلَيَّ .

وكتب حامد وأبو زنبور خطَّهما بما بَدَلَا فيه . واستدعى حامدُ مُرَشِّداً الخادِمَ ،

وسلم إليه الخطين ، وأمره بعرضيهما على المقتدر بالله ، فدخل وعاد وقال : أمير المؤمنين يقول : أنا أعلم أن عليه وعنده من الأموال أكثر مما قلتاه وضمنناه . وأنا أدري كيف أستخرجها منه ، وأقابله على تقاعده بي . ومكايده إياي ، فلما أن أضنته وأسأله فلا حاجة بي إلى ذلك .

ثم أقيم من المجلس إلى محبسه ، فما وقعت للجاعة عين عليه بعد ذلك .
قال أبو الحسين بن هشام : فلما ولي أبو الحسن بن الفرات الوزارة الثالثة حكى هذا المجلس على هذه السياقة ، وزاد فيها أن علي بن عيسى قال له : ما اتقيت الله في تقليدك ديوان جيش المسلمين رجلاً نصرانيا ، وجعلت أنصار الدين وحمّة البيضة ^(١) يُقبّلون يده ويمتلون أسره .

فقلت له : ما هذا شيء ، ابتدأته ولا ابتدأته ، وقد كان الناصر لدين الله قلّد الجيش إسرائيل النصراني كاتبه . وقلّد المعتضد بالله مالك بن الوليد النصراني كاتب بدر ذلك .

فقال علي بن عيسى : ما فعلا صواباً .

فقلت : حسبى الأسوة بهما وإن أخطأ على زعمك . ولعمري إنك لا ترى أمانتهما ، ولا تعتقد طاعتهما ، فذلك لا تقتدى بأرائهما ، ولا ترضى بأفعالهما ، ومع هذا فما وجدت لي رويين إذا مضى أحدهما بقي الآخر ^(٢) .

قال : ما أردت بهذا القول ؟

قلت : وجدت العباس بن الحسن قد قلّد محمد بن داود بن الجراح ديوان

(١) حاة البيضة : يريد بهم حاة الإسلام .

(٢) يعنى أنه له روح واحد وليس له روحان فيستطيع أن يخاطر بأحدهما ، وهذا الروح يذكر ويؤث .

الجيش ، فطعم في الوزارة ، وسعى على العباس حتى قتله ، وخلع أمير المؤمنين - أعزّه الله - وأجلاس عبد الله بن المعتز . فخِفتُ أن يَمِمْ عليّ وعلى الدولة ماتمّ منه . قال : ثم صحت ، وأنا أعلم أنّ الخليفة يسمع : يا أمير المؤمنين ، قد اجتمع هؤلاء يريدون قتلى خوفا من علمي بمساوئهم ، وما في ذِمِّهم من الأموال التي تلزمهم ، كما اجتمع الكتّابُ في أيام المتوكلِ جدّك على نَجّاح بن سلمة حتى قتلوه ، ولى عليك حقُّ حُرْمَةٍ وخدمة ، فاحرُسْ نفسي . وبارك الله لك في مالي . قال : فما استوفيتُ القول حتى خرج الخدم وحلوني فردّوني إلى موضعي ، ولم أجتمع مع واحد منهم حتى جلستُ هذا المجلس .

وحكى أبو الحسن ثابت بن سنان أن أبا زنبور لم يقيم من مجلسه الذي ناظر ابن الفرات فيه حتى قال له ^(١) : إن أقررت على نفسك مصادرة التزمْتُ عنك خمسين ألفَ دينار . فلما خرج قال له عليّ بن عيسى ونصرُ الحاجبُ وابنُ الحواري : دخلت إلى الرجل لتناظره وخرجت من عنده وقد بذلتَ مَرَفَقاً مُصَانَعَةً ^(٢) . فقال : نعم ، أدخلتموني إلى رجل قال [لي] بعضكم لما دخلتُ إليه : انظر لمن تُخاطب [و] قال آخر : انظر بين يديك و [قال آخر] ^(٣) الله الله في نفسك . فلم أجد أقربَ إلى ^(٤) الصواب مما فعلته . قال : فلما تقلدَ ^(٥) ابنُ الفرات الثالثة ^(٦) قبض على ولدٍ لأبي زنبور وأخذ خطّه بخمسة وعشرين ألفَ دينار كانت واجبةً عليه للسلطان ، وأخرَ مطالبته بها إلى أن وافى أبوه من الشام ، ثم قال له وعدتني في المجلس الذي ناظرته في فيه يحملُ خمسين ألفَ دينار ، وقد كُنتَ مالكَ أمرك في أن تفعل أولا تفعل ،

(١) تجارب الأمم ٦٣/٥ . (٢) في تجارب الأمم : وصانعته .

(٣) الزيادات من تجارب الأمم . (٤) في الأصل : من والتصويب من تجارب الأمم .

(٥) تجارب الأمم ٦٣/٥ .

(٦) في تجارب الأمم : أنه لما تقلد بعد هذا الوقت الوزارة وهي وزارته الثالثة .

وهذا خطُّ ابْنِك بِخَمْسَةِ وَعَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ لَا حُجَّةَ لَهُ وَلَا لَكَ فِي دَفْعِهَا عَنْهُ وَقَدْ رَدَّ دُتُّهُ إِلَيْكَ مَكْفَاةً عَمَّا عَمِلْتَ وَبَذَلْتَ .

ووجدت في هذه الحكاية من الزيادة أن حامداً قد كان أحضر أبا علي^(١) ابن مقله معه لمواقفة ابن الفرات على ما استخرجه من ودائع في وزارته الثانية ، فلما طلبه وجده قد انصرف ، وراسله بالعمود فقال : أنا أكتب خطي . وأشهد على نفسي بجميع ما تريده مني ، فأما أن أواجه ابن الفرات به فما لي وجهٌ يَنْبُتُ على ذلك . فكان هذا الفعلُ سببَ سوءِ رأيهِ [فيه]^(٢)

وحدث أبو الحسين بن هشام . قال : سمعت أبا الحسن أحمد بن محمد ابن عبد الحميد كاتب السيدة يحدث أبي في يوم عيد الأضحى من سنة ست وثلاثمائة قال : لما صحَّ عند أبي الحسن بن الفرات فسادُ أمره عند المقتدر بالله ، وتامُّ التدبير عليه في صرفه وتقليدِ حامدٍ استدعاني وخلا بي وقال : أنت عارف بخدمة هذه المرأة وما فيه صلاح رأيها ، وأريد أن تلطف في استمالتها واستعطافها حتى تبطل ما دبره أعدائي عليَّ وأشير^(٣) عليَّ بما أفضله في أمري . فقلت له : قد دبر عليك تدبيرٌ لا ينحلُّ سريعاً ، وجنيت على نفسك في هذه الدفعة ثلاثَ جنایاتٍ لا يمكن تلافى الخطأ فيها . فقال : وما هي ؟ قلت : أولها أن صرَّفت أصحاب الدواوين والعمال والمنفقين وأصحاب البرد والخرايط وأكثرَ القضاة وبعضَ المعاونين . وقلدت أصحابك وذوى عنايتك ، فصاروا أعداءك وسعاةً عليك ، وقال الناس : إنك قلدت للعناية لا للكفاية ، وحتى قال الخليفة : ما كان في هؤلاء المتصرفين من يصلح للإقرار على عمله .

(١) تجارب الأمم ٦٢/٣ .

(٢) في تجارب الأمم : فلفظ ذلك على حامد وتكرار ابن مقله منذ هذا اليوم .

(٣) في الأصل وأشير وصححها محقق الطبعة الأولى : وتشير .

وثانيها : أنك أخذت توقيع الخليفة برداً أملاً لك وضياعك عليك ، وقد تفرق أكثرها [في] أهل الدار والقوادِ والخواص فانتزعت ذلك من أيديهم ولم تعرضهم عنه . وقد أنفق أكثرهم النفقات العظيمة عليه ، وانضاف هؤلاء إلى أولئك وصارت كلمتهم واحدة في السعي عليك .

وثالثها : أن حلفت للخليفة - وأنت في حبسه قبل أن تقلدت من وزارته ماتقلدته - أنه لم يبق لك وديعة ولا ذخيرة إلا وقد صدقته عنها ، ثم قعدت في ولايتك تطالب بالودائع ظاهراً ، وتستخرجها شائماً ، فكيف يمكن إصلاح فساد هذه أسبابه ؟ ولكنني أشير عليك برأى إن قبلته أخذته . قال : وما هو ؟ قلت : تمسّط على نفسك وكتائبك وعمالك مالا يُقارب النصف من أحوالهم ^(١) وتمحله إلى الخليفة فترضيه به ، وأعقد لك مع السيدة عقداً يقوم بأمرك معه ، وأحلفها عليه يمينا تنسكن النفس إلى مثلها . وأنت وهم قادرون على الاعتياض فيما تعطونه على مهل . فقال : أمّا هذا الرأي فقد أشار به على جماعة من أسبابي ، منهم موسى بن خلف وابن فرجويه ، وأبو الخطاب ، وهشام . - قال أبو الحسين : وإنما حدث ابن عبد الحميد أبي بهذا الحديث لتعلقه بذكره - فخطأت جميعهم فيه ، وقد كنت عندي بعيداً من الخطأ ، وقد شاركتهم فيه الآن . فقلت : وكيف ؟ قال : ما بذل قط وزير ولا كاتب ولا عامل بذلاً على وجه المصادرة في ولايته إلا كان من أكبر دواعي الطمع . وأكثر أسباب الحجة عليه ، لأن أعداءه يقولون قد بان الآن كثرة ماله وحاله بما بذله عفواً من نفسه ووراء ذلك أضعافه . ويكون هذا القول مسموعاً مقبولاً ، ويستم ما يتم وإن يدافع يوماً ومدة ^(٢) وقد مضى المال

(١) أعادها أيضاً : من أموالهم .

(٢) أي أنه لا بد أن يتم عليه ما يدبر مهما دافع عنه ، سواء كان ذلك بعد يوم أم مدة ، وينسحب المال بلا فائدة .

ضائعا . ومع هذا فأى شيء أقبح بي - مع علو همتي وكثرة نعمتي - من أن أنشئ أصحابا وعمالا - يكون بولايتي وينكبون بنكبتى ويتصرفون بتصرفي ويتعطلون بمطلي - ثم أزيل نعمهم وأحوالهم بيدي وفي أيامي ؟ القتل والله أهون من ذلك .

فعبت من كبر نفسه وعظم كرمه ، وانصرفت ، فقبض عليه بعد أيام .

وحدث أبو الحسين قال . دخلت مع هشام والدى إلى أبي جعفر أحمد بن إسحاق ابن البهلول القاضى عقيب عيد لأهنته به ، فتطاولا الحديث ، وقال له والدى فى عرضه : قد كنت أكتب الوزير - يعنى ابن الفرات - فى (١) محبسه وأعرفه ماعليه القاضى من موالاته ومشاركته والتألم من محنته ، ومواصلة الدعاء بتفريجها عنه ، وهو الآن على شكر للقاضى واعتداده به . فلما سمع ذلك صرف من كان فى مجلسه وخلوا . وقال له القاضى : ليس يخفى على ما أراه فى عين الوزير ونظره من التغير والتسكر ، وإن كان ما نقصنى من منزلة ولا عمل (٢) ، والله أحلف لقد لقيت حامد بن العباس متلقيا بالمدائن لما أصعد للوزارة ، فقام إلى فى حرأقته (٣) قياما تاما ، وأقبل على وسألنى عن خبرى وقال : هذا أمر لك ولولدك ، وستعرف ما أفعله فى زيادتك من الأعمال والأرزاق ، ثم لقيته يوم خلع عليه فتطاول لى ، فلما فعلت فى أمر الوزير بحضرة أمير المؤمنين ما فعلته عادانى [و] لم يعزنى طرفه من بعد ، وتخوفته حتى كفانى الله أمره بتفرد على بن عيسى بالعمل ، وتشاغله هو بالضمان وسقوط الحاجة إلى لقائه ، ومالى إلى هذا الوزير ذنب يوجب انقباضه عني ، واستيحاشه مني إلا أنتى

(١) فى الأصل إلى

(٢) يعنى أنه مع هذا لم ينقصه شيئا من المنزلة والعمل

(٣) المراقبة نوع من السفن فيها مرامى نيران يرى بها العدو .

سَلَّمَتُ الْوَدِيعَةَ الَّتِي كَانَتْ لَهُ عِنْدِي ، وَاللَّهِ لَقَدْ دَافَعَتْ عَنْهَا بِغَايَةِ مَا امْكُنْتُ الدَّفَاعَةَ بِهِ ، مَعَ مَا أَتَى بِحَيْثُ لَا يُمَكِّنُ مِثْلِي الْكَذِبُ فِيمَا يُسْأَلُ عَنْهُ ، حَتَّى جَاءَ ابْنُ حَمَّادٍ كَاتِبُ مُوسَى بْنِ خَلْفٍ وَأَقْرَبُهَا عَلِيٌّ ، وَأَقَامَ الدَّلِيلَ بِإِحْضَارِ الْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُهَا إِلَيَّْ ، فَلَمْ أُسْتَطِعْ مَعَ هَذِهِ الْحَالِ أَنْسَكَّرَهَا ، وَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ تَسْلِيمِهَا . وَقَدْ فَعَلَ أَبُو عُمَرَ مِثْلَ ذَلِكَ فِيمَا كَانَ عَنْده ، غَيْرَ أَنَّهُ أَخَذَ مَالًا مِنْ مَالِهِ وَوَضَعَهُ فِي أَكْيَاسٍ وَخَتَمَهُ بِخَاتَمِ نَفْسِهِ وَكَتَبَ [عَلَيْهِ] عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ^(١) . فَلَمَّا عَادَ الْوَزِيرُ قَالَ لَهُ : إِنَّ الْوَدِيعَةَ بَيْنَهَا عِنْدِي ، وَإِنَّمَا غَرِمْتُ مَا غَرِمْتُهُ مِنْ مَالِي ، تَقَرُّبًا إِلَيْهِ وَتَنْفَقًا عَنْده ^(٢) . وَمَالِي مِنَ الْمَالِ مَا لَا بِي عَمْرٍ ، وَلَا عِنْدِي مِنَ الْأَسْتِحْلَالِ مِثْلُ مَا عَنْده ، وَلَا جَرَتْ عَادَتِي أَنْ أَقْدَحَ فِي أَمَانَتِي وَمُرُوءَتِي بِمِثْلِ فَعْلِهِ . وَالْآنَ فَأُرِيدُ أَنْ تَسْتَلَّ سَخِيمَةَ الْوَزِيرِ وَتُصْلِحَ قَلْبَهُ ، وَتُدَكِّرَهُ بِحَقِّ الْقَدِيمِ عَلَيْهِ ، وَمَقَامِي لَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ الْمَقَامَ الَّذِي قُمْتُهُ ، فَإِنْ مِثْلَهُ يَرَعَى وَيُرَاعَى . فَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي أَفْعَلُ وَأَتَلَطَّفُ ؟ وَقَدْ اخْتَلَفْتَ الْأَقْوَالَ فِيمَا جَرَى ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَإِنْ رَأَى الْقَاضِي أَنْ يَشْرَحَهُ لِي . فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ كُنْتُ أَنَا وَأَبُو عُمَرَ وَحَامِدٌ وَعَلِيُّ بْنُ عَيْسَى بِحَضْرَةِ الْخَلِيفَةِ ، وَفِي الْجُلُوسِ جَمَاعَةٌ مِنْ خَوَاصِّهِ الَّذِينَ يُعَادُونَ الْوَزِيرَ - أَيْدَهُ اللَّهُ - وَيَنْحَرِفُونَ عَنْهُ ، إِذَا حَاضَرَ ^(٣) حَامِدُ الرَّجُلِ الْجَنْدِيُّ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهُ وَجَدَهُ رَاجِعًا مِنْ أَرْدَبِيلَ إِلَى قَزْوِينَ ، وَمُتَرَدِّدًا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ أَصْبَهَانَ وَالْبَصْرَةِ ، وَأَنَّهُ أَقْرَبُ لَهُ عَقْوًا أَنَّهُ ^(٤) رَسُولُ ابْنِ الْفَرَاتِ إِلَى ابْنِ أَبِي السَّاجِ فِي عَقْدِ الْإِمَامَةِ لِرَجُلٍ مِنَ الطَّالِبِيِّينَ الْمُقِيمِينَ بِطَبْرِسْتَانَ ، وَأَنَّ الشَّرُوعَ وَقَعَ مِنَ الْجَمَاعَةِ فِي أَخْذِ الْبَيْعَةِ لَهُ ، وَمَسِيرِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ إِلَى بَغْدَادَ بِهِ ، حَتَّى إِذَا قَرَّبَ عَاوَنَةُ ابْنَ الْفَرَاتِ

(١) يَعْنِي أَنَّهُ دُونَ فَوْقِ الْمَالِ الْمَوْضُوعِ فِي الْأَكْيَاسِ اسْمُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْفَرَاتِ .

(٢) تَنْفَقًا : أَيْ تَرْوِجًا لِحَالِهِ عَنْده .

(٣) تَجَارِبُ الْأُمَمِ ٦٠/٥ وَمَفْهَمُ الْأَدْبَاءِ تَرْجَمَةُ أَبِي جَعْفَرٍ بْنِ الْبَهْلُولِ ٨٩/١ - ٩١ .

(٤) عَقْوًا أَيْ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَبَادِرَةٍ .

ومهدّله من أمر الحضرة ما يجب تمهيدُه . وقال حامدٌ للرجل : اصدّق عما عندك . فذكر مثل ما ذكره حامدٌ عنه ، ووَصَفَ أن موسى بن خلف اختارَه لابن الفرات لأنه من الدعاة إلى الطالبين ، وأن موسى قد كان مضى في وقت من الأوقات إلى ابن أبي الساج في شيء من ذلك .

فلما استتمَّ الرجل قوله اغتاض الخليفة غيظاً شديداً بأن في وجهه ، وأقبل ^(١) على أبي عمر فقال : ما عندك فيمن فعل هذا واستجاره ؟ فقال : لئن كان فعله لقد ركب عظيماً ، وأقدم على أمرٍ يضرُّ بالمسلمين جميعاً ، واستحقَّ كذا - بكلمة عظيمة لا أحفظها - . قال أبو جعفر : وتبيّنتُ في وجه عليّ بن عيسى كراهيةً لما يجري وإنكاراً لهذه الدّعوى وهُزواً بما قيل فيها ، فقويتُ بذلك نفسي ، وعطف الخليفة إلى قتال : ما عندك يا أحمد فيمن فعل ما سمعته ؟ قلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يُفِيقني عن الجواب . قال : ولم ؟ قلت : لأنه ربّما أغضبَ من أنا محتاجٌ إلى رضاه ، وخالفَ رأيه وهواه ، واستضرّرتُ بذلك ضرراً أتأذى به . قال : لا بد من أن تقول . فقلت : الجواب ما قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيٌّ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَىٰ مَا قَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » ^(٢) . ومثلُ هذا الأمر الكبير لا يُقبلُ فيه خبرُ الواحد ، والعقلُ يمنع من قبولِ مثله على ابن الفرات ، لأن من المحال أن يَرْضَى ببياعة ابن أبي الساج ، ولعلَّه ما كان يؤهِّله لِحِجَابَتِهِ ^(٣) في أيام وزارته . ثم أقبلتُ على الرجل فقلت له : صِف لي أردبيل أعليها سوراً أم لا ؟ فلا شك في معرفتك بذلك مع ما ذكرته من دخولك إياها . واذكر لي بابَ دار العِارة هل هو حَدِيدٌ أو مُلَبَسٌ ^(٤) أم خَشَبٌ ؟

(٢) سورة المجرات الآية ٦

(٤) ملبس : أي أنه خشب مكسو بحديد .

(١) تجارب الأمم ٦١/٥

(٣) في الأصل : « لحجته » .

فلجّج في كلامه . وقلت له : ما كُنيه ابن محمود كاتب ابن أبي الساج ؟ فلم يعرف ذلك . وقلت : فأين الكتب التي معك ؟ قال : لما أحسست بوقوعي في أيديهم رميتُ بها إشفاقاً من أن يحدوها معي فأعاقب . فقلت : يا أمير المؤمنين هذا رجل جاهل مُكْتَسِبٌ أو مدسوس من عدوّ غير مُحَصِّل . فقال عليُّ بنُ عيسى : قد قلتُ ذلك للوزيرِ فما قبل مني ، وليس يُخَوِّفُ هذا فضلاً عن أن يُزِيلَ به مكروهه إلا وقد أقرّ بالصورة . فأقبل الخليفة على نَذِيرِ الحرّمي وقال له : بحق عليك إلا ضربته مائة مِرْقَعَةٍ أَشدَّ ضربٍ إلى أن يَصْدُقَ - وإنما عدل بهذا الأمر عن نصرِ الحاجب لِمَا كان يعرفه من عداوته لابن الفرات - قال : فَأَخَذَ الرجلُ من حضرة الخليفة لِيُضْرَبَ على بُعْدٍ . فقال : لا ، لا ، ها هنا . فَضْرِبَ بحيثُ يشاهده دون خُسِ مَقَارِعَ . فقال : غُرِرْتُ وَضُمِنْتُ لِي ضِمَانَاتٌ فَكَذِبْتُ ، ووالله ما رأيتُ أَرْدَبِيلَ قطُّ . وَطُلِبَ أَبُو مَعْدٍ نِزَارُ بن محمد الضَّبِّيُّ صاحبُ الشرطة فكان قد انصرف . وقال الخليفة لعلّ بن عيسى : وَقَعَ إِلَيْهِ بَأْسُ يَضْرِبُهُ مائة سوطٍ وَيُثْقَلُهُ بالحديد وَيَطْرَحُهُ فِي الْمَطْبِقِ ^(١) . فوالله لقد رأيتُ حامداً وقد كاد يسقط انخزلاً وانكساراً ووجلاً وإشفاقاً . وخرجنا وجلسنا في دار نصرِ الحاجب وانصرف حامداً ، وأخذ عليُّ بن عيسى ينظر في أمورٍ كُلِّمَ فيها ، وأَخَّرَ أَمْرَ الرجلِ حتى قال له ابن عبدوس حاجبه : قد أَفْنَدَ بِدَبْرِ ^(٢) المَضْرُوبِ المتكذِّب . قال أبو جعفر : فقلت : هذا رجل قد جَهِلَ ، وَغَمَنِي إِذْ كُنْتُ سَبِيلاً لِمَا لَحِقَهُ ، فَإِنْ أَمَكْنِكَ أَنْ تُسْقَطَ عَنْهُ الْمَكْرُوهَ الْمُسْتَأَفَّ أو بعضه كان لك فيه أجر . فقال : لَعَنَ اللَّهُ هَذَا . وَأَيُّ أَجْرٍ فِي مِثْلِهِ ؟ وَلَكِنِّي أَقْتَصِرُ بِهِ عَلَى خَمْسِينَ مِرْقَعَةٍ وَأَعْفِيهِ مِنَ السَّيَاطِ . ثُمَّ وَقَعَ

(١) المطبق : سجن تحت الأرض .

(٢) أفند : أرسل والدير من معانيه الموت ، أي أرسل بموته .

بذلك إلى نزارٍ وانصرف . وقد صار حامدٌ من أشدَّ الناس حنقا على وعداوةٍ لى .
وحدث أبو الحسين على بن هشام قال : لما وَزَرَ^(١) أبو الحسن بن الفرات
وزارته الأولى وجد سليمان بن الحسن يتقلد مجلس المُقابلة فى ديوان الخاصَّة من قِبَل
على بن عيسى ، وهو صاحبُ الديوان إذ ذاك ، فقلده الديوان بأمره ، وأقام يتقلده
سنتين . واتفق أن قام فى بعض العَشِيَّات يُصَلِّى المغرب ، فسقطت من كُمِّه رُقعةٌ
بخطه فيها سِعايةٌ بابن الفرات وأسبابه ، وسعى لابن عبد الحميد كاتب السِيدةِ
فى الوزارة ، فوقعَتْ فى يد أحد الحواشى ، فحملها إلى ابن الفرات ، فلما وقَفَ
عليها قبض عليه من وقته ، وأنفذه فى زورقٍ مُطْبِقٍ إلى واسط ، فصُودِرَ
هناك وضرب .

ثم رَفَعَ صاحبُ البريد إلى ابن الفرات فى جملة رُفُوعه أن أم سليمان ماتت
ببغداد ولم يَحْضُرْهَا وَلَدُهَا ولا شَهِدَتْهُ قبل موتها ، فاعْتَمَ بذلك وهزَّتْه الرِّعايةُ
لأنَّ كَتَبَ إليه بخطه كتابا أقرأناه سليمان من بعده فحفظته وهو :

مَيَّزْتُ - أكرمك الله - بين حَقِّكَ [و] جُرْمِكَ ، فوجدتُ الحقَّ يُوفى على
الجُرمِ ، وذكرت من سالف خِدْمَتِكَ [فى المنازل]^(٢) التى فيها رُبِيتَ ،
وبين أهلها غُذِيتَ ، ماثنانى إليك ، وعطفنى عليك ، وأعادنى لك إلى أَفْضَلِ
ما عهدتَ ، وأَجَلِ ما أَلِفْتَ ، فَتَقَّ - أكرمك الله - بذلك واسكُنْ إليه ، وعوِّلْ
فى صلاح ما اختل من أمرك عليه . واعلم أننى أراعى فىكَ حقوقَ أهلك التى تقوم
بِتَوْكُّدِ^(٣) السبب مقام اللُحْمَةِ والنَّسَبِ [و] تُسَهِّلُ ما عَظُمَ من جنائيتك ، وتُقَلِّلُ

(١) القصة فى تجارب الأمم ١٥/٥ ونشوار المحاضرة ١١٥/٨ والفرج بعد الشدة ١١٠/١ وابن الأثير حوادث ٢٩٦ .

(٢) زيادة من نشوار المحاضرة والفرج بعد الشدة .

(٣) فى الفرج بعد الشدة ونشوار المحاضرة بتوكيد .

ماكثر من إساءتك ، وإن أدع مراعاتها ^(١) والمحافظة عليها ، إن شاء الله ، وقد قلّدتك أعمال دَسْتِمِيسَانَ لسنة ثمان وتسعين ومائتين وبقايا ما قبلها ، وكتبت إلى أحمد بن محمد بن حبش ^(٢) بحمل عشرة آلاف درهم إليك ، فتقلّد هذه الأعمال وأظهر فيها أثراً حميداً يبين عن كفايتك ، ويؤدّي إلى ما أحبه من زيادتك إن شاء الله ^(٣) .

وحدث القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي قال ^(٤) : حدثني أبو الحسين علي بن هشام قال : كنت حاضراً مع أبي مجلس أبي الحسن بن الفرات في شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثمائة في وزارته الثانية فسمعتة يتحدث ويقول : دخل إلى أبو الهيثم العباس ^(٥) بن محمد بن ثوابة الأنباري في محبسي في دار المقتدر بالله وطالبني بأن أكتب له خطي بثلاثة عشر ألف ألف دينار . فقلت : هذا مالٌ ماجري على يدي للسلطان في طول أيام ولايتي فكيف أصادر على مثله ؛ قال : قد خلقت بالطلاق على أنه لا بد أن تكتب بذلك . فكتبت له بثلاثة عشر ألف ألف ، ولم أذكر درهما ولا ديناراً . فقال اكتب ديناراً لأبرأ من يميني فكتبت وضربت عليه وخرقت الرقعة ومضعتها وقلت : قد برّرت يمينك ولا سبيل بعد ذلك إلى كتب شيء . فاجتهد ولم أفعل ، ثم عاد إليّ من غد ومعه أم موسى القهرمانه ، وجدّد مطالبتي وأسرف في شتمى ، ورماني بالزنا ، فخلقت بالطلاق والعِتاق وتام الأيمان الغموس أننى مادخلت في محذور من هذا الجنس منذ نيّف وثلاثين سنة ، وسمّته أن يحلف

(١) في الأصل مراعاتك . والنصوب من نشوار المحاضرة . والفرج بعد الشدة .

(٢) في الأصل غير واضحة ، وفي نشوار المحاضرة : حبش . وفي الفرج بعد الشدة : جيش .

(٣) في الفرج بعد الشدة عقب هذا الكلام : قال أبو الحسين : وابن جيش هذا كان وكيل ابن الفرات في ضياعه بواسط .

(٤) تجارب الأمم ٨٨/٥

(٥) مات بحبوس سنة ٣٠٣ : انظر صلة عرب ٥٩ .

بمثل يميني على أن غلامه القائم على رأسه لم يأت في ليلته تلك . فأنكرت أم موسى هذا القول ، وغطت وجهها حياء منه . فقال لها ابن ثوبة : هذا رجل يطير بالأموال التي معه ، ومثله مثل المزين مع كسرى ، والحجّام مع الحجاج بن يوسف . فستأمرين السادة في إنزال المكروه به حتى يُذعن بما يراود منه - وكان قوله : السادة ، إشارة إلى المقتدر بالله والسيدة والدته وخاطف ود ستويه أم ولد المعتضد بالله ^(١) ، وهم إذ ذاك مُستولون على التدبير لصغر المقتدر بالله - فقامت أم موسى وعادت وقالت لابن ثوبة : يقول لك السادة : قد صدقت فيما قلت ويدك مطلقة فيه .

قال ابن الفرات : وكنت في دار لطيفة ^(٢) ، والحرب شديد فتقدم بتنحية البوارى ^(٣) عن سماءها حتى نزلت الشمس إلى صحنها ، وإغلاق أبواب بيوتها ، فحصلت في الشمس من غير أن أجد مُستظلاً منها ، ثم قيّدني بقيد ثقيل ، وألبسني جبّة صوف قد نُعمت في ماء الأكارع ^(٤) ، وغلّني بقل ، وأقفل باب الحجرة وانصرف ، فأشرفت على التلف . وعددت على نفسي ما علمت الناس به ، فوجدتني قد عملت كلّ شيء منه ، من مصادرة ونهب وقبض ضياع وحبس وتقييد وتضييق وإلباس جباب الصوف ، وتسليم قوم إلى أعدائهم وتمكينهم من مكروهمهم ، ولم أذكر أنني غلّمت أحداً ، فقلت : يافس هذه زيادة . ثم فكرت أن النسيّ كاتب الطائي ضمّني من عبيد الله بن سليمان ، فلم يُسلمني إليه وسلّمه إلى فسلمته إلى الحسن الملعوف المستخرج ، وكان عسوفاً ، وأمرته بتقييده وتعذيبه ومطالبتة بمال حدّته له ، وألّط ^(٥)

(١) في الأصل : المقتدر والضويب من تجارب الأمم ٩٠/٥ .

(٢) في تجارب الأمم حجرة ضيقة . (٣) البوارى : المحصر .

(٤) الأكارع جمع كراع . وإعله يريد أنه نغمه في مرقته إذ تكون فيها أدهان ودم لتزداد الحرارة عليه .

(٥) ألّط القريم : منع من الحق .

ولم يؤدِّ ، فتقدَّمتُ بِنَعْلِهِ ثُمَّ ندمت بعد أن غُلَّ مقدار ساعتين . وأمرتُ بإزالة العُلِّ عنه . وتجاوزتُ الساعتين وأنا مغلول ، فذكرتُ أمراً آخر ، وهو أنه لما قُرِبَ سَبْكَرَى ^(١) مأسوراً مع رسول صاحب خراسان كتبتُ إلى بعض عمال الشرق بمطالبتِهِ بأمواله وذخائره . فكتب بإطاطه وامتناعه ، فكتبتُ بأن يُغَلَّ ، فوصل الكتاب الأولُ وغُلَّ ، وتلاه الثاني بعد ساعتين فحُلَّ .

فلما تجاوزتُ ^(٢) معنى أربع ساعات سمعتُ صوتَ غلمانٍ مجتازين في الممر الذي فيه حجرتي ، فقال الخدمُ الموكِّلون : هذا بدر الحرَمي [و] هو صنيعتك . فاستغثتُ به وصحتُ : يا أبا الخير ، لي عليك حقوقٌ ، وأنا في حالٍ أمتنى معها الموت ، فتخاطب السادة وتذكِّرهم حُرْمَتِي وخدمتي في تثبيت دولتهم لما قدَّع الناسُ عن نصرتهم ، وافتتاحي البلدان المأخوذة ، واستيفائي الأموال المنكسرة ، وإن لم يكن إلَّا مواخذتي بذنب يُنقَمُ عليَّ فالسيفُ فإنه أرواح . فرجع ودخل إليهم وخاطبهم ورقَّعهم ، وأمروا بحلِّ الحديدِ كُلِّهِ عني ، وتغييرِ لباسي وأخذِ شعري ، وإدخالِ الحمامِ وتسليمي إلى زيدان ، وراسلوني : بأنك لا ترى بعد ذلك بُوساً . وأقت عند زيدان مُكرِّماً إلى أن رُدِّدتُ إلى هذا المجلس .

قال أبو الحسين : ثم ضرب الدهر ضَرْبَهُ فدخلتُ إليه مع أبي في الوزارة الثالثة وقد غلب الحسن على رأيه وأمره . فقال له أبي : قد أسرف أبو أحمد في مكارِهِ الناس حتى أنه يضرب من لو قال له : اكتب خطَّك بما يريد منه لكتب بغير ضرب . ثم يواقف المصادِر على الأداء في وقتٍ بعينه ، فإن تأخَّرَ إيرادُ

(١) سبكرى : هو غلام الصفار وكان من الخارجين على الخليفة وانظر القبض عليه في ابن الأثير حوادث ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
(٢) تجارب الأمم ٩٠/٥ .

الرَّوْزِ به^(١) ، أعاد ضربته . ومع هذا القتل شناعةً مع خُلُوه من فائدة . فقال له أبو الحسن : يا أبا القاسم ، لو لم يفعل أبو أحمد ما يفعله بأعدائنا ومن أساء معاملتنا لما كان من أولاد الأحرار ولكان نسلَ هوانٍ . أنت تعلم أنني قد أحسنت إلى الناس دفعتين فما شكروني ، وسعوا على دمي . ووالله لأسلكنَّ بهم ضدَّ تلك الطريقة . فلما خرجنا من حضرته قال لي أبي : سمعتَ أعجبَ من هذا القول ؟ إذ كنّا لم نسلم مع الإحسان نسلم مع الإساءة ؟ فما مضى إلا أيامٌ يسيرة حتى قبض عليه وجري ما جرى في أمره .

قال القاضي أبو علي التنوخي قلت لأبي الحسين بن هشام : قد عرفنا خبر المزيّن مع كسرى وهو أنه جلس ليصلح وجهه فقال له : أيها الملك ، زوّجني بنتك ، فأمر بأن يقام ، فأقيم . وقيل له : ما قلتَ ؟ فقال : لم أقل شيئاً . ففعل به ذلك ثلاث دفعات . فقال الملك : لهذا المزيّن خطبٌ ، وأحضر أهل الرأي فأخبرهم بحاله . فقال جميعهم : ما أنطق هذا المزيّن إلا باعثٌ بعثه من مالٍ وراء ظهره . فَأَنفَذَ إلى منزله فلم يُوجدْ له شيءٌ . فقال الملك : احضروا مكان مَقْعَدِهِ عند خِدْمَتِهِ لي ، فيحضر فَوُجِدَ تحته كنزٌ عظيم . فقال الملك : هذا الكنز كان يخاطبني .

ثم قلت لأبي الحسين : فهل تعرف خبر الحجام مع الحجاج ؟ قال : نعم . بلغنا أن الحجاج احتجّم ذات يوم ، فلما ركبَ الحجام على رقبتَه قال له : أحِبُّ أيها الأمير أن تخبرني بخبرك مع ابن الأشعث ، وكيف عصا عليك . فقال له : لهذا الحديث وقتٌ آخرٌ ، وإذا فرغت من شأنك حدثتُك . فأعاد مسألتَه وكرّرها ، والحجاج يُدْفَعُهُ وَيَعِدُّهُ ويحلف له على الوفاء له . فلما فرغ ونزع الحجام عنه ، وغسل الدّم ، أحضر الحجام وقال له : إنا وعدناك بأن نُحدثك حديثَ

(١) الروز مصدر راز ما عنده روزا : طلبه وأراده ويكون المعنى فإن تأخر إيراد ما طلبه .

ابن الأشعث معنا ، ونخلفنا لك ، ونحن مُحدِّثوك : يا غلام ، السَّيَّاطُ . فَأَتَى بِهَا ، فَأَمَرَ الْحَجَّاجُ فَجَرَّدَ وَعَلَّتَهُ السَّيَّاطُ ، وَأَقْبَلَ الْحَجَّاجُ يَقْصُ عَلَيْهِ قِصَّةَ ابْنِ الْأَشْثِثِ بِأَطْوَلِ حَدِيثٍ . فَلَمَّا فَرَغَ اسْتَوْفَى الْحَجَّاجُ خَمْسَمِائَةَ سَوْطٍ ، فَكَادَ يَتَلَفُ . ثُمَّ رَفَعَ الضَّرْبَ وَقَالَ لَهُ : قَدْ وَفَّيْنَاكَ بِالْوَعْدِ ، وَأَيَّ وَقْتٍ أَحْبَبْتَ أَنْ تَسْأَلَ خَبَرَنَا مَعَ غَيْرِ ابْنِ الْأَشْثِثِ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ أَجْبَنَّاكَ .

وَحَدَّثَ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ هِشَامٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ بْنُ مَقْلَةَ قَبْلَ وَزَارَتِهِ قَالَ :

عَزَمَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَرَاتِ فِي وَزَارَتِهِ الْأُولَى يَوْمًا عَلَى الصَّبَوحِ ^(١) مِنْ غَدٍ ، وَكَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ مِنْ رَسْمِهِ أَنْ يَجْلِسَ لِلْعِظَامِ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيْفَ تَتَشَاغَلُ نَحْنُ بِالسَّرُورِ ، وَنَصْرِفُ عَنْ بَابِنَا قَوْمًا كَثِيرِينَ قَدْ قَصَدُوا مِنْ نَوَاحٍ بَعِيدَةٍ وَأَقْطَارٍ شَاسِعَةٍ مُسْتَصْرِخِينَ مُتَطَلِّمِينَ ؟ فِهَذَا مِنْ أَمِيرٍ ، وَهَذَا مِنْ عَامِلٍ ، وَهَذَا مِنْ قَاضٍ ، وَهَذَا مِنْ مُتَعَزِّزٍ ، وَيَمْنُحُونَ مَغْمُومِينَ دَاعِينَ عَلَيْنَا . وَاللَّهِ مَا أَطْلُبُ نَفْسًا بِذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَرَى أَنْ تَجْلِسَ أَنْتَ يَا أَبَا عَلِيٍّ سَاعَةً وَمَعَكَ أَحَدٌ مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ بْنِ رَشِيدٍ صَاحِبِ دِيْوَانِ الْمَظَالِمِ وَتَسْتَدْعِي الْقِصَصَ وَتُوقِعُهَا مِنْهَا فِيمَا يَجُوزُ تَوْقِيعُكَ فِيهِ ، وَتُقَرِّدًا مَا لَا بُدَّ مِنْ وَقْفِي عَلَيْهِ ، وَتُخَضِّرَانِيهِ لِأَوْقَعٍ فِيهِ ، وَيَنْصَرِفَ أَرْبَابُ الظَّلَامَاتِ مَسْرُورِينَ ، وَأَتَهَنَّا يَوْمِي بِذَلِكَ . فَقُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ . وَبَكَرْتُ مِنْ غَدٍ فَقَالَ لِي : اخْرُجْ وَاجْلِسْ عَلَى مَا وَاظَفْتُكَ عَلَيْهِ . فَخَرَجْتُ وَمَعِيَ ابْنُ رَشِيدٍ وَجَلَسْنَا وَوَقَعْنَا فِي جُمْهُورٍ مَارُفَعٍ إِلَّا عَشْرَ رِقَاعٍ كَانَتْ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى وَقْفِهِ عَلَيْهَا تَوْقِيعُهُ بِحُطَّةٍ فِيهَا ، وَكَانَ مِنْهَا رَقْعَةٌ كَبِيرَةٌ ضَخْمَةٌ تَرْجُمُهَا : الْمُتَظَلِّمُونَ مِنْ أَهْلِ رُودِ مَسْتَانَ وَهَرْمُزْ جَرْدٍ . وَهِيَ نَاحِيَتَانِ مِنَ السَّيْبِ الْأَسْفَلِ وَجُنُبِلَاءَ ، وَكَانَتَا إِذْ ذَاكَ

فى إقطاع السيدة . وقد رت أنها فى ظلامه من وكيها فى تغيير رسم ونقص طسق^(١) .
 فجعلتها فى أوردته ، وعدت إلى أبى الحسن فعرفته ما جرى . فأخذ الرقاع ، ولم يزل
 يوقع فيها إلى أن انتهى إلى هذه الرقعة ، فقرأها ووجهه يربد^(٢) ويصفر ، وينقل
 من لون إلى لون ، فضاقت صدرى وندمت على ترك قراءتها وقلت : لعل فيها أمراً
 يتهمنى فيه ، وأخذت ألوم نفسى على تفريطى فيما فرطت فيه . وفرغ منها ،
 فكنتمنى ما وقف عليه فيها وقال : هاتوا أهل رومستان وهرمزجرد . فصاح
 الحجاب دفعت ، فلم يحب أحد ، وقام وهو مهموم منكسر ، ولم يذاكرنا بأمر
 أكل ولا شرب ودخل بعض الحجر ، وتأخر أكله ، وزاد شغل قلبى ، وقلت
 خليفة لساكن صاحب الدواة - وكان أميا - : أريد رقعة لابن بسام الشاعر ،
 عليها خرج لأقف عليه ، ولم أزل أخدعه حتى مكنتى من تفتيش ما هو مع الدواة ،
 ولو كان ساكن حاضراً لما تم لى ذلك . وأخذت الرقعة فإذا هى رقعة بعض أعداء
 ابن الفرات ، وقد قطعه فيها بالثلب^(٣) والطن وتعدد المساوى والقبايح ، وهدده
 بالسعاية ، وقال فيما قاله : قد قسمت الملك بين نفسك وأولادك وأهلك وأقاربك
 وكتائبك وحواشيك ، واطرحت جميع الناس ، وأقلت الفكر فى عواقب هذه
 الأفعال ، وما ترضى لمن تنقم عليه ما تنقمه بالإبعاد وتشيت الشمل حتى تؤدعهم
 الحبوس وتقل وتضع . وختمها بأبيات هى :

لو كان ما أنتم فيه يدوم لكم	ظننت ما أنا فيه دائماً أبداً
لكن رأيت الليالى غير تاركة	مساء من حادثٍ أوسر مطرداً
وقد سكنت إلى أنى وأنكم	سنستجد خلاف الحالين غداً

(١) الطسق : مقدار . ملوم من الخراج . (٢) يربد : يتغير لونه إلى الريبة وهى الغبرة .
 (٣) الثلب : السب .

قالو بطل صبح أبي الحسن ، ودعانا وقت الظهیر فأكلنا معه على الرَّسْمِ ، ولم أزل أبسطه وأقول له أقوالاً تُسْكِنُهُ ، إلى أن شرب بعد انتباهه من نومه غُبُوقاً^(١) ، ومضى على هذا اليوم أربعة أشهر وقبض عليه ، واستترت عند الحسين بن عبد الأعلى . فلما خلع على أبي علي محمد بن عبيد الله بن خاقان جلسنا نتحدث وتذاكر أمر ابن الفرات . فقال لي ابن عبد الأعلى : كنت جالسا في سوق السلاح أنتظر جَوَّازَ الخِلافِ بِالْخِلْعِ لأقوم إليه ، وأهنته ، فاتفق معي رجلٌ شابٌ حسن الهيئة ، جميل البزة ، وحدثني أنه صاحب لأبي الحسين محمد بن أحمد بن أبي البغل ، وأنه أفضده من أصبهان قاصداً حتى دَسَّ إلى ابن الفرات رُقعةً على لسان بعض المتظلمين ، فيها كلُّ طعنٍ وثلبٍ ودعاءٍ وسبٍّ وتوعُّدٍ وتهديدٍ وفي آخرها شعر . فقلت له : على رِسْلِكَ هذه الرُقعة على يدي جَرَّتْ ووصلت إلى ابن الفرات ، وخرج الحديث مُتَقَابِلًا .

وحدث القاضي أبو علي قال : حدثني أبو الحسين بن هشام قال : سمعت أبي يقول لأبي علي بن مقله في أول وزارته الأولى - وقد جلس مجلساً نقض فيه الأعمال وبأن منه فضلٌ كفايةً واستقلال - : العملُ في يد الوزير أيده الله ذليل . فقال : على هذه الحال نشأنا يا أبا القاسم ، وأخذناها عن كانت الدنيا والملكة يطرَحان الأثقال عليه فنهض بها - يعني أبا الحسن بن الفرات - ثم قال أبو علي : لقد رأيته جالسا في الديوان للظالم ، والوزيرُ إذ ذاك القاسمُ بنُ عبيد الله ، فتظلم إليه رجل من رُسْمِ قَلْبِهِ عليه الطائي وغيره رسماً له قديماً خفيفاً ، ويسأل رَدَّه إلى ما كان عليه أولاً . وهو يقول : قد مُتَمَتِّي أَنْ أَبْطَلَ رسماً قرَّره أبو جعفر الطائي - رحمه الله - في محله من العدل والثقة والبصيرة بأسباب العمارة ، وقد درَّتْ عليه الأموال ، وصلَّحتْ

(١) الغبوق: ما يعرب في الليل وهو خلاف الصبح.

الأحوال ، وأحمدَه الجمهورُ ، واستقامت عليه الأمور . وهذا سَوْمُ إِغْنَاتٍ . وَيَكْتُبُ بِحَمَلِهِ عَلَى مَا رَسَمَهُ أَبُو جَعْفَرٍ .

ثم رأيت مرة ثانية مُتَظَلِّمًا آخر من رَسَمٍ ثَقِيلٍ خَفَّفَهُ الطَائِيُّ لِعِلْمِهِ بِأَنَّ الضَّيْعَةَ لِاحْتِمَالٍ غَيْرِهِ ، وَقَدْ اغْتَرَضَ عَلَيْهِ فِيهِ وَيَسْأَلُ إِجْرَاءَهُ عَلَى رَسَمِ الطَائِيِّ فيقول له : يَا بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، لَيْسَ الطَائِيُّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ أَوْ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَوْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ الَّذِينَ تَقْتَفِي آثَارَهُمْ وَتُمْضِي أَعْمَالَهُمْ . وَإِنَّمَا الطَائِيُّ ضَامِنٌ عَمَلٍ ، رَأَى مَا رَأَاهُ حُظًّا لِنَفْسِهِ ، وَمَا يَلْزِمُ السُّلْطَانَ تَقْرِيرُهُ ، وَأَنْتَ مُعِنْتُ فِي تَظَلُّمِكَ . وَيَكْتُبُ بِأَنَّ يُجَرِّى عَلَى الرَّسْمِ الْقَدِيمِ الثَّقِيلِ . وَيُخَاطَبُ كَلًّا مِنَ الرَّجُلَيْنِ بِلِسَانٍ غَيْرِ اللِّسَانِ الْآخِرِ شُحًّا عَلَى الْأُمُورِ وَحِفْظًا لَهَا .

وحكى القاضي أبو علي التنوخي قال ^(١) : اجتمعتُ مع أبي عليّ بن أبي عبد الله ابن الجصاص ^(٢) ، فرأيت شيخاً حسنَ المحاضرة ، وحدثني قال : حدثني أبي قال : لما وَلِيَ أبو الحسن بنُ القُرَاطِ إحدى وزاراته قَصَدَنِي قَصْدًا قَبِيحًا ، وَأَطْلَقَ لِسَانَهُ فِيَّ ثَالِبًا مُتَنَقِّصًا ، وَرَسَمَ لِلْعَمَالِ حُطَّ ضِيَاعِي وَنَقَصَ مَعَامِلَاتِي ، وَأَدَامَ الْغَضَّ مِنِّي وَالْكَسْرَ بِجَاهِي ، وَوَسَّطَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ ، وَبَذَلْتُ لَهُ بِذَلًّا فِي مِثْلِهِ مَا صَلَحَتِ الْقُلُوبُ ، فَأَقَامَ عَلَى أَمْرِهِ ، وَأَقَمْتُ عَلَى احْتِمَالِهِ ، إِلَى أَنْ زَادَ الْأَمْرُ ، وَسَمِعْتُ حَاجِبَهُ يَقُولُ وَقَدْ وَلَّيْتُ عَنْهُ : أَيُّ يَبْتَ مالٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ؟ أَيُّ أَلْفِي أَلْفٍ دِينَارٍ مَا لَهَا مَنْ يَأْخُذُهَا ؟ فَعَلِمْتُ أَنَّ الْقَوْلَ قَوْلُ صَاحِبِهِ ، وَأَنْتِي مَنْكُوبٌ عَلَى يَدِهِ . وَكَانَ عِنْدِي فِي الْوَقْتِ مَا قَدَرَهُ وَقِيمَتُهُ سَبْعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ مَالًا وَجَوْهَرًا سِوَى بَاقِي الْمَمْلُوكَاتِ ، فَضَاقَتْ عَلَى الدُّنْيَا ، وَأَشْفَقْتُ إِشْفَاقًا شَدِيدًا ، وَسَهَرْتُ أَكْثَرَ

(١) القصة في كتاب أخبار الحق والفيلين ص ٢٢ - ٣٥ .

(٢) انظر ترجمة أبي عبد الله الحسين بن الجصاص في المنتظم ٢١١/٦ وفوات الوفيات .

للى مُفَكَّرًا فى تدبير أمرى . ثم عَنَّ لى الرأى آخرَ الليل إلى أن ركبْتُ إلى ابنِ الترات ، فوجدت بابَه مُغْلَقًا لم يُفْتَحْ بعدُ فدَقَّقْتُهُ . فقال البوابون : من الطارق ؟ قلت : ابنُ الجصاص . فقالوا : الوزيرُ نائمٌ وما هذا وقتُ وصول . قلت : اعرِّفوا الحجابَ أنتى حضرت فى مُهمٍّ ، فعرفوهم . فخرج إلى أَحَدِهِم وقال : الساعةَ تَذَنُّ ، تَجْلِسُ ساعةً وتدخل . قلت : الأمرُ أهمُّ من ذلك . فدخل وعَرَفَهُ ما قُلْتُهُ له . وخرج بعد ساعة وأدخلنى من دارٍ إلى أخرى حتى وصلتُ إلى مرقده ، وهو على سريرِهِ ، وحواليه خمسون فرأشًا كأنهم حَفَظَةُ ، ووجدته مُرتاعًا من قولى ، وقد ظنَّ جُدُوثَ حادثة ، وأنتى جِئْتَهُ برسالة الخليفة .

فلما رآنى رفعنى وقال لى : ما جاء بك فى هذا الوقت ؟ قلت : خيرٌ ، وما حدثت حادثة ، ولا معى رسالة ، وإنما حضرت فى أمرٍ يخصُّ الوزيرَ ويخصُّنى ، ولم يَجْزُ إيرادُه إلا على خلوةٍ تامَّة . فسكن ثم قال لمن كان حواليه : انصرفوا . فمضوا وقال : هات . قلت : قصدتُ أيُّها الوزيرُ أعظمَ قصد ، وشرعتُ فى هلاكى وزوالِ نِعْمَتى من كلِّ وجه ، وليس من المُهْجَةِ والنِّعْمَةِ عِوَض . ولعمرى إننى قد أسأتُ فى خِدْمَتِكَ ، وحرمتُ التوفيقَ فى معاملتك ، إلا أن فى بعض هذه المقابلةِ بَلَاغًا وكِفايةً ، وما تركتُ بابا فى صلاحِ قلبك إلا طرقتُهُ ، ولا أمرا فى استعطافِ رأيك إلا قصدتُهُ ، ووسطتُ بينى وبينك فلانا وفلانا ، وبُذِلَ لك كذا وكذا ، وأنت مقيم على أمرِكَ فى أذيتى ، وما حيوانُ أضعفُ من السُّنُورِ ^(١) ، وإذا عاثت فى دُكَّانٍ بِقَالَ ثم مَلَكَها ولزِمَها ولزَّها إلى زواية ليخُنُقَها وثَبَّتَ عليه ، وخدشتُ وجهه ، وخرقتُ ثيابه ، وطلبتُ الخلاصَ بكلِّ ما تَقْدِرُ عليه ، وقد وجدتُ نفسى معك فى هذه المنزلة ، ورأيتُها كالسُّنُورِ التى هى على هذه الصورة . فإن صَلَّحت لى ، وفعلت ما تقتضيه الفتوةُ

والروءُ معي ، وإلا فعلى وعلى - وحلفت له أيماناً مغلفة - لأقصدن الخليفة الساعة ،
ولأحولن إليه ألف دينار عينا من خزانتي ، فلا يُصبح إلا وهي في يديه ،
وأنت تعلم قدرتي عليها ، ولأقولن له : خذ المال ، واستوزر فلانا ، وسلم ابن الفرات
إليه . نعم ، ولا أذكر له إلا من يقبله قلبه ، ويكون فيه نفاذ وحر كة ولسان
ومحرقة ، ما يتعدى هذه الصفة أحد كتابك ^(١) فيملك والله في الحال حرصا على
المال ، ويراني المتقدا بمنزلة من أعطى ماله في قضاء حقه وبلوغ غرضه ، فيخدمني
ويتدبر بتدبري ، ويتسلم فيتهى في مكروهك إلى حد يستخرج به المال
منك ، ويرده على ، وحالك تحمله ، ولكنك تفتقر بعده ، فأكون قد حرست
نفسى ، وشفيت غيظى ، وأهلك عدوئى واسترجعت مالى ، وازددت تحالا بصرف
وزير وتقليد وزير .

فلما استوفى قولى سقط في يديه وقال : يا عدو الله ، أو تستحل ذلك منى ؟
قلت : لست عدو الله ، ولكنى أستحل السعى على من يريد هلاكى وإزالة
نعمتى فقال : أو أى شئ ؟ قلت : تحلف لى الساعة بما أستحلفك به ، على أن
تكون معى لا على ، وأن تجزئنى على رؤوسى ، وتجزئس ضياعى ، وترفع منى ،
وتعتقد الجميل فى ولا تسعى لى فى سوء ، ولا تمكن منى أبدا ظاهرا أو باطنا ،
وتفعل كل ما تؤمننى به . فقال : وتحلف لى أيضا على إخلاص النية ، واعتقاد
الطاعة ، واعتماد المؤازرة والمظاهرة ^(٢) . فقلت : أفعل ^(٣) . وعلمنا نسخة يمين

(١) فى كتاب الحق : وأذكر له أقرب من يقع فى نفسى أنه يجب إلى تقليده من له وجه مقبول
واسان عذب وخط حسن ، ولا أعتمد إلا على بعض كتابك فإنه لا يفرق بينك وبينهم إذا رأى المال
حاضرا فيملك فى الحال ويرانى المتقلا .

(٢) المظاهرة : المناصرة .

(٣) فى الأصل فقال : والتصويب من السياق ومن أخبار الحق .

حَلَفَ وحَلَفْتُ بها على الشرائط المقدّم ذكرُها . وقال لى بعد ذلك : لعنك الله فما أنت إلّا إبليس ، والله لقد سَحَرْتُنى وعظمت مع ذلك فى نفسى ، وخففت ثَقَلًا عن قلبى ، ولعمرى إن المقتدر بالله لا يفرّق بين موقعى وغَنائى وكفايتى ، وبين أخسّ كُتّابى مع الطمع الحاضر والمال المبدول ، فليكن ما جرى مُنطَوياً . فقلت : سبحان الله . فقال : إذا كان من غد فادخل إلى مجلس العموم لِترى ما أَعْمَلُك به . فقامت وقال : يا غلمان ، بين يدى أبى عبد الله . فخرج بين يدىّ نحو مائتى غلام وعدت إلى دارى .

ولما طلع الفجر جثته عند الإصباح ، وقد جلس فى المجلس العامّ ، فرغنى على كلِّ مَنْ بحضرته ، وقرّظنى تقرّظاً كثيراً ، ووصفنى وصفا جميلاً ، حتى علم الحاضرون صلاح رأيه ، وأمر بإنشاء الكتب إلى سُمّال النواحي بِصِيَانَةِ ضِياعى ، وإِعْزَازِ وكلائى ، وإمضاء رسومى ، وَوَقَعَ إلى كُتّاب الدواوين بِإبطال مائبت فيها من الزيادة علىّ ، ونَقَصِ معاملاتى ، فدعوت له وشكرته ، وقت ، فقال : يا غلمان ، بين يديه . فخرج الحُجّاب يَجْرُونَ سيوفهم ، والناسُ بِشاهدونهم ، ورجع جاهى واستقامت أمورى . فما حدّثت بذلك إلّا بعد القبض عليه . قال القاضى أبوعلّى : فقال لى أبوعلّى بن الجصاص عند استتمامه لهذا الحديث : فهل فِعَلُ أبى ما فَعَلَهُ ^(١) مما يليق بما يقال فيه ويُحكى عنه ؟ قلت : لا . قال : فكانت له فى تلك المقالات والمحافاة المروية - إن كانت حقاً - أغراضٌ غيرُ معروفة ^(٢) .

(١) ما فعله : أى الذى فعله . وفى أخبار الحمقى : هل هذا فعل من يحكى عنه تلك الحكايات .

(٢) يذكر ابن الجوزى فى أخبار المغالين ص ٣٣ أنه ما كان إلّا من أدهى الناس ولكنه يطلق بمحضرة الوزراء قريبا مما يحكى عنه « أى من أنواع الحق والغفلة » لسلامة طبع فيه ولأنه كان يحب أن يصون نفسه عندهم بصورة الأبله لأنهم الوزراء لكثرة خلواته بالخلفاء .

وحدث أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عياش القاضي : أن رجلاً^(١) اتصلت
عُطْلته ، وانقطعت مادَّته ، حَمَلَ نفسه على أن زَوَّرَ كِتَاباً من أبي الحسن بن الفرات
إلى أبي زنبور المادرائي عامل مصرَ في معناه مُتَضَمِّناً لِلْوَصَايةِ به ، والتأكيدي
الإقبال عليه ، والإحسان إليه ، وخرج إليه فلقيه ، وارتاب أبو زنبور بأمره لتغير
الخطاب فيه عمّا يَمُهِدُه ، وزيادة تأكيدي على ماجرت به العادة في مثله ، وأنَّ الدُّعاء
للرجل في الكِتَابِ أكثرُ مما يقتضيه مَحَلُّه . فراعاه مراعاةً قريبة ، ووصله بصلة قليلة ،
وارتبطه عنده على وعدٍ وعدَّه به ، وكتب إلى ابن الفرات يذكر الكتاب المزور فوجد فيه
عليه ، وأنفذه بعينه إليه ، واستنثبته . وقرأ ابنُ الفرات الكتاب المزور فوجد فيه
ذِكْرَ الرَّجُلِ بأنه من أهل الحُرُمَاتِ به ، والمَوَاتِ لَدَيْهِ ، وما يقال في ذلك ، ويُتَبِعُهُ
مما يعود بمعرفة حَقِّه واعتماد نفعه . وعَرَضَه على كُتَّابِه وأصحابه ، وعرفهم الصورة فيه ،
وتعجب منها وقال لهم : ما الرأي في أمر هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : يُؤَدَّب بالضرب
والحبس . وقال آخرون : تُقَطَّعُ إِيهابُهُ لئلا يُعَاوِدَ مثل هذا الزوير . وقال أحسُّهُمْ
مَحْضُراً : تُكْشَفُ لأبي زنبور قِصَّتُهُ وَيُتَقَدَّمُ إليه بطرده وحرمانه مع بعد شُقَّتِهِ .
فقال لهم ابن الفرات : ما أبعَدَكم من الخيرِية : وأنفَرَ طباعُكم عن الحرِّية . رجلٌ
توسَّلَ بنا ، وتحَمَلَ المشقة إلى مصر في تأميل الصلاح بجاهنا ، واستمداد صنْعِ الله
ورزقه بالانتساب إلينا تكون ، أحسنُ أحواله عند أجلكم محضراً تكذيب ظَنِّه
وتخيب سَمِيهِ ! والله لا كان هذا أبداً . ثم أخذ القلم ووقع بخطه على ظهر الكتاب
المزور : هذا كتابي ، ولست أعْرِفُ لِمَ أنكرت أمره واعتصتكت شبهة فيه ؟ وليس
كلُّ من خَدَمنا وأوجب حقَّنا علينا عَرَفْتَهُ . وهذا رجلٌ تحرَّم بِخِدْمَتِي ، أيَّام استتاري

(١) النعمة في التلّظّم ١٩١/٦ ونشوار المحاضرة ٢٣/١ وابن خلكان ترجمة ابن الفرات
على بن محمد .

ونكيتي ، وما أعتقده فيه أكثر مما تضمنه الكتاب من وصف ما عندي له . فأحسن
تفقدته ، ووفر رفده ، وصرفته فيما يعود عليه نفعه ، وتصل إليه فوائده .
ورده إلى أبي زنبور من يومه .

فلما مضت مدة طويلة دخل على أبي الحسن بن الفرات رجل ذو هيئة وبرقة جميلة ،
وأقبل يدعو له ويثنى عليه ويبكي ويقبل الأرض بين يديه ، فقال ابن الفرات :
من أنت بارك الله عليك ؟ - وكانت هذه كلمته - . قال : صاحب الكتاب المزور
إلى أبي زنبور الذي صححه كرم الوزير وتفضله ، صنع الله به وصنع . فضحك
ابن الفرات وقال له : كم وصل إليك منه ؟ قال : أوصل إلى من ماله وتقسيط قسطه
وعمل صرفي فيه عشرين ألف دينار . فقال ابن الفرات : الحمد لله ، الزمنا فإنا
نعرضك لما يزداد به صلاح حالك . ثم اختبره وامتحنه فوجده كاتباً سديداً . فاستخدمه
وأكسبه مالا جزيلاً .

وحدث أبو علي التنوخي قال : حدثني أبو محمد الحسن بن محمد الصلحي الكاتب
قال : حدثني غير واحد من كتاب الحضرة أن أبا أحمد العباس بن الحسن لما مات
المكتفي بالله جمع كتابه وخواصه وخلا بهم وشاورهم فيمن يُقلده الخلافة . فأجمعوا
وأشاروا على العباس بعبد الله بن المعتز إلا أبا الحسن بن الفرات فإنه أمسك . فقال له
العباس : لم أمسكت ولم تورده ما عندك ؟ فقال : هو أيها الوزير موضع إمساك . قال :
ولم ؟ قال : إنه وجب أن ينفرد الوزير - أعزه الله - بكل واحد منا فيعرف رأيه وما عنده .
ثم يجمع الآراء ويختار منها بصائب فكره وثاقب نظره ماشاء . فأما أن يقول كل
واحد رأيه بحضرة الباقيين فربما كان عنده ما يسلك سبيل النقيصة^(١) في كتمانها وطيه .
قال : صدقت والله ، قم معي ، فأخذ يده ودخلا وتركوا الباقيين بمكانهم . فقال له

(١) النقيصة : الاحتراس وما يتق به الشر بأن لا يظهر مافي نفسه .

ابنُ الفرات : قرّرتَ رأيك على ابنِ المعتز؟ قال : هو أكبرُ منْ يُوجد . قال : وأى شيءَ تعملُ برجلِ فاضلٍ متأدّبٍ قد تحنّك وتدرّب وعرف الأعمالَ ومعاملاتِ السّواد وموقعِ الرعيّةِ في الأموال ، وخبرِ المكايل والأوزانَ وأسعارِ المساكولات والمستعلمات ، ومجاري الأمور والمتصرّفات ، وحاسب وكلاءه على ماتولّوه ، وضايقهم وناقشهم ، وعرف من خياناتهم واقتطاعاتهم أسباب الخيانة والاقتطاع التي يدخلُ فيها غيرهم ، فكيف يتمُّ لنا معه أمرٌ إن حملَ كبيراً على صغير ، وقاس جليلاً على دقيق؟! هذا لو كان ما بيننا وبينه عامراً وكان صدره علينا من الغيظ خالياً ، فكيف وأنت تعرف رأيه؟

قال العباس : وأى شيء في نفسه علينا؟ قال : أنسيتَ أنه منذ ثلاثين سنة يكتبك في حوائجه فلا تقضيها ، ويسألك في معاملاته فلا تمضيها ، وعمالك يصفعون وكلاءه فلا تنكر ، ويتوسّل في الوصول إليك ليلا فلا تأذن ، وكل رقعة جاءتك بنظم ونثر فلم تعبأ بها ولا أجبتّه إلى مراده فيها . وكل قد جاءني منه ما هذه سبيله فلم أراع فيه وُصولاً إلى ما يريد إيصاله إليّه . وهل كان له شغل عند مقامه في منزله وخلوته بنفسه إلا معرفة أحوالنا والمسالّة عن ضياعنا وارتفاعنا وحسدنا على نعمتنا؟ هذا وهو يعتقد أن الأمر كان له ولأبيه وجده ، وأنه مظلوم منذ قتل أبوه ، مهضومٌ مقصودٌ مضغوط ، فكيف يجوز أن نسلم إليه نفوسنا فننحرّس^(١) ، فضلاً عن أموالنا؟

فقال العباس : صدقت والله يا أبا الحسن ، فمن يُقلّد وليس هاهنا أحد؟! قال : تقلّد جعفر بن المعتضد ، فإنه صبي لا يدرى أين هو ، وعامة سروره أن يُصرف من المكتب ، فكيف أن يُجعل خليفة ويملك الأعمال والأموال وتدير النواحي

(١) تحرس واحترس هما بمعنى .

والرجال؟ ويكون الخليفة بالاسم وأنت هو على الحقيقة، وإلى أن يكبر قد انغرس حببتك في صدره، وحصلت تحصل المعتضد في نفسه. قال: فكيف يجوز أن يُباع الناس صبيّاً أو يقيموه إماماً؟ فقال له: أمّا الجواز، فمتى اعتقدت أنت أو نحن إمامة البالغين من هؤلاء القوم؟! وأما إجابة الناس، فمتى فعل السلطان شيئاً فعورض فيه، أو أراد أمراً فوقف؟ وأكثر من ترى صنائع المعتضد، وإذا أظهرت أنك اعتمدت في ذلك مراعاة حقّه، واقرار الأمر في ولده، وفرقت المال، وأطلقت البيعة، وقع الرضا، وسقط الخلاف. وطريق ما تريده أن تواقف بعض أكابر القواد وعقلاء الخدم على المضيّ إلى دار ابن طاهر وحمله إلى دار الخلافة، وأن تستر الأمر إلى أن يتمّ التدبير، وإن اعتاص معتاص مدّاً بالعطاء والإحسان. فقال العباس: هذا هو الرأى.

واستدعى في الحال مؤنساً مولى المعتضد، وأورد عليه ماذهب فيه إلى الجنس الذى أشار به أبو الحسن في الوفاء للمعتضد، ورعاية ما كان منه في اصطناع الجماعة، ورسم له قصد دار ابن طاهر، وحمل جعفر إلى دار الخلافة والسلام عليه بها. ففعل، وماج الجند ففرق فيهم مال البيعة، ودخل عليهم من طريق الوفاء للمعتضد وتمّ التدبير. فلما زال أمر العباس، وكان من قتله^(١) ما كان، وانتظمت الأمور بعد قتل ابن المعتز، وتقلد أبو الحسن الوزارة، صارت ثمرة هذا الرأى له، وكان يقف بين يدي المقتدر بالله وهو صبيّ قاعد على السرير، فيخاطب الناس والجيش عنه. فإذا انصرفوا أمرت السيدة بأن يُعدّل بأبى الحسن إلى حجرة، فيجلس فيها، ويخرج المقتدر فيقوم إليه فيقبل يده ورأسه، ثم يقعد ويقعد في حجره كما يفعل الناس بأولادهم. وتقول له السيدة من وراء الباب: هذا يا أبا الحسن ولدك، وأنت قلّدتَه

الخلافة أولاً وثانياً . تعنى ماتقدم من مشورته على العباس به وبتقليده الخلافة ، ومن بعد إزالة فتنة ابن المعتز . فيقول ابن الفرات : هذا مولاي وإمامي ورب نعمتي وابن مولاي وإمامي . وبقى على ذلك مدة وزارته الأولى ، وتمكن أبو الحسن من الخزائن والأموال وفعل ما شاء وأراد .

قال أبو محمد الصلحي : قال لنا أبو علي بن مقله ، وقد جرى ذكرُ ابن الفرات : يا قوم ، سمعتم بمن سرق في عشرِ خطواتِ سبعمائة ألف دينار ؟ قلنا : كيف ذلك ؟ قال : كنت بين يدي ابن الفرات في وزارته الأولى ، ونحن في دار الخلافة نقرر أرزاق الجيش ، ونقيم وجوه مال البيعة ، ونرُتب إطلاقه ، وذلك عقيب فتنة ابن المعتز . فلما فرغ مما أراده ، وخرج فركب طياره ، وبلغ نهر الملى . فقال : إنا لله ، إنا لله ، قفوا . فوقف الملاحون . فقال لي وقّع إلى أبي خراسان صاحب بيت المال بحمل سبعمائة ألف دينارٍ تُضاف إلى مال البيعة وتُفرّق على الرجال . فقلت في نفسي : أليس قد وجهنا وجوه المال كله ؟ ماهذه الزيادة ؟ ووقفتُ بما رستمه ، وعلم فيه بخطه ، ودفعه إلى غلام وقال : لا تبرح من بيت المال حتى تحمل هذا المال الساعة إلى داري . ثم سار . قال : فحمل إليه بأسره ، وسلم إلى خازنه ، فعلمت أنه أنسى أن يأخذ شيئاً لنفسه في الوسط ، ثم ذكر أنه باب لا يتفق مثله سربعا ، ويحتمل ما احتمله من هذا الاقتطاع الكثير ، فاستدرك من رأيه ما استدرك ، وتنبه من فعله على ما تنبّه .

وحدث أبو محمد الصلحي قال . حدثنا جماعة من كتّاب أبي الحسن بن الفرات وخواصه قالوا :

عاد أبو الحسن من الموكب يوماً ، فجلس بسواده^(١) مغموماً يفكرُ فكراً

(١) بسواده يعني بذلك السواد الذي كان شعار العباسيين إذ أن ملابسهم الرسمية كانت سوداء .

طويلاً. فبشغل ما رأينا منه قلوبنا ، وظننا لحادث حدث ، فسالنا عن أمره ، ودافعنا ،
والحنا عليه ، فاجزنا ، وقال : ماها هنا إلا خير وسلامة : فقام ابن جبير ، وكان
من بيننا متهوراً مُدِلاً . فقال : تأمر أيها الوزير بأمر ؟ قال : إلى أين ؟ قال : أَسْتَرُ
وَأَسْتَرُ عِيَالِي ، وسبيل هؤلاء الذين بين يديك أن يفعلوا مثل فعلى . قال : ولم ؟
قال : تعود من دار الخلافة وأنت من النعم الظاهر في وجهك على هذه الصورة ،
ونسألك عن أمرك فكتمنا ، ولم تجرِ عادتك بذلك معنا ، هل وراء هذا إلا
القبض والصرف ؟ فقال له : اجلس يا أحمق حتى أحدثك السبب . فجلس . وقال :
ويحكم ، قد علمت أتى أشكو إليكم نقصان هذا الرجل - يعنى المقتدر - دائماً
وشدة تلؤمه ^(١) واختلاف رأيه ، وإتتى أحب منذ مدة أن أزوره وأعرف قدر
ذلك منه ، وهل هو في كل الأمور أو في بعضها ، وفي صغارها أم في كبارها ؟ فقلت له
اليوم في أمر رجل كبير - ولم يُسمه ابن الفرات - : يا أمير المؤمنين إن فلانا
قد فسد علينا ، وليس مثله من أخرج عن أيدينا . وقد رأيت أن أقلده كذا ،
وأقطع وأسوغه كذا - وأكثرت - لتستخلصه بذلك ، وتستخلص نيته ،
وتستديم طاعته ، ولم يحز أن أفعل أمراً إلا بعد مطالعتك ، فما تأمر ؟ قال : افعل .
ثم حدثته طويلاً وخرجت من أمر إلى آخر ، وقرب وقت انصرافى فقلت له :
يامولانا ، عاودت الفكر في أمر فلان فوجدت ما نعطيه إياه مما استأذنت فيه
كثيراً مؤثراً في بيت المال ، ولا تأمن أن يطمع نظراؤه في مثل ذلك ، وإن أجنبناهم
عظمت الكلفة ، وإن منعناهم فسدوا ، وقد رأيت رأيا آخر في أمره . قال :
ما هو ؟ قلت : أن قبض عليه ونأخذ نعمة ونخلده الحبس أبدا . قال : افعل .
فقلت : واويلاه كذا والله تجرى حالى معه . يقال : إن ابن الفرات الكافى

(١) اللوم - تكلف اللوم أو تبع الداء ليعلم مكانه . وقد تكون الكلمة أيضا محرفة عن تلونه :
أى قلبه وتغيره من حال إلى حال .

الناصح ، وهو وطأ لك الأمر ، وأقامك في الخلافة وهو . . . وهو . . . فيقول : نعم .
وَيَقْرَبُنِي وَيُقَدِّمُنِي ، ثم يقف غدا بين يديه رجله فيقول : قد سرق ابن الفرات
الأموال ، ونهب الأعمال ، وفعل وصنع . والوجه أن يُقْبَضَ عليه ويُصْرَفَ ويُقَيَّدَ
ويُحْبَسَ ، وَيُقَلَّدَ وزير آخر . فيقول : نعم . ويفعل ذلك بي . ثم يُعَاوَدُ ويُقال له :
لا يجوز أن يُوحَسَ ابنُ الفراتِ وَيُسْتَبَقَى ، ولا يُؤْمَنُ أن يُسْتَفْسَدَ وَيُتْرَكَ ،
والصوابُ قَتْلُهُ ، فيقول : افعلوا . فأهلك .

قال : واستشعر هذا فكان على ما قدره . وقد تواترت هذه الحكاية
عن جماعة عنه .

ومما ذكر عن ابن الفرات أنه كان يقول : تمشية أمور السلطان على الخطأ
خير من وقوفها على الصواب . ويقول أيضاً : إذا كانت لك حاجة إلى الوزير
فاستطعت أن تقضيها بخازن الديوان أو كاتب سره فافعل ، ولا تبُلِّغْ إليه فيها .
وحدث أبو محمد الحسن بن محمد الصلحي قال : حدثني أبو علي بن مقلة قال :
كنت أكتب لأبي الحسن بن الفرات في التحرير أيام خلافته ^(١) أبا العباس أخاه
على ديوان السواد بجاري ^(٢) عشرة دنانير في كل شهر ، ثم تقدمت حاله فأرزقني
ثلاثين ديناراً في كل شهر ، فلما تقلد الوزارة جعل رزقي خمسمائة دينار في الشهر ، ثم
أمر ^(٣) بقبض مافي دور القوم الذين بايعوا ابن المعتز . فعُصِّلَ في الجملة صندوقان ،
فسأل : هل علمتم ما فيهما ؟ قالوا : نعم . جرائدُ بأسماء من يُعَادِيكَ وَيُدْبِرُ في زوال
أمرِكَ . فقال : لا يفتحان . ثم دعا بنارٍ ، دعاءً كرَّره وصاح فيه ، وأحضرها القراءشون

(١) أي أيام قيامه بالعمل نيابة عن أخيه .

(٢) أي بأجر قدره عشرة دنانير .

(٣) تجارب الأمم ١٣/٥ ، ١٤ وابن خلكان ترجمة ابن الفرات والغفرى ٢٣٤ .

فَأُجِّجَتْ . وتقدم بطرحهما في النار على ما هما فلما أحرقت (١) أقبل على من كان حاضرا وقال : والله لو ففتحها وقرأت ما فيها لفست نيات الناس كلهم علينا ، واستشعر الخوف منا ، ومع فعلنا ما فعلناه طويينا الأمور بهذا ، فهبت القلوب واطمأنت النفوس . ثم قال لى - يقول هذا أبو على بن مقله - : قد آمن الله والخليفة - أعزه الله - كل من بايع ابن المعتز ، فاكتب الأمانات للناس جميعا وحنى بها لأوقع فيها ، ولا ترد أحدا عن أمان يطلبه ، فقد أفردتك لذلك ، لأنه باب مكسب كبير . وقال لمن حضر : أشيعوا قولى وتحذثوا به بين الخاص والعام لئلا نس المستوحش ، ويأمن المستتر . قال أبو على : فصل لى فى كتب الأمانات مائة ألف دينار أو نحوها .

وحدث محدث أن التزويرات كثرت على أبى الحسن على بن عيسى عند صرفه وتقليد أبى الحسن بن القرات الوزارة الثالثة ، وزاد الأمر فيها : فوقع ابن القرات إلى أصحاب الدواوين توقيعاً نسخته :

قَدْ نُسِخَ لَكُمْ - أكرمكم الله - آخِرَ هذا التوقيع كتاب ورد من أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - فيما انتهى إليه من حال توقيعات فى أيدى الناس بخط على بن عيسى ، بزيادات ونقل وفلك وإثبات ، فأمر - أعلى الله أمره - بترك إمضاء شىء منها ، فانتسخوا هذا التوقيع فى مجالسكم ، وامتلوا ما أمر به فيه ، ولا تنفذوا توقيعاً من على بن عيسى بخطية وتسويغ واحتمال أو نقل جار ، وتحروا من إيقاع حيلة فى ذلك أو فى شىء منه إن شاء الله .

ونسخة كتاب المقدر بالله فى آخره :

أُمتنعى الله بك وبالنعمة عندك ، انتهى فى الخبر حال توقيعات كثيرة زورت

(١) أى فلما أحرقت الجرائد .

على أنها بخطَّ عليّ بن عيسى ، وظهرت في الدواوين بزياداتٍ لقوم في أرزاقهم ، فرأيتُ ألاّ تُنْقِضَ يا أبا الحسن - أمتنى الله بك - توقيعاً من عليّ بن عيسى في زيادة ولا نقلٍ ولا إثبات ولا في شيء يجرى هذا المجرى إلا ما كتبت به جامعاً^(١) حتى إذا اجتمعت عندك الجوامع ، عَرَضْتَ عليّ في كلِّ ثلاثة أشهر ما يجتمع منها لأقف عليه وأمر برأي فيه . فاعمل - متّنى الله بك - بذلك ، ولا تخالفه ، وعرفني امثالك إياه إن شاء الله .

وحدث أبو الحسن عليّ بن أحمد بن عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى قال : كنتُ بحضرة أبي الحسن بن الفرات في وزارته الأولى ، وهو جالس يعمل ، إذ رَفَعَ رأسه ، وترك العمل من يده ، وقال : أريد رجلاً لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر يطعني حقَّ الطاعة فأنفذ في مهمّ لي ، فإذا بلغ فيه ما أُرْسِمُه له أحسنتُ إليه إحساناً يظهر عليه وأغنيته . فأمسك من حَضَرَ . ووثب رجلٌ يُكْنَى بأبي منصور أخُ لابن أبي شبيب حاجبِ ابنِ الفرات فقال : أنا أيها الوزير . قال : وتفضل ؟ قال : أفعل وأزيد . قال : كم تر تزق ؟ قال : أرزق مائة وعشرين ديناراً . قال : وقّعوا له بالضّمْف . وقال : سلّ حوائجك . فسأله أشياء أجابه إليها ، فلما فرغ من ذلك قال : خذ توقيعي وامض إلى ديوان الخراج ، وأوصله إلى كاتبِ الجماعة وطالبهما بإخراج ما على محمد بن جعفر بن الحجّاج ، وطالبه بأداء المال ، وأتلفه إلى أن يُستخرج جميعه ، ولا تسمع له حجة ، ولا تُنمّله البتّة .

فخرج وأخذ من رجالة الباب ثلاثين رجلاً ، فقلت : لأخرجنّ وأمضينّ إلى الديوان حتى أنظر ما يؤول إليه الحال . فخرجت ، وصرْتُ إلى الديوان - وهو في الدار المعروفة بفتح القلاسي - فدخل أبو منصور هذا إلى الصقر بن محمد ،

(١) أي قائمة تجمع فيها ذلك .

وعبيد الله بن محمد الكلوزاني ، وهما صاحبا المجلس شريكة ، فلم يجد الكلوزاني ووجد الصقر بن محمد ، فأوصل إليه التوقيع وقال له : أخرج ما على ابن الحجاج . قال : عليه من باب واحد ألف ألف درهم ، فطالبه بذلك إلى أن تفرغ بالعمل بسائر ما يلزمه ^(١) . وكان محمد بن جعفر من عمال أبي الحسن على بن عيسى . قال : فأحضر ابن الحجاج وشتمه وافترى عليه ، وابن الحجاج يستعطفه ويخضع له . ثم أمر بتجريده وإيقاع المكروه به فأوقع ، وهو في ذلك كله يقول : يكفي الله . ثم أمر أبو منصور بنصب دقل ^(٢) ، فنصب ، وجعل في رأسه بكررة فيها جبل ، وشدت فيه يد ابن الحجاج ، ورفع إلى أعلى الدقل ، وهو يستغيث ويقول : يكفي الله . فما زال معلقا وأبو منصور يقول له : المال المال . وهو يسأله حظه وإنظاره إلى أن يوافق الكتاب على ما أخرج عليه ، وهو لا يسمع منه ، وقد قعد تحت الدقل واختلط وغضب من غير غضب اعتمادا لأن يبلغ ابن الفرات فعله . فلما صجر قال لمن يمسك الحبال : أرسلوا ابن الفاعلة - وعنده أنهم يتوقعون ولا يفعلون . فأرسلوه لما رأوه عليه من الحدة والغضب . ووافى ابن الحجاج إلى الأرض ، وكان بدينا سمينا ، فوقع على عنق أبي منصور فذقها ، وخر على وجهه ، وسقط ابن الحجاج مغشيا عليه . فحبل أبو منصور إلى منزله في تحمل فمات في الطريق ، ورد ابن الحجاج إلى تحييه وقد تخلص من التلف . وعجب من حضر ما رأى . وكتب صاحب الخبر بالصورة إلى ابن الفرات ، فورد عليه منها أعظم مورد . وبكرت عرفان زوجة ابن الحجاج إلى موسى بن خلف حتى

(١) يعني أنه طالبه بالدلائل على ذلك وبالبيانات الثبته لهذا المال فقام بذلك وأعمده .

(٢) الدقل : خشبة طويلة تشد في وسط الفينة ويعد عليها الصراع ويراد هنا أنه نصب هذه الخشبة في البر لا في سفينة .

أوصلها إلى ابن الفرات ، فقررت أمره على مائة ألف دينار سلمت بعضها جعدة^(١) وقراها من طسوج^(٢) كوثى ، ونجم^(٣) الباقي ، وأطلق ابن الحجاج . وكان الناس يعجبون من قول ابن الفرات : أريد رجلاً لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر يطعنى .

وحدث محمد بن عبيد الله بن جعفر بن الحسن بن الجنيد قال : حضرت أبا العباس أحمد بن محمد بن بعد شر ، وبين يديه أبو الحسن بن الفرات في المكروه وهو يقول : يا قوم بمن أسأت ؟ ولمن ضربت ؟ فقال له : فمن قتل حامدا والنعمان وابن الحواري ؟ فقال : ما خرج حامد من دارى إلا صحيحاً ، ولقد كنت أطعمه من طعامى ، وأسقيه من شرابى ، وألبسه من ثيابى ، وأبخره من بخورى . وأما النعمان فذكر ما لست أعرفه في أمره . فأما ابن الحواري فكلوا هذا الفتى - يعنى المحسن - عنه ، فلهه يورد حجة أو يظهر خطوطاً تبرى ساحتها منه . وأنا قلت للخليفة : قد أطلقت يد هذا الغلام في مطالبة الناس ، وقد تخطى إلى مافيه وهن على الملكة ، فأمرنى بترك الاعتراض عليه .

وحدث أبو عمرو بن^(٤) الجمل النصراني كاتب شفيع اللؤلؤى قال : لما قبض على أبى الحسن بن الفرات في الدفعة الثالثة من وزارته امتنع القواد من اعتقاله في دار الخلافة إشفاقاً من أن يرأس المقتدر بالله ويستعطفه ويستميله ويحتال عليه ويخدعه ، واستقر الأمر على تسليمه إلى شفيع اللؤلؤى ، فلما جهل إلى داره وصعد الدرجة من شاطئ دجلة لم يمسك أحد بيده ، فجعل يعلق بالدراج ويصعد . ثم أقبل على شفيع

(١) جعدة : لعلها إقليم أو مدينة أو صوابها جندة

(٢) الطسوج : أشبه بالقرية .

(٣) نجم : قط .

(٤) في تجارب الأمم ١٢٧/٥ : المروى بالجل . وفي ١٢٨/٥ ، اللقب بالجل .

— وأنا حاضر — فقال : يا أبا الفُصن ، ما هكذا عاملتَ غيْرِي؟ فقال له : كان غيْرُكَ أتَى
 لله منك — يعني أبا الحسن علي بن عيسى — قال : فأفرده شفيْعٌ بحبسٍ له ، ودعا
 طبَّاحه سِرًّا وقال له : اسْتَزِدْ فَإِنْ ابْنَ الْفَرَاتِ مَلِكٌ ، فاستزاد له ، وقرَّع من
 الطعام . فقال لى شفيْع : ادخل إليه واغْرِضْ عليه الطعام ، فدخلت وآذنته فقال :
 على كُلِّ حالٍ يا كُلُّ القومِ زادَهُمْ على البؤْسِ والنَّعْماءِ والنَّحْدَانِ
 هاتِ الطعامَ . فقدم إليه ، فأكل أَكْلاً مُسْتَوْفًى منه ، وسُقِيَ ماءً مَثلُوجاً ، فلم
 يَسْتَبْرِده ، فاستزاد من الثلج حتى صار مائعاً ، ثم شربه ، وقال لى ^(١) : من قُلِّدَ
 الوزارة ؟ قلت : أبو القاسم الخاقاني . قال : نَكِبَ السُّلْطَانُ لَا أَنَا . فمن قُلِّدَ ديوانَ
 السَّوَادِ ؟ قلت : أبو الفرج بن حفص ^(٢) . فتبسّم وعجب وقال : رُمِيَ بِمُحْرَه . فمن
 تَقَلَّدَ الدِّوَانِ الْبَاقِيَةَ ؟ قلت : تَقَلَّدَ الْمَالِكِيُّ ^(٣) ديوانَ الْمَغْرِبِ ، وَالْمِصْرِيُّ ^(٤) ديوانَ
 الْمَشْرِقِ ، وَابْنُ هُبْنَيْ ^(٥) الْقُنَاتِيُّ ديوانَ بَيْتِ الْمَالِ وَالْخَاصَّةِ وَالْمُسْتَحْدَثَةِ وَضِياعَكَ ،
 وَعَبْدُ الْوَهَّابِ الْخَاقَانِيُّ الْأَزِمَّةَ ، وَصُلِّحَ ديوانُ النِّفَقَاتِ . فقال : لَقَدْ أَيْدَ الْوَزِيرُ
 — أَعَزَّهُ اللَّهُ — بِالْكُفَاءِ . ثم قال لى : أريد الاجتماع مع أبي الفُصن . فقلت : هُونَانُ .
 فقال أَنَبَهُ وَعَرَّفَهُ أَن يَبْنِي مُهْمًا أُرِيدُ تِجَارَاتَهُ إِيَّاهُ . فَأَنْبَهْتُهُ وَعَرَفْتُهُ مَا قَالَ . فقال :
 مَا أَحْبَبُّ لِقَاءَهُ ، وَلَكِنْ تَعَرَّفْ مَا عِنْدَهُ ، فَعَدْتُ إِلَيْهِ وَاعْتَذَرْتُ وَسَأَلْتُهُ عَمَّا يَرِيدُ .
 فقال ^(٦) : قُلْ لَهُ عَرَّفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — أَيْدَهُ اللَّهُ — عَنِّي أَنِّي لَا أَدْعُ نَصْحًا وَإِلِيَّ
 وَمَنْكُوبًا ، وَأَنِّي حَاسِبْتُ هَارُونَ بْنَ عِمْرَانَ الْجَنْهِيذَ الْبَارِحَةَ مُحَاسِبَةً تَوَلَّاهَا هِشَامُ
 صَاحِبُ بَيْتِ الْمَالِ ، فَكُنَ الْبَاقِي عِنْدَهُ مِنْ أَمْوَالِ الْمَصَادِرِينَ مِائَةَ أَلْفٍ وَخَمْسَةَ
 وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَمِائَتَيْنِ — ذَكَرَهَا ابْنُ الْفَرَاتِ — وَرُبَّمَا عَدَلَ بِهَا الْخَاقَانِيُّ

(٢) في تجارب الأمم : محمد بن جعفر بن حفص

(٤) محمد بن يعقوب المصري

(٦) تجارب الأمم ١٢٨/٥

(١) تجارب الأمم ١٢٩/٥

(٣) يحيى بن مقيم المالكي

(٥) إسحاق بن علي القناتي

عن بيت مال الخِصَّةِ وأدعى أنه أثارها^(١) واستراح إلى تمشيته أمره بها ، وهي لأُمير المؤمنين خاصَّةً .

وكتب شفيع إلى المقتدر بالله بذلك عنه ، ونفذ بالرقعة مع قيصر خليفته . فعاد جوابُ المقتدر بالله بخطه إلى شفيع بأن يُبَادِرَ بنفسه إلى دار الخاقاني وَيَقْبِضَ على هارون بن عمران ، ويأخذَ المالَ من يده ، ولا يُمكنَ الخاقانيَّ منه . ففعل شفيع ذلك ، والخاقاني لم يعلم بعدُ بما عند هارون الجبذ . وكانت هذه الحالُ من أوَّلِ ماخِبر به الخاقاني وأدهشه ، وحلَّ المالُ إلى بيت مال الخِصَّةِ وصُحِّحَ فيه .

وحدث أبو علي عبد الرحمن بن عيسى قال : حدثني أبو الحسن سعيد بن سنجلا الكاتب . قال : حدثني أبو عبد الله محمد بن إسماعيل زنجي الكاتب قال^(٢) : كنت بحضرة أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات في وزارته الأخيرة ، وقد رسم لي كتب كتاب عنه في مهمٍّ من أمور السلطان ، فأنا متشاغلٌ به ، وقد شاع أمرُ مؤنسٍ ونفوذُ الكتاب إليه وهو بالرقعة في الورود إلى الحضرة ، وابنُ الفرات شديدُ الإشقاق من القصة حتى استؤذن لأبي الهواء نسيم الخادم ، وهو من خواصِّ الخدم وجلتهم ودخل ، فلما جلس أومى إلى التخلّي لتأدية رسالة ، فنهض من كان في المجلس وبقيت وحدي مُقشَّعراً من الجلوس ، وأخذوا في السَّرارِ والخطاب ، وأُكْمِشتُ^(٣) على ما في يدي من الكتاب حتى فرغت ثم قمت . فقال لي : اجلس . فجلستُ . وأظهر ابنُ الفرات ما كان يُسرُّه ثم قال : بيننا يا أبا الهواء حقوقٌ تلزمك أن تُراعِيها . وأنتَ قليلُ التَّراسُلِ فيما بيني وبين السادة ، وأريد أن أُحمِّلَكَ رسالة

(١) يريد بقوله أثارها أنه أظهرها من قولهم أثار الأرض : قلبها فأظهر باطنها ، وفي تجارب الأمم : حتى لا يوهمه الخاقاني أنه هو استخرجه ثم يصرفه في النفقات التي سبيلها أن تنفق من بيت مال العامة .

(٢) انظر تجارب الأمم ١٢٣/٥ - ١٢٤ .

(٣) أ كْمِشت : أسرع ، يقال أ كَش في السير وغيره أسرع .

تؤديها كما أقولها . فقال : أيها الوزير . إن كانت جميلة فعلتُ ، وإن كان فيها غلظةٌ فليس في عادتِي إلا إعادةُ ما يَحْسُنُ . فقال : لا بدُّ من أن تُوردها علي حالها وتحمِّل لي ما في ذلك من مشقَّة . وقال : تقول للسادة : أنتم تعلمون ما كان مني في ابتداء هذا الأمر ، فإن الخاصَّ والعامَّ اعزلوكم جانباً ، وأفرجوا عنكم إفراجاً كلياً غيري ^(١) ، فإنني أقمت على طاعتكم ، وتفرَّدتُ بنصرتكم ، وكان غايةُ أُملي وتقديرِي المَقَامَ على ما كنت عليه أتولاه من ديوان السواد ، لا تُشَرُّهُ نفسِي إلى غيره ولا يدور في فكري تجاوزُهُ ، فأخذتموني بتقلدِ هذا الأمر والقيام به ، ولم تُفارقوني حتى أُجبتُ إليه ، وجَدَدْتُ في الأمر إلى أن انعقد وتَوَكَّدَ ، وعاديتُ كُلَّ أَحَدٍ في رضاكم حتى استوسقتُ لكم الأمور ، وتكامل في حياطة دولتكم التدبير ، وفتحتُ لكم فارسَ وما يليها ، ووَفَّرْتُ عليكم الأموال ومرايفَها ، وكددتُ ديني ودنياي فيها ، فلما قام لكم الأمر وعلا منارُهُ ^(٢) واستحصفت ^(٣) لكم الطاعة من بُعدت ودنت دارهُ ، نكبتُموني فهتكتُ حُرمتي وسلبتُ نعمتي وقُبِضَتْ ضيعتي ؛ ثم أعدتُموني ، فما حُلْتُ ^(٤) عما عهدتموه مني ، ولا فارقتُ ما كنتم تحمدونه وتصفونه عني . ثم أوقعتم بي إيقاعاً ثانياً ، فاستوعبتم بقیةَ النعمة ، وأتيتم على الأصل والتَّيَمَّةَ ، وجذبتموني إلى هذه الدَّفْعَةِ الثالثة ، فقد علمتم ما كان مني في استخراج الأموال ، وإصلاح الأحوال ، والاستقصاء على جميع من خدمكم من الكُتَّاب والمُعمَّال . والله لا لحقتي مكروهٌ في هذه الدَّفْعَةِ في

(١) أي انكشفوا عنكم وتركوكم تركاً تاماً إلا أنا لأن بقيت معكم .

(٢) في الأصل : على يارهِ . وقد تكون أيضاً أنبارهِ وهو جمع نبر وهو لحمه الثوب لكن الجمع مع ما بعدها من قوله ودنت دارهُ ، المعنى أيضاً ، يقارب ما أثبت .

(٣) استحصفت : استحكمت .

(٤) فما حُلْتُ : فما تغيرت .

نَفْسٍ أَوْ وَلَدٍ وَلَا حَالٌ إِلَّا وَلِحَقِّكُمْ مِثْلُهُ ، وَإِنْ تَمَادَى أَمَدُهُ ، مِنْ اللَّهِ تَعَالَى جَدُّهُ ، فَاعْمَلُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ .

وما زال يكرر هذا وأشباهه حتى عَرَفَهُ نَسِيمٌ ووعاه وانصرف . وألقى ابن الفرات ذَقَنَهُ عَلَى صدره وَلَحِيَّتَهُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : سَمِعْتَ مَا كُنَّا فِيهِ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ . وَمَا كَانَ لِمَا جَرَى وَجْهٌ ، وَالْقَوْمُ مَكْنُوكٌ وَاسْتَنَامُوا ^(١) إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الدَّفْعَةِ زِيَادَةً عَلَى مَا تَقَدَّمَهَا . فَقَالَ : دَعْنِي مِنْ هَذَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ لَيَصِحَّ مَا قُلْتُ . وَأُخْبِرَكَ فِي هَذَا الْمَعْنَى بِخَبَرٍ طَرِيفٍ جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي الْحَسَنِ عَلَى ابْنِ عِيسَى ، مَا لَهَوْتُ عَنْهُ إِلَّا فِي هَذِهِ الدَّفْعَةِ ، فَإِنَّهُ يَتَصَوَّرُ لِي فِي النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ ، وَيُعْتَرِضُنِي فِي الشُّغْلِ وَالْخُلُوةِ ، وَأَنَا أُخْبِرُكَ بِهِ :

لَمَّا بَلَغَ ^(٢) الْمَكْتَنَى بِاللَّهِ آخِرَ أَمْرِهِ ، كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحَسَنِ يَجْلِسُ فِي كُلِّ يَوْمٍ آخِرَ النَّهَارِ ، فَإِذَا فَرَّغَ مِنَ الْعَمَلِ جَارَانَا خَبَرَ الْمَكْتَنَى بِاللَّهِ وَعِلَّتَهُ ، وَآيَسْنَا مِنْ عَافِيَتِهِ ، وَشَاوَرْنَا فِيمَنْ يَقُومُ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ ، فَلَا يَسْتَقِرُّ الرَّأْيُ عَلَى شَيْءٍ يَعْتَمِدُهُ ، إِلَى أَنْ تَكْمُلَ الْيَأْسُ مِنْهُ . فَفُحِنَ فِي بَعْضِ الْعَشَايَا عِنْدَهُ ، وَقَدْ أَرَدْنَا النُّهُوسَ حَتَّى قَالَ : قَدْ انْقَضَى أَمْرُ الْخَلِيفَةِ ، وَمَا نَفْتَرِقُ إِلَّا بَعْدَ تَقَرُّرِ الرَّأْيِ عَلَى مَنْ يَقْعُدُ مَقْعَدَهُ ، فَمَا عِنْدَكُمْ ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ : اللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا الْوَزِيرُ أَنْ نَعْدِلَ عَنْهُمْ يَقُومُ بِهَذَا الْأَمْرِ وَنُزَلِمَهُ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ وَتَصَرَّفَ عَلَى أَمْرِهِ وَنَهَيْهِ . وَنَحْوَ هَذَا الْكَلَامِ . فَقَالَ لَعْلَى بْنُ عِيسَى : مَا تَقُولُ يَا أَبَا الْحَسَنِ ؟ فَقَالَ : اللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا الْوَزِيرُ فِي الْإِسْلَامِ ، نَحْنُ جَمِيعًا صَنَائِعُ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ - ثُمَّ هَذَا الْخَلِيفَةُ ، وَلَكِنَّهُ أَمْرُ الدِّينِ فَقُلْتُ هَذَا شَيْخًا قَدْ فَهِمَ الْأُمُورَ وَعُرِفَ بِصَوَابِ الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ بِمِثَارَةِ هَذِهِ الثُّغُورِ وَحُجَّ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَيُقِيمُ الْحُدُودَ ، وَمَنْ إِذَا قُلْتُ :

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، صَدَّقَ قَوْلَكَ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ . قَالَ ابْنُ الْفَرَاتِ : فَمَارَضْتُ قَوْلَهُ
بَأَنْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ : قَلَّدَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ الْأَمْرَ مِنْ يَكُونُ فِي حِجْرِكَ ، وَيتَدَبَّرُ بِرَأْيِكَ ،
فَتَسَلَّمَ نَعْمَتُكَ وَاعْتَمَتْنَا مَعَكَ . فَقَالَ الْعَبَّاسُ : رَأْيِي لِرَأْيِكَ تَبِعْ يَا أَبَا الْحَسَنِ .
وَنَهَضَ وَانْصَرَفْنَا .

فَلَمَّا حَصَلْنَا فِي بَعْضِ الْمَمَرَاتِ قَبِضَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَى بَنِي عَيْسَى عَلَى يَدَيْهِ وَقَالَ :
يَبْنَتَانِ شَيْءٌ . فَوَقَفْتُ مَعَهُ ، وَابْتَدَأَ يَحْلِفُ يَمِينًا أَغْرَقَ فِيهَا وَأَبْلَغَ عَلَى أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ
وَرَأْيَهُ غَيْرَ اللَّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ وَإِعْزَازِ دِينِهِ وَإِصْلَاحِ شُؤْنِهِ . ثُمَّ حَلَفَ عَلَى أَنِّي مَا أَرَدْتُ
أَنَا اللَّهُ بِمَا قُلْتُهُ وَأَشْرْتُ بِهِ ، وَقَالَ : كَيْفَ اسْتَجِزْتُ أَنْ تَجِيءَ إِلَى رَجُلٍ مَعْرُوفٍ
— بِعَنِ الْعَبَّاسِ — فَتُسَاعِدَهُ عَلَى مَا يُسْخَطُ اللَّهَ بِهِ ، وَيُبْعِدُ مِنَ الْحَقِّ ، وَيَزِيدُهُ
تَسْلُطًا وَجُرْأَةً عَلَى الظُّلْمِ ؟ ! فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ يَا أَبَا الْحَسَنِ — أَعَزَّكَ اللَّهُ — مَا نَفَعَلُ
إِلَّا لِلدُّنْيَا ، وَإِنْ جَاءَ مِنْ يَعْرِفُ أَسْعَارَ الْخُبْزِ وَاللَّحْمِ لَمْ نَأْمَنْهُ عَلَى نَفْسِنَا وَنَعْمَانَا .
قَالَ : فَقَالَ لِي جَبِيئًا : وَاللَّهِ لَنْ تَمَّ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا وَانْتِظِمَ لَا بُدَّ بِالْحَنَةِ فِيهِ غَيْرُكَ ،
فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ أَوْ دَعُ .

فَقَضَى مَاضِيَّ بِمَا فِيهِ ، وَصَلَّيْتُ بِمَا صَلَّيْتُ بِهِ مِنْهُ ، وَيُوشِكُ أَنْ يَصِيحَّ قَوْلُ أَبِي الْحَسَنِ
عَلَى بَنِي عَيْسَى وَلَا يُبْعَدُ ، لِأَنَّهُ مِنْ أَرَادَ اللَّهُ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ ، وَمَنْ أَرَادَ غَيْرَهُ خَذَلَهُ ،
فَمَا يَخْلُوفُ كَرِي مِنْ قَوْلِهِ وَخَاصَّةً فِي هَذِهِ الدَّفْعَةِ ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ .

وَحَدَّثَ هَارُونَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ النَّصْرَانِي الْكَاتِبُ قَالَ : حَضَرْتُ مَجْلِسَ الْقَاسِمِ
ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ كُتَّابُ الدَّوَاوِينِ ، إِذْ خَرَجَ إِلَيْهِ تَوْقِيعٌ
مِنَ الْمَكْتَنِيِّ بِاللَّهِ يَعْرِفُهُ فِيهِ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى سُورٍ مِنْ رَأْيٍ لِلتَّصِيدِ ،
وَيُرْسِمُهُ لَهُ إِذَا ذَاكَ مَنْ يَصْلِحُ الطَّرِيقَ وَإِعْدَادَ الْعُلُوفَةِ وَالْمِيرِ^(١) وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ

(١) الْمِيرُ : الْمُؤْنُ وَالْعُلُوفَةُ جَمْعُ الْعُلْفِ : مَا نَاطَعُهُ لِلدَّوَابِّ .

للعسكر . فرمى به إلى أبي الحسن عليّ بن محمد بن الفرات ، لأنه ممّا كان يجري في ديوانه ، وقال له : اكتب في هذا المعنى بما يؤكّده ، وأضف إليه منشوراً لتستجيب المطالبة والإجماع ، ومشاهدة ما يجري عليه الحال . فقال : نعم — أعز الله الوزير — وجعل التوقيع تحت خذّه ، وطلب دواةً ، فحضرت وتُركت بين يديه ، وأخذ يُكرّر النظر في كُتبٍ قد أُخرجت إليه متعلّقة بديوانه ، ومضت ساعة . فقال له القاسم : كتبت الكتب ؟ قال : نعم . والتفت فقال : ادعوا زنجياً الكاتب لينشئ نسخ ذلك ويحرّرها فإنه أعرَفُ برسوم المناشير ، فضحك القاسم بن عبيد الله ثم أقبل على أبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح فقال : الأمر يا أبا عبد الله مُهمٌّ لا يحتمل التأخير ، ومُنشئُ أبي الحسن غير حاضر ، ولعله يَحْتَسِبُ . وقال لابن الفرات : ادفع إليه التوقيع ليكتب في المعنى بما يتضمّن . قال : فأخذ أبو عبد الله التوقيع وكتب سريعاً بأبلغ عبارة وأشد استيفاءً ووصاً . وخجل ابنُ الفرات . ولم تكن كتابته مُقَصَّرة و [لا] بلاغته متأخرة ، ولكنَّ يده كانت تخونه وتَقَعُدُ به .

وحدث القاضي أبو علي التنوخي قال : سمعت بعض شيوخ الكتاب يقول : كان أبو الحسن عليّ بن عيسى مُعظِّماً لصناعة الكتابة ، محافظاً على مكانه منها ، مُتَحَدِّراً من عيب يلحقه فيها ، وكانت المنافسة واقعة بين أبي الحسن بن الفرات وبينه في الأعمال والمنازل والكتابة والصناعة ، فاتَّفَقَ أن عمِلَ عليّ بن عيسى مؤامرة لعامل يُعْنَى به أبو الحسن بن الفرات ، وأخرج عليه فيها مائة ألف دينار ، واعتقد موافقته عليها وإلزامه إياها . ثم أحضره وأراه المؤامرة وقال له : قف عليها واذكر ما عندك في كل باب منها ، فإن كانت لك فيه حجةٌ تُسْقِطُهُ وإلا التزمته وأدبته . فقال : أريد أن أقرأها قراءة تأمُّلٍ ، وأنظرَ فيها نظرَ تَصَفُّحٍ ، وما يكون ذلك إلا (١٠ - الوزراء)

في منزلي عند خلوتي بنفسى . فقال : خذها . فأخذها وجاء إلى أبي الحسن بن القرات ،
فشرح له صورته ، وسأله النظر في المؤامرة ، وتلقينه الجواب عن كل باب منها . فقرأها
ابن القرات وقال للعامل : لولا أن على بن عيسى قدّم فيها سهوا ظاهرا ربّما
خلصك لما سقط عنك درهم واحد مما أخرج عليك ، وذلك أنه صدر المؤامرة
بباب خرج عليك فيه فضل الكيل في غلات ناحيتك ، وأنت لم توردّه ، وحصل
عليك صدرا كبيرا من المال عنه ، ثم ذكر بعد ذلك في باب آخر أنك اقتطعت من
غلات المقاسمة ما لم توردّه ، وأقام الشاهد عليك فيه ، وأزمتك مالا جزيلا عنه .
وقد كان من قانون الكتابة أن يبتدئ بذكر الاقتطاع من أصول الغلة . ثم يجعل
فضل الكيل مؤخرًا ، فإذا صدر فضل الكيل فقد صحّ به الأصول ، وهذا غلط
فاحش وخطأ ظاهر غير محيل ^(١) ، والصواب أن تمضي إليه وتخلو به وتقول له :
تحكك في الصناعة لا يقتضى ما فعلته في هذه المؤامرة ، وقد سهوت فيها سهوا قبيحا
وهو كذا وكذا ، وأنا معك بين أمرين ، إما أن أكشف للناس خطأك فعليك فيه
ماتعرفه ، وليس يكون ما يلحقك من القباحة بأقل مما تتناولنى به من النكبة ،
وإما أن تفضلت بطي هذا الأمر وستره وإبطال المؤامرة والإمساك عنها ولك من ذلك
مرفق ^(٢) أحله إليك . فإن إشفاقه على جاهه ، وكرهته ما يقدح في صناعته ، ورغبته
في المرفق ، يحمله على إبطال المؤامرة .

قال العامل : فضيت سحرا إلى داره ، فلما رآنى قال : ما عملت في المؤامرة ؟
فقلت له : ينبتا شيء أقوله سيرا ، ودنوت إليه فقال : ماهو ؟ فأوردت عليه ما كان
ابن القرات علمنيّه ، ونشرت المؤامرة ووقفته على المواضع ، فحين شاهدها وتأملها وحّم

(١) غير محيل أى غير آت بالحال . ولعلها محرفة عن : غير محتمل .

(٢) مرفق : منفعة .

وَجُوراً شديداً وقال : يا هذا ، قد وفرَّ الله عليك المَرْفِقَ ، وأسقط عنك المؤامرة ، فإن أكبر الأمور عندى فى هذه القصة أن وقَّعت على غَلْطى وتيقَّطت^(١) مُسْتَأْنِفَاً من مثله ، واللهُ بينى^(٢) وبين ابن الفرات ، فإن هذا من تعريقه وتوقيفه وإلا فلست ممن يتنبَّه على ماهذه سبيله .

ونهبضت من عنده وقد كُفِّيتُ الأمرَ ، وزالت عني المؤونة والمطالبة ، وربحت المَرْفِقَ الذى كنتُ على التزامه ، وعدت إلى أبى الحسن بن الفرات ، وحدثته بالحديث فضحك .

وحدث القاضى أبو على قال : حدثنى أبو الحسن أحمد بن يوسف بن الأزرق قال : لما حُمل على بن عيسى إلى ابن الفرات فى وزارته الثالثة رآه ابن الفرات وهو مقبل إليه فبدأ يكتب كتابا ، وجاء على بن عيسى وهو كالميتِ خوفاً وجَزَعاً ، فوقف قائماً وابنُ الفرات يكتب ، وعند على بن عيسى والحاضرين أنه لم يَرَهُ ، وبقي واقفاً نحو ساعة إلى أن فرَّغ ابنُ الفرات من كتابته ، ثم رفع رأسه وقال : أقعد بارك الله عليك . فأكب على بن عيسى عليه يُقبَّلُ يده ويقول : أنا عبد الوزير وخادمه وصنيعته القديم ، وصنيعه أبى العباس أخيه رحمه الله تعالى ، ومن لا يعرف صاحباً ولا أستاذاً غيره . فقال : هو كذلك وأنت فيه صادق ، وإنى لأرعى لك حقَّ خدمتك القديمة لى ولأخى رحمه الله ، وما عليك بأسٌ فى نفسك ، ولولا طاعةُ السلطان ما أفسدتُ صنيعتنا عندك .

وقرر عليه من المصادرة ما قرَّره ، وعمل المحسن بنُ على بن الفرات على قتلِ على بن عيسى ، فلم يدَّعه أبوه . واستقرَّ الأمر على نفيه وإبعاده عن الحضرة ، واختار هو الخروج إلى مكة وأظهر أنه يُريد الحج والمجاورة . وخرج بعد أن ضمَّ

(١) لعلها أيضاً معرفة عن : ونفطنت . (٢) فى الاصل والله ما بينى

إليه موكّلون ، ووصاهم الحسن بِسْمِهِ في الطريق إن تمكّنوا أو قتلهم بمكة ، وعرف عليّ بن عيسى ذلك فتحرّز في مأكله ومشربه . ووصل إلى مكة رجلاً يُعرف بأحمد بن موسى الرازي ، وكان داهيةً ذامراً وخُبثاً ، وقد اصطنعه عليّ بن عيسى في وزارته ، وقلّده القضاء هناك . فلما اجتمع عليّ بن عيسى معه حدثته بحديثه ، وسأله إعمال الحيلة في تخليصه وحراسته نفسه ، فتلفظ في ذلك بأن واضع^(١) أهل البلد - وقد كانوا قدّموه وأطاعوه - على أن اجتماعوا وثاروا بالموكّلين ، وخاف أن يجري ما يلحقه فيه إثم وإنكار من السلطان ، فطرح نفسه عليهم حتى خلّصهم وأخرجهم ليلاً إلى بغداد ، بعد أن أعطاهم نفقة . وأقام بمكة .

وقد كان أبو العباس أحمد بن محمد بن القرات في خلافة عبيد الله بن سليمان على الأمور عملاً ديواناً سماه ديوان الدّار ، وجمع إليه سائر الأعمال ودبّره بنفسه وكتّابه ، واستناب أخاه أبا الحسن عليّ بن محمد بن القرات فيه ، واصطنع كتّاباً قلّدهم مجاليته ، منهم أبو الحسن عليّ بن عيسى ، وأبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح عمّه ، فكانا يجلسان بحضرة أبي الحسن ، ويأمرهما وينهاهما ، ويسميانه أستاذنا ، على رسم أصحاب الدواوين إذ ذاك .

وجرى الأمر على هذا الترتيب إلى أن عزم المعتضد بالله على إخراج المكتفى بالله إلى الجبل ، ومعه عبيد الله بن سليمان ، والخروج بنفسه إلى آمد والنفور ، ومعه القاسم بن عبيد الله ، فقال عبيد الله لأبي العباس بن القرات : أريد كتباً يصحبني ويتصفح أعمال كل بلد فتحة ويقرّر معاملاته على ما يدلّ عليه الديوان القديم من رسومه . فقال : ذلك محمد بن داود . وإليه من ديوان الدار مجلس ما فُتح من

(١) في الأصل وضع . واضعه في الأمر واقفه فيه على شيء وواضحه الرأي أطلع كل منهما الآخر على رأيه .

أعمال المشرق ، وفيه الحُسابَاتُ العتيقة . وقال القاسم : وأنا أريد آخر يكون
معى إلى المغرب . فقال : يكون على بن عيسى .

وخرج محمد بن داود وعلى بن عيسى فى جملة عبيد الله والقاسم . فَتَفَقَّ (١) محمدٌ
على عبيد الله وقرب منه واختصَّ به ، ورأى من فضله وصناعاته ما أعجبه ، وانتهى
أمره معه إلى أن زوجه عبيد الله بنته ، وانزعَ مجلس المشرق من ديوان الدار
وجعله ديواناً مُفَرِّداً [و] قلَّده محمد بن داود رئاسةً . وحصلت لعل بن عيسى حُرمة
بالقاسم ، وشاهد من كفايته وسداده وكتابته ونفاذه ما عظم به فى عينه ، فقدَّمه
وتوفَّر (٢) عليه . وفعل مثل فعل أبيه مع محمد بن داود فى انتزاع مجلس المغرب من
ديوان الدار وتقليده على بن عيسى رئاسةً ، ولم يَجْعَلْ لأبى العباس بن الفرات بعد
ذلك عليهما يداً . وكان قولُ على بن عيسى لابن الفرات ما قاله من أنتى عبدك
وصنيعتك وعبدُ وصنيعةُ أبى العباس أخيك . وقبولُ ابن الفرات ذلك منه وتصديقه
إياه فيه ، على هذا الأصل .

وحدث أبو على عبد الرحمن بن عيسى قال : كان أخى أبو إسحاق إبراهيمُ
ابن عيسى يتقلد أعمال الزَّابِ الأعلى فى أيام عبيد الله بن سليمان خلافةً لأبى الحسن
على بن عيسى ثمَّ رئاسةً ، فصرفه (٣) بمحمد بن محمد بن حمدون (٤) بن سليمان
الواسطى عنها ، قال : تحدثنى ابن حمدون هذا قال : أحضرنى أبو العباس أحمد
بن محمد بن الفرات فقال لى : قد صرفتُ إبراهيم بن عيسى بك ، وأريد أن تعقله
وتُضَيِّقَ عليه . واتفق أن حضر أبو عبد الله محمد بن داود مُسَلِّماً عليه ، وقد عرف

(١) تَفَقَّ : راج عنده . (٢) توفَّر عليه : فرغ له .

(٣) صرفه بفلان عزله وولى هذا الفلان مكانه .

(٤) فى الأصل ابن الحسن . والتصويب بما سيأتى فى اخبار على بن عيسى ومن سياق الكلام .

الخبر، فقال له ^(١) : تتقدم - أعرك الله - إليه في إمضاء مقاطعتي وإجمال معاملتي .
قال : فقال لي ابن الفرات : أبو عبد الله من قد عرفت محله من الوزير أبي القاسم
ومنا ، فاعمل بصنيعته في جميع إرادته . فلما انصرف أبو عبد الله قال لي : إياك
أن تُنْقِضَ مُقَاتَعَتَهُ ^(٢) أو تَدَعِ الاستقصاء عليه في مَسَاحِهِ ^(٣) ، وَوَكَّلْ بِفَلْتِهِ
حتى تستوفي حقَّ بيت المال منها على واجبه وتماه وكاله ، وإبطال مظالمه .

قال : فوردَ عليَّ من ذلك أعظمُ مورد ، وتبينت به ما في نفسه على
آل الجراح ، وشخصتُ إلى العمل ، فما داجيتُ أبا إسحاق ، وطالبتُه بأن يميئني
في كُلِّ يوم ، فغلظ ذلك عليه ، وهو لا يعلم ما تقدّم به ابن الفرات في أمره ،
والتصّلت كُتُب ابن الفرات إلىّ بالحثّ على ما وصّاني به والتأكيد فيه اتصالاً
طويته عن أبي إسحاق ، ولم أذكره له وذلك في سنة سبع وثمانين ومائتين ومضت
الأيام . فلما تولى أبو إسحاق الإشراف على أعمال واسط كنت أدخل إليه فيقولُ
الإقبالَ عليّ ، ويُظهر الانحراف عني ، حتى خِفْتُ أذيتَه في ضيقتي ، فحنته في بعض
الأيام ، ومعى بعضُ ما كان ابنُ الفرات يكتبه إليّ في بابه . فلما خلا وجهه ^(٤)
دنوت منه وقلت له : قد تبينتُ منك إعراضاً وسوء رأي ، ولا شك أن ذلك
لِمَا كان مني إليك ، وقد علم الله نِيَابَتِي كانت عنك ، وحراستي إياك مما كنت
أطالب به فيك ، ومن الدليل على صدق هذه الكتب . وأخرجتها إليه وقرأتها
عليه . فلما وقف على ما فيها أكبّره وأعظمه ، وبسط عُذْرِي فيما عاملته به ، وعاد
إلي ما أحبه . وكان تقلّدُ أبي إسحاق الإشرافَ على واسط بعد أن تقلّد أعمال

(١) يعني أن محمد بن داود قال لأحمد بن الفرات : اطلب من محمد بن محمد بن حمدون أن يكرمني
في تنفيذ أعمال وحسن معاملتي .

(٢) المقاطعة : ما يقرر له من هبة أو أجر وما أشبه ذلك .

(٣) مباحه : ما يتساهل فيه أو ما يسمح له به جزم مسموح .

(٤) خلا وجهه يعني به أن الناس انصرفوا من عنده .

الراذائين . وكاشف ابني الفرات فيما اقتطعاه واجتذباه من الضياع السلطانية ، وحسن أثره عند القاسم بن عبيد الله ، فنقله إلى الإشراف على أعمال واسط نقلا كان من سببه أن كان القاسم سيء الرأي في أبي العباس بن الفرات . فقال لأبي الحسن علي بن عيسى : قد كثرت ضياع ابني الفرات بنواحي واسط ، واستضافا إليها ضياعا سلطانية ، وصارا يأخذان لمصالحهما نحوَ عشرين ألفَ دينارٍ في السنة ، وأريد رجلا حصيفا أردّ إليه الإشراف على هذه النواحي وأعول عليه في كشف ضياع ابني الفرات ، وإثارة الفضل^(١) الذي في أيديهما ، وآمنُ عنده محاباةً لهما وخوفاً منهما ، فهل في أهلنا من يصلح لذلك ؟ فوصف له أبا إسحاق بالشهامة والاستقلال ، واستحضره وقلده ، وانحدر وجدّ في النظر والكشف ، وواصل كتب الكتب بما وقف عليه وعرفه ، وعمل الأعمال بما أثاره واستدركه ، فكان من ذلك عملٌ ما يقيضه وكلاهما ابن الفرات لمصالح ضياعهما بواسط ، وهو زيادة على عشرين ألفَ دينارٍ في السنة ، وعملٌ آخرٌ لما اقتطعاه من ضياع السلطان وأضافاه إلى أملاكهما ، وهو نيّف وثلاثون بَيْدَرًا ، منها بيدَرٌ يعرف باليهودي ، ارتفاعه نحوَ الخمسين ألفَ درهم . وعاد إلى الحضرة وعرض الأعمال على القاسم ، فقال له : تواقف ابن الفرات على أعمالك هذه ؟ فقال : ما عملتها لأسترها وأخاف المناظرة عليها . فأحضره وقد حضر أبو العباس بن الفرات ، وواقفَه في المجلس موافقةً ألزمه فيها مالاً كثيراً ، فرأى القاسم من أبي إسحاق صرامةً عجيبةً ، وتبين ابن الفرات من القاسم إنكاراً همتَه^(٢) نفسه معه .

(١) يريد بذلك تبين الزيادة التي استوليا عليها .

(٢) همت : شفته وألقته .

قال أبو علي عبد الرحمن ، خذتني بعض أصحابنا قال : لما انصرف أبو العباس بن
الفرات من هذا المجلس إلى منزله ، وهو مُثْنَنٌ ^(١) ، وجد أخاه أبا الحسن يعمل .
فقال له : يا أبا الحسن ما فارقتنى حتى هتكتني ونكبتني ، اقرأ هذا العمل . ورمى
إليه بعمل المصالح وقال له : إذا كانت نفقات مصالحنا عشرين ألف دينار فأى شيء
نقول للسلطان والوزير والناس في الارتفاع والاستغلال ؟ ! ثم أعطاه العمل بالضياح
المستضافة . قال : هذه الطامّة الكبرى والفضيحة العظمى . قال عبد الرحمن : وهمّ
القاسم بن عبيد الله بالقبض عليهما والإيقاع بهما ، فتدافع الأمر بظهور صاحب الحال ^(٢)
والتشاغل بخطبه والخروج إلى المغرب ^(٣) في طلبه . فلما عادوا لم تطل المدة حتى توفي
القاسم بن عبيد الله وأبو العباس بن الفرّات في آخر سنة إحدى وتسعين ومائتين
ثم ولي أبو الحسن بن الفرّات الوزارة ^(٤) فقصد أبا إسحاق ونفاه إلى الصافية ،
ووزر أبو الحسن على بن عيسى بعد ذلك ^(٥) وصُرف ، وعاد ابن الفرّات ^(٦) فنسب
أبا إسحاق وصادره على خمسين ألف دينار استخرج منها ثلاثين ألف دينار .
وأقام أبو إسحاق في منزله وامتنع من العمل بعد ما لحقه . فلما تقلد أبو الحسن بن
الفرّات الوزارة الثالثة ^(٧) أعاد القبض عليه وطالبه ببقية المصادرة ، ثم بمثلها ^(٨) فأداه
ثم بمثلها دفعة ثالثة بعد مكروه عسفه به ، وأخرجه بعدد إلى البصرة ، وسلّمه إلى ابن
الأصبغ عاملها ، فيقال إنه سمه ، ومضى لسبيله ^(٩) .

(١) يريد بالثخن هنا أنه مرهق مكدود تعبياً بمن أثخنه الجراح أى أوهنته وأضعفته .

(٢) هو الحسين بن زكرويه أخو يحيى بن زكرويه انظر ابن الأثير حوادث . ٢٩ وفيه أنه سمى نفسه
أحمد ودعا الناس فأجابوه أكثر أهل البرارى وغيرهم فاشتدت شوكتهم وأظهر شامة في وجهه وزعم أنها
آبته . . . ثم تسمى المهدي أمير المؤمنين وقد قتل صاحب الحال أو صاحب الشامة في سنة ٢٩١

(٣) يريد بالمغرب ما كان غربي العراق لأن صاحب الشامة كان في بلاد الشام .

(٤) كانت أول وزارة له في سنة ٢٩٦ كما تقدم (٥) كانت وزارته الأولى سنة ٣٠١

(٦) الوزارة الثانية كانت سنة ٣٠٤ (٧) كانت الوزارة الثالثة سنة ٣١١

(٨) في الأصل : بمثلها وكذلك التي جاءت بعدها (٩) يريد أنه توفي .

وحدث أبو علي عبد الرحمن قال : كان سببُ العداوة بين أبي الحسن بن الفرات ومحمد بن عبدون أنه غلب على العباس بن الحسن واختصَّ به فسعى في صرف أبي الحسن بن الفرات ونسبته لتبيحٍ قديمٍ كان بينه وبينه ، واستمال محمد بن عبدون أبا عبد الله محمد بن داود بن الجراح عمي فقال معه ، وساما أبا الحسن علي بن عيسى أخى الدخولَ معهما فامتنع ، وجرت في ذلك خطوبٌ طويلةٌ باطنةٌ وظاهرة . وتجرد محمد بن عبدون - بِفَضْلِ شَرٍّ وحسدٍ كانا فيه - في مكروه ابن الفرات وطالب العباس بإطلاع المكتفى بالله على خياناته واقتطاعاته وما تأثَّل^(١) من حاله بذلك وعظُم من نعمته ، وساعده محمد بن داود على أمره . قال عبد الرحمن : فأذْكرُ ، وقد صار أبو الحسن بن الفرات في بعض الأيام إلى أخى أبي الحسن علي بن عيسى في داره ، فقام إليه وأكرمه ، وجعل ابنُ الفرات يشكو إليه ما يلاقيه من محمد بن عبدون ، ويُعرض بمحمد بن داود عمي ، وأخى يسترجع ويقول له : يكفيك الله ثم قال له أخى : أما أنا فقد عرفتَ إخلاصى لك ، وما يرانى الله تعالى مُساعداً فيما يسوءك ، وأما عمي فالأمر معه قريب ، وسأردُّه وأكفيك ما تخافه منه ، ومع هذا قد برَّ أمرُك تديراً يُصلحه مع صاحبنا وصاحبك . فقال له : أشرْ على ياسيدى . فقال : استعطفِ الوزير . قال : قد فعلتُ . قال : زدْ ، وليس بكثير أن تُقرم في هذه القصة^(٢) خمسين ألف دينار ، وإن احتجت إلى مالى في ذلك فهو بين يديك . فتكرَّه وقال : أريد التَّوثِقةَ منك . فقال له أخى : ما تجِدُ عندي خِلافاً عليك إلا أن اليمين غيرُ مباركة وما بنا إليها حاجةٌ ، وفي الأقوال الصادقة والآراء الصافية غنى وكفاية . وقام فانصرف .

قال عبد الرحمن : ووافى ابنُ عبدون في بعض الأيام إلى أبي الحسن أخى ، فلما

(١) تأثَّلَ تَجَمَّعَ وتَأَسَّلَ .

(٢) لعلها أيضاً محرفة عن القضية .

جلس قال له : قد فرغنا من أمر الرجل إن كانت منك مساعدة . فقال :

اللَّهُمَّ غَفِرًا . وقنا ، وحلوا وتحذثا . ثم نهض ابن عبدون ، وعذت أنا وإبراهيم بن أيوب الكاتب إليه ، فوجدناه مُقَطَّبًا واجها . فقال لنا مبتدئا : ما أعجب ما نحن فيه ! نعوذ بالله من البغي وجوابه . ثم قال : وإفانا هذا الرجل - يعني ابن عبدون - يريد أن يَلْفِتَنَا عن ديننا ، وذَكَرَ أن الخليفة قد استحباب إلى صرف ابن الفرات إن تَوَلَّيْتُ دِيوانَه ، فقلتُ له : يا هذا ، إن صرفتُ ابن الفرات ازددت بصرفه رزقا وأجلا ، وإن لم أصرفه نقصني الله مما قرره لي ؟ قال : لا . قلت : فإن تركتموني أدبرُ هذا الأمر معكم وأقوم بما إني منه ، وإلا لزمتم منزلي وأرحت نفسي . فانصرف مُتَنَكِّرًا مُتَسَخِّطًا وقال : هذا الأمر يُراد .

ومضى ابن الفرات إلى العباس فأعطاه وأرضاه . وقد كان قال للمكثني بالله : إنَّ حال ابن الفرات قد عظمتُ ، وأنا آخذ منه خمسين ألف دينارٍ أرذها في بيت مال الخِصَّة ، وأبقى عليه صدرا من نعمته . فقال له : نعمتُ ابن الفرات لي ، ومتى أرذتها أخذتها ، وما يُمكنني إنشاء كاتبٍ مثله واصطناعه والرفعُ منه حتى يكون حاله الحال الذي يَظُنُّ فيه .

وكان ما قاله المكثني بالله وفعله من أحسن ما روي وأثر عن كل خليفة قبله . وقد كان خفيفُ السمرقندى الحاجبُ يقوم بأمر ابن الفرات ويعضدُها ويشدُ منهما ، فقلما طمع في أبي الحسن وانبسطَ الألسنُ فيه .

وحدث عبد الرحمن قال : لما عُقِدَ الأمرُ لأبي العباس عبد الله بن المعتز ، ووزر له محمد ابن داود بن الجراح عمي تأخر أبو الحسن علي بن عيسى أخى عن الحضور ، فوصلت مراسلة بالاستدعاء ، وهو أبى ويتوقف ، حتى إذا زاد الإلحاح عليه - وبلغه عن عبد الله بن المعتز أنه قال : علي بن عيسى متأخرٌ عنا لِيَمْضِيَ إلى جعفر ، فإن كانت

له خَلَصَ عَمَّه ، وإن كانت لنا خَلَصَهُ عَمَّه . وليس كذلك . فإنه لاتَ حينَ مناصٍ - صَارَ^(١) إلى القوم . فلما لم يَرِ ابنَ الفرات قال لمحمد بن داود : ما فعل ابنُ الفرات ؟ قال له : وأية فائدة في حضوره ؟ قال : كل فائدة ، وستعلم ما تكونُ عواقِبُ تأخُّره وأنه لا يكون هلاك الجماعة إلَّا على يده . فسكَانَ قوله وافقَ قَدَرًا .

ولما انتقض أمرُ ابنِ العتَز ووزر أبو الحسن بنُ الفرات [و] اخِذَ على بن عيسى ومحمد بنُ عبدون وحملاً إلى دارِ بَذْرِ اللَّائِيَّة ، كتباً رقعة إلى ابنِ الفرات ترجأها^(٢) : لعبيده محمد بن عبدون وعلي بن عيسى .

فعاد الجواب : فهمتُ هذه الرقعة يا أبا الحسن على بن عيسى أطال الله بقاءك . وأدام عزك وسعادتك ، وأنت تعلم ما يلزمني من حَقِّك ، وما أنا عليه لك ، ولن أدعُ مُمكنًا في تخليصك واستنقاذك وردَّك إلى أفضلِ ما كنتَ عليه إلَّا أتيتُه وبلغتُه وقضيتُ حَقِّك به .

ولم يذكر محمد بن عبدون بشيء ، فلما وقفنا على ذلك لَعَمَ محمد بن عبدون على رأسه وقال : قَتَلَنِي وَاللَّهِ . وكان الأمر كما قال .

ولم يدع ابن الفرات المنافسة في الرئاسة والعيِّرة على الوزارة حتى اتى على بن عيسى إلى مكة .

وحدث عبد الرحمن قال : لما ثَقُلَ على^(٣) أبي الحسن بن الفرات أمرُ سوسن وبلغه عنه عمله على الإيقاع به وشرُّوعه لمحمد بن عبدون في الوزارة ، خوَّفَ المقتدر

(١) في الأصل وصار . والبقاء يقتضى حذف الواو والفائل هو على بن عيسى وانظر كتب التاريخ حوادث ٢٩٦

(٢) لعله يراد بذلك التعبير أنهما كتباني الرقعة أنهما عبداه .

(٣) انظر تجارب الأمم ١٢/٥

بالله منه ، وأعلمه أنه على الوثوب به ، وأنه كان على تقديم عزمه منه إلى أن سأله أنوش بن الحرهان كاتب سوسن أن يؤخر ذلك في هذا اليوم لعيدله ، ووقع الاتفاق بينهم على الإيقاع بك وبى وبجماعة معنا في يوم الثلاثاء المقبل بعد يوم المركب ، وقرّر ذلك في نفسه وحقّقه عنده ، فلما كان يوم الاثنين لثمان بقين من رجب ركب المقتدر بالله إلى الميدان ، ومعه تكين الخاصة ونازوك وغريب الجلى ورائق وياقوت ، وقد صمّن ابن الفرات لتكين أن يقلّده مصرّ إن ساعده على أمر سوسن . وأحسّ سوسن بما يُدبّر عليه ويراد به ، فتنحّز في أمره ودخل الميدان ولم ينزل عن فرسه ، ولعب مع الخليفة ساعة بالصولجان ، ثم مضى إلى صافي الحرّمي يعود من شيء وجده ، وتبعه مؤنس الخازن والغلمان ، فلما نزل إلى صافي وكان في آخر الميدان قبض عليه تكين الخاصة .

قال عبد الرحمن : حدثني تكين الخاصة عند اجتماعنا بمصر ، وقد جرى ذكر سوسن وتجبره وعُتوه قال : فلما مضى إلى صافي بادرت كأني معه ، ونزل قدودت يدي إلى منطقتة ^(١) كأني أتوكأ عليها ، فجذبتها ، وأخرجت سكيناً معي فقطعتها ، وحصلت مع السيف في يدي ، وسلبه الغلمان ما كان عليه ، ودفعناه حتى أدخلناه باب الميدان ، فعند ذلك بكى ، وحمل الخدم السلاح ، ووكل بداره ، واجتمع من كان خلفه وصار في حيزه من الغلمان ، فخرج إليهم ^(٢) خادم وقال : مولانا يقول لكم : أتم غلمانى وخاصتى ، وهذا عبدى ومملوكى ، وقد بلغنى عنه ما أريد موافقته عليه ، وأنا لكم بحيث تُحيون . فدعوا وقالوا : الأمر لمولانا . وتفرقوا ولم يعد منهم قول بعد ذلك .

وقرر ابن الفرات في نفس المقتدر بالله دخول محمد بن عبدون وعلى بن عيسى

(١) المنطقة : حزام يشد في الوسط . (٢) في الأصل : إليها .

مع سوسنٍ فيما كان عَمِلَ عليه وَهَمَّ به . فأما محمد بن عبدون فإنه أُنْفَذَ مِنْ جِملِهِ من الأهواز ^(١) إلى الحضرة . قال عبد الرحمن : لَحْدَثَنِي من سَمِعَ ابن الفرات يقول له : والله لأَقْتَلَنَّكَ . وابن عبدون يقول : يكفى الله ويفى الوزير . فقال : لا والله . ما فيها إلا التلف وحسبنا الله ونعم الوكيل . وحُبِسَ أياها يسيرة وأُخْرِجَ مِتّاً وطُرِحَ في مَشْرَعَةِ السَّاجِ عند داره ، وَوُجِدَ عند غُسلِهِ وقد أُكِلَ لَحْمُ ذِرَاعِيهِ فما طالت الأيام حتى أَصَابَ مَنْ سَاعَدَ ابنَ الفرات على أمره مثلُ ذلك . فأما أبو الحسن عليُّ بن عيسى فكَتَبَ بِجِملِهِ إلى الكوفة ، وأقام بها إلى وقت الموسم ، وخرج إلى مكة وقد وَكَّلَ به حبشِيُّ بن إسحاق السَّجَّانُ .

وحدث أبو علي عبد الرحمن قال : وزر أبو الحسن بن الفرات ، وارتفعُ ضَيْعَتِهِ وَضِيعَةُ أَخِيهِ أَبِي العباس نحو مائتي ألفِ دينار ، وصُرِفَ بعد أربعة وعشرين شهرا . وقد بلغ ثمانمائة ألفِ دينارٍ وكسراً . وذلك بما استضافه واجتذبه من الأملاك والضَّيَاع . ووجدَ له أبو علي ^(٢) الخاقاني - عند تَقْلِيدِهِ بعده - في الدواوين والودائع نحو ثلاثة آلاف ألفِ دينارٍ أكثرها محمولٌ من بيت مال الخاصة - الذي بنى له ^(٣) المعتضد بالله ، وكان قلعة قد صب في أنقالها الرصاص . ومات وقد اجتمع فيه تسعة آلاف ألفِ دينارٍ وكسراً ، وكان نَذَرَ عند بلوغ ذلك عشرة آلاف ألفِ دينارٍ أن يَتْرُكَ عن أهل البلاد ثُلثَ الخراج في سَنَةِ البلوغ ، وأضاف المسكتى بالله إلى هذه الجُمْلَةِ في أيام خلافته سبعة آلاف ألفِ دينارٍ حتى تكامل المبلغ ستة عشر ألفَ ألفِ دينارٍ وكسراً . ومات المسكتى بالله ، وتفرَّقَ المال

(١) في الأصل : مال الأهواز .

(٢) أبو علي الخاقاني هو محمد بن عبيد الله المترجم له في هذا الكتاب وتولى الوزارة سنة ٢٩٩ .

(٣) هكذا في الأصل ولعلها: الذي بناه . أو الذي بنى للمعتضد .

وتمزَّق . وقيل : إنه وُجِدَ فيما وُجِدَ من ودائع ابن الفرات ما هو مَحْتَمُومٌ أبى خراسان
فرغان الخادم خازن المعتضد على بيت مال القلعة . وذلك أَنَّ الأمر فيما كان يحوَّلُ
إلى حضرة المقتدر بالله ويُخْرَجُ إلى مجلس العطاء زاد على الخلد . وخرج عن
الضبط . قال عبد الرحمن : وقرأت توقيعاً لفاطمة القهرمانة خَرَجَ إلى ابن الفرات
تقول فيه : أَمَرَ أمير المؤمنين بحمل أربعين بَدْرَةً ^(١) عَيْنًا من ^(٢) بيت مال
الخاصة إلى حضرته . وتوقيع ابن الفرات في آخره بامثال الرسوم فيه ، وكانت
لهذا التوقيع نظائر كثيرة ، وابن الفرات يحتال لنفسه في أمثال ذلك ، حتى
قيل إنه أخذ من بيت مال القلعة ألف ألف دينار . وأطلق منها لعبد الله بن جبير
مائة ألف دينار ، ولأصطف بن يعقوب كاتب بيت مال الخاصة وخليفة دانيال بن
عيسى ^(٣) كاتب مؤنس الخادم الملقب بالمظفر مائة ألف دينار . قال عبد الرحمن
فحدثني أبو الحسن سعيد بن عمرو سنجلا أن رِزْقَ ابن جُبَيْر لما كان يكتب وهو
بين يدي ابن الفرات في مجلس من مجالس ديوان الخراج خمسة وعشرون ديناراً ، فلما
تقلد ابن الفرات الوزارة بلغ به مائة دينار وأن رِزْقَ يعقوب بن اصطفن ^(٤) كان في أيام
مؤنس وهو ينوب عن دانيال بن عيسى عشرةً دنانير . ثم بلغ أربعين ديناراً في وزارة
ابن الفرات الثانية ، فظهر لهما من الحال ما قُدِّرَ فيها ألف ألف دينار .

وحكى عبد الرحمن بن هشام بن عبد الله الملقب بأبي قيراط كاتب ابن الفرات
على ديوان بيت المال أنه قال له في بعض الأيام سراً : قد وَقَفْتُ على أَنَّهُ قد اقْتَطَعَ
من بيت مال الخاصة ألف ألف دينار . وحلَّه ما حوَّل منه . فعلم من قوله اطلاعه

(١) البدوة : الكيس الموضوع فيه المال ويقدر بحوالى عشرة آلاف درهم وقد يكون
قدراً ذمياً .

(٢) العين من معانيها الذهب المضروب أى المسكوك .

(٣) كتب العباس وسيأتي أنه عيسى وهو الأقرب . (٤) تقدم أنه اصطفن بن يعقوب .

على القصة ، وقال له : لن نَعْدَم نصيبك يا أبا القاسم . وأوصل اليه في أوقات مائة ألف دينار عَظُمَتْ بها حاله ، وابتاع منها ضياعاً جليلاً بنواحي واسط ، حتى كَتَب إلى القاهر ^(١) بالله يَخْطُب وزارته فدفع رقعة إلى أبي العباس الخصبى ^(٢) وسأله عنه ، فقال : هذا رجل جاهل أخذ من المال في أيام ابن الفرات كذا وكذا - المبلغ الذى ذكرناه - وأنا أستخرجه منه . وانصرف ووقع إليه : « قد رُسِمَ تقليدك بعض الدواوين فاحْضَرْ . فَقَدَّرَ أَنْ رَقَعْتَهُ قد حَرَّكَتْ أمره ، وبادر فقبض عليه ، وأخذَ خَطَه بمائة ألف دينار ، أَدَّى بعضها وكتب على صَيِّعَتِهِ بياقيها ونفاه إلى الموصل .

وحدث أبو على عبد الرحمن قال : فلما حصل أبو الحسن أخى بمكة خرجت للحج وتجديد العهد به ، ووصلت إليه واجتمعت معه ، وورد عليه كتابُ ابن الفرات بالإذن له فى الحج ، لأنه كان محبوباً فى داره ، ممنوعاً من التصرف على إيثاره ^(٣) ، ووافى بعد أيام أبو الحسن عبيدُ الله بنُ عيسى أخى فى الرفقة الأخيرة ، فسأله أخى عن شخصه من مدينة السلام ووقته . فقال : خرجتُ فى آخر الناس لاحتباسى على لقاء ابن الفرات ووداعه . فقال عبد الرحمن : فلما كان يوم الأربعاء لستِ تَخْلُونَ من ذى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين مضيت إلى المسجد الحرام ارتفاعَ النهار ، وصلَّيتُ وطفُتُ وسعيت وعدتُ إلى المسجد ، وجلست عند باب السَّهْمِيِّينَ ، فوافانى خادمٌ لنا أسودُ شيخٌ يقال له مُقْبِلٌ غلامُ الجَدَّةِ ، واستنهضنى فهضت إلى جوار المسجد ، وقال لى : اعْلَمْ أن سِيا الفلانىَّ من غلمان الحَجَرِ لقينى الساعة وهو صديق وأعلمنى سِرّاً أنَّ ابنَ الفرات قد قُبِضَ عليه . فورد على من السرور ما لم أتمالك نفسى ، وبادرتُ

(١) تولى الخلافة سنة ٣٢٠ وكان قد بويج يومين بالخلافة سنة ٣١٧ بعد خلع المعتذر أخيه ثم عاد المعتذر للخلافة

(٢) هو أحمد بن عبيد الله بن سليمان الخصبى وزير المعتذر سنة ٣١٣ كما وزر للقاهر ٣٢١

(٣) كذا بالأصل . ولعل معناها : أنه ممنوع من التصرف كما يشاء وطى ما بهوى

إلى أبي الحسن أخى ، وهو جالسٌ يُسَبِّحُ . فعرّفته ما عرّفنى . فقال : ويحك ، من أين له هذا ؟ قلت : قد أخبرتك بما خبرنى به ، وما عنده زيادةٌ عليه . فقال : امض إلى أبى الحسين أخيك وسلّمه عمّا عنده . فضيت إليه وحدثته . فقال : ما خلق الله لذلك أصلاً وأنا آخرٌ من ودّعه وهو جالسٌ للظالم على أجلٍ حالٍ وأنشد أمرئ . فقال أبو الحسن أخى : فاقصد ابنَ مُجاشعٍ المُتَفِقِ وسلّمه . ففعلت ، وكان قوله وقولُ أبى الحسين واحداً . وأمَسَكْنَا ، وشاع ذلك بمكة ، وكثرت به الأراجيفُ . فلا والله ما كان إلا عند وصولنا إلى الحاجر راجعين حتى وافى مؤنسُ الورقانيُّ صاحبَ السريّة ليلاً لثقتي الحاجَّ . فقال : أبشروا يامعاشرَ الحاجِّ ، قد قُبِضَ على ابنِ الفرات ، واتفق أن كان قريباً منى ، والليل يَحْجُرُ^(١) بينه وبين معرفتى ، فقلت له مبادراً : ومتى كان ذلك يامبارك ؟ فقال : يومَ الأربعاء السادس من ذى الحجة . فوردَ علىَّ من قوله وموافقةَ اليوم الذى سمعتُ فيه ما سمعته ما عجبتُ منه واستطرفته ، ووجدتُ هذا الحديثَ مُشاكلاً لحديثِ الرشيدِ فى موته بِطُوسَ وانتشار خبره بمدينة السلام فى يومه . والحديثُ مأثورٌ مشهور .

وَأُنْشِدْتُ لِأَبِى الْحَسَنِ ابْنِ الْفَرَاتِ :

مُعَذِّبَتِي هَلْ لِي إِلَى الْوَصْلِ حِيلَةٌ وهل لى إلى استعطافِ قَلْبِكَ مِنْ وَجْهِ
فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتِ بِحِيلَةٍ ولا خير فى وصلي يكون على كَرَاهٍ

وقال جعفر بن حفص : مضيت قاصداً حتى رأيت أبا العباس بن الفرات وأبا الحسن أخاه ينظران فى الأعمال ، فنظرت إلى حِفْظِ لأمرِ الدنيا لم أر مثله ، ولو رآها من تقدّم من الكتاب لعلوا أنهم لم يَرَوْا مثلهما .

(١) يحجر : يمنع ولعلها أيضاً يحجز وهى بمعنى يمنع ويفصل ويحول .

وذكر أبو علي الصولي قال : خرجت يوما مع أبي العباس النوفلي من دار أبي الحسن بن القرات مع صلاة المغرب ، فخرج معنا فرأشان بسمعتين ، فلما نزلنا إلى السُّمَيْرِيَّةِ ^(١) دفعا الشمعتين إلى غلماننا ، فرددناها وامتبعنا من أخذها ، فقالا : قد أمرنا بأن ندفع إلى كل من يخرج من الدار عند اصفرار الشمس شمعة . فقلنا : قد قبلناها ووهبناها لكم . فقالا : تريدان أن نعاقب ونصرف ؟ وتركاهما ومضيا .

وحدث أبو الفضل بن الوارث قال : لما قبض على أبي الحسن بن القرات في وزارته الأولى نظرنا فإذا هو يُجْرَى على خمسة آلاف إنسان ما بين مائة دينار في الشهر إلى خمسة دراهم ، ونصف قفيز دقيقا إلى عشرة أقدرة .

وحدث أبو العباس أحمد بن العباس النوفلي ^(٢) وكان جليسا لبني القرات قال : سمعت الوزير أبا الحسن قبل الوزارة يقول : ما رأيت أحدا قط في داري أو على بابي ليس لي عنده إحسان إلا كنت أشدَّ اهتماماً بإيصال ذلك إليه منه والاحتيال له .

وحكى أن أبا الحسن بن القرات جلس يوما للمظالم في سنة ثمان وتسعين ومائتين . فتقدم إليه خفمان في دكاكين بالكرك . وتأملهما فقال لأحدهما : أرفقت إلى قصة في سنة اثنتين وثمانين في هذه الدكاكين ؟ ثم رجع فقال له : سنك تصغر عن هذا . فقال : ذلك أبي . فقال : نعم ، قد كان رفع قصة فوقعنا له فيها . ثم وقع بإخراج رفع القصص والتوقيعات في سنة اثنتين وثمانين من الديوان . وقال للخصمين : كونا هاهنا . قال بعض من حضر المجلس : فلما خرجت

(١) السُّمَيْرِيَّة نوع من السفن .

(٢) الفخرى ٢٣٤ .

من عند الوزير أبي الحسن سمعتُ أحدهما يدعو له . فقلت له : ما شأنك ؟ قال : لما سمعَ خَصْمِي بهذا فَرَّ وعلم أن التوقيع كان بتسليم الدكاكين إلى أبي .

وقال الحسين الخادمُ المعروف بالخلدي : سمعتُ خفيك السمرقنديَّ الحاجب يقول للكتفي بالله : الخليفةُ الماضي لم يَسْتَعِنْ عن ابني القرات ووزيره عبيدُ الله ابنُ سليمان ، كيف تستغني أنت عنهما ووزيرك القاسمُ ^(١) ؟

قال القاضي أبو علي التنوخي : أنشدني أبو الحسين عليُّ بن هشام لنفسه لما قُتِل أبو الحسن بن القرات :

فَرَاتٌ غَاضٌ مِنْ آلِ الْقِرَاتِ فِقَاضٌ عَلَيْهِ دَمْعُ الْمَكْرُمَاتِ
سَمَاءٌ غُودِرَتْ فِي بَطْنِ أَرْضٍ وَبَحْرٌ غَاضٌ فِي بَعْضِ الْفَلَائِ
عَسَى الْإِيَّامُ آخِذَةً بِثَأْرِ فَتَأْخُذَ لِي بِثَأْرِ الْمَأْتِرَاتِ

وحدث القاضي أبو علي قال : حدثني أبو الحسين عليُّ بن هشام قال : سمعت أبا الحسن بن القرات يتحدث في مجلسه قال : كنّا بعد وفاة أئينا وقبل نصرتنا مع السلطان نَقْدَمُ إلى بغداد من سُرٍّ من رَأْيٍ فَنَقِمْ بِهَا الْمُدَّةَ بعد المدة ، ونُفَرِّجُ ثم نعود ، وننزل - إذا وردنا - شارعَ عمرون بن مسعدة بالجانب الغربي ، فيكرّنا يوماً نريد بستاناً ، فإذا ببخالد الكاتب ^(٢) والصبيان يُولعون به ، وقد اجْتَلِط وهو يَرْجُم ويشتّم ، ففرّقناهم عنه ، ومنعناهم منه ، ورفقنا به ، وسألناه أن يصحبنا وأنزلنا أحدَ غلماننا من مَرَكوبه وأركبناه ، وحملناه إلى البستان . فلما أكل وسكّن وجدناه مُتَمَسِكاً الْعَقْلِ ، بخلاف ما رأيناه عليه ، وظننا به ، وسمعناه عنه ، فقلنا له :

(١) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد والمكتفي وغرض إليه الكتفي جميع الأمور توفي سنة ٢٩١ هـ ترجمته بالمنتظم ٤٦/٦ .

(٢) هو خالد بن يزيد الكاتب الشاعر له ترجمة في طبقات الشعراء لابن المعتز والأغانى ٤٥/٢١ ومعجم الأدباء وفوات الوفيات وتاريخ بغداد ٣٠٨/٨ .

مالذى يَلْحَقُكَ؟ فقال: أكَثَرُ آفَتِي هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانُ فَإِنَّهُمْ يَزِيدُونِ عَلَىَّ حَتَّى أَعْدِمَ بَقِيَّةَ عَقْلِي وَأَصِيرَ إِلَى مَا شَهِدْتُمُوهُ مِنِّي . وَأَخْذُ يُنْشِدُنَا لِنَفْسِهِ ، وَيُورِدُ الْحَسَنَ مِنْ شَعْرِهِ . وَطَابَ لَنَا يَوْمُنَا مَعَهُ . وَأَحَبُّ أَخِي أَنْ يَتَمَتَّحَنَهُ فِي قَوْلِ الشَّعْرِ ، وَهَلْ هُوَ عَلَى مَا كَانَ أُمُّ قَدْ اخْتَلَّتْ ، فَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ أَنْ تَعْمَلَ شَيْئًا فِي الْفَرَاكِ السَّاعَةِ ، فَأَخَذَ الدَّوَاةَ وَفَكَّرَ وَقَالَ :

عَيْنِي أَكُنْتُ عَلَيْكَ مُدَّعِيًا أُمُّ حِينَ أَرْزَمَعَ بَيْنَهُمْ خُنْتُ
إِنْ كُنْتُ فِيمَا قُلْتُ صَادِقَةً فَعَلَى فِرَاقِهِمْ أَلَا بِنْتُ

وَحَدَّثَ مُحَمَّدٌ عَنْ حَضَرَ مَجْلِسَ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ نَظَرِهِ أَنَّ نِسْوَةً رَفَعْنَ إِلَيْهِ قِصَّةً يَشْكُونُ فِيهَا رِقَّةً أَحْوَاهُنَّ ^(١) ، وَاتَّسَبْنَ إِلَى أَنْهِنَّ بَنَاتُ ابْنِ رُسْتَمٍ ، فَقَدَّرَ أَنَّهُ ابْنُ رُسْتَمٍ كَاتِبٌ كَانَ بَسُرًا مِنْ رَأْيٍ ، وَوَقَعَ بَأْنُ يُحْرِمِي عَلَيْهِنَ دَقِيقٌ وَدِرَاهِمٌ فِي كُلِّ شَهْرٍ . فَلَمَّا انْصَرَفْنَ قَالَ لَهُ أَحَدُ الْكُتَّابِ : لَيْسَ هَؤُلَاءِ النَّسْوَةُ بَنَاتُ ابْنِ رُسْتَمٍ الَّذِي أَشَارَ الْوَزِيرُ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا هُنَّ بَنَاتُ ابْنِ رُسْتَمٍ الَّذِي كَانَ مَعَ بَغَا الشَّرَابِيِّ . فَقَالَ : لَيْسَ كُنَّ مَنْ كُنَّ فَقَدْ أَخَذْنَ رِزْقَهُنَّ ، وَإِنْ حَضَرَ أُولَئِكَ أَجَرَيْنَا لَهُنَّ أَيْضًا وَأَحْسَنًا إِلَيْهِنَّ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ : كُنْتُ بِحَضْرَةِ أَبِي الْحَسَنِ ابْنِ الْفَرَاتِ فِي بَعْضِ الْعَشَايَا ، فَقَطَّ الْفَرَاشُ الشَّمْعَةَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ قَطًّا اسْتَعْجَلَ فِيهِ ، فَسَقَطَ مِنْهَا شَرَارٌ قَرُبَ مِنْهُ ، وَخَافَ الْفَرَاشُ فُضِيَ مُبَادِرًا ، وَتَبِعَهُ خَادِمٌ كَانَ يَرُؤُسُ عَلَى حَوَاشِيهِ لِيُنْكِرَ عَلَيْهِ وَيَضْرِبَهُ ، فَصَاحَ الْوَزِيرُ بِهِ وَقَالَ لَهُ : عُدْ إِلَى مَكَانِكَ ، أَتَرَاهُ الْبَائِسَ تَعَمَّدَنِي بِمَا فَعَلَ وَاعْتَقَدَ أَنْ يُحْرِمَنِي ؟ وَإِنَّمَا اتَّفَقَ مَا اتَّفَقَ عَلَى سَبِيلِ الْغَلَطِ .

(١) رِقَّةُ أَحْوَاهُنَّ : فَقَرِهِنَّ .

وحدث أبو الحسين قال : عرض أبو أحمد الحسنُ على أبيه عملاً من أعمال المغرب الذي كان يتولّى ديوانه ، وقد أخطأ المُحرّرُ له فكتب سنة ثلاثٍ وتسعين ومائتين ، وأراد سنة ثلاثٍ وثلاثمائة . فقال الوزير أبو الحسن : هذا غلطٌ وكان يجب أن يكون سنة ثلاثٍ وثلاثمائة . فأظهر الحسنُ الغيظَ على الكاتب ، فقال له الوزير : « كَأَنِّي بك عند خروجك وقد استدعيتَه ووَجَّهْتَه وعَفَّيْتَه . فَبِحَيَاتِي عَلَيْكَ إِنْ فَعَلْتَ ^(١) وَعَامِلٌ كُتَّابُكَ وَأَعْمَابُكَ بِفَضْلِ الْحِلْمِ وَحُسْنِ الْعِشْرَةِ وَلُطْفِ الْقَوْلِ فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَخْلُونُ مِنَ السُّهُو .

وكانت عادته جاريةً مع كُتَّابِهِ إِذَا وَقَفَ لَهُمْ عَلَى خَطَأٍ فِيمَا يَعْمَلُونَهُ أَنْ يُوَاقِفَ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ وَلَا تَهَجُّجٍ ، ثُمَّ يُسَلِّمُ الْعَمَلَ إِلَيْهِ لِيَتَوَلَّى إِصْلَاحَهُ ، وَإِنْ طَمَعَ أَحَدُهُمْ عَلَى صَاحِبِهِ فِي عَمَلِهِ أَنْكَرَ قَوْلَهُ وَرَدَّهُ وَسَهَّلَ عَلَى الْخَطِيءِ خَطَأَهُ وَأَقَامَ فِيهِ عُذْرَهُ .

وحدث محدث أن أحمد بن أيوب صاحب خبره رَفَعَ إِلَيْهِ يَذْكُرُ أَنَّهُ كَانَ لَهُ فِي وَزَارَتِهِ الْأُولَى سَبْعَةُ دَنَانِيرَ بِرَسْمِ النَّوْبَةِ . فَلَمَّا تَقَلَّدَ الْخَاقَانِي ^(٢) قَطَعَهَا وَجَعَلَهَا لِرَجُلٍ - أَسْمَاهُ - وَسَأَلَهُ رَدَّهَا عَلَيْهِ . فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِ رُفْعَتِهِ : أَمَّا إِسْقَاطُ الرَّجُلِ الْمُثَبِّتِ - فَلَا أَرَاهُ وَلَا أُسْتَجِيزُهُ ، وَلَكِنْ أَطْلُبُ رَسْمَ رَجُلٍ سَاقِطٍ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا الرِّزْقِ لِأَوْقَعَ لَكَ بِهِ ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ هَذَا الْبَائِسَ قَدْ التَزَمَ عَلَى مَا أَثْبِتَ بِاسْمِهِ مُجْلَةً .

ثُمَّ وَقَعَ لِأَحْمَدَ بْنِ أَيُوبَ بِمِثْلِ مَا كَانَ لَهُ .

وَعَرَضَ عَلَيْهِ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِ دِيْوَانِ الْجَيْشِ أَوْ صَاحِبِ الْإِعْطَاءِ يَذْكُرُ فِيهِ أَنَّهُ قَدْ تَوَفَّرَ مِنْ جَارِي جَمَاعَةٍ - مِنَ الْمَشَائِخِ وَالزَّمَنِيِّ ^(٣) وَمَنْ يَجْرِي أَمْرُهُ هَذَا

(١) يعني بحياتي عليك لا تفعل

(٢) يريد به أبا علي محمد بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني

(٣) المشايخ هنا : الكبار في السن . والزمني : الرضي .

الْمَجْرَى أُسْقَطُوا - نَحْوُ خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ ، . فَوَقَّعَ عَلَى ظَهْرِهِ : إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ أُسْتُوْا وَأَصِيبُوا فِي طَاعَةِ السُّلْطَانِ وَخِدْمَتِهِ فَلْيُمَضَّ أَمْرُهُمْ ، أَوْ كَانُوا بَدَلَاءَ وَدَخَلَاءَ أَقْبِيُوا مُقَامَ غَيْرِهِمْ فَلْيُصَدَّقْ عَنْ صُورَتِهِمْ .

ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِأَنْ قَالَ : أَمَضِ أَمْرَ جَمَاعَتِهِمْ ، وَلَا تُسْقَطْ أَحَدًا مِنْهُمْ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَقْطَعَ مَعِيشَةَ إِنْسَانٍ .

وَعَمِلَ قَوْمٌ مِنَ الْكُتَّابِ لِأَحَدِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَيْسَى بْنِ شَيْخٍ - وَكَانَ رَجُلًا كَبِيرًا مُتَفَلِّلًا - تَوْقِيعًا بِتَضْيِيقِهِ آمَدَ وَجَمِيعَ مَا كَانَ إِلَى عَيْسَى بْنِ شَيْخٍ ^(١) وَتَقَلَّدَهُ . وَنَقَلَ غُلَامَانَهُ مَنْ يَرْسُمُ الْأَحْرَارَ إِلَى رَسْمِ الْمَالِكِ ، وَزِيَادَتِهِ فِي أَرْزَاقِهِ وَأَرْزَاقِ مَنْ مَعَهُ ، وَضَمَّ جَمَاعَةً مِنَ الرِّجَالِ إِلَيْهِ ، وَصَارَ الشَّيْخُ إِلَى دِيْوَانِ الْمَغْرِبِ ، وَتَنَجَّزَ الْكُتُبُ وَأُخْرِجَتْ لَهُ الْخُرُوجُ ، وَبَيْنَمَا هُوَ فِي ذَلِكَ شَكَّ أَبُو أَحْمَدَ الْمُحْسِنُ فِي بَعْضِ مَا عُرِضَ عَلَيْهِ ، وَاسْتَشْدَبَتْ أَبَاهُ فِيهِ ، فَأَنْكَرَهُ وَاسْتَعْظَمَ الْإِقْدَامَ عَلَيْهِ بِمِثْلِهِ ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الشَّيْخِ . فَلَمَّا حَضَرَ غَلَطَ عَلَيْهِ فِي الْقَوْلِ وَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ ؟ . فَقَالَ : خِدْمَتُكَ وَأَنْ أَظْهَرَ كِفَايَتِي عِنْدَكَ ، وَأَرَاكَ قَدْ اسْتَكْرَمْتَ لِي هَذَا الْعَمَلَ ، وَهَذَا بَلَدٌ لَمْ نَزَلْ تَتَوَلَّاهُ ، وَقَدْ تَقَلَّدَهُ أَخِي وَابْنُ أَخِي وَمَا أَنَا بِدُونِهِمَا . وَأَقْبَلَ يَخَاطِبُهُ مَخَاطَبَةَ الْمُحَاجِّ الْمُنَاطِرِ لَا الْجَانِي الْمُحَازِرِ . فَضَحِكَ مِنْهُ عِنْدَمَا سَمِعَهُ مِنْ قَوْلِهِ . وَعَلِمَ أَنَّهُ اسْتَفْهَلَ وَاحْتِيلَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : عَرَفْتَنِي مَنْ أَخْرَجَ هَذِهِ التَّوْقِيعَاتِ لَكَ ، فَأَقْرَأْ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْكُتَّابِ ، أُحْضِرْ بَعْضَهُمْ وَحُبِّسُوا أَيَّامًا ثُمَّ أَطْلُقُوا ، وَلَمْ يَعْزِضْ لِلشَّيْخِ وَلَا لِحِقَّةٍ مِنْهُ مَكْرُوهٌ .

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ بَنَاتٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَزْرَقِيُّ الْأَنْبَارِيُّ الْكَاتِبُ - الَّذِي

(١) فَا بِنِ الْأَثِيرِ حَوَادِثُ ٢٦٩ وَالطَّبَرِيُّ فِيهَا تَوْقِيعُ عَيْسَى بْنِ الشَّيْخِ بْنِ اللَّيْلِ الشَّيْبَانِيِّ وَيَدُهُ أَرْمِينِيَّةٌ وَدِيَارُ بَسْرَى . وَفِي حَوَادِثُ سَنَةِ ٢٥٦ أَنَّ عَيْسَى بْنَ الشَّيْخِ عَزَلَ عَنِ الشَّامِ وَوَلَّى أَرْمِينِيَّةَ

كان يتقلد أمر الجيش وقبض عليه مع أصحاب عبد الله بن المعتز ، ومات في حبس مؤنس - رفعن إلى أبي الحسن بن القرات أن وكيلا كان لأبيهن غلبهن على ماله وأنكرهن إياه ، وابتاع عقارات ومُستغلات به . فنظر إليهن نظراً رقيقاً فيه لهن ، ودمعت عيناه عطفاً عليهن ورأفة بهن ، وتقدم بإحضار الوكيل . فلما حضر خاطبه على ما ادعيتنه عليه ، فأنكر أن يكون محمد بن سعيد خلف في يده مالا ، وجحد ذلك جحداً شديداً . وأمر الوزير أحد أصحابه بالمسألة عن حال الرجل وما كان يتصرف فيه قبل أن يصحب محمد بن سعيد ، وما تصرف فيه بعده ، وإعلامه ذلك على صحة . فامتثل صاحبه مارسمه له ، وعاد وعرفه أن هذا الوكيل ما تصرف قبل محمد بن سعيد ولا معه . ولا بمده تصرفاً يقتضى كسبه الذى فى يده . فأعاد إحضاره ، ولم يزل يراوضه إلى أن اعترف عنده ببعض ما ادعى عليه ، وأشهد لبنات محمد بن سعيد بشيء من المقار الذى كان ابتاعه . فأحيأهن بما استخلصه لهن ، وسترهن بما أعاده إليهن .

وذكر أبو القاسم بن زنجى أن أبا الحسن بن القرات خوطب فى معنى (١) أسماء بنت عيسى أخت أبي الحسن على بن عيسى وزوجه على بن محمد بن داود ، وعُرف رقة حالها واختلال أمرها ، فرد عليها الضيعة المقبوضة عن محمد بن داود بكونى ونهر درقيط ، وأجرى عليها خمسمائة درهم فى كل شهر من ماله . فلما تقلد أبو الحسن على بن عيسى أخوها منعها ذلك .

ووجدت ثبناً بما كان أبو الحسن بن القرات يخاطب به السيدة والأمراء وأولاد الخلفاء والولاة والكبراء وأصحاب الأطراف وعمال الأعمال وسائر الطبقات فى كتبه توقيعاً به إليهم أيام وزارته الثالثة . وقد تغيرت الرسوم ووهت الأمور

(١) هى مصدر ميسى من عى الأمر لفلان : حدث وتزل به أو من عناء : شغله وأمه

ووقعَ التَّسَمُّحُ منه فيما كان من قبلُ يُضَاقِقُ فيه ، فأوردته مُتَعَجِّبًا وَمُعْجَبًا من التفاوت الشديد بين ما كان وبين مانحن عليه الآن ، فإننا اليوم في انحرافٍ قد زاد وأُسْرَفَ ، وتمادى وماوَقَفَ ، حتى أن الملوك ومن بعدهم من الوزراء قد أُفِقُوا من ذِكْرِهم بَسِيدِنَا ، واستقلُّوا خطابهم بمولانا ، فعُدل الناس بأولئك إلى الحضرة الشريفة ، والحضرة العالِيَّة والحضرة السامية ، وبالوزراء إلى مثل ذلك . ثم كَنَزُوا عن الخلقاء بالموقف الأشرف المقدس ، وذكروه بالمقام الأطهر النَّبَوِيِّ ، ونقلوا الملك إلى الأشرف والأعظم . وقالوا في الدعاء : نَوَّرَهُ اللهُ ونصره اللهُ : إلى ما بعد ذلك من المغالاة والمبالغة . وانهت هذه الحال إلى أن شاركهم فيها الأكابرُ من أصحاب الأطراف ، ووقفوا بالوزارة على الحضرة السامية . ثم ألحقوا بها : المظفَّرة والمنصورة ، مع النسبة إلى الألقاب كالوَزِيرِيَّةِ والعَمِيدِيَّةِ والكَمَالِيَّةِ ، وما جرى هذا المجرى ، وداخلهم في ذلك مَنْ يَتَلَوَّمُ من خلفائهم ، وأصحاب الجيوش وأمراء العرب والأكراد .

واتَّسع هذا الباب ، فدخل فيه كُلُّ من أراد من غير احتشام ولا ارتقاب . ولا أعرف معنى للموقف ولا الحضرة ، لأنه إشارة إلى غير شخص مُتَمَثِّل ، وعبرة عن غير محسوس مُشَكَّل ، وما الذى يتعلَّق بالمخاطب من ذلك ؟ أم أى موضع للدعاء إذا كان لِمَا لَحَظَّ له فيه ، ولا عائدة عليه منه ؟ ولقد استُخِيرَ من هذا الأمر ما لا جَمَالَ فيه ، ولا جَلَالَ ولا عَظَمَ ولا فُحَامَةَ . وإنما يُشار إلى الحضرة والموقف كما يشار إلى الباب الذى يَطْرُقُهُ الزُّوَّارُ والوُفُودُ ، والمجلس الذى يكون فيه المُتَوَلُّو القُعود ، والمقام الذى يكون فيه الحُضور والوُقُوف . فأما الخلقاء فذكروهم بالسَّادَةِ وأمير المؤمنين - التى لا يُشاركون فيها ، ولا يُجاذبون عليها - أولى وأعلى من هذه الفقايع التى لا تُفِيدُ معنى .

وأما الملوك والوزراء فذكروهم بالسيادة والملك والوزارة [وما هو] جارٍ ذلك المجرى

[كان أخرى] وَلَخَلَّصُوا مِنَ الْمَشَارَكَةِ الْوَاقِعَةِ ، وَحَصَلَتْ لَهُمْ مَنْزِلَةُ الْإِنْفِرَادِ بِهَذِهِ السَّمَةِ الرَّائِعَةِ ، وَإِنَّمَا تَبَيَّنَ الرُّتَبُ إِذَا تَفَاوَتْ ، وَتَظْهَرُ الْمَنَازِلُ إِذَا تَبَايَنَتْ ، وَأَمَّا أَنْ يُبْتَدَرَ الرَّئِيسُ [و] الرُّؤُوسُ بِحَالَةٍ ^(١) وَاحِدَةٍ ، وَيُجْرَوْنَ فِي طَرِيقَةِ جَامِعَةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو إِلَى التَّسَاوِي وَيَخْلُطُ الْأَدَوْنَ بِالْعَالِي ، وَلَوْ أُعِيدَ الْوُقُوفُ بِالْخُلُقَاءِ عَلَى : سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَفْرَدِ الْمُلُوكَ بِمَوْلَانَا الْمَلِكِ ، وَاقْتَصِرَ بِالْوُزَرَاءِ عَلَى : سَيِّدِنَا الْوَزِيرِ ، وَاتَّبَعِ فِي ذَلِكَ مَا كَانَ مَعْهُوداً مِنْ قَبْلُ ، وَطُبِقَ مَنْ بَعْدَهُمْ عَلَى حُكْمِ مَنَازِلِهِمْ ، وَقَدَّرَ مَوَاقِعَهُمْ ، لَكَانَ التَّمْيِيزُ مُوجُوداً ، وَالِاخْتِلَافُ مَفْقُوداً ، عَلَى ^(٢) أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُعْرَفُ فِيمَا مَضَى مَوْلَانَا ، وَلَا مَوْلَايَ ، وَلَا سَيِّدِي ، وَإِنَّمَا كَانَ التَّكَاتُبُ وَالتَّخَاطُبُ بِاللَّسَاءِ قَطْ .

وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ خَوَاصِّ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - سَأَلَ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى زِيَادَةَ أَحَدِ الْعُمَالِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي خُطَابِهِ ، وَكَانَ يَخَاطِبُهُ : بِأَعْرَكَ اللَّهُ . فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ امْتِنَاعاً شَدِيداً ، وَغَاوَدَهُ حَتَّى وَعَدَهُ . وَكُتِبَ إِلَى الرَّجُلِ : بِأَعْرَكَ اللَّهُ . - مَمْدُودَ مَا بَيْنَ الْعَيْنِ وَالزَّأْيِ - فَقَالَ أَلَمْ يَعِدْنِي الْوَزِيرُ بِالزِّيَادَةِ ؟ قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . قَالَ : فِي أَيِّ شَيْءٍ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَجْمَعُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالزَّأْيِ . وَقَدْ مَدَدْتُ بَيْنَهُمَا مَدَّةً وَهِيَ الزِّيَادَةُ .

فَكَانَ الْقَوْمُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ مِنَ الْمُنَاقَشَةِ لِيَبَيِّنَ التَّرْتِيبُ فِيهَا وَيُلَوِّحَ التَّطْيِيقُ فِي مَجَارِيهَا .

فَأَمَّا عَصْرُنَا هَذَا فَقَدْ اخْتَلَفَتِ الرُّسُومُ وَانْقَلَبَتِ الْأَعْيَانُ فِيهِ ، وَقَلَّتِ الْمُرَاعَاةُ لِمَا كَانَتْ مَوْكُولَةً بِهِ ، وَصَارَتْ مِلُوكُهُ الْمُدَبِّرُونَ لِلْأَمْرِ يُخَاطَبُونَ وَزَرَءُهُمْ بِمَوْلَايَ الْأَجَلِّ وَزَيْرِ الْوُزَرَاءِ أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : وَعَلَى .

(١) فِي الْأَصْلِ : حَالَةٍ .

وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْجِيُوشِ وَأَمْرَاءِ الْعَرَبِ وَالْأَكْرَادِ ، وَخُلَفَاءِ الْوُزَرَاءِ وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ بِالْأَجَلِ . عَلَى الْكُنْيَةِ . وَيَجْمَعُونَ فِي الْأَجَلِ بَيْنَ وَجْهِ الْكِتَابِ وَالْأَتْرَاكِ وَالْحَوَاشِي وَحَتَّى الْقَضَاةِ وَالشُّهُودِ . فَأَمَّا الْأَلْقَابُ فَقَدْ خَرَجَتْ عَمَّا يُحَاطُ بِهِ وَيُوصَفُ أَوْ يَأْتِي عَلَيْهِ حَضَرٌ ، وَصَارَ لِقَبِّ الْأَصْغَرِ أَكْثَرُ مِنْ لِقَبِّ الْأَكْبَرِ . وَمِنْ أَنْمُودَجِ هَذَا الْإِفْرَاطِ وَالِاخْتِلَاطِ أَنْتَى كُنْتُ أَشَاهِدُ الْوُزَرَءَ فِي آخِرِ أَيَّامِ عَصْدِ الدَّوْلَةِ ^(١) ، وَأَيَّامِ صِمصَامِ الدَّوْلَةِ ^(٢) يَذْكُرُونَ عَنْهَا بِأَبِي فَلَانٍ فَلَانٍ بْنِ فَلَانٍ أَدَامَ اللَّهُ عَزَهُ . وَأَرَاهُمْ وَأَرَى خُلَفَاءَهُمْ وَأَصْحَابَ الدَّوَاوِينَ وَنَظَرَاءَهُمْ وَزَعَمَاءَ الْجِيُوشِ وَمَنْ يَتْلُوهُمْ مِنَ الْقَوَادِ وَخَوَاصِّ النَّاسِ مِنْ سَائِرِ الْأَصْنَافِ يَنْزِلُونَ مِنْ دَوَابِّهِمْ فِي الْبَابِ الْعَامِ مِنْ دَارِ الْمُلْكَةِ فِي أَمَا كُنْ مَا يَقْنَعُ الْيَوْمَ بِمَا كَانَ الْوُزَرَءُ إِذْ ذَاكَ مِنْهَا كَاتِبٌ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ ، وَكَانَ الْبَوَابُونَ يَدْعُونَ بِدَابَّةِ الْوَزِيرِ غَلَامِ الْأُسْتَاذِ ، مُطْلَقًا بِغَيْرِ كُنْيَةٍ . وَمِنْ بَعْدِهِ بِالْكُنْيَةِ الَّذِينَ يُفَضَّلُونَ فِي مَرَاتِبِ أَرْبَابِهَا بِإِعْلَاءِ الصَّوْتِ وَخَفْضِهِ . وَبُعْدَ الْمَدَى وَقُرْبِهِ ، وَيَقْتَصِرُونَ فِي الْأَقْلَى الْأَدْنَى عَلَى اللَّفْظِ الْمُدْغَمِ الَّذِي لَا يُزْفَعُ وَلَا يَكَادُ يُسْمَعُ ، هَذَا فِيمَنْ يَتَمَيِّزُ أَدْنَى تَمَيُّزٍ . فَأَمَّا الْجُمْهُورُ الْأَكْبَرُ فَلَا يُفْعَلُ مَعَهُمْ ذَلِكَ ، وَأَوْسَطُ الْكِتَابِ وَالْحَوَاشِي يُدْعَى بِدَابَّتِهِ الْيَوْمَ بِغَلَامِ الرَّئِيسِ الْأَجَلِّ ، وَالْأَجَلِّ مَعَ الْقَبِّ إِنْ كَانَ ، مَعَ غَيْرِ تَمَيُّزٍ وَلَا تَرْتِيبٍ . لَا جَرَمَ أَنَّ الرُّتَبَ قَدْ نَزَلَتْ لَمَّا تَسَاوَتْ ، وَسَقَطَتْ لَمَّا تَوَازَتْ . وَلَمْ يَبْقَ لَهَا طَلَاوَةٌ يُشَارُ إِلَيْهَا وَلَا حِلَاوَةٌ يُحَافَظُ عَلَيْهَا . حَتَّى لَقَدْ بَلَغْنِي عَنْ مَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ^(٣) — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ — أَنَّهُ قَالَ : لَمْ تَبْقَ رُتْبَةٌ لِمُسْتَحِقٍّ .

(١) عَصْدُ الدَّوْلَةِ مِنْ مُلُوكِ الْبُيْهِنِ تَوَلَّى الْمُلْكَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ رَكْنُ الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيٍّ الْحُسَيْنِ بْنِ بُوَيْهِ سَنَةَ ٣٦٦ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٧٢ .

(٢) صِمصَامُ الدَّوْلَةِ هُوَ ابْنُ عَصْدِ الدَّوْلَةِ تَوَلَّى الْمُلْكَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ ٣٧٢ وَخَلَّ صِمصَامُ الدَّوْلَةَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٣٨٨ .

(٣) هُوَ أَبُو جَعْفَرٍ عِبَادَةُ تَوَلَّى الْخِلَافَةَ سَنَةَ ٤٢٢ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ الْقَادِرِ بَاقَةَ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٦٧ .

ومن أطرفٍ طريفٍ أن السلطان - أطل الله بقاءه - يذكر القضاة والشهود بالأجل والجليل . وقاضى القضاة يُوقَّع إليهم بما يقول فيه : أبو فلان فلان بن فلان - أيده الله - يفعل كذا .

ومعلوم أن ذلك مما يتفاوت ويتباين ولا يتناسب ، وعهدى وأنا أوقَّع في قصص المتظلمين في أيام صمصام الدولة عن أبي إسحاق جدى في ديوان الإنشاء إلى قضاة الحضرة الناظرين فيها : أبو فلان فلان بن فلان القاضى أعزه الله ، والقاضى مؤخر ، وربما تقدَّم لمن تميَّز . وإلى قضاة النواحي : فلان بن فلان الحاكم ، بغير كُنية ولا دعاء ولا ذكرٍ قضاء .

وأما المناسبات فلم تجرِ العادة فيها بذكرٍ أحدٍ بكُنية ولا دعاء . وقد قيل في زماننا ذلك على الزيادة والتساهى . والعلة في ألا يُذكر الناس بالكُنية والدعاء أن ذكر السلطان يكون فيها بألقابه خاصة من دون الدعاء ، فلا يجوز أن يقع التَّميُّز عنه . فظاهر قولنا : هذا كتاب من فلان لفلان ، إخبار عن الكتاب ولذلك يُقال في الكتب عن الخلفاء : من عبد الله أمير المؤمنين إلى فلان ، إما بلقب وكُنية ، وإما بكُنية بغير لقب أو باسم دون الكُنية واللقب . ولا يدعى المكتوب عنه حتى إن استتم التصدير استوقف^(١) الدعاء بعد قولهم : أما بعد . فقليل : أما بعد ، أطل الله بقاءك وأمتع بك . وما شا كل ذلك وما كان الأصل .

فما تغير عن الرسوم الصحيحة واستوقف من هذه الفقايع الطريفة إلا أبو الحسن على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان . فإن القادر بالله^(٢) - صلوات الله عليه - منعه

(١) استوقف يبدو أنها استعمال يراد به بدأ وأنشأ .

(٢) تولى الخلافة سنة ٣٨١ وتوفى ٤٢٢ وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر .

بعد نحر الملك ^(١) أبي غالب من مخاطبة أحد من الوزراء بمولانا . فلما ورد أبو محمد ابن سهلان ^(٢) إلى بغداد كتب إليه : سيدنا . فأنكر أبو محمد ذلك ، ورمى بالرقعة وقال : يزيدني وينقصني عما كان يخاطب به أبا غالب ، لا أرضى بهذا ولا أقبله ولا أقرأ له رقعة به .

ومضت مدة فكتب إليه : بالحضرة العالية الوزيرية - على ما يكتب الآن - فاستنكر ذلك وقال : هذا فرار من : مولانا . ولا أقنع به . فقيل له : هذا أجل وأعظم ، وأعلى وأخف ، وما منعك من : مولانا . إلا لأن الخليفة حظر عليه خطاب أحد بمولانا سواه . فقيل هذا القول وتصور زيادة به لا تقيصة . فاقنني الناس أثره فيه . ثم أخرج أبو الحسن في ذكر الخليفة : الحضرة المقدسة النبوية . اختراعا جعله قرابة فصار سنة ، وأشرك ^(٣) به : الشدة النبوية . ومضى من هذا الفن ماخرق به العرف والعادة ، وأسقط معه القوانين القديمة المعبودة ، وتجاوز هذه المنزلة إلى أن صارت كتابته عن الخليفة بالخدمة ، وتصرّف في ذلك حتى قال : قالت الخدمة ، وفعلت الخدمة ، وسئلت الخدمة . حتى رأيت بخط أبي الحسن بن أبي الشوارب القاضي في ترجمة رقعة : خادم الخدمة الشريفة فلان بن فلان .

ومضى من يعرف الأصول ، ونشأ من لم يعرف ولم يسمع إلا بهذه الفروع ، فخالها الصحيح ، وتمدّى الأمر من حال إلى حال ، في الباطل والانتقال ، حتى أفضى هذ إلى الاختلال والانحلال .

(١) ولي العراق لبهاء الدولة البويهى سنة ٤٠٩ والوزارة له ثم من بعده لسلطان الدولة ثم قبض عليه سلطان الدولة وقتله سنة ٤٠٦ . (٢) تولى الوزارة لسلطان الدولة البويهى سنة ٤٠٦ بعد قتل نحر الملك ثم ولي العراق لسلطان الدولة سنة ٤٠٩ ثم غضب عليه ، انظر ابن الأثير حوادث ٤٠٩ (٣) في الأصل : اشترك

المخاطبات عن أبي الحسن بن الفرات

أولادُ المقتدر بالله : أطال الله بقاء الأمير . والدعاء عدة سطور . والترجمة : ،
عبدُه ، عليُّ بن محمد ، بغير كنية .

السيدة أم المقتدر بالله : مثلُ ذلك .

الخالة : أطال الله بقاء الخالة .

والدعاء عدة سطور . والترجمة : للخالة أطال الله بقاءها . من عليُّ بن محمد .

أولاد المعتضد بالله والمكتفي بالله : أطال الله بقاءك ياسيدي . والدعاء عدة سطور
والترجمة : لأبي فلان ، بأجل دعاء ، من علي بن محمد .

ثمل وزيدان القهرمانتان : أطال الله بقاءك . ويُسَمَّى بثلاثة سطور دعاء .
والعنوان : ثمل أو لزيدان القهرمانة ، من أبي الحسن . ثمزاد زيدان خاصّة : يا أختي .

نصر بن أحمد^(١) صاحب خراسان ، وثلاثة أسطر هي : أطال الله بقاءك ، وأدام
عزك وتأييدك ، وسعادتك وكرامتك ، وسلامتك وعافيتك ، وأتم نعمته عليك ، وزاد
في إحسانه إليك ، وفضله لديك ، وجميل مواهبه عندك ، وجزيل قسمة لك ، وجعلني
من كل سوء ومكروه فذاك ، وقدمني قبلك . والفصول : أدام الله عزك . وفي آخر
الكتاب : فإن رأيت ... والعنوان : لأبي فلان ، أطال الله بقاءه وأدام عزه وتأييده
وسعادته وسلامته ونعمته . من علي بن محمد - بلا كنية - .

مؤنس المظفر^(٢) : أطال الله بقاءك ، وأعزك وأكرمك ، وأتم نعمته وإحسانه

(١) هو نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني صاحب خراسان وماوراء النهر ولي بعد
قتل أبيه سنة ٣٠١ وعمره ثمان سنوات وتوفي سنة ٣٣١ انظر ابن الأثير حوادث ٣٠١ .

(٢) قتل سنة ٣٢١ قتله الخليفة الفاهر بالله وقد كان من كبار القواد ولقب بالمظفر سنة ٣٠٩
لقب الخليفة المقتدر وأنشأ بذلك الكتب عنه إلى أمراء النواحي ، انظر المنتظم ١٥٩/٦ حوادث
سنة ٣٠٩ .

إليك . العنوان : لأبي الحسن أطلال الله بقاءه ، من أبي الحسن .

أبو القاسم نصر الحاجب^(١) وأبو القاسم يوسف^(٢) بن داود ابن أبي الساج لما جمعت له أعمال أرمينية وأذربيجان والرى وقزوین وزنجان وأبهر .

أطلال الله بقاءك ، وأدام عزك ، وأكرمك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . العنوان : لأبي القاسم أدام الله عزه نصر الحاجب مولى أمير المؤمنين ، من أبي الحسن .

شفيع اللؤلؤى وشفيع المقتدرى وبشر الشرايى وبدر الحرمى ومفلح الأسود^(٣) وهارون بن غريب الخال^(٤) وأحمد بن بدر العم ونازوك وياقوت^(٥) : أعزك الله وأطلال بقاءك ، وأكرمك وأتم نعمته عليك . العنوان : لأبي فلان أعزه الله . من أبي الحسن .

فلان مولى أمير المؤمنين ، أمير الشام وأجنادها ، والمسمى ، ومن يتقلد فارس وكرمان ، وصيف البكترى - وهو يتقلد جند قنسرین والعوالم وأنطاكية - ونجح الطولونى . أمير أصبهان ، ومن يتقلد الموصل وقردى وبزبدى وديار ريعة : أعزك الله ومدّ فى عرك وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك . العنوان : لأبي فلان أدام الله كرامته .

من يتقلد ديار ريعة وديار مضر مفردا ، وأمراء الثغور الشامية ، والثغور الجزرية ، محمد بن أحمد بن بدر العم ، وأمير واسط ، محمد بن عبد الله الفارق ، أمير البصرة ، وأحمد بن هلال صاحب عمان ، أمير همدان وماء البصرة وماء الكوفة والإينارين ، غريب الجلى ، وغريب الكبير ، وأبناء رائق وفريد إذا لم يكونوا ولاية :

(١) كان حاجباً للمقتدر توفى سنة ٣١٦ انظر المنتظم ٦/٢٢٠ .

(٢) انظر عنه ابن الأثير حوادث ٣٠٤ وما بعدها وقتل سنة ٣١٥ .

(٣) كل هؤلاء من الغلمان الذين صاروا قادة وأصحاب سلطان .

(٤) هو ابن خال الخليفة المقتدر وقتل سنة ٣٢٢ (٥) قتل سنة ٣٢٤ .

مد الله في عمرك وأكرمك ، وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك . العنوان : لأبي فلان أكرمه الله .

أمير الرحبة وهيت وعاملها ، وعمال المشرق ، وأمير ماسبدان ، ومهرجا تندق ،
أمير الطيب وقرقوب وجوخى ، المسمى صاحب أيدج والبنيان وواسط والزوم :
أكرمك الله وأبقاك ، وأتم نعمته عليك ، وأدامها لك . العنوان : لأبي فلان أعزه الله .

عبد الله بن حمدان ، وجعفر بن ورقاء ، ومن يجرى مجراها إذا لم يكونوا ولاية :
مد الله في عمرك ، وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك . العنوان : لأبي فلان أدام الله كرامته .

ولباقي القواد : أكرمه الله .

صاحب اليمن واليز ومكران ، والمتقلد الكوفة وأعمالها : أكرمك الله ومد
في عمرك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . العنوان : لأبي فلان أكرمه الله .

أبو أحمد الحسن ابن الوزير : أطل الله بقاءك . وتمام سطين . العنوان : لأبي أحمد أطل الله بقاءه وأدام عزه وتأييده وسعاده .

وباقى الولد بمثل ما يدعى لمونس^(١) إلا ابن دولة الأصغر فإنه كان يكتب
على العنوان : لأبي علي أبقاه الله طويلا في عافية وسلامة .

وكذلك كان يكتب عبيد الله بن سليمان إلى القاسم ابنه إلى أن استخلفه
على الوزارة .

(١) لعلها معرفة عن الحسن لأن الكلام يدل على أنه يكتب لبقية أولاده بمثله إلا ابن دولة الأصغر فإن خطابه كان مغايرا لإخوته .

أصحاب الدواوين

ثلاث طبقات

الطبقة الأولى : مثل شفيع المقتدرى وطبقته

الطبقة الثانية : مثل المسمى وطبقته

الطبقة الثالثة : مثل عامل ديار ربيعة

المعامل

عامل مصر مثل أميرها ، عامل الشام مثل أميرها ، عامل فارس مثل أميرها ، عامل أصفهان مثل أميرها ، عامل البصرة مثل أميرها ، عامل الثغور مثل أميرها ، عامل الأهواز إذا اجتمعت أعمالها مثل عامل فارس ، عامل الري مثل عامل أصفهان . فأما حامد بن العباس فكان يُجرى في الدعاء يُجرى أمير الشام وعاملها ، إلى أن أُرْفِقَ ابنَ الحواري وأُمّ موسى القهرمانه وأصحاب الدواوين مالا جليلا فألحق بصاحب مصر ، ودعاؤه : أدام الله عزك وأطال بقاءك وأكرمك وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك . العنوان : لأبي محمد أطل الله عزه حامد بن العباس . من أبي الحسن ^(١) .

القضاة

أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول ، وأبو عمر محمد بن يوسف : أعزك الله وأكرمك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان : لأبي فلان أدام الله كرامته فلان بن فلان ، من أبي الحسن .

(١) في الأصل لأبي محمد أطل الله عزه من أبي الحسن حامد بن العباس .

أبو محمد الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب ، وأبو عبد الله الحسين بن إسماعيل
الحاملي : مد الله في عمرك وأدام كرامتك ، وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك .
العنوان : لأبي فلان أدام الله كرامته فلان بن فلان . من أبي الحسن .

أبو عبد الله بن أبي موسى وأبو الحسين عمر بن الحسن الأشناني - وإليهما إذ ذاك
القضاء في نواحي جليّة وهما مقيمان بالحضرة - وأبو طالب بن البهلول قاضي مصر إذا
كان واحداً ، والقاضي بفارس ، والقاضي بالأهواز إذا اجتمعت له أعمالها ، والقاضي
بأصبهان والقاضي بالري : مد الله في عمرك وأتم نعمته عليك وأدامها لك .
العنوان : لأبي فلان ، أكرمه الله فلان بن فلان . من أبي الحسن .

قاضي الجبل سوى الريّ وقاضي مهرجا نقدق وماسبذان وقاضي واسط ومن
يجرى مجراهم : أكرمك الله وأبقاك وأتم نعمته عليك وأدامها لك . العنوان : لأبي فلان
أبقاه الله فلان بن فلان .

فأما قضاة طساسيج السواد إذا فرقت طشوجاً طشوجاً : حفظك الله وأبقاك
وأمتع بك . والعنوان : لأبي فلان حفظه الله . ومن الجانب الآخر : فلان بن فلان .
أصحاب المظالم والخصبة وأسواق الرقيق والعيار والمواريث على طبقتين . الطبقة
الأولى : من يتولى مصر والأهواز أو فارس أو الريّ وأعمالها وأصبهان ، وخطابهم :
أكرمك الله وأبقاك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان : لأبي فلان ، أبقاه الله
فلان بن فلان من أبي الحسن .

الطبقة الثانية : باقي الختيسة والمطالين : حفظك الله تعالى وأمتع بك .
عامل طساسيج السواد ، وعامل المستغلات بالحضرة ، وعامل الجوالى بها ،
وعامل سوق الغنم ، وعامل دار البطيخ والقطن : مثل الختيسة ، إلا ابن بطحا محتسب
الحضرة وسوق الرقيق خاصة فإنه يجري مجرى الطبقة الأولى :

الذَّرَاع^(١) والمهندسون - إذا اجتمع لواحد منهم أعمال كثيرة - فخطابهم :
حفظك الله وأبقاك ، وأمتع بك . وإذا كانوا ذا عمل واحد : حفظك الله وعافاك .
والعنوان : لأبى فلان أكرمه الله . وَيُبَيِّضُ الْجَانِبَ الْآخَرَ .

المستحون ؛ يُدْعَى لَهُمْ مِثْلَ مَا يُدْعَى لِلذَّرَاعِ^(٢) الْجَلِيل .

التجار المتاعون للغلات : عافانا الله وإياك من سوء . والعنوان : إلى فلان
ابن فلان ، بغير كنية .

المنفقون في الإعطاء - إذا جُمِعَت للواحد منهم أعمال مصر أو أعمال الشام
كلها أو الأهواز أو فارس أو الرى أو الجبل أو أصفهان - فخطابهم : أكرمك الله
وأبقاك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان : لأبى فلان أبقاه الله فلان بن
فلان . من أبى الحسن .

وإذا كان إليهم مادون ذلك : فأبقاك الله وحفظك وأتم نعمته عليك .
والعنوان : لأبى فلان حفظه الله ، فلان بن فلان ، من الجانب الآخر^(٣) .

يوسف بن فتحاس ، وهارون بن عمران وزكريا بن يوحنا وجهابذة الحضرة ،
يوقع إليهم توقيع : أبقاك الله . وعلى رأسه : أبو فلان فلان بن فلان أبقاه الله .
صاحب ديوان البريد والخراطة ، مثل الطبقة الثالثة من كتاب الدواوين ، وإذا
تقلد البريد على الوزير وأصحاب الدواوين فائداً أو خادماً ، وانفرد بذلك دون
غيره مما هو أجل منه ، كُوتِبَ : أعزك الله وأطال بقاءك وأكرمك ، وأتم نعمته عليك
وإحسانه إليك .

(١) الذراع جمع ذراع وهو الذى يذرع أى يقيس .

(٢) فى الأصل : التذراع .

(٣) أى يكون فلان بن فلان من الجانب الآخر .

فأما أبو مروان عبد الملك بن محمد بن عبد الملك الزيّات الخرائطي فكان يتولّى ديوان الخرائط المسمى ديوان البريد وحده ثلاثين سنة ، وكان يكتب : مد الله في عمرك ، وأكرمك ، وأتم نعمته عليك ، وأدامها لك .

أصحاب البرد وسائر النواحي

الطبقة الأولى ممن يتقلد الأعمال الجليلة : أكرمك الله ، ومدني عمرك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان : لأبي فلان فلان بن فلان ، أكرمك الله ، من أبي الحسن .

والطبقة الثانية منهم : أكرمك الله وأبقاك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك .

والطبقة الثالثة : حفظك الله وأبقاك وأمتع بك .

وعلى مثل ذلك يكتب أصحاب الخرائط في النواحي .

وأصحاب الوزراء الذين من قبيله : أبقاك الله .

وحدث أبو علي بن هبتي القنّائي قال . كان بشر بن علي كاتب حامد صديقاً لي ولأبي يعقوب أخي . فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة في الدفعة الثالثة ، واستعرت الدنيا ناراً بشرّ ابنه الحسن ، وتسلّطه وتبسطه ، طلب بشراً وأبا محمد بن عينونة في جملة من طلبه ، وتبعه وكبس عليه ^(١) واستقصى في أمره . فأما بشر فإنه أخذ لنفسه عند القبض على حامد صاحبه بأن استتر وأخفى نفسه [و] شخصه . وأما ابن عينونة فإنه حصل عندي حصّولاً لم أعلم أخى به خوفاً من أن يحلف فيدلّ عليه . واتفق أن كتب أخى إلى بشر رقةً ضمّنها كلّ إرجاف وفُضول وما اطلع

(١) . كبس عليه أى هاجم المنازل بحثاً عنه .

عليه من تَقَرُّرِ الأمرِ لأبي القاسم الخاقاني وقُرْبِ تَقَلُّدِهِ إياه ، وأنه قد أحكم له ما يُريدُ منه . وأجابه بشر في تضاعيفها بما شا كل الابتداء من غير تحفُّظٍ ولا تحوُّزٍ ، فاختلطت الرُقعة بين يَدَيَّ أخى بمكاتباتٍ وحُساباتٍ ضِيعَتِهِ وغير ذلك مما لا فِكْرَ فيه .

وكتب أبو أحمد عبيد الله بن محمد أخو أبي إبراهيم موسى بن محمد - وكان يتولى نصيبين - إلى الحسن بما قال فيه : إن أردت ابنَ عِينونةَ وعبدَ الرحمن بن عيسى ابن داود فهما عند ابن القنَّائى . فاشعر أبى وأخى فى يوم الأحد النحس إلا بمريبٍ خادمِ الحسن قد كبسهما فى جماعةٍ من الرِّجَالَةِ ، وقتل جميع الدور والحجر والبيوت ، ولم يُبقِ غايةً إلا بلغها فى الاستقصاء والاحتياط . فلما لم ير أحداً عدل إلى ما كان بين أيديهما من رِفاعٍ وحساب ، فجمعه وحمله إلى الحسن ، وفى جلته رقعة بشرٍ المشتملة على العجائب . ورأى أخى ذلك ، فمات فى جلده ، ولم يَقْصِدْ دارى أحدٌ اكتفاءً بما جرى على دار أبى وأخى ، وعَلِمَ ابنُ عِينونة ، وكان فى الوقت سكرانَ لافْضَلٍ فيه لحركة .

- فحدثنى أبو منصور فرخان شاه صِهْرُنا قال : كان خبرُ الرقعة عندى ، وقد علمتُ أنها حَصَلَتْ فى جُمْلَةٍ ما أخذه مُريبٌ من الرِفاعِ التى بين يَدَيَّ أبى يعقوب . فأنا على مِثْلِ النار للإشفاق عليه منها ، ولم أزل أمشى خلف مُريبٍ وهو متابِّطٌ لِمَا أخذه إذ انسلَّت الرقعةُ بعينها بتفضل الله جل وعز من بين سائر الكتب والرقاع ، وسقطت إلى الأرض ولم يشعر مُريبٌ بها ، وأخذتها أنا وبادرت إلى مُستراحٍ وطرحتها فيه ، وهدأت نفسى عند ذلك . قال أبو على بن هبنتى : ومضى أبى وأخى مع مريبٍ إلى الحسن ، ووقفَ على الكتب والرقاع وقرأها ، فما وجد شيئاً أنكره وخاطبهما بالجليل والاعتذار ، وعرفهما السبب الذى من أجله أنفذ إليهما . وكتب

الوزير أبو الحسن أبوه يُنكر عليه ما فعل ، وانصرفاً مكرمين ، وزالت البلية
المخوفة بانسلاال تلك الرقعة من بين الرقاع المأخوذة ، والله الحمد والمنة .

وحدث أبو عليّ قال : خرج إلىّ في يوم من أيام وزارة أبي الحسن عليّ بن
الفرات الأخيرة - وقد ابتدأ الحسنُ ابنه في مصادرة الناس وقتلهم ، وقتل أحمد بن
حماد الموصلي وغيره - سعيدٌ وعبدُ الله ابنا الفرخان ، وأنا في ديوانها ، فقالا لي :
كنا الساعة مع الوزير في أمرٍ طريف . قلت : فما هو ؟ قالوا : قال لنا : عمل
أبو معشر^(١) مولى ، وحكم فيه بأشياء عظيمة صحت كلها وقال : إنَّ عليّ في سنة
سبعين من عمرى نكية عظيمة يكون سيئها بعضُ وُلدي وأنا في السبعين . وقد
دخل هذا الفتى - أعني الحسنَ ولده - من مكاره الناس فيما نسالُ الله السلامة
من عاقبته . قلت لهما : فأى شيء قلتما له ؟ قالوا : ما قلنا له شيئاً . قلت : قد غشيتاه ،
فإنه كان يجب أن تُشيراً عليه بقبض يديه وصرّفه ، وأن يستعمل من الخير ما يُقرّ به
إلى الله وإلى الناس . قالوا : لم نجسُر على أن نواجه بهذا الرأي ، ولكنَّ أباك
مُتمكّن منه ، فقل له حتى يُشير عليه به . فقلت : أبى لا يُنكبُ بنكته ، وأتما
أولى بالإشفاق عليه ، وعلى نفوسكما . قال أبو عليّ : وكنت قد حصّلت طالع
وقتِ نظره ومولِد الحسنِ ابنه . فجعلت أنظر فيهما وأسير الكواكب منهما حتى
عرفت من ذلك يومَ نكبته ، وصرت إلى أبي بشر بن فرجويه قبل ذلك بخمسة
عشر يوماً فذكرته له ونبهته عليه ، وحذرت من أن يقع كما وقع في الدفعة الوسطى .
فقال لي : ما أصنع وأنا منوط بهذه الأعمال التي ترى . وبماذا أحتج على صاحبي ؟
قلت : تعالّل وتأخّر . قال : لا يتم لي ذلك إلّا بأمره . قلت : فالله الله أن تحكي
له مما عرّفتك إياه شيئاً ؛ فإنه يقبّح مواجهته به . ولكن اذكر ما عليه الناس من

(١) هو الفلكي المشهور جعفر بن محمد الذي تنسب إليه الطوالع مات سنة ٢٧٢ انظر ابن خلكان .

الإرجاف ، وما يُتحدّثُ به من كَوْنٍ ^(١) الاختلاط ، وما جرى عليك حين أخذت من المكروه الغليظ في جسمك ، وأنتك تخاف أن يلحقك مثله فتسلف وتستأذنه في التعالّل والتأخّر . فإني ألزم الديوان مع خليفتك أبي محمد المادرائي ولا أفارقه حتى يقضى الله بما هو قاض . قال : نعم .

واجتمعنا من غدٍ فخلا معي وقال لي : جاريْتُ الوزير ما جرى بيننا على جهته فقال لي : من قال لك هذا ؟ فإنه قد صدق فيه وأصاب ، ونصح لك في الرأي ، لأن أبا معشر حكم في مولدى بنكبة مَرَّيْحَةٍ في سنة سبعين ، وهذه سنة سبعين ، وقد بقي من الأيام إلى الوقت الذي قاله أبو معشر كذا وكذا يوما . قلت : فلان . قال : قد سرّني أن كان في هذه المنزلة من الصنّاعة ، فأقبل ما أشار به ولا تخالفه ، فأنا ماضٍ الآن لأستتر ، فالزم أنت الديوان ولا تُخِلَّ به ، ومن سألك عنى عرفه أننى عليل حتى تنظر ما يكون . قلت : استخِر الله .

ثم مضى واستتر أياما ، ثم لم أشعر به إلا وقد حضر الديوان ، فسألته عن سبب حضوره مع قرب المدة . قال : أرجو ألا يكون لما حكمت به وحذرت منه أصلٌ ، ومتى تناول انقطاعي عن صاحبي لم آمن فسادَه علىَّ

فما مضت - شهد الله - خمسة أيام حتى قبض على ابن الفرات ، وكان تقديرى له أن ينكب في يوم الاثنين ، فنكب في يوم الثلاثاء بعد يوم التقدير ، وحصل في الحبس ، وأقلت أبو بشر . فحدثني الموكل - كان - بابن الفرات قال : مكث أيا ما كاسِفَ البال شديد الإشفاق ، حتى إذا كان يوم ضربت فيه عنقه جَزِعَ جزعا شديدا وقال لي : ويحك ، جاء الوزير اليوم ؟ قلت : لا . قال : أرجو الله وأتوكل عليه . فسألته عن قصته . قال : قد حكم لي أبو معشر في مولدى أننى متى سلمتُ

(١) كون هنا مصدر لكان التامة أى من وجود الاختلاط .

في هذا اليوم انحسرتِ الحنةُ عني ، وزالت الخافَةُ عَلَيَّ ، وتجددتُ لي حالٌ جميلة ،
فأنا قلقٌ إلى أن يتصَرَّم النهار . فما زال على هذه الصورة حتى سَمِعَ الحركةَ
وأصواتَ الرجالِ والغلمان . فقال لي . ما الخبر ؟ قلت . الأمير نازوك قد حضر .
قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ذهبتُ ^(١) والله . ولم يكن بأسرع من أن دَخَلَ
عليه فَضَرِبَتْ عُنُقَهُ .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : تَظَلَّمُ إلى ابن الفرات في وزارته رجلٌ من
أهل السواد من بعض العُمال . وذكر أن ضيعته قطيعة ^(٢) ، ورثمها قديم ، وأنه
قد عُمِلَ فيها على معاملة الإستان ^(٣) ، وسأل إنصافَهُ وإزالة الظلم عنه ، وحمله على
رَثمِهِ ، وكتبَ إليه رقعة في هذا المعنى ، فوقعَ عليها بإخراج الحال ^(٤) . فأخرج
من ديوان السواد خَرَجٌ حُكِيَ فيه : أنه رُجِعَ إلى جماعة ^(٥) العامل للسنة
الماضية فَوُجِدَ في التخريج : قَدْ أُجْرِيَ فيها البَيَدَرُ الذي تَظَلَّمَ لأجله على
معاملة الإستان ^(٦) .

فلما عَرِضَ ذلك على أبي الحسن عَرَفَهُ وَجُوبَ الحُجَّةِ عليه ، وأن العامل
لم يَتَحَقَّقْهُ فيما فعله .

وأقامَ على الظلامة ، وأنَّ غَاثَهُ لم تُقَسِّمَ في السنة الماضية إلَّا على مُقاسمة

(١) قد تكون معرفة أيضا عن : دهيت .

(٢) قطيعة : منحة وهبت له .

(٣) أي معاملة أهل الإقليم أو الضريبة المختصة بأهل الإقليم .

(٤) يعني لإخراج المثلث الخاس بها ومعرفة ضرائبها .

(٥) الجماعة لعله يراد بها هنا : الكشوف .

(٦) أي وجد أنها قد عوملت للعامة المختصة بأهل الإقليم ، من العام السابق .

القطائع^(١) . وكان يُكثر من الحضور في أيام جلوسه للظالم ، ويُعاهد التظلم ، ويقف له في الطريق ، ويسأله تأمل أسرِه والتقرب إلى الله تعالى بإنصافه . فلما أُلحَّ وألحفَ تقدم إلى أحمد بن يزيد المدير بأن يُخَصِّرَه جماعة^(٢) العامل لينظرَ فيها بنفسه . فأحضره إليها ، وتأملها وتبَّعها ، وحسبَ مبلغ ما يجيء من الغلَّة في سائر أعمال الناحية على أن تلك الغلَّة جارية في معاملة الاستان - ومبلغ ما يجب فيها على رسم القطائع^(٣) ، ووجد الحيلة قد وقعت من بعض أعداء أصحاب الضيعة في حكِّ موضع رسمها في القطائع وإثباته في الإستان^(٤) . فاستدعى صاحبها وأعلمه بالصورة ، وأن الذي أراد الإساءة به وإفساد معاملته لم يُحَسِّنَ التَّأَنِّي^(٥) لذلك ، لأنه اقتصر على إصلاح موضع قِسمَةِ الغلَّة دون تنبُّع مواضع الحمل ، وأن رسمه صحيح لاشبهة فيه . فشكره ودعا له ، وسأله الكتاب إلى العامل بإجرائه على رسمه في القطائع . فتقدَّم به . ثم عرفه أنه يتخوَّف أن يُثَبَّتَ في ديوان الناحية ما حُمل من غلتها على غير الرسم الصحيح ، وسأله التوقيع بإطلاقه له وردِّه عليه . فوقع له بذلك ، وكان الرجل يدعولابن القرات ويقول : أئى وزير يتفرغ لى حتى يتتبع جُمل الجماعة^(٦) من أولها إلى آخرها ، ويحصِّل ارتفاع الناحية بأسرها حتى يظهرَ له موضع الحيلة على ؟

وكان عُبيد الله بن الحسن النرسى رفع جماعته لأعمال السَّيب الأعلى لسنة اثنتين

(١) يعنى أنه أصر على أن خواجه في العام السابق لم يكن إلا على نظام ضرائب الأرض المقطعة وليس كما قيل من أنه عومل معاملة أهل الإقليم .

(٢) جماعة العامل يريد بها كشوف العامل .

(٣) يعنى أنه حسبها على فرض ضريبتها باعتبار معاملتها كمعاملة أهل الإقليم وحسبها على فرض ضريبتها باعتبارها أنها لإقطاع .

(٤) المراد أنه تبين له أنها كسُطت من موضعها الذى كانت فيه وأثبتت في الحساب الآخر الذى هو معاملة أهل الإقليم .

(٦) لعله يراد بجمل الجماعة : كل الكشوف .

(٥) التَّأَنِّي : الحيلة والقصد لها

وثمانين ومائتين إلى ديوان الخراج ، فنظر فيها أحمد بن محمد المريج الكاتب ،
وعمل لها معاملة تحصيل ، فوجد بقايا المعاملة شديدة الاضطراب ، فقابل بها الجماعة
ولم يجد فيها خطأ ، فقال : لا بد أن يكون لهذا الاضطراب سبب ، وتتبع مواضع
الجمال التي تقتضيها معاملة التحصيل ، فكان قد عتد جُملة النفقات في المعاملة
بألف دينار^(١) ، وأرج^(٢) النفقات التي عتد منها تلك الجُملة ، فعجزت ألفا وثلاثمائة
دينار . وأخرج الباب إلى أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وكانت إليه خلافة
أبي العباس أحمد بن محمد أخيه على ديوان الخراج ، فأحضر أحمد بن إبراهيم
ابن أفلح المكبري كاتب النرسي ، ووقفه على ذلك ، فلم تكن له حجة فيه ، وعرف
النرسي ما جرى ، فلأم كاتبه وقال له : لا بد من أن تقف على دستور الجماعة وأقبلت
عليه . وكان النرسي عاملاً كاتباً فيما بالحساب ، وتقابلا ، فوجد النرسي أحمد
ابن إبراهيم كاتبه قد أغفل عند التحرير الاحتساب بألف وثلاثمائة دينار انصرفت
في النفقة على بئق^(٣) بالسبب الأعلى . فصار إلى أبي الحسن بن الفرات ووقفه على
موضع السهو من الكاتب ، وأعطاه رفع الداريج^(٤) بالنفقة ، فلم يقبل أبو الحسن ذلك
منه . ثم استظهر^(٥) بالرجوع إلى مارفع من هذه الجُملة إلى مجالس الأصل والجماعة
والسودان ، فكانت النسخة واحدة ، وقد أغفل إيراد هذه النفقة في كل منها ،
فألزمه المسأل كمالاً^(٦) ، ولم يلتفت إلى ما أحضره إياه من رفع الداريج . وهذا حق
في حكم الكتابة لا يدفع .

(١) أي استظهر واستخلص جملة المعاملة فوجدها ألف دينار .

(٢) أرج يراد بها وازن النفقات بما استخلصه فوجد مجزأ قدره ألف وثلاثمائة دينار .

(٣) البق : الشق في جسر النهر ليقبض منه الماء .

(٤) لعله يراد به أنه أعطاه البيان الذي أدرجت فيه نفقة البق أو أن الداريج هو المتبع والمراجع
للأعمال ورفع الداريج يراد به تقريره الذي رفعه .

(٥) استظهر : استعان .

(٦) كمالاً : كاملاً أو كله .

وكان أبو الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل كتب إلى الوزير أبي أحمد العباس بن الحسن - وهو يتولى له أعمال البصرة - كتاباً عدّد فيه آثاره ، وذكر أنه قد عقّد صدقات أراضى العرب بالبصرة لسنة ثلاث وتسعين ومائتين بمائة ألف وعشرة آلاف دينار ، وأن غيره عقد ذلك لسنة اثنتين وتسعين ومائتين ستّة وتسعين ألف دينار . وأخرج الكتاب إلى ديوان الخراج ، فنظر بعض كتّاب المجالس فيه ، ورجع إلى موافقه أبي الحسن بن أبي البغل لسنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فوجدها مرفوعة لعشرة أشهر من هذه السنة ، وقد أورد فيها من مال الصدقات نيّفًا وثمانين ألف دينار . ثم كتّب بعد ذلك بما ارتفع إلى وقت انقطاع العرب ، فكان تيّنة تسعين ألف دينار ونيّف . ونظر في جماعته لسنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فكان ماعقده من ارتفاع مال الصدقة في أرض العرب مثل ذلك ، واتفق ما أوجبته الموافقة وتضمّنته الكتب الواردة . وأخرج في ذلك خرّجاً إلى ابن الفرات . وكان ابن الفرات يقصد ابن أبي البغل ، ويتّبع عثراته ، ويبدى مساوياً ، ليله - كان - إلى أبي الحسن علي بن عيسى وعمه أبي عبد الله محمد بن داود ، ومحمد بن عبدون ، وانحرفه عن ابني الفرات .

فلما وقف أبو الحسن بن الفرات على ما أخرجه الكاتب . دعا بالجماعة والكتّاب ، وقابل على ما ذكر في الباب ، فوجده صحيحاً لا شبهة فيه . والتمس من ابن عمر خازن الديوان كتاب ابن أبي البغل بالتقدير لسنة ثلاث وتسعين ومائتين وكلّ كتاب له يتضمن التقدير . فحمل إليه ثلاثة كتب في ذلك قد أورد فيها آثاره ، وزيادة تقدير مال الصدقة لسنة ثلاث وتسعين ومائتين على عبرتها^(١) لسنة اثنتين وتسعين ومائتين . فلما قرأ ابن الفرات الكتب أمره بتحرير الخراج وإنفاذه إلى

(١) لعلها يراد بها على مقدار حسابها .

الوزير أبي أحمد . فلما قرأه الوزير أمر بمطالبة ابن أبي البغل بالمال ، وكتب إليه فيه كتاباً طويلاً عُملَ في الديوان ، فأجاب عنه بأن الارتفاع - الذي ذكره في كتبه الوزير بالتقدير ، ونسبه إلى العبرة لسنة اثنتين وتسعين ومائتين في الصدقة بأراضي العرب بالبصرة - هو مع ارتفاع الشعبي والولدي ، وأن الكاتب غلط في النقل ونسب جميع المال إلى الصدقة ، وأنه إذا تَوَاسَّل ارتفاع الشعبي والولدي وحْدَ ستة آلاف دينار وهو قدرُ الخلافِ .

وكتب إلى أصحابه المائلين إليه بِنُسخةِ جوابه ليعرفوا الصورة فيه ويعارضوا ابن الفرات في مجلس الوزير أبي أحمد بما أورده من حُجَّتِهِ . وكان الوزير أبو أحمد أيضاً على عنايةٍ بابن أبي البغل شديدة . فلما وَقَفَ على الكتاب خاطب ابن الفرات في ذلك بحضرة الكتاب فقال : الآن وجب المالُ - أيد الله الوزير - ولزِمَ الخروجُ منه ، لأنه اعترف بصحة ما أُخْرِجَ ، وادَّعى السهو الذي لا يُقبل من العمال بعد نفوذ كتبهم بالارتفاع ورفعهم حساباتهم به إلى الديوان . وَضَحِكَ من المعارضين له وَضَحِكَ مُتَعَجِّبٍ منهم . وقال : ما ظننتُ أن أحداً يذهبُ عليه هذا الموضعُ أو يلحقه منه شكٌ . فورد على القوم ما حَيَّرَهم وأدهشهم وقطعهم . وأمر الوزير حينئذ بإفاد الرنداق ^(١) إلى ابن أبي البغل لمطالبتة بالمال ، وذلك بعد أن أحضر ابن الفرات الكتبَ والجماعات ، وواقف الوزير والكتاب واعترفوا بكون الحقِّ معه . وانحدر الرنداقُ إلى البصرة ، وحلَّ ابن أبي البغل من داره إلى ديوان البلدي وأقامه على ساقٍ ^(٢) وعامله وخاطبه بما زاد فيه على ما أمَرَ به ، ولم يبرح حتى أخرج ابن أبي البغل المالَ إلى مجلس العطاء ، وأطلق للجند وأورد جماعة سنة

(١) الرنداق لعله يشبه كلمة الرسول .

(٢) أقامه على ساق : أي على شدة ، من قولهم : قامت الحرب على ساق .

ثلاث وتسعين ومائتين منسوباً إلى وجهه ، وهو من العين ستة آلاف دينار وكسرة .
 وكان أبو الحسن بن الفرات في وزارته الأولى قلده نصر بن عليّ برّاز الرّوز
 والبندّ نيّجين من أعمال طريق خراسان . فلما رفع الحساب بذلك إلى ديوان الخراج
 أخرج الكتّاب عليه أنه احتسب في الجارى برّبع العشر في الارتفاع وأوجه عن
 ستمائة ألف درهم ، ونظر في جماعته وما أورده فيها فوجد المال خمسمائة وسبعين ألف
 درهم . وأخرج عليه التفاوت بين المبلغين وهو ثلاثون ألف درهم . وأجمع الكتّاب
 على مناظرته ومواقفته ، فضجّ وقال : قد رضيت بحكم الوزير ، طالعوه بالصورة ،
 وأنفذوا إليه المؤامرة ، وكان متخلياً في دار حرّمه . فضحك وأمر بإيصال الجماعة
 إليه ، وأصحاب المجلس يومئذ أبو القاسم عبيد الله بن محمد الكلّوذاني ، وأبو منصور
 عبد الله بن جبير ، وأبو الحسين الصقر بن محمد ، وأبو الحسن أحمد بن محمد بن سهل ،
 فدخلوا معهم نصر بن عليّ فقال له ابن الفرات : ويلك يا نصر ، عملت لنفسك
 مؤامرة ، من كان أخذك بذكر الارتفاع ؟ ولم لم تقبض جاريك وتمسك
 عنه ؟ قال : أخطأت أيها الوزير . فقال : خطأك^(١) يُلزمك المال . ثم ألزمه ربع
 العشر في الثلاثين وأخذ خطّه به .

وكان من طريف ما أخرج علي نصر أيضاً أنه كتب عند تقلّده برّاز الرّوز
 والبندّ نيّجين فذكر أنه وجد في بعض البيوت من غلّة السنة الماضية نحو من مائة
 كُرٍّ^(٢) بالمعدّل حنطة وشعير . ثم أورد في حسابه ستين كُرّاً ، فأوجب عليه
 التّسعة . فقال^(٣) : إنما كتبت : بنحو مائة كُرٍّ . ورَضِيَ بحكم الوزير أبي الحسن .

(١) الخطاء : هو الخطأ .

(٢) السكر : مكيال يقارب أربعين إردبا .

(٣) في الأصل المطبوع : وقال إنما كتبت « بفتح التاء للمخاطب » .

فأنفذ الكتابُ الخرجَ بذلك إلى حضرته . فوقَّع بخطه : النَّحْوُ : من واحدٍ إلى تسعة ، فإذا تجاوزَ للعشرة لم يُجْزَ أن يُقال فيه : نحو .

فلما وقَّعوا على ذلك وضعوا عنه عشرة أكرار ، وألزموه ثلاثين كراً حنطة وشعيراً . وكان أبو أحمد الحسن بن محمد الكرخي يتقلدُ المنسرفان من أعمال الأهواز في وزارة أبي أحمد العباس بن الحسن ، فعُيِّنَ له مؤامرةٌ عُرِضَتْ على أبي الحسن ابن القرات ، فلم يكن فيها - على ما ذُكِرَ - بابٌ واحدٌ يَظْهَرُ وجوبه ، وأُخْرِجَ في باب المرافق ما جَرَّتِ العادة بالتأوُّل فيه . فقال أبو الحسن : هذا لا يُخْرِجُ مثله كتابُ الحضرة إذ كان رَجَاءً ^(١) لا يقوم على مثله بَيِّنَةٌ . وحضره المظفر بن المبارك القمِّي بعد مُدِيْدَةٍ قريية ، وقد كانت له ضَيْعَةٌ بالأهواز قد باعها على أبي الحسن ابن القرات ، فاستدعى منه حِسَابَ وكيِّله فيها ليستدِلَّ منه على رُسُومها ومعاملاتها ، وجاءه به في بعض العشايا ، فقرأه . ووجد به السنة التي كان الحسن بن محمد الكرخي مُتَقَلِّداً فيها . وقد احتسب الوكيلُ فيه نحوَ خَمْسِمِائَةِ دينار ، ونسبها إلى الحسن بن محمد وعَمَّاله وخُلَفائِهِ على سبيل المَرْفُق : فأنفذ في الوقت من أحضر الحسن بن محمد الكرخي وأحمد بن محمد بن سهل والصقر بن محمد وعبيد الله بن محمد الكلوزاني ، فحضرُوا ، ووجدوه يَتَمَيَّزُ غِيظاً ، ودعا بالمؤامرة التي كانت مُعْمَلَتٌ للكرخي فاطَّرحَهَا ، وأقْلَ المبالاةَ بها ، وأخذ في مناظرته على ما أُخْرِجَ من المرافق ، فاحتجَّ بما يَحْتَجُّ به مثله في ذلك ، وعرض عليه وعلى الكتابِ حسابَ ابن المبارك القمِّي وقال له : يا عدو الله يا خائن ، يا لص ، تأخذ من ضَيْعَةٍ واحدةٍ ورجُلٍ واحدٍ خَمْسِمِائَةَ دينارٍ مَرْفِقاً وتَقْدِيرُها نِصْفُ ارتفاعه ! فكَمْ أخذت من أهل الكورة ؟ وما أحتاج أن أنظر في غير هذا . فَبَيَّهَتِ الحسن وَوَرَدَ عليه ما لم يَكُنْ في حسابِهِ :

ثم قال : قد أخطأتُ، وأنا بين يديك . فأخذ خطّه طائفاً - بعد أن قبّل يده مرارا - بسبعة آلاف دينار ، فأدّى من ذلك خمسة آلاف دينار . ثم استشفع على^(١) ابنِ الفراتِ ، وعَرَفَه سوءَ حاله وقصورَ يده ، فسامحه بالبقية ، وردّ خطّه عليه ، وقلّده بابلَ وخُطْرَ نَيَّةَ .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : حدثني أبي قال : كان أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات يُكرِّمان عبيد الله^(٢) بن عبد الله بن طاهر ويعرفان حقّه وقُدَمَتَه^(٣) . فبعث إليه أبو الحسن في بعض الأيام مع أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن رشيد الكاتب بجملةٍ وافرة ، وحمله رسالةً جميلةً يَعِدُهُ فيها بما يتلو ذلك ويتبعه من مراعاته وتفقيده . قال ابن رشيد : فأوصلتُ المحمولَ إليه ، وأوردت القول معه عليه . فشكّرَ ثُمَّ شكر ، ثم قال فيه أبلغ قول ، وكتب إليه :

أَيَادِيكَ عِنْدِي مُعْظَمَاتٌ جَلِيلٌ طَوَالُ اللَّدَى ، شُكْرِي لَهْنٌ قَصِيرٌ
لَنْ كُنْتَ عَنْ شُكْرِي غَنِيًّا فَإِنِّي إِلَى شُكْرٍ مَا أَوْلَيْتَنِي لَفَقِيرٌ

قال : فقلت له : هذا - أعز الله الأمير - حَسَنٌ . قال : أحسنُ منه ما سَرَقْتُهُ منه^(٤) . فقلت له : إن رأيتَ أن تعرفنيه فافعل . قال : حديثان حَدَّثَنَا بهما أبو الصلت المروى بخراسان عن أبي الحسن الرضا^(٥) عن آبائه عليهم السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَسْرَعُ الذُّنُوبِ عِقُوبَةً كُفْرَانُ

(١) استشفع عليه بإنسان : استعان به عليه إيشفع له عنده .

(٢) راجع ترجمته في ابن خلكان والتنظيم ١١٧/٦ توفي سنة ٣٠٠ .

(٣) القدمة : السابقة في الأمر والتقدم .

(٤) يريد أن الذي أحسن من هذا الشر هو القول الذي سرق معناه منه .

(٥) أبو الحسن الرضا هو علي بن موسى له ترجمة في ابن خلكان ومقاتل الطالبيين ٥٦١ مات في أيام المأمون وقيل مات مسموما سنة ٢٠٣ .

النَّعْمَة « وبهذا الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يُؤْتَى بِعَبْدٍ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَيَأْمُرُ بِهِ إِلَى النَّارِ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، لَمْ أَمْرْتْ بِي إِلَى النَّارِ ؟ فَيَقُولُ : لَأَنْكَ لَمْ تَشْكُرْ نِعْمَتِي . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَنْعَمْتَ بِكَذَا فَتَشْكُرْتُ بِكَذَا . فَلَا يَزَالُ يُخْصَى النِّعَمَ وَيُعَدُّ الشُّكْرَ . فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : صَدَقْتَ عَبْدِي ، إِلَّا أَنْكَ لَمْ تَشْكُرْ مِنْ أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ عَلَى يَدَيَّه » .

وانصرف ابنُ رشيد بالخبر إلى أبي الحسن ، وهو في مجلس أبي العباس أخيه ، وعرفه ما جرى ، فاستحسن أبو العباس الحكايةَ عن عبيد الله ، وبعث إليه بصلّة أوفر من صلة أخيه على يدَيِ ابنِ رشيد . فَحَكَى أَنَّهُ لَمَّا أَوْصَلَ ذَلِكَ إِلَيْهِ سُرَّ سُرُورًا شَدِيدًا وَكَتَبَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ :

شُكْرِي لَكَ مَعْقُودٌ بِإِيمَانِي حُكْمٌ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي
عَقْدٌ ضَمِيرِي وَفَمِي نَاطِقِي وَفِعْلُ أَعْضَائِي وَأَزْكَانِي

قال : قلت : هذا أحسن من الأول . فقال : أحسن منه ما سَرَقْتَهُ مِنْهُ . قلت : وما هو ؟ قال : حدثني أبو الصلت الهروي بخراسان عن أبي الحسن الرضا عن أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم ^(١) عن الصادق ^(٢) عن الباقر ^(٣) عن السجّاد ^(٤) عن السبط ^(٥) عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْإِيمَانُ عَقْدٌ بِالْقَلْبِ وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ » .

(١) راجع ترجمة له في ابن خلكان وتاريخ بغداد ٣٢/١٣ ومقاتل الطالبيين ٤٩٩ توفي سنة ١٨٣ أو سنة ١٨٦ كما في مروج الذهب .
(٢) ترجمته في ابن خلكان وهو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب مات سنة ١٤٨ .
(٣) هو محمد بن علي بن الحسين ترجمته في ابن خلكان مات سنة ١١٣ .
(٤) المراد به علي بن الحسين ترجمته في ابن خلكان ، مات سنة ٩٤ .
(٥) المراد به الحسين بن علي بن أبي طالب .

وعدتُ إلى أبي العباس فعرّفته ما ذكره عبيد الله فاستحسنه . واتفق أن حضر المجلس ابنُ راهويه الفقيه وكان متهما بالنصب^(١) فقال: ما هذا الإسناد ؟ فقال له ابن رشيد : هذا سَعُوطُ الشيلثا الذي إذا سُعِطَ به المجنون برأ .

قال أبو القاسم بن زنجي : قال لي أبو جعفر محمد بن القاسم بن الكرخي : قال لي أبو القاسم بن محمد : ما حضرتُ مجلسَ رئيسِ قَطٍّ إلا ووعدتني نفسي بالقيام بما يقوم به والزيادة عليه إلا أبا العباس بن الفرات ، فإنني كنت أعلم من نفسي القصور عما يقوم به ، لبراعته في كل حال ، واستقلاله بالعظيم من الأعمال .

وحدث أبو عبد الله زنجي قال : كان عبد الله بن الحسن النرسي وإخوته يتقلّدون عِدَّةَ نواحٍ من سَقَى الفرات ، فاستقصى عليهم أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات في المعاملة استقصاءً غَلَطَ عليهم ، وتخوَّفُوها معه ، وعدَّوْا إلى استخصامهما ومظاهرة أعدائهما ومساعدتهم عليهما ، وأقبلوا يذكرونهما ويذكرون مافي أيديهما من الضياع ، وما يتحصّل لهما من الارتفاع . فتقدم أبو العباس إلى أبي الحسن أخيه أن يعمل لما يتقلّدونه من الأعمال عملاً ، ويُخْرِجَ ما يلزمهم من مَرْدُودِ الجارى والاحتسابات الباطلة ، ولا يَحْتَسِبَ لهم إلا بالواجب الصحيح ، ويرجع إلى ما كتبَ به أصحابُ البردِ والأخبار فيما وصل إليهم من الأموال والاستثناء على مُبتاعى القلّاتِ . فعمل ذلك وجوّده ، وأحضره أبو العباس ، فوجده يشتمل على ثلاثمائة ألفِ دينار ، فاستحسنه ووافقه على أن يجعله في الديوان ، فأبى وقت أنكر أحد من الترسين أمراً أظهره . ولم يمض إلا أيامٌ يسيرة حتى بلغ أبا العباس اجتماعهم مع محمد بن داود ومحمد بن عبدون وإفاضتهم في ذكره وذكر أخيه أبي الحسن ، وأنهم قد جمعوها على مخاطبة أبي القاسم عبيد الله بن سليمان في بابهما ، وأن بضمننا له عنهم مالا وافرأ من ضياعهما ، ولم يزالا بهما إلى أن خاطبا عبيد الله في ذلك . وواجهوا أبا العباس

(١) النصّب يراد به المعادة لملى بن أبي طالب رضى الله عنه .

وأبا الحسن بِذِكْرِ الضمان ، فثبت أبو العباس وأقلّ الحفلَ بهم ، وقال لعبيد الله :
هذا كلامٌ فارغ لا محصول له ، وتشنيعٌ باطل لا حقيقةَ لشيء منه ، وإنما دعاهم
إليه الاستقصاء في المعاملة ، وعليهم - أيها الوزير - ما اقتطعوه من أصول الأموال ،
وسرقوه من القلّات ، وزادوه في الاحتسابات ، ثلاثمائة ألف دينار ، أنا أصحّحها
عليهم بالشواهد الظاهرة ، والدلائل الواضحة . فلما سمع ذلك عبيدُ الله خاف أن يتّصل
خبرُ المجلس بالمعتضد بالله - رحمه الله عليه - فسلمهم إليه ومكّنه منهم . ووجهُ
أبو العباس من وقته إلى دورهم من كبسها ، وحمل ما كان فيها من الأعمال
والحسابات والكتب والرقاع . ونقلهم إلى ديوانه ، وأقبل يناظرهم على بابٍ بابٍ
مما أخرج عليهم ، حتى أخذ خطوطهم به ، وأحضر عبيدُ الله بن سليمان ذلك ،
فاستحسنه ، وطولبوا بالمال فأدّوه .

قال أبو عبد الله زنجي : وقد كان النرسي الأكبر عبيدُ الله بن الحسن صارَ
إلى في بعض الأيام مُسلماً على ، ثم سألني إجمال خِلافته ^(١) بحضرة أبي العباس
ابن الفرات ، وحفظ غيبه ومراعاة ما يجري من ذكره ، ووضع غلامه بين يديَّ
صُرّة فيها ثلاثمائة دينار ، وتختين ^(٢) فيها ثياب ، وسأمني قبُول ذلك فامتنعت ، وقال :
إني لا أكلّفك أن تكشف لي سرّاً لصاحبك ولكن تُشعّرنِي بما يجري من ذكرنا
فقط . قلت : متى ضمنت لك هذا لم أف به ، ولكنني أحسنُ المُنابَ عَنكَ ، وأقضى
ما يعرّض من حوائجك ولا أعلمك ذلك ولا أمتنُّ به عليك . وأما هذا المحمولُ
فَعَلَى وَعَلَى ، وحلفتُ يمينا غموساً ^(٣) إن قبلته على وجهٍ وسببٍ . فنهض وترَكَه
بين يديَّ ، وتقدّمتُ إلى بعض غلمانِي بأخذه وإتباعه به ، وردّه عليه ، وحذّرتُه من أن

(١) إجمال خِلافته لعلها تجميل حاله خلفاً عنه في ذلك أو هي معرفة عن إجمال حاله أي تجميل
حاله وتجميلها . (٢) التخت من معاني خزانة الثياب .
(٣) اليمين الغموس هي الشديدة التي يتعمدها صاحبها أو هي التي لا كفارة لها .

يَرْجِعُ وهو معه ، فأبطأ الغلامُ طويلاً ، ثم عاد وعرفني أنه ليحقة ، وقد نزل في دار بعض الوجوه ، ولم يزل يسأله ويَلطُفُ به إلى أن تقدّم إلى غلامه بأخذه .

فلما قبض ابنا الفرات على النرسين ، وأخذ ما كان في منازلهم من الأعمال والكتب وحمل إلى دارهما ، وميزاه ، وجدا فيه ثبناً بما برّ به النرسيون أسبابهما . قال أبو عبد الله : وكنتُ جالسا قريبا من أبي العباس ، ومعى أبو منصور وأبو نوح عبد الله وعيسى ^(١) ابنا جبير وجماعة من الكتاب ، فأنا أحدثهم بحديث قد شغلني عما سواه إذ وقع هذا الثبّت في يد أبي العباس فأخذه وأنفذه إلى أبي الحسن أخيه ، وهو قريب منه ، وقال : انظر فيه هل ترى اسماً لصاحب الزاى - يريد زنجي - فقرأه وتأمله ثم رده عليه وقال : ما فيه ذِكْرٌ له . فأعاده إليه ثانياً وقال : ارُدْ نظرك فيه . فأعاد قراءته ورده وقال : ماله فيه ذكر . كلُّ هذا ولا أعلم صاحب الزاى مَنْ هُوَ ، حتى قال لي أبو منصور بن جبير : أيها المشغول بالحديث قد افتضح اليوم الخلقُ غيرك ، واسودّت الوجوه وابيض وجهك . فقلت : بماذا ؟ قال . وجد فيما أخذ من دور النرسين ثبّت بما رفعوه إلى واحدٍ واحدٍ من أسبابِ أستاذنا ولم يُوجد لك فيه ذِكْرٌ ولا اسمٌ . فحملتُ الله وشكرته على ما وفّقني له . ولمّا فرغ أبو العباس دعاني إلى حُجرة خلوتي ، فدخلت وهو جالس ، ومعه أخوه أبو الحسن ، فشكراني على خروجي من جملة مَنْ قبِلَ برّ النرسيين وجزياي خيراً عن حفظ الأمانة ، واستقامة الطريقة ، وخطاباني أنجّل خطابٍ ووعداني أحسن وعدي ، وحلّقاً على أنني قد أصبحتُ ليهما كأحدهما . ولم تزل الحالُ تزيد معهما وعندهما إلى آخر المدة . وكان النرسيون بفضل عداوتهم لهما قد تَوَصَّلَا إلى برِّ كُتّابيهما وخُزّانيهما وحُجّابيهما

(١) في الأصل ومعى أبو منصور وأبو نوح وعبد الله بن عيسى ابنا جبير .

وعلمائها والقراشين والقهّارمة في دورهما ، ومن يتولّى نفقات حرّهما ، حتى لا ينجى عليهم شيء من أمورهما في خلواتهما ولا مجالس أعمالهما .

وقال أبو القاسم بن زنجي : كان حامدُ بنُ العباس قد اعترف بأنّ له قبل جماعة من أهل واسط نحو ثلاثمائة ألف دينار ، منهم علي بن إسحاق وأبو أحمد بن المنتاب وابن شاذة وابن جناح وإسحاق بن شاهين . وكتب إليهم كتباً - بخطّه - بتسليم ذلك إلى محمد بن علي البزوفري العامل - كان يومئذ على أكثر أعمال واسط - وأنفذ الوزير أبو الحسن علي بن الفرات الكتب إلى محمد بن علي ، وأمره بأخذ المال من القوم وحمله . فكتب محمد بن علي يقول : إنهم أنكروا ما ادّعاه حامد عليهم وكتب بتسليمه منهم . ووقف الوزير على ذلك ، فغاضه ، وعظم عليه ، وظن أن غرض حامد - فيما كتب به - المدافعة والترصص ومضي الأيام بنفوذ الكتاب ورجوع الإجابة . قال أبو القاسم : وكان ورود هذا الجواب في يوم الجمعة ، وأنا جالس بمحضرتة ، فأعطانيه ومعه الكتب المردودة ، ورسم لي الدخول إلى حامد وأن أقرّه على ما ورد ، وأتبع ذلك بما تقتضيه الصورة من التحريك واللفظة في مخاطبة . فقامت ، ومشى بين يدي الغلام الموكّل بالدار التي كان حامد فيها ، فلما أراد فتح بابها وكان مقفلاً سمع حامد صوت فتح القفل ، فارتاع ، وتشوّف (١) ورآني ، فسكن لأنني كنت أكرمه وأعرف له حقّ رئاسته وجميل فعله بنا ، وكان غيبي ممن يدخل إليه يسى عشرته ، ويلقاه بالقبيح فيما يخاطبه به . فأقرّأته كتاب البزوفري ، وأريته الكتب المردودة ، وعرفته ما وقع في نفس الوزير من أمرها ، وقلت : الضواب أن تكون الحال معمورة ، والمواعيد صحيحة ، لئلا يتمكّن طاعن من طعن . فذكر أن المال قبل القوم على مبالغته التي كتب بها إلا ألف

دينار شكّ فيه . وذكر أنه قد كان كتب بدفعه إلى أحد غلمانه ، فإن كان أطلق^(١) وُضِعَ من الجملة . وبذل إعادة الكتابة وتأكيد القول على القوم مما لا يكون بعده مراجعة . فقبلت ذلك منه ، ووضع غلامى الدرّج^(٢) والدواة بين يديه ، وكتب إلى القوم بما استوفى الخطاب فيه . وأخذت الكتب وعدت إلى الوزير ، وابنه المحسن جالس على يساره . وكذلك كان مجلس - ووضعتها بحضرته ، وعرفته أن حامدا أنكر مخالفة القوم وعظم عليه ردّهم الكتب ، وأعاد اليمين بحصول المال قبلهم ، وأنه قد جدّد مكاتبتهم بما لا يتأخر معه صحته من جهتهم : فقرأ الكتب ، وتقدّم بإجابة البروفرى عن كتابه ، وأمره بإحضارهم ، وقبض المال منهم ، وتحلّيه منفرداً عن مال الخراج . ففعلت ، وكتبت إليه بذلك ، وتأكدت فيه ، وعرضته عليه ، فقرأه وأمضاه ، ووقع فيه توقيعاً طويلاً يلزمه فيه المبادرة بالمال وترك تأخيرِهِ أو قبول احتجاجٍ في أمره ، وأمرنى بحثمه وإنفاذه في خريطةٍ مُحَلَّقَةٍ^(٣) . وأصلحه صاحب الدواة في الخريطة ، وجاءنى بها فعنوتها وحلقتها بإحدى عشرة حلقة ، وأنفذتها إلى أبى مروان عبد الملك بن محمد بن عبد الملك الزيات ، وكان على ديوان البريد .

فلما خلا مجلس الوزير تقدّمتُ إليه وعرفته سراً أننى رأيت الشعر قد كثر على وجه حامدٍ وذراعيه ، ولم أستجِز ستر ذلك عنه ، فأحدتني على مطالعته بذلك ، وأمر بإحضار الحسن المزيّن ، وكان فى الدار ، وتقدم إلى بذر الخادم الحرمى بإحضار صينية المزيّن على مثل ما تقدّم عليه إليه . وأمر بإدخال الحسن المزيّن والصينية إلى حامد ، وتقدم عقيب هذا بإصلاح الحمام على أنه هو الداخل ، ثم استحضر أباً زكريا

(١) أطلق : دفع له

(٢) الدرّج : ما يكتب فيه .

(٣) المحلقة : التى فيها حلق والخريطة : وعاء من جلد أو غيره .

يحيى بن عبد الله الدقيق قهرمانه ، ورسم له بإحضار ثيابٍ تاختج^(١) وقصَب^(٢) وديقق^(٣) وعمائمٍ ليختار منها لحامد ما يصلح لخلعتين . فقال له يحيى : ليس في الخزانة إلا متاعُ حمله التجار وما قطع ثمنه معهم . فقال : هاته . فليس يلزمنا لهم أكثر من أن نعطيهما الثمن على سؤمهم . فمضى وأحضر عدةً تحوُّثٍ اختير منها بحضرتة ما يكفي لمبطنتين ودراعتين [من] تاختج وثوبان [من] دبيق لسراويلين وثوبان [من] قصب لقميصين وعمامتان [من] تاختج ، وأمره بإحضار الخياطين وألزمهم الفراغ عاجلاً من خِلعةٍ واحدةٍ ليلبسها حامدٌ عند الخروج من الحمام . فذكر أن من يرسم الدار من الخياطين تأخروا لأنه يومُ جمعة ، فأنكر ذلك وقال : يرسم الدار فوجانٍ أتاخروا جميعاً ؟ والآن فاستدع من على الطريق من الخياطين حتى يفرغوا الساعة . وتفرَّق الرسلُ في طلب الخياطين إلى أن أحضروا جماعةً منهم ، وسلَّمت إليهم الثياب ، ولم يزل يُراعيهم إلّا أن قاربوا الفراغ من خِلعةٍ واحدة . وتقدّم إلى بعض الفلمان بإنذار حامدٍ بإصلاح الحمام . وأعلمه بذلك فدخله . وأمر الوزيرُ بمحمل الخِلعة التي فرغ منها إليه ليلبسها عند خروجه ، فلما خرج قدّمت إليه فامتنع من لبسها . وعرف الوزيرُ امتناعه فأنكره ، وتقدّم إلى المضيّ إليه والرّقق به وإبلاغه رسالةً عنه في هذا المعنى ، ففعلت ولطفت به في لبس الثياب فأبى وقال : ثيابي غيرُ محتاجة إلى تغيير . وعاودته فأقام على أمره . ووقع في الوقت تخوّفه من حيلةٍ ترمّ عليه في أمر الثياب ، فخلعت له على بُعد الحال من ذلك وقلت : أنا أدخل الحمام وأفيض على الماء ثم أخرج وأتنشّف وألبس الثياب ثم أنزعها لتلبسها بعدى . وقلت : إن نية الوزير قد صلحت ، فلا تُفسدّها بما أنت عليه من

(١) نوع من الثياب كان يصنع في نيسابور .

(٢) نسبة إلى دبيق وكانت تصنع فيها ملابس فاخرة .

هذا الامتناع . فلان في القول ، وجددت اليمين فسكن وليس الثياب ، وعدت إلى الوزير فعرفته ذلك فسر به . ثم تقدم بأن يحمل إليه صينية الطيب وبخور كثير وماء وزد فانفذت واستعمل منها ما أراد . وخفت من أن يميد الوزير على ابنه الحسن ما جرى فيقع عنده أقبح موقع فتقدمت إليه وسألته سر ذلك عنه . فتبسم وجعلني على ثقة ألا يكون لي فيه ذكر .

ثم عدت إلى موضعي من المجلس . فلما قدمت فيه سمعت أصوات الملاحين في طيار الحسن ، ثم اتصل ذلك بصعوده فحمدت الله تعالى على ما وقع لي من مخاطبة أبيه بما خاطبته به قبل حضوره . ثم خفت أن يجري في عرض الحديث ذكر ذلك على غير عمد ، فبينما أنا على هذه الجملة ^(١) من الإشفاق إذ وافي أبو صالح مفلح الخادم الأسود برقة من المقتدر بالله - رحمه الله - ورسالة فاجتمعوا على السرار . وكتب الوزير أبو الحسن الجواب بخطه وعنوانه وختمه ، وسله إلى مفلح ، وقد نودي بالصلاة وقت المغرب ، وانصرف ، وانصرف المجلس في أثره . ولما عدت إلى منزلنا حدثت أبي بما جرى ، فاستصوب ففعل وقال لي : عرف الله تعالى نيتك فواك ما تخوفته .

وحدث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الأنباري زنجي قال : لما تقلد أبو الحسن علي ابن محمد بن القرات الوزارة الأولى استدعاني واستدعى أبا علي محمد بن علي بن مقله ، وبدأ فدفع لي درجاً فيه ثبت الدواوين بالخضرة وأرزاقيها ، وقال لي : اختر من ذلك ما تحب أن أقلدك إياه ، فأخذته وقرأته إلى آخره ، ثم أعدت نظري فيه لأتقي كلما رأيت شيئاً تبغته نفسي . فلما رأى ذلك قال : أنا أعرف منك بما تريده ، وقد قلدتك ديوان الدار ومكاتبه العمال بالسواد والأهواز وفارس وكرمان وما يجري مع ذلك من أعمال

(١) لها أيضاً معرفة عن الحالة .

الحرمين وعمان وأذربيجان وأرمينية وأصحاب الأطراف والأعمال الجارية بحضرتي، وأجريت عليك في كل شهر خمسمائة دينار، فقدّر ما تحتاج إليه لكتابك .
 فقدّرت ذلك بتفصيل اشتملت جملته على خمسة وتسعين ديناراً ، وتقدّم إلى أبي
 علي بن مقلّة بأن يوقع لي بذلك ، فوقع . ثم دفع الدرّج إلى أبي علي وقال له :
 اختر منه ما تريد . فأخذ أبو علي ودفعه إليّ وقال لي : أحب أن تختار لي . فنظرت
 فلم أجد ما يصلح له أن يتقلّده إلا ديواني القصّ والخاتم ، وجاريهما في كل شهر
 أربعمائة دينار ، فعرفته ذلك . وسأل الوزير تقليده إياها ، فتقدم إلى بالتوقيع لهما ،
 فوقعت . ثم قال لنا : إن بني أخى وأهلى سيصبرون إليّ ويسألوني أن أقدم بقية
 هذه الأعمال ، فإن كان في نفوسكم أن تسألني بقية شيء منها مضافاً إلى ما قدّمكم
 إياه فاذا كراه لأوقع لكم به . فشكرناه وعرفناه أن لاجاجة بنا إلى زيادة عليه .
 وتقدم إليّ بأن أسبب لنفسي وكتّابي بجاري شهرين على عمال الأهواز ، وأسبب
 لأبي علي بن مقلّة بمثل ذلك ، ففعلت ، وعرضت السكّتب عليه ، فأمر بإخراج
 نسختها إلى الديوان ، وضربها بالعلامات ، وردّها إليه بعد ذلك . وجرى الأمر
 على هذا ، وأعيدت إليه ، فوقع فيها وأمر بحتمها . وأحضر يوسف بن فنجاس الجهيد
 اليهودي وكان جهيد الأهواز ، فقال له : إن هذه الحال وافت ولم يتأهب أصحابنا
 لها ، وقد سببت أرزاقهم على مال الأهواز ، ولا بدّ أن تقدّم لهم مال شهرين .
 فذكر كثرة الأموال التي ألزم تعجيلها من معاملة الأهواز ، وأنه لا يتمكن من غير
 ذلك ، فلم يزلّ معه في مناظرة حتى استجاب إلى إطلاق جاري شهر معجلاً في ذلك
 اليوم . ثم أنفذت بشري غلامي معه لقبض المال منه ، وفعل أبو عليّ مثل فعليّ ،
 وانصرفنا ، وفي منزل كل واحد منا ألف دراهم كثيرة . فتمعّجنا وتمعّج الناس

من حُسْنِ رِعَايَتِهِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَبْدَأْ بِأَحَدٍ قَبْلُنَا ، وَلَا شَغَلَتْهُ الْحَالُ الَّتِي دُفِعَ إِلَى مُعَانَتِهَا عَنْ اِفْتِقَادِ أُمُورِنَا وَالْعَنَاءِ بِمَصَالِحِنَا .

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ زَنْجِي : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ بْنِ الْقِرَاتِ يَقُولُ فِي وَزَارَتِهِ الثَّلَاثَةِ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثُمِائَةَ أَنَّهُ أَنْفَقَ عَلَى الدَّارِ الَّتِي كَانَ يَنْزِلُهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ - وَفِيهَا قُبُضَ عَلَيْهِ ، وَهِيَ دَارُ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ وَمَوْقِعُهَا فِي الْحَرَمِ ، وَفِي يَدِ الْحَاجِبِ الْكَبِيرِ أَبِي مَنْصُورِ سَبْكَتَكِينِ الْآنَ شَيْءٌ مِنْهَا ، وَفِي يَدِ ابْنِ لَشْكُرُونَ شَيْءٌ آخَرٌ ، وَفِي أَيْدِي قَوْمٍ مِنْ قُوَّادِ الدَّيْلَمِ الْبَاقِي - ثَلَاثُمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ . وَاشْتَهَى فِي وَزَارَتِهِ هَذِهِ أَنْ يَجْمَعَ حُرَمَهُ وَبَنَاتِ إِخْوَتِهِ وَأَصَاغِرَ وَلَدِهِ فِي الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِدَارِ الْبِسْتَانِ ، مِنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ [بِدَارِ] سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ ^(١) ، فَتَقَدَّمَ بِإِصْلَاحِهَا وَتَنْظِيفِهَا وَإِنْفَاقِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ تَبْيِضِهَا ، فَلَبِثَتْ النِّفْقَةُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . وَجَلَسَ وَهُمْ فِيهَا يَوْمًا وَاحِدًا ، وَلَمْ يَمُدَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْجُلُوسِ فِيهَا مَعَهُمْ .

وَمِنْ أَحَادِيثِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَخِي أَبِي الْحَسَنِ فِي فُضَائِلِهِ مَا لَا بَأْسَ بِإِبْرَادِهِ فِي عُرْضِ أَخْبَارِهِ .

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي طَاهِرٍ ^(٢) : حَدَّثَنِي بَعْضُ الْكُتَّابِ قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِوَنٍ يُحَدِّثُ فِي مَجْلِسِهِ قَالَ : جَاءَ ابْنُ سَمْعَانَ صَاحِبُ بَدْرٍ الْمُعْتَضِدِي إِلَى أَبِي النُّجُمِ بَدْرٍ وَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَحَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ الْقِرَاتِ لَا يَزَالُ يَسْتَخِفُّ بِنَا ، وَيَسْتَهِينُ بِرُسُلِنَا ، وَيَجَبِّهُهُمْ بِالْقَبِيحِ فِيمَا يُوصِّلُونَهُ إِلَيْهِ ، وَيَعْرِضُونَهُ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْقِيعَاتِ بِإِقْطَاعَاتِكَ ، وَهُوَ عَدُوٌّ مُكَاشِفٌ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ ، وَصَاحِبُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بُلْبُلٍ .

(١) يَعْنِي أَنَّهُ يَنْقَلِبُ مِنَ الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِدَارِ سُلَيْمَانَ وَيَضَعُهُمْ فِي الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِدَارِ الْبِسْتَانِ .

(٢) هُوَ الَّذِي أَكْمَلَ كِتَابَ التَّارِيخِ بَعْدَ أَبِيهِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي طَاهِرِ الْمُرُوفِ بِأَحْمَدَ بْنِ طَيْفُورٍ ، انْظُرْ تَرْجُمَةَ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي تَارِيخِ بَغْدَادِ .

فقال له بدْرُ: خذ نَحْرِيْرا وَاَمْضِ به إلى ديوانه وجئني به . فجاء به ، فلما رآه قال له :
 أَمْسِطِرْ أَنْتَ عَلَى مَوْلَايَ أَمْ شَرِيكَ لَهُ ؟ يُقَطِّعُنِي الْإِقْطَاعَاتُ فَتَمْتَنِعُ مِنْهَا وَتَعْتَرِضُ
 فِيهَا ! فقال له : اسمع أيها الأميرُ قولي ، فَإِنْ ثَبَتَ عِنْدَكَ حِجَّةٌ لِي خَفِّضْ مِنْ لَوْمِي
 وَإِلَّا عَمَلْتَ بَعْدَهَا مَا رَأَيْتَ . أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ قَوَامَ الْمُلْكِ بِالْمَالِ ، وَأَنَّ الْجُنْدَ لَا يَسْمَعُونَ
 وَلَا يُطِيعُونَ إِلَّا إِنْ أُعْطَاهُمْ ، وَإِنْ عَدِمُوا الْمَالَ كَانَ ذَلِكَ الدَّاعِيَةَ الْقَوِيَّةَ إِلَى ذَهَابِ
 الْمُلْكِ وَسَنَكَ الدِّمَاءِ وَانْقِطَاعِ السُّبُلِ وَاتِّهَاكِ الْمَحَارِمِ . وَجَمِيعُ الْمَالِ فِي عُنُقِي وَعَلَى
 فَإِذَا خَرَجْتَ الضِّيَاعُ مِنَ الْإِقْطَاعِ تَبِعَهَا الْخِرَاجُ فَتَحَيِّفَتِ الْحَقُوقُ ، وَأُضِيفَ إِلَى كُلِّ
 نَاحِيَةٍ مَا يَجَاوِرُهَا ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ مَا لَا خِفَاءَ بِهِ مِمَّا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُ . قَالَ لَهُ : صَدَقْتَ
 يَا أَبَا الْعَبَّاسِ - أَيْدُكَ اللَّهُ - ارْتَفِعْ فَإِنَّ الْحَقَّ فِي يَدِكَ . وَإِنَّمَا تَحْرُسُ بِهَذَا الْفَعْلِ
 نِعْمَةً مَوْلَايَ مِنْ أَنْ تَزُولَ ، وَدِمَاءُ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَةِ مِنْ أَنْ تُرَاقَ ، وَكُلُّ مَنْ يَخَاطَبُنِي
 فَإِنَّمَا يَتَّبِعُ هَوَايَ وَلَا يَنْظُرُ فِي أَعْجَازِ^(١) الْأُمُورِ . أَخْضِرُونِي خِلْعًا . فَأَخْضَرَهَا
 [فَمِنْهَا] أَبَا الْعَبَّاسِ ، وَاحْتَبَسَهُ حَتَّى أَكَلَ عِنْدَهُ وَقَدَّمَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، وَدَعَا بِطَبِيبٍ
 طَبِيبِهِ بِهِ . فَلَمَّا أَخْضَرَتِ الْمِجْمَرَةُ قَامَ أَبُو الْعَبَّاسِ لِيَتَبَخَّرَ خَارِجَ الْمَجْلِسِ ، كَمَا كَانَ
 أَبُو الْقَاسِمِ عَبِيدُ اللَّهِ يَفْعَلُ وَهُوَ كَاتِبُهُ إِذَا أَمَرَ لَهُ بِمِثْلِ هَذَا . فَخَلَفَ بَدْرُ أَنَّهُ لَا يَتَبَخَّرُ
 إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ . فَبَخَّرَهُ وَخَرَجَ ، فَأَمَرَ نَحْرِيْرًا وَابْنَ سَمْعَانَ بِالرُّكُوبِ مَعَهُ إِلَى دِيْوَانِهِ عَلَى
 سَبِيلِ التَّكْرِمَةِ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْعَبَّاسِ ، لَا تَرَى قَطُّ مِنِّي إِلَّا مَا مُحِبُّ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ
 وَلَا تَجْرِي مِنِّي إِلَّا تَجْرِي الْأَخْرِ ، وَلَسْتُ أُورِدُ عَلَيْكَ تَوْقِيعًا بِإِقْطَاعٍ وَلَا ضِيعَةً بَعْدَ
 هَذِهِ الدَّفْعَةِ . قَالَ : وَسَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِوْنٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ بَدْرًا يَقُولُ
 بَعْدَ خُرُوجِ ابْنِ الْفِرَاتِ : لَا يَزَالُ السُّلْطَانُ يُخَيِّرُ مَا دَامَ فِي كِتَابِهِ مِثْلُ هَذَا الرَّجُلِ لَوْلَا
 عَجَلَةٌ فِيهِ

قال أبو القاسم بن زنجي حدثني أبو عبد الله أبي قال : وافت رسالة أبي النجم بدر في ذلك اليوم إلى أبي العباس بن الفرات وأنا في الديوان بين يديه ، فَوَجِمَ لها كُلُّ مَنْ حضر سواه ، فإنه بادر إلى بُسِ ثيابه ، واستدعى دَوَّابَهُ ، وركب من وقته وسار إلى بدر . فعَدَلَ به ابنُ سَمْعَانَ إلى داره ، فأجلسه فيها ، وعرف أبو القاسم عبيد الله بن سليمان ذلك ، فقامت عليه القيامةُ منه ، وعظمت في نفسه الحالُ فيه ، وبادر إلى بدرٍ تخوُّفاً من أن يتَّصِلَ بالمتعضد بالله فيُنْكَرَهُ على بدرٍ ويَجْرِي ما يضيِّق صدرًا به . ووصل عبيدُ الله إلى باب بدرٍ وسأل عن ابن العباس ، فعرف انصرافه مُكرماً إلى ديوانه ، فعين سمع ذلك أراد الرجوع قبل لقائه ، فاستقبحه ، ودخل إليه . فابتدأه بدرٌ بالحديث ، ونسب الأمرَ عنده إلى أجمل وجوهه ، وأخذ عبيدُ الله في وصف ابن الفرات وتقرُّبِظه ، وذِكْرِ كِفَايَتِهِ وَكِتَابَتِهِ فَصَدَّقَهُ بدرٌ . وقال : ما طننته على ما شاهدتهُ منه . ولا يزال السلطان بخيرٍ وأمره مستقيماً ، مادام في أعوانه مثلُ هذا الرجل . ولما عرف بدرٌ أنَّ ابنَ سَمْعَانَ أدخل أبا العباس إلى داره قبل أن يطالعه بخبره أنكر ذلك عليه أشدَّ إنكار ، وأغلظ عليه القول فيه أتمَّ إغلاظ ، وتقدم إليه بالإذن له والدخول إلى بين يديه ، وكان فِعْلُ ابنِ سَمْعَانَ ما فعله مِمَّا حلَّ ما كان في نفس بدرٍ وخفَّفه .

وحدث أبو القاسم قال : حدثني أبو عبد الله أبي قال : كانت للمتعضد - رحمة الله عليه - جاريةٌ يتخطاها يقال لها فريدة ، فأمر بإقطاعها ضياعاً بمالٍ حَدَّه وبين مبلَّغته ، فصار كاتبُها إلى أبي القاسم عبيد الله بن سليمان بتوقيع المتعضد بالله بذلك ، فقبله وَوَقَّعَ بامثالهِ ، واختار كاتبُها ضياعاً وبساتين بأُكْناف مدينة السلام من الجانب الشرقي ، وعَرَضَ على عبيد الله بن سليمان الثبَتَ بذلك فوقَّع بتسليمه . وصار الكاتبُ إلى أبي العباس بن الفرات به فقبله ، وطالب بتسليم ما في الثبَت من

الضياغ والبناتين فامتنع عليه وقال : هذه مواضع طَرَفِ أمير المؤمنين إذا ركب ولا يجوز أن يُقَطَّع لأحد . فأقام على المطالبة بتسليم ذلك إليه ، وأقام أبو العباس على منعه إياه . ومضى الكاتب إلى فريدة ، فأعاد عليها ما جرى شيئاً شيئاً وقال لها : مضيت إلى الوزير فعرضت عليه توقيع الخليفة بما أمر لك به والتسمية بما اخترته قَبِيلَ وَوَقَّعَ ، وصرتُ إلى ابن الفرات كاتبه فدفعني وقال . إنه لا يُسَلَّمُ إليك الضياغ والبناتين . وجرى على من رَدَّه القبيح ما استحيتُ معه من كل من حضر عنده وهذا لا يُشَبِّهُ محلك من الخليفة وموضعك من جميل رأيه . وأتبع هذا القول بما يُشاكله من الطعن على أبي العباس بن الفرات . فدخلتُ على المعتضد بالله وهي مُقَطَّبة كالسيف المُرْهَف ، وأعادت عليه قول الكاتب وقالت : وأى شيء يتفنى من عبادتك بي ومحلى منك إذا كان كاتبك يعارضك في أوامرك ولا يقبل توقيعك ؟ وسألته أن يُوقَّعَ لها توقيعاً مُجَرَّداً بامضاء الإقطاع على ما سُمِّيَ في التبت ، فقال لها : لست أتهم ابن الفرات في معرفته بحقك . ومن الحال أن يمنع كاتبك مما أَرَادَهُ إلا بِحُجَّةٍ تقوم له بالعذر ، فسَلِّيه بأي شيء أحتجَّ عليه ، ولأى سبب منعه ، ليكون ما أَوَقَّعُ به بحسب ذلك . فاستعلمت الكاتب ، فذكر أنه قال له : هذه مواضع طرف أمير المؤمنين إذا ركب ، ولا يجوز أن يقع عليها إقطاع لأحد . فقال المعتضد بالله : قد صدق ابن الفرات وأحسن فيما فعل ، أَرَدَدِي كَاتِبَكَ إِلَيْهِ وَسَلِّيه أَنْ يَخْتَارَ لَكَ بِمَا لَكَ ضِياغاً يَعُودُ عَلَيْكَ مِنْهَا مَا وَقَّعْتُ بِهِ . فعاد الكاتب إليه برسالتها فاختار لها الضياغ المعروفة بالفريديات من بَزْرِ جَسَابُور ، وكتب بتسليمها إليها .

قال أبو القاسم : وهذا قريب من حديث حدثني به عمي أبو الطيب أحمد ابن إسماعيل فإنه قال : إن المعتضد بالله رحمه الله أقطع دُرَيْرَةَ حَظِيَّتَهُ الَّتِي قَالَ فِيهَا

على بن محمد بن بسام ما قال ^(١) إقطاعاً ، وَوَقَّعَ به توقيعاً تَسَلَّمَهُ كاتبُها وصار به إلى أبي القاسم عبيد الله بن سليمان ، فوقَّع تحته بامثاله . ثم جاء إلى أبي العباس ابن الفرات ، فوقَّع بالعمل عليه ، وأنشأ الكتابَ من حضرته بتسليم الإقطاع والتمكين منه ، عنايةً منه بأمرها ، وإيثاراً لاجتلاب شكرها . وأمر المدير بإدارته في الدواوين ، وإثباته ، وأخذ علامات الكتاب على رأسه وردَّه إلى حضرته من وقته ، ففرَّغَ منه في نحو من ساعتين وسمعه أبو العباس إلى الكاتب وانصرف شاكراً . ومضى إلى أبي القاسم ميمون بن إبراهيم صاحب ديوان الزَّمام ، فعرض عليه التوقيع والكتاب فقبل التوقيع وامتنع من إمضاء الكتاب ، وذكر أنه يحتاج إلى أن يُخْرَجَ إليه من ديوان الزمام عَيْنُ الإقطاع ليكون بما يُمضيه على معرفة وبيَّنة . فالتمس منه توقيعاً إلى أبي أحمد ابن أخيه ، وكان خليفته على الديوان ، فوقَّع له بذلك ، ودفع التوقيع إلى أبي أحمد . فاطله ودافعه ، ولم يزل يتردد إليه وهو بعده ويُخْلِفُهُ ، وعاد إلى أبي القاسم ميمون مُسْتَعْدِياً به على خليفته ، وشاكياً من مَطْلَه ومُدْأَفَعْتِه ، فقال له : لا يجوز إمضاء الكتاب إلا بعد الوقوف على العبرة ^(٢) من الديوان . وحمل الكاتب ما عرض بقلبه - من الضجر بوقوف أمره - على أن صار إلى دُريرة وعرفها الصورة ، وخطبها بما بعثها فيه على مراجعة الخليفة ، فدخلت إليه ، وأعادت ما ذكره الكاتبُ عليه . ثم شكرت الوزير وذمَّت ميمونَ

(١) في هامش المطبوع ما يأتي : جاء في حاشية : الذي قاله ابن بسام عند ما بنى الخليفة لحظيته البحيرة :

تَرَكَ النَّاسَ بِحَيْرَةٍ . وَتَخَلَّى بِالْبُحَيْرَةِ

قَاعِدًا يَضْرِبُ بِالطَّبْسِلِ عَلَى فَرْجِ دُرَيْرَةٍ

هذا وانظر معجم الأدياء ترجمة على بن محمد بن بسام ففيه هذا الشعر .

(٢) العبرة لهما : المراجعة ومطابقة ما في الديوان على ما في الكتاب .

ابن إبراهيم ، واستدعت منه توقعا بإنكار ما كان منه ، وإمضاء إقطاعها على ما أمر به وأمضاء وزيره وصاحب ديوانه . فقال لها : الخطأ منك ومن كاتبك ، ولو كنت علمت ما يوجب الحزم ويقتضيه الصواب لراج أمرك وحمل كتابك وتسلمت إقطاعك ، ولكن كاتبك متخلف لا يحسن التأني لأمره ، ويريد ما يريد على شدة وصعوبة ، فقالت : يا مولاي ، وما كان الصواب ؟ قال : أن تبعني إليه بتياب وأطاف كما يفعل الناس ، فإنك كنت تستغنين عن خطابي وخطاب وزيرى ، وكان ذلك أنفع لك وأعود فى العاقبة عليك . قالت : يا مولاي ، فأحتاج إلى هذا مع موضعي منك وموقعي من عنايتك ؟ ! قال : إى والله إنك لاحتاجة إليه . فعدلت عما كانت عليه ، وبعثت إلى أبى القاسم ميمون مخوفاً فيها ثياب فاخرة من قصب ودبيقي ، وطيباً كثيراً ، وراسلته بإنكارها على الكاتب قصيره فى حقّه وإغفاله ما وجب أن يُقدّمه من ملاطفته ويرّه ، وسألته إمضاء الكتاب بإقطاعها . فقبل ما أنفذته ، وأخذ الكتاب من يد الرسول ، وعلم عليه ، وسلم إليه خراجاً كان خليفته قد أخرجه ، واشتمل على عبرة ثقيلة لا توجب إمضاء الإقطاع ، وعرفه إغضاه عن ذلك ومسامحته إياها بالفضل ^(١) ، واعتماده موافقتها بهذا الفعل . فأعادت على المعتضد بالله ما جرى ، فاستصوب ما كان منها وقال لها : هذا أنفع لك من عنايتي فى هذا الوقت وفيما بعده .

وكان أبو القاسم ميمون يفتخر على الكتاب بأنه أخذ مُصانعة بأمر الخليفة وأن ما فيهم من يخسر على مثل ذلك .

وحدث أبو القاسم بن زنجى قال حدثني أبو الطيب أحمد بن إسماعيل عى قال : مضيت فى يوم من الأيام على الرسم إلى الديوان بالثريا ، فبينما أنا أسير

(١) الفضل هنا : الريادة .

إذ لحقني فارس فسأرتني ، وأقبل يُحدثني ويسألني عن اسمي وكُنيتي ومنزلي وصناعتِي ، فلما ذكرت له مكاني مع أبي العباس بن القرات قال : كيف مذهبه في العمل ؟ قلت : أحسنُ مذهبٍ ، يستقصى حقوقَ سلطانِه ويستوفى مناظرةَ عُملِه ، ويَجِدُ في استخراج أموالِه . قال لي : فكيف يجري أمرُ هذا الوزير ؟ - يعني عبيد الله بن سليمان - فإنتي ما رأيت أشدَّ تخطيطاً منه ، ولا أفظَّ من حُجَّابِه ، ولا أكثر إخلاقاً للمواعيد منه ، قلت له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنني رجل من الفرسان قد أخرج عني رزقي ، وأحوجني إلى القدوم إلى الحضرة متظلماً منه ، وأنا أجتهد في أن يُطلق لي ما وجب من رزقي فليس يلتفت إليّ ، ولا يفكر فيّ ، وكلما رفعت إليه رُقعةً رمى بها ، ومتى وصلتُ إليه لم يخرجَ عليها توقيعاً ، فقد احترقتُ وهلكتُ وذَهَبَتْ نفسي وطالت على بابه مُدَّتِي ، فكيف يُمكن هذا الرجل - وهو على ما وصفتُه لك - أن يعمل أعمالَ الخليفة ويدبِّرَ أمرَ مملكته ؟ قلت له : الذي نعرفه من مذهبه ومعرفته وكفايته غيرُ ما ذكرته عنه ، وما يدع شيئاً إلَّا نظر فيه ، ولا مظلوماً إلَّا أنصفه . قال : الذي يبلغني عنه أنه قد اضطلم الدنيا ، وأخذ الأموال لنفسه ، فألجند يتظلمون ، وحاشية الخليفة يشكون ، والنواحي خراب . فقلت : ما أحدث من الحاشية إلَّا وهوراضٍ ، والأموال كلها تُحمل إلى الحضرة وقد حَسَبَ لِلْعُمَالِ أرزاقَ الشحن . والعِمارةُ رائدة ، والأمورُ منتظمة . فقال : ما الآفة في جميع ما يجري إلَّا هذا الغلامُ الذي قد رفعه الخليفة ، وأعطاه مالا يستحقُّه وصيّر الناسَ عبيداً وخوفاً له . قلت : ومن الغلام الذي تعنيه ؟ قال : بدْرُ . وأقبل يَطْعَنُ عليه ، ويتكلمُ فيه . قلت : ما وَضَعَه الخليفةُ إلَّا موضعه ، والرجالُ حامدون له راضون برئاسته . ثم حوّل وجهه فنظر إلى كوكبة^(١) عظيمة من الفرسان قد

(١) كوكبة : فرقة وجماعة .

أقبلت ، فحرك دابته ومضى . فلم يبعد حتى أقبل العسكر ، وجاء قوم يسألوني عن الخليفة هل رأيته ، وأين أخذ^(١) . فقلت لهم : ما رأيت الخليفة . قالوا : فهل مر بك فارس على دابة من صفته كذا ، وعليه من اللباس كذا وكذا ؟ قلت : نعم . قالوا : فأين مضى ؟ قلت : بين أيديكم ، فمن هو ؟ قالوا : المعتضد بالله . فوقفت فيما لا ينأى وليده^(٢) ، وأقبلت أتذكر ما خاطبني به وأجبت عنه ، حذراً من أن يكون وقع خطأ منى أو طعن على إنسان ممن سألني عنه . وصرت إلى الديوان بالثريا ، وأنا لا أعقل غما . فأنا في تلك الحال إذ خرج عبيد الله بن سليمان من حضرة المعتضد بالله ، واستدعى أبا العباس بن الفرات ، وأعاد عليه كل ما جرى بيني وبين المعتضد بالله ، وأحد عنده ما كان منى في الإجابة عما سألني عنه ، وجزاني الخير . وخرج أبو العباس فاستدعاني ، وسألني عن حالى في طريق فأعدت عليه خبر الفارس وجميع ما جرى بيني وبينه ، فصدقني فيه . وقال : إن الوزير أعاد على مثله . وأقبل يحمده الله على حسن توفيقه . إياي فيما خاطبته به . ثم أوصاني بالتحفظ فيما أحاطب به من يسأرنى . والاحتراس من زلل تقع فيه ، فصرت بعد ذلك لا أمر في طريق إلا ومعى جماعة ، ومتى خاطبني إنسان تحررت منه غاية التحرر .

وحدث أبو القاسم قال : حدثني أبو عبد الله والدى قال : كنت يوماً بحضرة أبي العباس بن الفرات في الديوان في دار السلطان إذ جاءه خادم برسالة من المعتضد بالله - رحمه الله - يقول فيها : إنه قد زوج جارية في داره من^(٣) أحد غلمانه ،

(١) أين أخذ : أى طريق سلكه .

(٢) وقع فيما لا ينأى وليده . هو تعبير يراد به أنه وقع في أمر عظيم بحيث إن الشخص ينسى فيه ولده ولا يتذكر اسمه .

(٣) المرووف أن زوج تعدى بنفسها أو بالياء قال تعالى : « وزوجناهم بحور عين » وقال تعالى : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها » . واستعملت في العصور المتأخرة مع من

وأُنفذ إليه ألف دينار أمره أن يتناع بها لها جهازاً ، وأن يفرغ من جميعه في بقية يومه . فأجابه بالسمع والطاعة . ثم أمرني بإثبات جميع ما يُحتاج إليه ، فأثبتته ، ونظر فيه وزاد فيما أراد . ثم أحضر محمد بن عبد الوهاب وجماعة ممن يسكن إلى نهوضه وكفايته ، فأفرد كل واحد منهم بصنف يتناعه ، ودفع إليه من المال بقدر حاجته ، ووصاهم باختيار ما يتناعونه ، والاحتياط في ثمنه ، والمبادرة به إلى حضرته في الدار . ومضوا ، ولم يزل يرأعيهم^(١) إلى أن انصرفوا إليه بعد العصر بما ابتاعوه ، فنظر إليه وارتضاه ، وقابل به الثبت الذي عمله فوجده قد انتظم جميعه . ثم تذكّر فقال : يُحتاج أن يكون مع ذلك كبريتٌ وحرّاق وأحجار النار وسُرُجٌ . وتقدم بإحضار ذلك فأحضر . وطلب الخادم ، فخرج وسلم إليه المتاع وثبتاً به ، وحمله الخادم ومن معه إلى حضرة المعتضد بالله . فلما عُرض عليه شاهده شيئاً شيناً وقابل به الثبت ، فوافق أحمد المعتضد ففعل أبي العباس فيما تفقده وقال : مَنْ راعى هذا الأمر هذه المراجعة حتى لم يُخل بشيء مما تدعو إليه الحاجة لحقيق بتدبير الملكة ، وموضع الاعتماد والتعويل . ووقع عنده ما كان منه أَلْطَفَ مَوْقِعٍ وأحسنه .

وحدث أبو القاسم قال : حدثني أبو عبد الله أبي قال : لما شَخَصَ أبو القاسم عبيدُ الله بنُ سليمان إلى الجبل مع بدرِ المعتضد استخلف أبا الحسين القاسم ابنه على الوزارة وضافت الأحوال على أبي الحسين ، واشتدت المطالبة بالاستحقاقات ، فدعته الضرورة إلى طلب مائتي ألف دينار من المعتضد بالله قَرْضاً إلى أن تَرِدَ الأموالُ فيردَّ عَوْضُها . وخطبه في ذلك ، وسأله إسعافه . فأجابه إلى إطلاق ما استدعاه منه إن حضر أحمد بن محمد بن القرات وضمن رده . فحملت القاسم الحاجة على أن سأل أبا العباس ضمان المال للمعتضد بالله ، فاستغفاه من لقائه ، وعرفه كراهية

(١) يرأعيهم هنا يراد بها يرقب حضورهم .

الدخول إليه ، وكان القاسمُ لذلك أكره ، لكنَّ الضرورة دعتُه إلى ماخلف رأيه وإيثاره فيه ، فأخذه معه ، واستأذن له على المعتضد بالله ، فأوصله . فلما مثل بين يديه استدناه وقرَّبه ، وأقبل يسأله عن نواحي السواد ، وما يرتفع منها ومن عبرها القديمة في الوقت الذي افتُتِحَتْ فيه . ثم تجاوز ذلك إلى نواحي البصرة ونواحي الأهواز ثم فارس وكرمان وسجستان وفرج بيت الذهب والقندهار والسند والهند والصين ، ثم نواحي خراسان والجل ، ثم نواحي الموصل وديار ربيعة ومضر وأجناد الشام ومصر والإسكندرية وما وراء ذلك من البلدان . وهو يُجيبه بارتفاع ناحية ناحية ، وفي أيام من فُتِحَتْ ، ويشرح له أحوالها ، فاستعظم المعتضدُ بالله ما شاهده وسمعه منه ، وأعجبه إعجاباً شديداً ، وأقبل عليه إقبالا كثيراً شقَّ على أبي الحسين القاسم ، وتدم معه على الجمع بينه وبينه . ثم سأل أبا العباس عما عنده في أمر المال الذي اتَّمسَّه القاسمُ منه فعرفه صِدْقَ الحاجة إليه ، وضمَّنه رَدَّه إلى بيت مال الخاصة ، فَضَمَّنَ له ذلك عند افتتاح الخراج واتساع الارتفاع ، فوَقَّعَ إلى صاحب بيت المال بإطلاقه ، ووقع إليه وإلى صاحب بيت مال العامة بالألا يَقْبَلَا تَوْقِيعاً للقاسم في شيء من المال إلا بعد أن يكون فيه توقيع أحمد بن محمد بن الفرات ، وأعلمه أن اعتماده في استيفاء الأموال وجمعها عليه لا يعرف فيها سواه . وانصرف القاسم كثيراً حزينا بما جرى ، ولم يَنْفُذْ له من بَعْدُ توقيع بإطلاق مالٍ إلا ما يُوَقَّعُ فيه أبو العباس .

وكتب القاسم إلى أبيه بصورة المجلس ، فكتب إلى أبي العباس يشكره على ما كان منه ، وإلى القاسم يُؤَبِّخُهُ وَيُعَنِّفُهُ على فعله ، وقال له في فصل من كتابه : كُنْتُ ظَنَنْتُ أَنَّ السَّنَّ حَكَّكَ ، وَالْأَيَّامُ قَدْ ثَقَّتْكَ ، حَتَّى وَرَدَ كِتَابُكَ بما ورد به .

ثم أتبع ذلك بالخطاب القبيح بما يشاكله ، وأعلمه أنه قد أخطأ وأساء ، وجنى على نفسه وعلى آبيه جناية لا يمكن تلافيتها ، وأنه كان يجب أن يستسلف المال من التجار ويلتزم في ماله ومال آبيه قدر الربح فيه ولا يفعل ما فعله .

قال أبو القاسم : وسمعت جماعة من الكتاب يذكرون أن السواد لم يرتفع لأحد بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمثل ما ارتفع له إلا المعتضد بالله فإن أبا العباس أحمد بن محمد بن الفرات رفعه في أيامه ثلاثمائة ألف وأربعين ألف كربة شعيرا مصرفاً بالفالج ^(١) ، وباع الكربين بالمعدل من الحنطة والشعير بتسعين ديناراً ^(٢) فكان ثمن الأكرار أربعة آلاف ألف وثمانين ألف دينار ، وحصل من الخراج وأبواب المال أكثر من ألف ألف دينار ، فإذا أضيف إلى ذلك فضل الشروط والمقاطعات والإيفارات ، بلغت الجملة ما حصل لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه .

قال أبو القاسم : وسمعت مشايخ الكتاب يقولون : إنه لم يجتمع في زمن من الأزمنة خليفة ووزير وصاحب ديوان وأمير جيش مثل المعتضد بالله وأبي القاسم عبيد الله بن سليمان وأبي العباس بن الفرات وبدر . فكان التدبير مع هؤلاء الأربعة مطّرداً ، والأمر منتظماً ، والحامّة وافرة الأموال دارّة ، حتى اجتمع في بيت المال - بعد النفقات الراتبية والحادثية وإطلاق الجارى للأولياء في سائر النواحي وجميع المرتزقة بها وبالخزنة تسعة آلاف ألف دينار فاضلة عن جميع

(١) الفالج : مكبال ومصرفاً بالفالج : مباع مع كيلة بهذا المكبال .

(٢) لا يكون هذا هو الثمن ولعل في السلام تحريفاً لأن النتيجة التي ذكرها لا تتفق إلا إذا باع الكربين بأربعة وعشرين ديناراً وبهذا يحصل الناتج أربعة ملايين وثمانين ألف دينار .

النفقات . وكان المعتضد بالله - رحمه الله - قد اعتقد أن يُتِمَّهَا عشرة آلاف ألف دينار ، ثم يَسْبُكُهَا وَيَجْعَلُهَا نُقْرَةً ^(١) واحدة ويطرحها على باب العامة لِيَمْلُغَ أصحاب الأطراف أن له عشرة آلاف ألف دينار ، وهو مستغن عنها ، فاخترمته ^(٢) المنية ، قبل بلوغ الأمانة .

وحدث أبو القاسم قال : حدثني أبو عبد الله أبي قال : تأخرت عن أبي العباس ابن الفرات في يوم جمعة ، وأقمت عند بعض أهلي بالجانب الغربي ، وحضرتنا مغنيتان محبتان فاندفعت إحداهما وغنت ^(٣) :

قَايَسْتُ بَيْنَ فِعَالِهَا وَجَمَالِهَا فَإِذَا الْمَلَاةُ بِالْخِيَانَةِ لَا تَنِي
وَاللَّهِ لَا كَلَمَتَهَا وَلَوْ أَنَّهَُا كَالشَّمْسِ أَوْ كَالْبَدْرِ أَوْ كَالْمَكْنَى
وَضَرَبَتْ الْأُخْرَى وَغَنَّتْ :

يَا ذَا الَّذِي حَلَفَ الْعَشِيَّةَ جَاهِدًا أَلَّا يُكَلِّمَنِي فِعَالَ الْمُسْرِفِ
قَدْ جُرْتُ فِيمَا كَانَ مِنْكَ وَإِنَّهُ لِيَزِيدَ قُبْحُ الْجَوْرِ عِنْدَ الْمُنْصِفِ

قال : فاستحسن أن أجابت الثانية الأولى بحواب في وزن الصوت وقافيته ومعناه . وصرت إلى أبي العباس بن الفرات من غدٍ ، وسألني عن سبب تأخرى عنه ، فأعلمته إياه ، وحدثته حديث المغنيتين وما غنَّتا به ، فعجب منه ومضى إلى أبي الحسين القاسم بن عبيد الله فأخبره . فكانت سبيله فيه سبيله ^(٤) وقد كان أبو العباس سألني عن قائل الشعر . فقلت : هو لعبد الله بن المعتز ، وحضر القاسم بحضرة المكتفي بالله ، فأعاد عليه الحديث فقال له : لمن الشعر ؟ فقال : لعبيد الله بن عبد الله

(١) النقرة من معانيها : القطعة المذابة من الذهب والفضة

(٢) اخترمته : أدركته وأخذته

(٣) انظر الديارات

(٤) يعنى أنه تعجب كتعجب أبي العباس بن الفرات .

ابن طاهر . فقال : قد بلغني عنه خَلَّةٌ ^(١) ، فأَحِلَّ إليه ألف دينار ، وأعلمه أنني لا أُحليه من مثله في كلِّ مُدَّة . وانصرف القاسم وعَرَّفَ أبا العباس ماجرى ، وما حِلَّ إلى عبيد الله من الدنانير . قال أبو عبد الله : وأخبرني أبو العباس بما جرى فقلت : الشعر لعبد الله بن المعتز . فقال : قد أتاح الله لعبيد الله بن عبد الله الرِّزْقَ من حيث لم يحتسب ، وهذا مالا حيلة للمخلوقين فيه .

وحدث أبو القاسم عن أبيه أنه كان جالساً بحضرة أبي العباس بن القرات في يوم سبت وقد ابتدأ المطر ، وهو يريد المضيَّ إلى دار أبي القاسم عبيد الله بن سليمان ، إذ وردت عليه رقعةٌ محمد بن إبراهيم بن الخصيب وفيها :

انعموا آل القراتِ واشربوا بِالبُكَراتِ
يوم سبتٍ ورداذٍ وجوارٍ مُحْسِنَاتِ
ماقرى ^(٢) كسرى أنوشيرُ وان هذا في الصفات

فعمل على القعود ، وأضرب عن الركوب ، وبعث إلى محمد بن إبراهيم في الحضور ، واستدعى أبا الحسن أخاه ، ومَرَّ لنا أطيَّبُ يوم .

- وكتب أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بخطه إلى أبي العباس أحمد ابن محمد بن القرات :

ياولئ الإمام هتأك الله يدين الهدى وشهر الصيام
وبكل الأعياد في الدين فاسعد أمد الدهر عابر الأيام
عالياً غاية الذرى كالي ^(٣) الدين رئيساً أقصى مدى الإحرام ^(٤)

(١) الخلة من معانيها الحاجة والفقر

(٢) هكذا في الأصل : وقرى الضيف : أضافه ، وقد تكونت الكلمة معرفة عن : مارأى أو ما درى أو هي : ما فرى أى ما صنع .

(٤) الإحرام : الدخول في حرمة لا تهتك .

(٣) كالي الدين : حارسه

أنت قُطْبُ الدُّنْيَا تدور عليه ما أُدِيرَتْ وحافظُ الإسلام
 أنت بالدين في الزمان مُهَيَّيْ وله في يدك عَمْدُ الدِّمَامِ
 وَتَهَيَّيْ الدُّنْيَا وأعيادها منك لك بطول البقاء والإحتكام
 والمِرَاقِي في المجد والأمر والتَّهَيَّيْ وأعلى الإعزاز والإكرام
 واتَّصَلِ الإحسان منك إلى الناس وسُفَعِ الإِبْصَالِ بالإِنعام
 أنت عنوانُ كلِّ مجد وتاريخُ المَعَالِي وسَيِّدُ الأَقْوَامِ
 حَارِسُ الإِزْدِثِ والخِلافةِ والسُّلْطَانِ والدَّهْرِ كُلِّهِ والأَنَامِ
 عِلْمُ الدَّهْرِ فَابْقِ فِيهِ تَجَاهًا عِلْمًا لِلنَّارِ والأَعْلَامِ
 جَمَعَ اللهُ كُلَّ خَيْرٍ ومَأْمُورٍ لِسُؤَالٍ ونِعْمَةٍ لِلنُّعَامِ
 جامعًا للوزير كُلِّ تَمَامٍ من أَقْصَى النَّهْيِ بِكُلِّ دَوَامٍ
 ذَا دَعَايَ وَصَلَّتْهُ بِنَائِي وَمُنَايَ انْتَضَتْهَا فِي نِظَامِ
 مُقْسِمًا بِالْوَفَاءِ والشُّكْرِ والإِخْلَاصِ والنُّصْحِ غَايَةَ الإِقْسَامِ

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن القزويني يقول : كثر القول في حفظ أبي جعفر أحمد بن إسرائيل الكاتب الأنباري ، فأحب أخى أبو العباس أن يقف على صحة ذلك من بطلانه ، فضى إليه ، وأخذني معه ، ودخلنا داره ، وقصدنا مجلسه ، فوجدناه قد نهض منه يريد الركوب ، فقال لي أخى : فاتنا كل ما قدرناه . وسألنا عليه وسألنا معه . فبينما نحن في تلك الحال إذ جاءه خليفة لبعض العمال بكتاب ضخم من العامل الذي كان يخلفه ، فدفعه إليه ، وفضه ، وأخذ الغلام طرفه ، وأقبل يهذه ^(١) عليه هذا سريعا متصلا حتى انتهى إلى آخره . ثم رمى به إلى الكاتب وقال له : وقع عليه بأن يحجب

بكذا وكذا . ومشي إلى الموضع الذي يركب منه وركب . فقال أخى : أُعْطِيَ اللهُ عهداً إن كان قرأ الكتابَ أو دَرَى ما فيه ، وإنما فعل ما فعله لِئُرِينَا أَنَّهُ قد قرأه وفهمه . وتقدم إلى بعض غلمانه بِطَلَبِ صاحب الدواة ، وبَدَّلَ شَيْءاً له على إخراج الكتاب إلينا لنقرأه وَنَرُدَّهُ من وقته ، ففعل ذلك ، وجاءنا بالكتاب فقرأناه ، وقرأنا التوقيع عليه ، فوجدناه قد انتظم بسائر معانى الكتاب . فعلمنا أن الذى تُحَدِّثُ به عنه حَقٌّ لا تَزِيدُ فيه .

وحدث أبو القاسم عن عبد الله أبيه قال : كان أبو العباس بن الفرات يَحْتَبِسُ عنده فى أيام خلوته للأُنس ، قال : فحضر عنده فى بعض الأيام عِدَّةٌ مغنّيات ، وغنت إحداهن لأبى العتاهية :

أَخِلايَ بى شَجَوُ وليس بكم شَجَوُ وكلُّ فتى من شَجَوِ صاحبه خِلَوُ
رَأَيْتُ الهوى جَمَرَ الفضا غير أَنَّهُ على حَرِّه فى حَلَقِ ذَائِقِهِ خِلَوُ
فقال أبو العباس : هذا خطأ ، وإنما يجب أن يكون الباردُ ضدَّ الحارِّ والخِلَوُ ضدَّ المرِّ . فقلت له : فكيف كان يجب أن يقول ؟ قال : كان يقول :

غَدَوْتُ على شَجَوِ وراح بى الشَّجَوُ وكلُّ فتى من شَجَوِ صاحبه خِلَوُ
وبَاكَرْنِى العُذَالُ يَلْحُونُ^(١) فى الهوى ومُرُّ الهوى فى حَلَقِ ذَائِقِهِ خِلَوُ
فلم يبق أحد من حضر إلَّا عَلمَ أن الذى قاله أحسن وأصوب .

وحدث أبو القاسم عن أبيه قال : تقدم أبو الصقر إسماعيل بن بلبل إلى أبى عبد الله محمد بن غالب الأصفهاني^(٢) أن يَكْتُبَ إلى العُمَالِ فى النواحي كُتُباً يَدْعُوهم فيها إلى الاستكثار من العارة ، ويأمرهم بِطَالِبَةِ الرَّعِيَّةِ بها ، فَكُتِبَ

(١) يلحون : يلومون ويمثلون .

(٢) كان يتقلد ديوان الرسائل ، وأوقع به القاسم بن عبيد الله ، انظر مروج الذهب : « ذكر جل من أخبار المكتفى بالله » .

الْكُتُبَ وَأَحْضَرَهَا أَبَا الصَّقَرِ ، فَاسْتَحْسَنَهَا وَتَرَكَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ . وَأَقْبَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ الْفَرَّاتِ ، فَدَفَعَهَا أَبُو الصَّقَرِ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : اقْرَأْهَا وَانْظُرْ مَا أَحْسَنَ مَا أَوْرَدَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى . قَرَأَهَا ، وَوَجَدَهُ قَدْ افْتَتَحَهَا بِأَنْ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَعْمَرَ عِبَادَهُ فِي أَرْضِهِ لِيُخْرِجَ رِزْقَهُمْ مِنْهَا وَلِيَكْفِيَهُمْ فِيهَا » ^(١) . ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ : وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضِيلَةِ الْأَزْدَرَاعِ إِلَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : « كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغْفِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ » ^(٢) فَلَمَّا قَرَأَهَا أُدْرِجَهَا ^(٣) ، وَأَمْسَكَ عَنْ إِيرَادِ شَيْءٍ فِي مَعْنَاهَا ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الصَّقَرِ : مَا عِنْدَكَ فِيهَا ؟ وَأَطْنَبَ فِي وَصْفِهَا ، فَعَارَضَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي أَنْكَرْتَهُ ؟ قَالَ : ابْتِدَاءُ بِأَنْ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَعْمَرَ عِبَادَهُ فِي أَرْضِهِ لِيُخْرِجَ رِزْقَهُمْ مِنْهَا وَلِيَكْفِيَهُمْ فِيهَا . فَلَمْ يَدَّعِ لَهُمْ نَفْسًا ^(٤) . ثُمَّ ثَبَّحَ بِأَنْ جَعَلَ الْآيَاتِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ فِي نَبِيِّهِ وَأَصْحَابِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَثَلًا لِلزَّرْعِ ، وَهَذَا خِلَافُ مَا جَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَاتُ ، وَفَسَّرَهُ الْمَفْسُورُونَ . فَعَلِمَ أَبُو الصَّقَرِ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى مَا قَالَ ، وَكَلَّفَهُ كُتُبَ الْكُتُبِ مِنْ جِهَتِهِ ، وَدَفَعَ الْمَسْكُوتَةَ إِلَيْهِ . وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبٍ يَمْتَنِبُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ لِمَا كَانَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْقَاسِمِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَلَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْفَرَّاتِ لِلشَّرْبِ فِي وَزَارَتِهِ الْأُولَى ، فِي الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْدارِ الْجَدِيدَةِ مِنْ دَارِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ . وَحَضَرْتُ أَنَا وَجَمَاعَةٌ مِنْ كُتَّابِهِ ، وَحَضَرَ مِنَ الْمُغْنِيَّاتِ بَيْنَ يَدَيِ السَّائِرِ وَمِنْ وَرَائِهَا مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةٌ ، وَأَحْضَرْتُ مِنْ أَوَانِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَا لَهُ الْقِيَمَةُ الْوَاقِرَةُ .

(١) يَكْفِيَهُمْ : يَمْتَنِبُهُمْ .

(٢) سُورَةُ الْفَتْحِ الْآيَةُ ٢٩

(٣) أُدْرِجَهَا : طَوَّاهَا .

(٤) لَمْ يَدَّعِ لَهُمْ نَفْسًا : أَيْ إِيرَادَهُ أَوْ هِمَّةً .

يومَ حسنٍ طيّبٍ إلى وقت العصر، وإذا العباس الفَرَغانِيُّ حاجِبُه قد دخل وقال : يا سيِّدنا ، قد حضرت بِدْعُهُ ^(١) الكبيرةُ وهي في طيَّارها تستأذن للوصول . فأطرق مُفَكِّراً ثم رفع رأسه وقال : اِرْقُمُوا ماها عنامن الأوائى . فَرَفَعُ إِلَّا قليلاً ، ونهضت المغنيات اللوائى كُنَّ قُدَّامَ السَّتَّارةِ ، وأمره بالإذن لها . فدخلت ووقفت بحضرته ثم تقدَّمت وقبَلت يده وقالت : بلغنى أن سيدى الوزيرَ قد نَشِطَ للشَّربِ فحضرتُ للخدمة . فأمرها بالجلوس ، وجلست وطلبت العود ، فجيء به ، وغنَّتْ جَوَدَتْ ، واستحسن أبو الحسن ما أتت به ، وطَرَبَ عليه وشَرِبَ . ثم أخذ رُبْعَ قِرْطاسٍ كان فى دواته ، وكتب شيئاً وقطعه ، ودفعه إلى وقراته فكان :

إذا بِدْعَةُ جَوَدَتْ عُوْدَهَا تَدَلَّلَ فى ضَرْبِها كُلُّ صَعْبٍ
تُنْفِى فَتَجْنِى ثَمَارَ القُلُوبِ وتَهْدِى سُرُورا إلى كُلِّ قَلْبٍ

فاستحسنتُ ذلك ، وكانت بدْعُهُ بالقرب منى . فقلت لها : اسمى إلى ما وصَّكَ الوزيرُ به . وأنشدتها البيتين ، فسُرَّتْ وفرحت ، وقامت مسرعةً فقَبَلت يده ثم الأرضَ وعادت إلى موضعها وقالت : بالله يا سيدي إلاً أَعَدْتَ الشَّمْرَ على حَتَّى أَحْفَظَه ، ففعلت وحفظته وأدارته فى حَلَمِها ، وعَمَلَتْ لَه لُحْناً من وقتها ، ثم ضربت وغنَّته ، فجاء فى نهاية الحُسْنِ . ونَشِطَ أبو الحسن ، وتقدَّم بِرَدِّ المجلس ومن كان فيه إلى ما كان عليه . ولم يزل ذلك الصوتُ صَوْتَنَا عَلَيْنَا بَقِيَّةَ ليلتنا . فقال أبو القاسم : قلت لأبى عبد الله أبى : فلمَ كَرِهَ حُضُورَ بِدْعَةٍ وهى من آلة الشَّربِ وموصوفة بِالْحَذَقِ فى ذلك الوقت ؟ قال لأنَّه كان يَتَهَمُها بنَقْلِ أخباره إلى المقتدر بالله رحمه الله .

قال أبو القاسم : وكان لأبى الحسن بن الفرات مَطْبَخانٍ فى داره . فأما مطبخ

الخاصة الذي يُطبخ فيه فلا أحصى ما كان يدخله من الغنم والحيوان لكثرتِه . وأما مطبخ العامة المرسوم بما يُقدَّم إلى خلفاء الحُجَّاب المقيمين في الدار ويُعرف منه للرجالة والبوابين وأصاغر الكتَّاب وغلما ن أصحاب الدواوين فكان يُستعمل فيه في كلِّ يوم تسعون رأساً من الغنم وثلاثون جدياً ومائتا قطعةٍ دجاجاً سماناً وفراريج مُصدَّرة ، ومائتا قطعةٍ دُرَّاجاً ، ومائتا قطعةٍ فِرَاحاً . وهناك خَبَّازُونَ يخبزون الخبز السَّيِّدَ ^(١) ليلاً ونهاراً ، وقوم يعملون الحلواء عملاً متصلاً ، ودار كبيرة للشراب . وفيها ما ذيان ^(٢) يجعل فيه الماء المبرد ويُطرح في الثلج كدراً ، ويُسقى منه جميع من يريد الشرب ، الرجالة والفرسان والأعوان والخزَّان ومن يجرى يجرى هذه الطبقة من الأتباع والغلما ن ، ومزَمَّلات ^(٣) فيها الماء الشديد البرد . ويرسم خزانة الشرابِ خدمٌ نظافٌ ، عليهم الثياب الدبقية السَّريَّة ^(٤) ، وفي يد كلِّ واحد منهم قدحٌ فيه سيكنجين ^(٥) أو جلاب ^(٦) ونحوه ^(٧) وكوز ماء ومنديل من مناديل الشراب نظيف ، فلا يتركون أحداً ممن يحضر الدار من القواد والخدم السلطانيين والكتَّاب والعمَّال إلا عرضوا ذلك عليه . وفي جانب الدار أدراج ^(٨) كثيرة لأصحاب الحوائج والنظارين حتى لا يلتزم أحدٌ منهم مؤونةً لما يبتاعه من ذلك ، وأنصاف قراطيس وأثاث .

قال أبو القاسم : وحدثني أبي قال : كان أبو الفضل بن الحجاج النحوي

-
- (١) الخبز السَّيِّد : ما كان من الدقيق الأبيض .
 - (٢) الماذيان : الأنوبة ولعلها تشبه « الزمزية » .
 - (٣) المزملات : الجرار والحوائج جمع مزمل .
 - (٤) السرية : الجيدة .
 - (٥) السيكنجين : من نوع الدراب .
 - (٦) الجلاب : العسل أو السكر يقد بماء الورد .
 - (٧) النحوض لعله أداة للفرغ .
 - (٨) الأدراج هنا جمع درج : وهو ما يكتب فيه .

يكثُر الجلوس إلى جانبي في دار أبي العباس أحمد بن محمد بن القرات يحادثني ، فاتفق أن جالس يوماً على رُشْمه ، واستمددتُ من الدواة فترشّش من ذلك المداد ، على ثيابه ، فأخذ قلماً من دواتي وقَرطاساً من بين يدي وكتب إلى أبي العباس :

يَا سَيِّدِي وَمَوْءَلِي فِي كُلِّ حَادِثَةٍ وَرَيْبٍ
لَكَ كَاتِبُ شَابِ الْكِتَابَةِ بِالْبَلَاغَةِ أَيْ شَوْبٍ
فَإِذَا جَلَسْتُ بِجَنْبِهِ جَعَلَ اسْمُهُ صِبْغاً لِثَوْبِي

يعنى « زِنْجِي » فضحك أبو العباس مما كتب به ، وأمر فحُمِلَتْ إليه عِدَّةُ أثواب من ديبقٍ وقصب وغير ذلك .

قال أبو القاسم : حدثني عمي أبو الطيب أحمد بن إسماعيل قال : كان معنا في الديوان خازنٌ شيخٌ قد خَزَنَ في الدواوين في سُرٍّ من رأى ، يُعرف بجعفر الحرامى ، فكان يقول كثيراً : ما اسْتَطَعْتُ إِلَّا تَبَيُّتَ مَغْمُوماً فَأَفْعَلُ فَكُنْتُ أَسْمَعُ هذا الكلام منه صَفْحاً^(١) . فلما كان بعد مُدَّة ، وأنا أكتب بين يدي أبي العباس أحمد ابن محمد بن القرات وأخَفَّفَ عنه . جاءني رجل من التَّنَاء^(٢) بالسَّوَاد ، ومعه توقيعٌ يُنْقَلُ مُقَاسَمَةً بِبَذْرِ لَهُ مِنْ رَسْمٍ ثَقِيلٍ إِلَى رَسْمٍ خَفِيفٍ ، ذَكَرَ أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ عِيْدَ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَقَعَ لَهُ بِهِ ، وَتَوَقَّعُ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْقَرَاتِ فِيهِ بِالْعَمَلِ عَلَى مُوجِبِهِ . فَاسْتَرْبَتْ بِالتَّوَقُّعِ فَشَكَّكَتْ فِي صِحَّتِهِ ، وَبَذَلَ لِي مِائَةَ دِينَارٍ عَلَى إِمضَائِهِ ، وَكَتَبَ الْكِتَابَ بِمُقْتَضَاهُ . فَفَعَلْتُ وَأَخَذْتُ الْمِائَةَ دِينَارًا وَتَسَلَّمْتُ الْكِتَابَ . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ وَأَوَيْتُ إِلَى فِرَاشِي اجْتَهَدْتُ فِي النَّوْمِ فَامْتَنَعَ عَلَيَّ ، وَذَكَرْتُ مَا عَمَلْتُهُ وَتَجَوَّزْتُ فِيهِ ؛ فَضَاقَ صَدْرِي ، وَسَاءَ ظَنِّي ، وَقُلْتُ : هَذَا الَّذِي كَانَ يُحَذِّرُنِي مِنْهُ جَعْفَرُ الْحَرَامِيِّ ، وَنَدِمْتُ عَلَى

(١) صَفْحاً : بدون انتباه ولا مبالاة أو ممرضاً عن ذلك .

(٢) التَّنَاء : أهالي البلاد اللقيون بها جمع تَنَاءٌ .

ما كان منى ، وتقلبَت على الفراش من غير أن يدخل النوم عَيْنِي ، وحدثت نفسي بالركوب وقصدِ الرَّجُل . وقد كان ذكرى لي فيما جرى بيننا من الحديث أن منزله في الجانب الغربي في سِكةٍ كذا من سِكةِ المدينة ، فلم يُمكن ذلك لأنه كان أول الليل ، ثم لم أزل على حال في القلق طويلاً ، حتى إذا زاد ما بي تقدمتُ إلى غلماني بأن يُسرِّجوا لي وبالحروج إلى الشارع ، والمسألة عَمَن بتلك الطريق ، فخرجوا وعادوا يذكرون أنه مأمراً أحد . ثم أمرتهم بأن يُسرِّجوا لي على كل حال ، وأسرِّجوا وحملوا بين يديَّ شِعة ، وركبتُ وسرت ، فإذا السُّرايحُ ^(١) ممدودة ، وأبواب الدُّروب مغلقة ، فماتتياً إلى فتح شيء منها إلا ببرَّ الحُرَّاس . ولم أزل على ذلك حتى اتهمنا إلى رأس الجسر من الجانب الشرقي ، فكان الباب مُقفلاً ، فسأل الغلمانُ الموَكَّلَ بفتحِهِ ، فأبى ، وبذلوا له دراهم عن ذلك فلم يقبلها . ووقفتُ إلى أن وافى فرانق ^(٢) مِنْ قِبَلِ بَدْرِ غلام ^(٣) المعتضد بالله بكتاب منه إلى بعض أهل الدَّولة النازلين في الجانب الغربي ، ففتح له البابَ وجازَ وجُرَّت معه . ثم وصلت بعد اجتهد إلى دار الرجل ، وتقدم غلماني إلى بابه فدقَّوه ، وطالعهُم من السَّطْح ، وسألهم عما يريدونه ، فأشعروه بحضوري ، فأمهل قليلاً ثم فتح الباب ، وأذن في الدخول ، ورأيتُ فأنكر مجيئي في مثل ذلك الوقت ، وقال : لو كتبتَ إلى لجنتك ! فما الذي تُحبُّ الآن ؟ قلت وَقَعَ على سهوِّ في الكتاب الذي كتبته لك ، وخفتُ أن يقع عليه من يتتبعُنِي وتَتَطَرَّقُ من قوله قباحةٌ عليَّ . فقال : هذا قولٌ لا يجوزُ على مثلي ، ومن الحال

(١) السُّرايحُ جمع شريحة : وهي قلعة المود . ويعني بذلك الأخشاب التي تنرس بها الأبواب .

(٢) الفرانق : الرسول .

(٣) أمر بقتله المكنتي بالله ، انظر مروج الذهب « ذكر جل من أخبار المكنتي وسيره »

وذلك في سنة ٢٨٩ وله ترجمة في المنتظم ٣٤/٦ .

أن يخرج عن يدك ما فيه لَحْنٌ وخطأٌ ، ولعلك فكرت في شيء آخر من أمر الكتاب نفسه ، فقلت : لا بدُّ من إحصائه ، فقال : تَوَقَّفْ قليلاً . ثم قام وغاب لحظة وجاء معه صُرَّةٌ فيها خمسون ديناراً ، وقال : تلك مائة وهذه خمسون ديناراً ، وليس في كلِّ وقت يعرض مثلُ ذلك ، وكم في الدواوين من توقيع يجري هذا المجرى ولا يؤبه له ولا يُتنبَّه عليه ؟ ورغبني فيها ترغيباً كدت معه أن آخذها . ثم ذكرت محليَّ من أبي العباس بن الفرات ، وموضعي من خدمته ، ومكان أخى منه ، وأتني أقدر أن أفيدمه وفي جلته الفوائد الكثيرة ، فتماسكتُ وامتنعت ، وعادته المطالبة بالكتاب ، ووضع غلامي بين يديه المائة الأولى . فقال : أحِبُّ أن تتوقَّفَ قليلاً . وقام ثم رجع ومعه الكتابُ وخمسون ديناراً أخرى ، وقال : هذه مائتا دينارٍ ، وهذا الكتاب ، فاختر ما تريد منهما وخذه . وأعاد من تهوين القصَّةِ وتجديد القول الداعي إلى الرغبة ما كادت به يدي تمتدُّ إلى الدنانير . ثم راجعت الفكر ، وأشفقت من ظهور الأعداء [على] الأمر ، وفادِرِ الجاه ، وأخذتُ الكتابَ ومزقته ، ونهضت وركبت . فلما توسَّطتُ الجسرَ رميته مُحرِّقاً في الماء ، وعُدتُ إلى منزلي ، وكنت أنزل بسوق العطش . وقد بقيت سُدُقَةٌ ^(١) من الليل ، فطرحتُ نفسي على الفراش ، ونمت نوماً طيباً ، وزال ما كنت عليه من سوء الفكر واستشعار الخوف ، وأصبحتُ وسَّلتُ غلامي عما عندهم من الطعام ، وأنفذت إلى جماعة كانوا يُمَاشرونني ، فحضرُوا وأكلنا ، وحضرَ النيذ وشربنا ، وجاءني غلامي وقال : غلامُ أبي العباس بن الفرات بالباب يستدعيك . فأدخلته وأجلسته معنا ، فأكل وشرب ، وقلت له : عرِّفه أنتي عند بعض أهلي بالجانب الغربي . ففضي ، ولم يبعد أن جاء غلامٌ آخرٌ يطلبني ، ففعلت به كمثل فعلتي بالأول ،

(١) السدقة : الظلمة .

فانصرف . وقلت في نفسي : لَأَنْ أَلْقَى أَبَا الْعَبَّاسِ مُعْتَذِراً مِنْ تَأَخُّرِ يَوْمٍ عَنْ خِدْمَتِهِ
أَوَّلَى مِنْ أَنْ أَلْقَاهُ مُعْتَذِراً مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ الذَّنْبِ الْكَبِيرِ . فَأَقَمْتُ عَلَى جِلَّتِي بَقِيَّةَ
يَوْمِي ، وَبَاكَرْتُهِ مِنْ غَدٍ ، فَسَأَلَنِي عَنْ سَبَبِ تَأَخُّرِي فَأَعْلَمْتُهُ كَوْنِي عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِي
بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ . وَمَضَتْ أَيَّامٌ ، وَوَرَدَ كِتَابُ الْعَامِلِ الَّذِي تِلْكَ الضَّيْعَةُ فِي عَمَلِهِ
وَفِي دَرَجَةِ حَزْرٍ ^(١) الْعَلَّةِ وَقَدْ نَسَبَ كُلَّ بَيْدَرٍ إِلَى مَقَاسِمَتِهِ ؛ وَعَلَى مِثْلِ هَذَا كَانَتْ
الْحَزُورُ تَرِدُ . فَقَرَأَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَى رَسْمِهِ حَرْفًا حَرْفًا ، وَوَجَدَ قَدْ حُكِيَ تَحْتَ اسْمِ
بَيْدَرٍ مِنَ الْبِيَادِرِ : مِمَّا وَرَدَ الْكِتَابُ بِنَقْلِهِ مِنْ مَقَاسِمَةِ كَذَا إِلَى مَقَاسِمَةِ كَذَا .
فَلَمَّا قَرَأَهُ اخْتَلَطَ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ : مَا أَذْكَرُهُ ، وَمَتَى أَمَرْنَا بِنَقْلِ الْمَقَاسِمَاتِ الثَّقِيلَةِ
إِلَى الْمَقَاسِمَاتِ الْخَفِيفَةِ ؟ وَاسْتَدْعَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَخِي ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِأَنْ يَكْتُبَ
إِلَى الْعَامِلِ بِإِنْكَارِهِ مَا وَقَفَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِكَايَةِ الَّتِي حَكَاهَا فِي الْحَزْرِ ، وَيُرَدِّدَ
الْكِتَابَ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى بَعِينَهُ . فَكُتِبَ ذَلِكَ ، وَمَضَتْ أَيَّامٌ فَلَمْ أَشْعُرْ
وَأَنَا بِمَحْضَرَتِهِ إِلَّا بِكِتَابِ الْعَامِلِ قَدْ وَرَدَ جَوَابًا عَمَّا كُتِبَ ، وَفِي دَرَجَةِ الْكِتَابِ
الَّذِي طُلِبَ مِنْهُ . وَقَرَأَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ بَنِ الْقِرَاتِ ، وَأَقْبَلَ يَدْفَعُهُ إِلَى وَاحِدٍ وَاحِدٍ
مِنَ الْكِتَابِ الَّذِينَ فِي مَجْلِسِهِ ، وَيَسْأَلُهُ عَنْ صَاحِبِ خَطِّهِ . ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَيَّ فَلَمَّا قَرَأْتُهُ
ذَكَرْتُ اسْمَ الْبَيْدَرِ ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَيُّ شَيْءٍ كَانَ أَسْوَأَ حَالًا مِنِّي لَوْ كَانَ
بِخَطِّي وَقَدْ وَرَدَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَجْلِسِ الْخَافِلِ ؟ وَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ الْخَطَّ ،
وَسَلَّمَهُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ يَزِيدِ الْمَدِيرِ وَقَالَ لَهُ : امْضِ بِهِ إِلَى الدِّيْوَانِ ، وَخُذْ خُطُوطَ
أَصْحَابِ الْمَجَالِسِ وَخُلُقَائِهِمْ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ ، وَجَنِّئِي بِنَسَخَتِهِ إِذَا وَجَدْتَهَا
مِنْ مَوَاضِعِهَا .

قال : وسبق الخبر إلى الكتاب ، وقد كان الرجلُ صاحبُ البيدرِ برَّهمُ بجملة حتى أثبتوه عندهم ، فما منهم إلا من قطعَه وأخرجه من شكٍّ^(١) الورق ، ورمى به في المستراح ، أو أعطاه غلامه حتى أخرجه من الديوان وخبأه في خُنه أو تحت الأرض . ولما دار عليهم ابنُ يزيدَ أنكروا وجدوا ما فيه من علاماتهم وخطوطهم فأخذ خطوطهم على ظهرِ الكتاب بما ذكره ، وجاء به إلى أبي العباس . ونحن في تلك الحال إذ جاءت إليه رقعةٌ من مُنصَّحٍ يذكر فيها اسمَ الرجلِ الذي كتب الكتاب وموضعَ مَنْزِلِهِ ، فدعا أبو العباس العباسَ الفرغانيَّ حاجبَه ، وأمره بكَبْسِ الدار وطلبِ الرجلِ ، فإنَّ وجده أحضره وإن لم يجدْه أُنهبَ كُلَّ ما فيها . ففُضِيَ ومعه ثلاثون راجلا فكبس الدارَ ، ولم يظفروا بالرجل ، فذهب الرَّجالةُ والأتباعُ ما كان فيها ، وعرفَ الرجلُ الخبرَ فاستمر مدة ، ثم خرج إلى الموصل هاربا ، ولم يزل مقيما بها إلى أن مات أبو العباس ، فحيدتُ الله وشكرته على ما وقَّفتُ له ، وخلَّصني منه ، وعلمت أنه لا شيء أنفع من الصَّحَّة ولا أجلُّ من الأمانة .

قال أبو القاسم : وحدثني أبي قال : كان أبو العباس بن الفرات يميل إلى أبي خازم القاضي ويُكرِّمه ويُقبل عليه إذا حضر عنده ، ويتحدث معه ، وكان أبو خازم أديبا حافظا ، فحضر يوما عند أبي العباس ، وجرى الحديثُ بينهما ، إلى أن أنشده أبو خازم :

أأنت الذي أخبرت أنك ظاعنٌ غداة غديرٍ أوراخٍ لهجيرٍ
وقلت يسيرٌ نصفُ شهرٍ أغيبه وما نصفُ يومٍ غيبةٌ يسيرٍ

قال له أبو العباس : أنحفظ في هذا الشعر غير ما أنشدته ؟ قال : لا . قال : بلى

(١) شك الورق : يراد به انضمام بعضه إلى بعض كما ترتب الملفات مأخوذ من قولهم : شك الشيء إلى الشيء إذا ضمه إليه .

أُنشدنا أبو مُحَلَّم قال : أُنشدنا الأصمعي^(١) لبعض العرب :

وما أُنْسَ مِلاشِيَاءَ لَا أُنْسَ مَوْقِعًا لَهَا وَلَهَا بِالسَّفْحِ سَفْعٌ ثَبِيرٌ
وَلَا قَوْلَهَا يَوْمًا وَقَدْ بَلَ جَنِيهَا سَوَابِقُ دَمْعٍ لِلْفِرَاقِ غَزِيرٌ
أَأَنْتَ الَّذِي أَخْبَرْتَ أَنَّكَ ظَاعِنٌ غَدَاةَ غَدٍ أَوْ رَاحِ لَهْجِيرِ
وَقُلْتَ بِسِيرٍ نِصْفُ شَهْرٍ أَغْيِيهِ وَمَا نِصْفُ شَهْرٍ غِيَّةَ بَسِيرِ

قال : فقلت له : ألا قال نصفُ لحظة ، نصفُ ساعة . قال : إن العرب تنهالك في أشعارها أحياناً ، وتترك أحياناً فيه نفساً . فعجب أبو خازم من حفظه وزيادته على ما كان عنده ، وطلب الدواة وكتب الحكاية والزيادة عنه وقال له : ما جئتكَ بفائدة إلا وانصرفنا من عندك بقوائد .

وحكى أبو القاسم عن أبيه قال : كان أبو العباس بنُ الفرات أذكُرَ الناس وأحفظهم لما يُمَرُّ به من قليل وكثير ، فقال لي يوماً . ما اشتيتُ أن أحفظ شيئاً قطُّ إلا حفظته . وما آسى من عمرى إلا على ثلاثِ سنينَ أفنيتها في عِلْمِ إقليدس ، كيف لم أُنْهَ في الفقه ؟ قال : وكان أعلم الناس بالفقه على سائر المذاهب .

وقال أبو القاسم : تأخَّرْتُ أرزاقُ الكُتَّابِ في وزارة حامدِ بنِ العباس ونظيرِ عليِّ بنِ عيسى تأخراً طويلاً . فلما تقلَّد أبو الحسن بنُ الفرات الوزارة الثالثة ، وعرف ذلك ، أنكره ، وعجب من استمراره ، وأنفذ المستحقين إلى العمال للطلالبة به ، فقبضوا في مدَّة عشرة أشهرٍ جارِي أربعة عشرَ شهراً ، وكان شديدَ التعصُّب لهم ، والعناية بأمهم . ولقد سمعته يوماً وقد خاطبه مخاطبٌ على أن يجعلَ جارِي بعضِ الكُتَّابِ

(١) الأصمعي : هو عبد الملك بن قريب ، له ذكر كثير في اللغة والأدب ، انظر ترجمة له في ابن خلكان وتاريخ بغداد وثرثرة الألبا وغيرها .

لكتاب في ناحيته ، وهو يقول : قطع الله رزقي يوم أقطع رزق كاتب . وَوَقَعَ الَّذِي سُمِّلَ فِي أَمْرِهِ بِحَارٍ مُسْتَأْنَفٍ .

وقال أبو القاسم : سمعتُ أبا الحسن بن الفرات يقول في وزارته الثالثة ، وقد ذكر حال السواد وجلالته : إن الإحسان إلى الرعيّة يزيد في ارتفاعه ، ولولا خوفي من أن يجلس في هذا المجلس من لا يعرف غرضي فيما أفعل ، وَيَجْعَلُهُ تَسْوِيقًا^(١) عَلَيَّ عند من لا يفهم ، لتقصت المزارعين ثلاثة أقدرة في كُلِّ كَرٍّ من مقاسمة الإستان التام ، ثم كان يُنظر بعد ذلك كم يزيد في الارتفاع بهذه المساحة .

وحكى أبو القاسم قال : كان^(٢) أبو الحسن بن الفرات يُطْلِق للشعراء في كل سنة من سني وزارته عشرين ألفَ درهم رَشْمًا لهم سوى ما يصلهم به متفرقًا وعند مديحهم إياه . فلما كان في وزارته الأخيرة تذكر طُلاب الحديث وقال : لعلّ الواحد منهم يبخل على نفسه بدائقي ودُونِهِ ، ويصرف ذلك في ثمن وَرَقٍ وحِبر ، وأنا أحقُّ بمراعاتهم ومعاونتهم على أمرهم . وأطلق لهم من خزائنه عشرين ألفَ درهم .

قال أبو القاسم : وكان في جهتي رجل يعرف بأبي بكر محمد بن إبراهيم البرقي فأخذت له منها ثلاثمائة درهم ، وأخذت لأبي سعيد الحسن بن علي العدوي^(٣) خمسمائة درهم ؛ وكان جارِي وقد سمعتُ منه سماعًا كثيرة . وأخذت لأبي العباس أحمد بن عبد الله بن عمار^(٤) — لأنه كان يَحْيِيَنِي وَيُقِيمُ عِنْدِي وسمعتُ منه أخبار المَبِيضَةِ^(٥)

(١) تسويقًا : تكبًا

(٢) تجارب الامم ١١٩/٥

(٣) توفي سنة ٣١٩ له ترجمة في المنتظم ٢٣٨/٦ .

(٤) له ذكر كثير في الأغاني فهو من رجال سند أبي الفرج الأصفهاني كما ذكر في القهرست وذكرت له مؤلفات منها أخبار أبي نواس .

(٥) المبيضة أصحاب المنع وهم فرقة من التنويه لبسوا البياض مخالفة للعباسيين المسودة .

ومقتل حُجْرٍ وكتاب صَفَيْنِ وكتاب الجمل وأخبار المقدَّمي وأخبار سليمان بن أبي شيخ وغير ذلك - خمسمائة درهم . وتمَّ لي أخذ هذه الدراهم لمن أخذتها له - وهم محدِّثون لا من طُلَّاب الحديث - بفضل الجاه يومئذ .

وقال أبو القاسم : كان أبو الحسن بن الفرات قد تقدَّم إلى والدي أبي عبد الله بأن يستأمره في كلِّ توقيع يردُّ عليه ، فكان يفعل ذلك ، وحضره في بعض الأيام رجلٌ بتوقيع في آخر رُقعةٍ قد كتبها يشكو فيها حاله ، ويسأل إجمال النظر في أمره بإجراء خمسة عشر ديناراً في كل شهر وتسببها على بعض الجهات ، فلما قرأه عرفه ما أمر به الوزير من استئذانه في كلِّ توقيع يردُّ ، وسأله عما يُحبُّه في توقيعه : من رده عليه - لأنه كان قد استراب به - أو عرضه والاستثمار فيه . فأثر الاستثمار ، وأعلمه أنه يفعل ذلك في يومه ، وأنه يجب أن يعود إليه في غده ليُعرفه ما يكون منه فيه . وعرض والدي التوقيع على أبي الحسن ، فلما قرأه أنكره وعرفه أنه مزور ، وتقدم إليه بإحضار الرجل الذي أوصله إليه ليضربه بالسوط ، ويشهره على جمل ويُخلِّده الحبس ، ويجعله أدبا وعظمة لغيره ممن يُحدِّث نفسه بمثل هذا الفعل ، وأكَّد القول عليه . وحضر الرجل من غد مُتعرِّفاً لما جرى في أمر التوقيع ، فأشار عليه والدي بالانصراف والإمساك وألَّا يعيد قولاً في ذلك . فامتنع امتناعاً دعاه إلى أن شرح له الصورة ، وأشعره بلفظِ القصة وقال له : أنا أخالف الوزير فيما أمرني به ، وأعرفه متى سألني عنك أنك لم تعدَّ إليَّ . فذكر أن توقيعه صحيح ، وأنه لا يبالي بالحضور والوصول إلى حضرة الوزير ، ولا يدعُ عند ذلك إقامة حُجَّته وإبراء ساحته . فراجمه وحذَّره إشفاقاً عليه؛ وهو مقيم على أمره . ثم قال : فأتقدَّمك إلى الدار . قلت : الاختيار إليك . فانصرف .

قال أبو عبيد الله : وتشاغلت بالنظر في حوائج من كان عندي من أسباب

المقتدر بالله - رحمه الله - وغيرهم . فلما فرغت ركبتي ، ووجدته قد سبقني ، ودخلت إلى أبي الحسن بن القرات فقال لي : أين الرجل صاحب التوقيع ؟ قلت : هاهو حاضر . فأمر بإيصاله إليه . فلما رآه اتهره وزَّبره ^(١) وقال له : تقدم على التزوير ؟ وتقدم بحمله إلى صاحب الشرطة ليعاقبه ويشهره ، ثم سأله عن نسيبه ، فأعلمه أنه ابن عم العباس بن الحسن . فلما ذكر ذلك له سكن غضبه ، وأقبل عليه فتعرف منه خبر واحدٍ واحدٍ من أهله ، ووصف له حالهم . فقال له : ما الذي حملك على ما فعلته ؟ فقال كُتِّبَ بك الذين بحضرتك ، لأنني قصدتهم وسألتهم إيصال رقعة لي إليك أستعطف بها رأيك ، وأستدعي فيها إحسانك ، فما منهم من فعل ، وأحوجني فعلهم إلى أن جعلت هذا التوقيع سبيلاً للوصول إلى مجلسك ، وشكوى حالي إليك . فأخذ التوقيع ووقع تحته بإمضائه ، ورسم لي مراعاته فيه حتى يسبب له على حيث يروج منه . ثم دعا أبا العباس أحمد بن مروان وكيله في داره ، وتقدم إليه بأن يُطلق له عاجلاً ثلاثة آلاف درهم يصرفها في مؤوته ، وأن يقيم له في كل شهر خمسة عشر ديناراً من ماله سوى الجاري السلطاني الذي أمرنا بإجرائه له . فلما خرج إلى قالي : أيُّها كان أعرف الوزير ، أنا أو أنت ؟ وعجب الناس من كرم ابن القرات ورعايته لأهل البيوتات وذوى النعم والأقدار .

قال أبو القاسم : وحدثني أبي قال : كان أبو القاسم عبيد الله بن سليمان قد قلده أبا عبد الله جعفر بن محمد بن القرات أعمال بهر سير والرومقان وإيغار يقطين ومايجرى مع ذلك . وكان لأبي عبد الله محمد بن غالب الأصهباني هناك مقاطعة ، وتتبعها جعفر بن محمد فوجد فيها فضلاً كثيراً حمَّله على أن وكل بفلاتها إلى أن

(١) زبره : زجره .

يرد عليه الكتاب بالإفراج عنها أو غير ذلك . وشق ما كان منه على محمد
ابن غالب ، وكتب إلى عبيد الله بن سليمان رقعة في هذا المعنى ، وأورد في آخرها أبيات
شعر فيها :

أَيُظْلِمُنِي عَامِلُ الْبَهْرَسِيرِ وَيَرْكَبُ مِنِّي صَعَبَ الْأُمُورِ
وَيُبْطِلُ مِنْ سُنِّي مَا جَرَى وَيَضْمَعُنِي ضَمًّا ذَنْبِ عَقُورِ

وأوصلها من يده إلى عبيد الله ، وكان أبو العباس أحمد بن محمد بن القرات
حاضراً ، فأعطاه عبيد الله الرقعة وقال لمحمد بن غالب : الأمر إلى أبي العباس
في الإمضاء أو الفسخ . فقال أبو العباس : فإني قد أمضيت . وأخذ القلم من الدواة
ووقع بإمضاء المقاطعة ، والإفراج عن الغلة . فكان محمد بن غالب يشكره على ذلك
بعد عيه عليه مما جرى في أيام أبي الصقر إسماعيل بن بلبل .

وحدث أبو القاسم قال : اجتمع كُتَّابُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْقَرَاتِ يوماً بحضرته ،
وذلك في وزارته الأخيرة ، فذكر كل واحد منهم ما لحقه من الشدائد في استتاره ،
فحدثه أبو عمرو سعيد بن الفرخان التصرائي أنه كان في موضع وأراد الانتقال عنه ،
فخرج قبل طلوع الفجر ، فلما توسَّط الطريق تبعه إنسان لا يعرفه . وأخذ في غير
الوجه الذي أراده ، وتبعه ، وخرج منه إلى غيره ، وهو يمشي معه . قال أبو عمرو :
فلما كاد الصبح يُسْفِرُ وقت وقلت : أنا رجل خائف ، وأريد أن أقصد موضعاً
أستتر فيه ، وقد قارب الوقت الذي قدرته أن يقرب باتباعك إياي . قال لي :
قد عرفتُك ، وما قصدت فيما فعلته إلا الجليل معك ، ولو أردت الاستتار لكانت
معوذة ، وهذا منزلي لك وبين يديك ، وأسألك أن تعدل إليهِ وتعمل على المقام فيه .
فنظرت فإذا الوقت قد أزف ، ولا يمكنني الوصول إلى الموضع الذي أردت قصده
إلا مع طلوع الشمس . فقضيت معه ، وتقدَّمتني واتبعتُه حتى وصل إلى منزله ،

ودخل وأدخلني ، فوجدت داراً طيبة ، وفيها فرش نظيف ، وأكرمني ومهّد لي^(١) ، وجلس دوني وقال لي : اعلم - جلني الله فداك - أني رجل مُزَيّن ، وأرجع إلى سعةٍ حالٍ ولي ثلاثون غلاما ، لكل واحد منهم منزلٌ مثلُ منزلي ، فقيم عندي ما أحببت ، فمتى ضاق صدرك وأحببت الانتقال نقلتك إلى منزلٍ واحدٍ واحدٍ منهم ، فأقمت فيه شهرا ، ولعل المدة - في فرَجِ الله عنك وبلوغك محابك - أن تكون أقصر من ذلك ، وبالعاجل قد أفردت لك دارا ، وأعددت فيها جميع ما تحتاج إليه ، حتى لا تستعمل شيئا مما نستعمله نحن ، فربما لم تستنظفه .

ونفض من عندي وغاب ساعة وقال : إذا شئت ياسيدي .

فقممت وأدخلني إلى دار متصلة بداره ، قد فرشت بفرش نظيف ، وجعل فيها ما يحتاج إليه ، من طست وإبريق وجِرارٍ وكيزانٍ وقُدورٍ وغمضائر^(٢) وجامات^(٣) وسُكْرُجات^(٤) وصواني وأطباق وقناني وأقداح ، وإذا جارية سوداء واقفة . فقال : تكون هذه بين يديك متولّيةً لخدمتك ، وأنا صاحبُ خبرك ، فإذا كان عشيّة انصرفت إليك بما أسمع . فشكرته وجزيته الخير . ومضى وطبخ لي ما أردت ، وأخضرت من الشراب ما طلبت ، وكان يحبثني في آخر كل نهار فيحدثني بما يعرفه فلم أزل على هذه الحال مدة أربعة أشهر لا أعدم شيئا مما أريده . ثم ضاق صدري وأحببت الانتقال ، فأشعرته بذلك ، فاختر لي واحدا من أصحابه ذكر تقدّمه عنده وثقته ، فأشار بالثقلّة إلى داره . ففضيت إليه معه ، فكان منزله قريبا من منزل مولاه ، وخدمني وما قصّر في معرفة حقّي والقيام بما أريده ، وأقمت عنده شهرا ،

(١) مهّد له : هيأ له ، وفي الأصل : مهّدني .

(٢) الغضائر جمع غضارة وهي قصعة كبيرة . وفي الأصل غضار .

(٣) الجامات : جمع جامة وهو الكأس .

(٤) السُكْرُجات : جمع سُكْرَجَة وهي الصلصة التي يوضع فيها الطعام .

وأردت الانتقال ، فعرفت المزين ذلك ، فأشار بالرجوع إلى منزله ، فرجعت ولم تمض إلا أيام يسيرة حتى فرّج الله عنا ، وكشف وجوهنا بالوزير أدام الله تأييده .

فقال له الوزير أبو الحسن بن القراث : فأى شيء علمت في أمر هذا الرجل ؟

وبأى مكافأة كافأته على جميل فعله ؟ قال : لا والله أيها الوزير ما علمت معه قليلا ولا كثيرا . فقال له : بئس ما فعلت . فإنك قد فضحت المستترين ، وضيقت عليهم مذهبهم . والآن أنا أولى بقضاء الحق عنك منك . أنفذ إلى الرجل وجنتي به .

قال ابن الفرخان : فقلت لكاون غلامى : امض إلى المزين الذى كنا مستترين عنده فحىء به ، وعرفه أن الوزير يريد به . فمضى فلما بعد قال لى الوزير : اردده وتقدم إليه بأن يؤرد عليه رسالة جميلة يسكن إليها ، وأن يحضره على رفق وإكرام قال : فرددته وأوصيته ، ومضى الغلام ، وتشاغل أبو الحسن بالنظر والعمل ، وتشاغلنا بالتوقيع والكتب . ثم جاء الغلام وعرف أبا عمرو بن الفرخان حضور المزين ، وعرف أبو عمرو الوزير ذلك . فقال : يدخل . وخرج الحاجب فأوصله إلى المجلس ، فوقف على بعد ، فاستدناه وامتنع ، فألح عليه فدنا ، وأمره بالجلوس فأبى أشد الإباء . ولم ينزل به حتى جلس . ثم قال له : لم تتأخر مقابلة أبى عمرو لك عن جميل ما أوليته إياه إلا لأنه خرج على حال محتلة ، وذات يد قصيرة ، وأنا أتولى ذلك عنه ، ولقد أحسنت بارك الله عليك وفعلت ما يفعله الأحرار . فقام وقال : قد وصلت إليها الوزير إلى أعظم الجزاء بوصولى إلى هذا المجلس ، وسماعى لهذا الخطاب ، وبلغت غاية أملى ، ونهاية أمنيئتي بذلك . وما بلغت ما كان فى نفسى من قضاء حقه .

وأشار إلى أبى عمرو . فأمر أبو الحسن بإحضار أبى العباس أحمد بن مروان وكيهله ، فحضر وأسر إليه شيئا لم نعلم ما هو ، فخرج ، وأخذ المزين معه ، ثم عاد بعد ساعة وحدته بالمسمعه ، فأخرج رأسه من سريره وقال : أرايتم مثل ما نحن فيه مع هذا

المزين ؟ تقدّمتُ إلى ابن مروان بأن يدفع إليه خمسة آلاف درهم ، فعرفني أنه امتنع من قبولها ؛ وذكر سعة حاله واستغناءه عنها . ورُدَّ إليه ابن مروان برسالة في هذا المعنى ، ففضى وعاد فذكر إقامته على الامتناع ، فأمر الوزير أبا عمرو بن الفرخان بأن يقوم إليه ، ويلطّف به ويرفُق ، ولا يدعّه حتى يقبل ما أطلقه ، وقال : لعله استقل الخمسة آلاف درهم ، فلتُجْعَلْ خمسمائة دينار . فأحضره وألزمه أخذها ، وعرّفه أنه إن امتنع من ذلك غضبت عليه وأنه يُنْسَد ما قد حصل له في نفسى . فقام أبو عمرو ساعة ثم عاد وقال ما زلت معه في مراوطة وملاطفة حتى قبلها وانصرف شاكرًا . فبقينا وبقي الناس زمانا يتعجبون من فعل المزين وكبر نفسه . وكرّم ابن الفرات ومكافأته عن كاتبه .

قال أبو القاسم بن زنجي : كان أبو الحسن بن الفرات قد كاتب يوسف بن ديوداد بن أبي الساج في أمر الرى ، وطالبه بِمَحْمَلٍ ملوَجِب من مالها على أنها ضَمَانٌ في يده . فأجاب بأنه لم يضمن ضمانًا يتعين عليه الخروجُ منه ، ويُسألُ أبو الحسن عما عنده في ذلك - يعنى على بن عيسى وكان إذ ذاك مصروفًا منكوبًا في اعتقال أبي الحسن ابن الفرات - فسأله عن ذلك ، فذكر أنه ضَمَنه الأعمال ، وأن وثيقة الضمان عند صاحب الديوان . وكان أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد يتقلّد ديوان المشرق ، وهذه الناحية جارية فيه ، فطولب بذلك ، وأحال على أبي الفتح الفضل بن جعفر بن محمد ابن الفرات ^(١) وكان خليفته على الديوان . ورجع إليه فذكر أن الوثيقة حُمِلتُ إليه ، ووقف عليها ، وردّها بعد أن حملها إلى صاحب الديوان . واعتقل أبو الحسن بن الفرات الفضل بن جعفر بهذا السبب ، وجرت خطوب في هذا المعنى ، وذلك في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة بعقب صرف حامدٍ عن الوزارة وعلى بن عيسى عن خلافته ،

(١) تولى الوزارة للمقتدر سنة ٣٢٠ كما تولاها للراضى سنة ٣٢٤ .

وأوجبت الصورة طَلَبَ ذلك في الخزانة المنقولة من دار علي بن عيسى إلى دار أبي الحسن بن القرات .

قال أبو القاسم : فأمرني أبو الحسن بأن أَدْخَلَ الخزانة ، وأَقْلَبَ ما فيها من الأعمال ، وأَتَمِسَ وثيقة الضمان ، وفعلت ، وكانت خزانة عظيمة في بيت يُعْرَفُ بالدمشق في داره المعروفة بسليمان بن وهب في الحرَّم ، والأعمالُ تكاد تبلغ السقف . وكان يَمُرُّ في عُرْضِ ما أَقْنَسَ عنه نُسْخُ ما كتبه علي بن عيسى إلى ذكا الأعور ، المقيم كان بمصر ، ثم إلى تكين الخاصة المتقلد لها بعده وإلى الحسين بن أحمد المادرائي ومحمد بن جعفر القرمطي ونجح وابن رسم وغير هؤلاء من الولاة ، فأقرأها وأجدها في نهاية الحسن . وربما أخذت بعضها وأجد في خلال ذلك خُزُوراً^(١) وكَيُولاً وكتباً من المنفقين في العساکر بما توفر من أموال الرجال ، وبما وقفوا عليه من حال البدلاء والدخلاء لم يخرج إلى الدواوين ، وأجمع ذلك وأخرج إلى الوزير أبي الحسن إضارة منه في كل يوم . فكان يَمَجِّبُ من علي بن عيسى وتَرْكِهِ وإخراج هذه الأعمال إلى الدواوين ويطعن عليه بذلك ويقول : يا قوم ، سمعتم من يؤخر إخراج تقدير الغلات وحزرها وكيلها وكتب المنفقين بما توفر من المال إلى الدواوين ؟ لم لا يتناقل كبار الكتاب وأصاغرهم هذه الأعمال ويثبتونها في مجالسهم ويقابلوا عليه ما عندهم ؟ وأية حجة تكون لنا على الأعمال والعُمال إذا احتسبوا بمال الرجال على العبر من غير حطيطة ؟

وكان فيما أخرجه في بعض الأيام إليه عَمَلُ عَمَلِ عثمان بن سعيد - المعروف بابن الصيرفي صاحب ديوان الجيش - لما يراد للجيش في مدة سنة ، وقد أورد فيه حال الممالك خمسة أشهر ، فحين وقف عليه جزائي الخير على إخراجهِ إليه ، وذكر أن

نصرا القشورى طالبنى بحضرة المقتدر بالله بإطلاق مال المالك لسته أشهر ، وادعى أن على بن عيسى كان يطلق لهم على ذلك ، وأن هذا العمل يُبطل قوله سَيِّئاً وهو بخط ابن الصيرفى كاتبه وصاحب ديوانه . فأخذه معه ، وانحدر إلى المقتدر بالله ، وواقف نصرا الحاجب عليه بحضرة ، فوقع له بذلك من المقتدر أحسن موقع ، ولنصر أقيح موقع .

قال أبو القاسم : وكان فى هذه الخزانة كُتِبَ إلى على بن عيسى ممن كان يُشخصه من القاسم بن دينار وأحمد بن محمد بن رستم وزيد بن إبراهيم والحسين ابن أحمد المعروف بأبى زنبور اللادرائى وأبى بكر محمد بن على اللادرائى فيها ، العجائب ، ودفترٌ منسوب إلى الحلّاج^(١) فيه آداب الوزارة ، وغير ذلك من رقايع المقتدر بالله ووالدته إليه ونسخ أجوبتها .

قال أبو القاسم : وكان أبو الحسن بن القرات قد استظهر فى أمر الموسم لسنة إحدى عشرة وثلاثمائة استظهاراً شديداً ، لأنه أحب أن يجزى أمره فى أيامه على أفضل ما جرى عليه فيما قبلها ، وأطلق لأبى الهيثم^(٢) بن حمدان فى وقت واحد بإطلاق واحد مائة ألف دينار ، وأخرج إلى من نَقَدَ فى القافلة الثانية ما قدره أبو بكر عثمان بن سعيد صاحب ديوان الجيش ، وكذلك لمن صَدَرَ فى القافلة الثالثة ، وكان أكثر من مائة ألف دينار . وأزاح العلة فى ثمن جميع ما احتيج إلى ابتياعه من الحضرة ، وأبتيع ذلك وحل ، وانتظم أمر القوافل ، وتوجهت بأجمعها

(١) لعله هو الحسين بن منصور الحلّاج اتهم بأنه ادعى الألوهية أو النبوة ، انظر قصته فى تجارب الأمم ٧٦/٥ وصلة عريب من ٨٦-٩٦ والمنتظم ١٦٠/٦-١٦٤ وابن الأثير حوادث سنة ٣٠٩ ذكر قتل الحسين الحلّاج .

(٢) هو عبد الله بن حمدان كان إليه طريق الكوفة وطريق مكة انظر تجارب الأمم ١٢٠/٥ وابن الأثير حوادث ٣١٢ .

من الحضرة . واتصل بأبي الحسن بن الفرات أن القرامطة قد تحركوا للفساد وهُمُّوا
باعتراض الجيش ، فكتب إلى أبي الهيثم كتاباً بخطي^(١) يعرفه ما بلغه ، ويوصيه
ويُحذِّره ، ويأمره بالتيقُّظ والتحفظ وإذْكَاء^(٢) العيون في جميع الطرق ، وأجابه
من القصر جواباً أُنْثِدَ في درجِه^(٣) كتاباً في جِلْدٍ يَضُمُّ فِيهِ الْمَالَ وَالْدِّمَ ،
وقد أَشْهَدَ فِيهِ جَمَاعَةَ الشُّهُودِ وَالْأَشْجَاءِ فِي الْبَلَدِ . فلما قرأه أبو الحسن سرَّته
قُوَّةُ نَفْسِهِ ، وضاقت صدره من هذا الفعل الذي هو جارٍ في سبيل التَّبَغْيِ . وحدث
في تلك السنة ما حدث على الحاجِّ^(٤) مما زاد به القلقُ والازعاجُ ، وأُنْثِدَ نَزَارَ
ابنَ مُحَمَّدٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الْقَوَادِ لِتَلْقِيهِمْ ، وَأَطْلَقَ صَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ ابْتِغَاءً بِهِ مِنْ
الْحَضْرَةِ الْقُمُصِّ وَالسَّرَاوِيلَاتِ وَالْعَائِمِ وَالْأُرْدِيَةِ وَالْأَزْرَ لِيُدْفَعَ ذَلِكَ إِلَى مَنْ
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَحَمَلَ مَالًا وَاسِعًا فَفَرَّقَ عَلَى النَّاسِ بِحَسَبِ أَحْوَالِهِمْ وَمَا يَحْتَاجُونَ بِهِ
إِلَى مَنَازِلِهِمْ .

وحدث أبو القاسم قال : كان أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات ينزلان
في أيام أبي الصقر إسماعيل بن بلبل في رُبُضِ مُحَمَّدٍ ، وكانَ حَدُّ دَارِهِمَا مِنَ الْمَوْضِعِ
الْمَوَازِي لِسَكَّةِ الْحَوْضِ إِلَى دَرْبِ أَبِي سُورَةَ ، وَهُوَ حَدُّ الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْعُرُوضِ .
— وَعَمْدَى بَيْهَا وَفِيهَا بَسْتَانٌ كَبِيرٌ كَثِيرُ النَّخْلِ وَالشَّجَرِ ، وَبَيْتٌ أَحْمَرُ السَّقْفِ
وَالْحَيْطَانِ يُعْرَفُ بِبَيْتِ الدِّمِ . ثُمَّ قُبِضَتْ وَبِيعَتْ مَعَ أَنَّ أَصْلَهَا وَقْفٌ ، وَابْتِغَاءً
جَمَاعَةً وَتَقَلُّ الْمَلِكُ فِيهَا مِنْ وَاحِدٍ إِلَى آخَرٍ . فَمِنْ ذَلِكَ الدَّارِ الَّتِي فِي الطَّرَفِ وَتَوَازَى

(١) أُمِّي بِخَطِّ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ زَنْجِي رَاوِي الْحَبَرِ .

(٢) إِذْكَارُ الْعُيُونِ : بِثِ الْجَوَاسِيْسِ وَمَنْ يَسْتَعْلِمُونَ الْأَخْبَارَ .

(٣) فِي دَرَجَتِهِ : فِي دَاخِلِهِ .

(٤) رَاجِعْ فِي ابْنِ الْأَثِيرِ حَوَادِثَ ٣١٢ ذَكَرَ أَخَذَ الْحَاجَّ .

سكة الحوض ، فإنها حصلت لأبي الحسين محمد بن عبيد الله العلوي الكوفي ، ثم انتقلت إلى ورثته . ومن ذلك دورٌ وحجرٌ وغُرْفٌ كثيرةٌ تلي هذه الدار صارت لجامعة من الناس ، ومن ذلك دارٌ كانت لعثمان بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي ، ويلها دارٌ لعلی بن عبد الرحمن المعروف بابن هاني الكوفي ، ثم دارٌ كبيرةٌ واسعةٌ ملكها نزهة الملقمة . وهي تنتهي إلى آخر دور بني الفرات .
ولجعفر بن قدامة في أبي الحسن بن الفرات (١) :

يا بنَ الفراتِ ويا كريدَ م الخيمِ محمودَ الفعّالِ (٢)
ضُيِّعَتْ بعدك وأطُرِحَ ت وبأنَّ للناسِ اختلالِ
وتغيرتْ - مذ غيَّرتْ أحوالكَ الأيامُ - حالي
لَهْفًا أبا حَسَنِ على أَيَّامِكَ الغُرَّ الخوالِ
لهفا عليها إنها بليتْ بأحوالِ بَوَالِ

لا يجوز في « لهفا » التووين لأن تفجع المَرْزُوتَةَ (٣) « لهفاه » فحذفت الهاء في الوصل وبقيت الألف على سكونها .
وله أيضاً فيه :

لَمَّا خَلَوْتُ مِنَ الْفَوَا ثد وللنافعِ والصَّلَاتِ
وَعَدِمْتُ فِي الْأَعْيَادِ مَا عُوِّدْتُ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ
وَبَقِيتُ فِيهَا حَائِرًا كَالسَّفَرِ ضَلُّوا فِي الْقَلَاةِ (٤)
نَادَيْتُ يَا سَقِيًّا وَيَا رَعِيَا لِعَصْرِ ابْنِ الْفَرَاتِ

(١) هذه الأبيات في معجم الأدباء في ترجمة جعفر بن قدامة .

(٢) الخيم : الطبيعة والسجية ، والفعّال : الفعل الحسن والكرم .

(٣) في الأصل : لأنه تفجع المرأة . (٤) السفر : المسافرون .

مَلِكٌ أَشْمٌ مُسَوَّدٌ رَطْبُ الْأَنْامِلِ بِالْهَبَاتِ
يُمَطِّي الرَّغِيبَ ^(١) وَلَا يَمِينُ وَلَا يَنْقُصُ بِالْعِدَاتِ

وله فيه أيضاً :

لَمَّا غَدَوْتُ فِي الْحِثَا نَارٌ مُضَرَّمَةٌ تُشِبُّ
وَالْفِكْرُ وَالْأَحْزَانُ مَشْحُونٌ بِهَا جِسْمٌ وَقَلْبٌ
أَنْشَدْتُ مَا قَالَ ابْنُ جَهْمٍ ^(٢) وَهُوَ بِالْأَشْعَارِ طَبٌّ ^(٣)
أَمْلَقْتُ بِقَدِّكَ يَا عَلِيُّ وَنَالَنِي مَا لَا أُحِبُّ

وحدث أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان قال :

كان الفضل بن الحسن الواسطي يتولَّى بَيْعَ غَلَّاتِ أَبِي الْعَبَّاسِ وَأَبِي الْحَسَنِ ابْنِي الْفَرَاتِ،
وكانت عظيمة لكثرة ضياعهما وزيادة ارتفاعهما . فاتفق أن مات ، فأقاما مقامه
عبد الوهاب بن أحمد بن ماشاء الله أحد غلمان الرفاشيين ^(٤) بين يديه ، وقَدَّمَا ورعاً
منه وَنَوَّهَا بِاسْمِهِ ، وَأَكْسَبَاهُ مَا لَا جَزِيلًا ، فَتَأَثَّلَتْ بِهِ ^(٥) حاله وصرف أبو الحسن
عن وزارته الأولى . فَخَدَّمَ عَلِيَّ بْنَ عَيْسَى وَبَاعَ غَلَّاتِهِ . فلما عاد أبو الحسن بن الفرات
إلى الوزارة ثانياً لم يُؤَاخِذْهُ بِخُدْمَةِ عَلِيَّ بْنَ عَيْسَى ، وَأَجْرَاهُ عَلَى رَشْمِهِ فِي بَيْعِ غَلَّاتِهِ ،
وخطب أبا عُمَرَ الْقَاضِي فِي قَبُولِ شَهَادَتِهِ وَإِظْهَارِ عَدَالَتِهِ . وَقُبِضَ عَلَى ابْنِ الْفَرَاتِ ،
وتقلد الوزارة حامد بن العباس ، وخلفه علي بن عيسى ورؤساء الناس ^(٦) ، فلما صرف

(١) الرغيب : المرغوب فيه ، والطاء : الكثير .

(٢) ابن جهم : هو علي بن الجهم من شمراء الدولة العباسية له ترجمة في الأغاني وطبقات ابن المعتز
وابن خلكان وغيرها .

(٣) الطب معناها هنا : الحاذق الماهر بعمله .

(٤) الرفاشون : جمع رفاش وهو من يحرق القمح .

(٥) تأثلت : تجمعت وتأصلت ويريد تحسنت .

(٦) هكذا في الأصل ولعلها وخلقه علي بن عيسى في رئاسة الناس أو ورأس الناس .

حامد ووزر ابن الفرات الوزارة الثالثة قَبَضَ على ابنِ ماشاء الله ، فأفخذ مفلحُ الأسودُ خادمُ المقتدر بالله - وله القَدَمُ المتسكَّنةُ ، والمنزلةُ المتقدِّمةُ ، والدَّالَّةُ ^(١) القَوِيَّةُ على ابن الفرات لقيامه بأمره عند عودته في هذا الوقت إلى نظره ^(٢) - يسأله في بابه ^(٣) ، وحضر كاتبُه برسالته في معناه . فقال ابن الفرات : الأستاذ هو الصاحب ، وأمرُه المُمْتَلِ ، وأنت أيها الرسولُ المأمون ، لكنني أحضر ابنَ ماشاء الله ، وأقِفْه بين يديك على ماتسمعه ، فإن أردت بعد ذلك أن تأخُذَه سَلَّمْتُهُ إليك ولم أراجِعْكَ فيه . ثم تقدَّم بإحضار ابن ماشاء الله ، فحضر يَرْسُف في قيوده ، فأمر بنزع الحديد عنه ، فنزع من وقته ، ثم قال له : اجلس ، فامتنع ، فكرر عليه القول فجلس . ثم أحلفه يميناً استوفاهما عليه أنه يسمع ما يقول له ويحجب بما عنده من غير تَقِيَّةٍ ، ولا تَوَرِّيَّةٍ ولا مُوَازَئَةٍ ، ومتى ذكر له ما فيه تَزِيدُ رَدَّهُ أو تَعُتُّ دَفْعَهُ ، وناظره مناظرة النظير لنظيره من غير مراعاة لموضعه ، ولا احتشام لمكانه . فلما فرغ من ذلك قال له : ألم يكن الفضلُ ابن الحسن الواسطي بَيْمَى وَبَيْعَ أَبِي العباس أخى ، وله الحالُ والجاهُ والمنزلةُ والوجاهةُ بمعاملتنا وتولى غَلَّاتِنَا وكنتَ رَفَاشاً بين يديه ؟ قال : بلى . قال : فلما مات ألم نصطنعك ونُقِمَّكَ في خدمتنا مقامه وترتبك الترتيب الذي شاع ذكرُك فيه ؟ ومال الناسُ إلى معاملتك به من أبي الحسن على بن عيسى خَصَمِنَا وغيره من أصحاب السلطان حتى كثر مالك وتريَّشتَ حالكُ ؟ قال : بلى . قال : فلما سَخِطَ السلطانُ على وانصرفَتْ عما كنتَ أخدمه فيه أَلَمْ تَمْدِلْ إلى أبي الحسن على بن عيسى - وهو عدوى - تعامله وتداخله ؟ قال : بلى . قال : ثم عُدْتُ إلى خدمة السلطان فهل

(١) الدالة: يراد بها المنزلة التي تيمله صاحب سلطان عليه .

(٢) يعني بذلك أنه قام بأمره حتى عاد إلى النظر في أمور الناس بأمر صار بسبب مسمى مفلح وزيراً .

(٣) يسأله في بابه : يريد بها يخاطبه في شأنه .

وَإِخَذْتُكَ بِذَلِكَ أَوْ نَقِمْتُهُ عَلَيْكَ أَوْ عَدَلْتُ فِي خِدْمَتِي عَنْكَ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَبَلِ
اسْتَعْنَا بِكَ فِي نَكْبَةٍ ، أَوْ حَمَلْنَاكَ مِنْ أَمْرِ نَا كُفْلَةٍ ، أَوْ حَمَلْتُ إِلَيْنَا قَطْمَرَةً أَوْ مِلَاطِفَةً
أَوْ فَعَلْتُ ذَلِكَ مَعَ أَحَدٍ مِنْ أَسْبَابِنَا فِي وَقْتِ اسْتِغْنَاءٍ أَوْ حَاجَةٍ ؟

قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَلَمْ تَرْفَعْ مِنْ قَدْرِكَ وَأَلْزَمْنَا أَبَا عَمْرِو الْقَاضِي قَبُولَ شَهَادَتِكَ حَتَّى
زِدْتُ عَلَى الْأُمَثَلِ مِنْ نَظَائِكَ ؟ قَالَ : بَلَى . ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَسَنُ ابْنُهُ وَكَانَ حَاضِرًا :
أَمَّا جِئْتُكَ لَيْلَةً فِي سُمَيْرِيَّةٍ وَمَعِيَ خَدِيجَةُ بِنْتُ الْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْفَرَاتِ بِنْتُ عُمَى
وَزَوْجَتِي وَثَلَاثُونَ بَذْرَةً عَيْنًا قَتَلْتُمَا عَلَى كَتْفِي إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَاوِرِ لِدَارِكَ بِشَارِعِ
الْمَلَاذِيانِ وَعَلَى قَرِيبٍ مِنْ سَوَاقِ الطَّعَامِ ، وَأَجْلَسْتُ الْمَرْأَةَ تَحْفَظُ الْبَذَرَ ، وَطَرَقْتُ بِأَبْكَ
مُتَخَفِيًا ، وَعَلَى كِنَانَةٍ سَوْدَاءَ ، وَبِيَدِي طَبْرَزِينَ ، وَدَفَعْتُ الْبَابَ فَفَتَحَتْ لِي جَارِيَتُكَ
وَهَجَمْتُ عَلَيْكَ وَأَنْتَ وَحُرْمُكَ فِي صَفَّةٍ ^(١) دَارِكَ فَارْتَمَتْ وَقُلْتَ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَلَمَّا
تَبَيَّنَتْ وَجْهِي قُلْتَ : سَيِّدُنَا الْوَزِيرُ ؟ قُلْتُ : لَسْتُ الْوَزِيرَ أَنَا سُرُورٌ غَلَامٌ خَدِيجَةُ
بِنْتُ الْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرٍ ، أَخْرَجْتُ مَعِيَ وَأَبْعَدُ مِنْ مَعِكَ عَنْكَ . فَخَرَجْتُ . وَقَتَلْنَا الْبَذَرَ
إِلَى دَارِكَ ، وَمَعَها زَوْجَتِي وَقُلْتُ لَكَ : هَذِهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ عُمَى وَزَوْجَتِي وَهِيَ طَالِقٌ مِنِّي
ثَلَاثًا بَتَانًا إِنْ كَانَ هَذَا الْمَالُ لِي أَوْ لِأَبِي ، بَلْ هُوَ مِلْكُهَا وَإِرْثُهَا عَنْ أَبِيهَا ، وَهُوَ
وَدِيعَةٌ لَهَا عِنْدَكَ ، وَأَمَانَةٌ فِي عِنَقِكَ ، لَا تُعْطِ أَحَدًا مِنْهُ دِينَارًا فَسَافَوْقَهُ سِوَاهَا .
فَقُلْتَ : نَعَمْ . وَتَسَلَّمْتُ الْبَذَرَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَفَلَمْ أَخَاطِبْكَ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنْ ذَلِكَ
عَلَى أَنْ تُقَرِّضَنِي مِنَ الْجُمْلَةِ بَذْرَتَيْنِ ، فَمَا فَعَلْتَ ، وَاعْتَذَرْتَ بِمَا كَانَ جَرَى فَعَذَرْتُكَ
وَقُلْتَ لَكَ : إِنَّمَا اعْتَبَرْتُكَ وَاخْتَبَرْتُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْفَرَاتِ :
أَفَلَمْ تُخْضِرِ الشُّهُودَ عِنْدَ مَصَادِرَتِنَا وَقَدْ جُمِعَ النَّاسُ لِلْكَشْفِ عَنْ حَالِنَا وَبَقِيَّةِ إِنْ
كَانَتْ بَقِيَّةً مِنْ أَمْوَالِنَا ، ثُمَّ انْتَهَى الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ إِلَى اسْتِحْلَافِنَا فَخَلَفْنَا أَنَا وَالْحَسَنُ

ابني بالإيمان المغلظة السلطانية والمشتمة على القَتَاقِ والطلاقِ وصدقة المال أنه لم يَبْقَ لنا موجودٌ ولا مذخور ولا مودوع ، وأقسمنا بعد القسم بالله بحق رأس أمير المؤمنين على مثل ذلك ، وأحللناه من دمننا إن كُنَّا كاذبين ؟ قال : نعم . قال : أفلم تسمع اليمين وأنت تعلم أننا صادقان فيها بخروج ما عندك عما نملكه مع ما قاله لك الحسنُ في أمره أنه لزوجه من دونه ودون غيره ، وأنه مال ورثته عن أيها ، ما استفادته منا ؟ قال : نعم . قال : أفلم تَقُمْ في ذلك المجلس مع عِلْمِكَ ما تعلم وقلت كَذَبَ ، له عندى ثلاثون بَدْرَةً عَيْنًا أودعنيها ابنه الحسنُ ؟ ولو لم يُبَلِّغْكَ ما بَلَّغْنَاكَ ونَقَدْكَ من منزلة الشهود إلى ما قدمناك لَمَّا حَضَرْتَ مِثْلَكَ ذلك المجلس . وبإيالك لَمَّا فعلتَ ما فعلتَ صَدَقْتَ عن باطن الأمر ، فقد كان يَسْعُكَ أن تُعْطِيَ ما أُعْطِيَتْ ونُسَلَّمَ ما تَسَلَّمْتَ بعد أن تَدَّكُرُ ما جرى بين الحسن وبينك .

فلما سمع كاتب مفلح من قول ابن الفرات لابن ماشاء الله ما قال واعترافه له بجميع ذلك نهض وقال : أستودع الله الوزير . وانصرف ، وأمر الوزير بِرَدِّ ابن ماشاء الله إلى محبسه ثم قتله . وقال الناس : إن كان دَمٌ لا يُطَالِبُ اللهُ به ابنُ الفرات فَدَمُ ابنِ ماشاء الله .

وحدث القاضي أبو على التنوخي قال : حدثني أبو الحسن الأزرق التنوخي قال : حدثني بعض أصحابنا قال : حدثني أبو على بن مقلة قال :

كنت أكتب بين يدي أبي الحسن بن الفرات قبل وزارته ، فلما وزر قال لي في يوم نظره : أَحْضِرْ ابنَ الأَكْوشِ وعشرة أنفار من التجار وبيعْ عليهم ثلاثين ألف كُرٍّ من غلات السواد ، واستثنِ في كلِّ كُرٍّ بدينارين ، وطالبهم بتعجيل مال الاستثناء في ثلاثة أيام . ففعلت ذلك ، وكتبت لهم بالتسليم ، وأنسيتُ مطالعة الوزير لشغل قطعي . ثم عرفته إياه . ثم استأذنته في تسليم المال إلى من يراه ، فقال :

يا سبحان الله ، أقدرت أنى استثنيت به لنفسى ؟ لقد قبحت فى هذا الظن ، إنما أردت أن أصلح حالك به وأبين صحبتك بمكانه ، فخذ واصرفه فيما تحتاج إليه ، قبّلت يده ودعوت له ، وانصرفت إلى منزلى وما أتمالك فرحاً ، فطالبتنى نفسى منذ حصل لى ما حصل من المال بمعالى الأمور وكبير المنازل .

وحدث القاضى أبو على قال : حدثنى أبو جعفر طلحة بن عبد الله قال : حدثنى أبو محمد الحسن بن محمد الصلحى قال : قال لنا أبو الحسن بن القرات يوماً وقد جرى بحضرته أمرٌ رجلٍ قد أسرف فى الظلم : الظلم إذا زاد رفع نفسه .

وقال أحد مشايخ الكتاب : سمعت أبا الحسن بن القرات يُنلى على كاتبٍ بحضرته إلى وكيلٍ فى ضيعته : استكثِر من غلّة القاسمة فإنها لنا دون الأكار ، وتوسط فى الشئوى فإنه لنا وللاكرار ، وقلل الصفى فإنه للاكار دوننا .

وحدث أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن الروذبارى قال : حدثنى أبو بكر ابن فتح الوراق قال : وقف علىّ أبو الحسن بن جعفر بن حفص الكاتب ، وكان جماعةً للكتب قد قرأ وسمع ، فقال لى : كنت يا أبا بكر فى مجلس الوزير أبى القاسم - يعنى عبيد الله بن سليمان - فجرى ذِكْرُ الفيروزج^(١) فوصف أبو العباس ابن القرات أجناسه بأحسن وصف وأبلغ شرح ، وخرج من ذلك إلى ذكر أصناف الأحجار ومعادنها وخواصها وفضائلها ، حتى استغرق المجلس ، واشتمل عليه دون من كان فيه من الرؤساء والعلماء ، فمن أين علم ذلك ؟ قلت : من كتاب هو عندك . قال : فما هو ؟ قلت : كتاب الأحجار ، ولكن حفظ أبو العباس وأنسى أنت . قال لى : أحب أن تحيىنى لنُخْرِجه .

وحدث أبو الحسن الروذبارى قال : مرّ أبو العباس بن القرات فى طريق له

على أرحاء عبد الملك وقد عطش ، فنظر إلى باب رجة فيها دُكَّان ، عليه شيخ كبير اللحية ، نظيف البرِّة ، له رُوءاء وهيئة ، يعرف بالمرى ، فقال لأحد غلمانه : استنق لنا من هذا الشيخ ماء . ففعل الغلام ، وقام الشيخ مسرعا ، فجاء بثلجينة نظيفة فيها ماء بارد ، فشرب وانصرف أبو العباس إلى منزله ، فلم ينزع خُفَّهُ حتى أنفذ من سأل عن خبره ، فتمعرَّف اختلال حاله ، فأمر بحمل مائتي دينار إليه ، وأجرى عليه في كل شهر عشرة دنانير يرسم الكتَّاب ، فما زال يقبضها حتى مات .

وحدث أبو بشر بن فرجويه في وزارة أبي الحسن بن الفرات الثانية قال : بينا نحن في ليلة من الليالي الشتوية نعمل ؛ إذ خرج إلينا من حضرة الوزير أبي الحسن توقيعٌ بخطه مع خادم من خدمه ، وقد مضى من الليل قطعة ، يقول فيه : خرجتُ يا أبا بشر - جُعِلَتْ فداك - لأهريق الماء ، فوجدت ريحا قد هبَّ، فوقفت حتى عرقها ، وهى ريح إذا نشأت مرَّت على السَّكر^(١) الفلانى من أنهار الجامعة وأفسدته وقطعته ، فاكتب الساعة إلى وكيلنا بهذه الناجية ، وإلى ابن المشرف المهندس فى المصير إلى الموضع ومراعاته ، وإصلاح شيء إن كان اختل منه ، وإعداد آلة عتيدة تكون عنده ، ووَكَّدِ القول فى ذلك غاية التأكيد ، ولا تعتمد على حامد بن العباس فيه ، فإنه لا يهتم به . وقعد الخادم عندنا حتى كتبتُ الكتُب .

ومن طريف أحاديث أبي الحسن بن الفرات فى معرفته بالأُمور ما حدَّث به أبو عليّ الحسن بن حمدون ، فإنه قال : كنت مع يوسف بن ديوداد بنواحي باب الأبواب^(٢) ، وهو السَّد الذى كان أنوشروان عمله بين الخزر وأرض فارس ، وطول

(١) السكر : الد .

(٢) فى الأصل الباب والابواب ، وانظر معجم البلدان : باب الابواب .

السور مسيرة يوم ، وله مروحة في البحر طولها ستمائة ذراع ، تمنع مراكب الخزر من الدخول ، والباب من حديد ، والسور من حجارة مهندمة ، في كل حجر ثقبان فيهما عمودان من حديد ، قد صُبَّ عليهما الرصاص ، والمروحة التي في البحر على هذا العمل . فاتفق أن سقطت هذه المروحة ، ودفعت يوسف بن ديوداد الضرورة إلى أن قصد الموضع ، ونزل عليه لإصلاحه ، وجمع المهندسين وذوى الخبرة بالأعمال ، فقدروا له ستين ألف دينار تنفق على إعادة المروحة . وكتب إلى الوزير أبي الحسن ابن الفرات يعرفه الخبر ، ويعتذر إليه من تأخير المال الذى واقفه عليه بهذا الحادث الذى حدث في هذا الموضع ، فوالله ما كان إلا مقدارُ مسافة الطريق حتى ورد علينا كتابُ ابن الفرات يقول فيه : قهمت كتابك - أطال الله بقاءك - بما شرحته من حال المروحة الساقطة ، وما قدر لها من المال للنفقة . وقد قرأنا في الأخبار أن أنوشروان لإشفاقه على هذا الموضع أعد له ما يكتفيه ، فأحضر مشايخ أهل البلد وذوى الأسنان العالية منهم ، وسألهم هل سقطت المروحة قبل هذه الدفعة ؟ فإن كانت سقطت فقد استعملت الآلة فيها ، وإن كانت لم تسقط فاطلب الآلة وسل عنها فإنك تجدها ، وعرفنى ما يكون منك إن شاء الله .

قال ابن حمدون : فلما ورد الكتاب على يوسف أحضر المشايخ وسألهم عن ذلك ، فلم يجد أحداً يذكر أو يخبر أن هذه المروحة سقطت قبل هذه الدفعة ، وسألهم عن الآلة وموضعها فلم يكن فيهم من يعرف حديثها إلا رجلٌ منهم فإنه قال : سمعت مشايخي يتذاكرون خبرها ، وأنها مدفونة على قرب من المروحة . فلم يزل يُفتش عنها حتى وجدها وأخرجها ، فكانت كاملة من حجارة منحوتة منقوبة ، وأعمدة من حديد مفروغ منها ، ورصاص وسائر ما يحتاج إليه ، فاستعملها ، ولم يؤد من المال إلا قدر أجرة الصُّناع .

وحضر أحد العمال بحضرة أبي الحسن بن الفرات . فلما ناظره على ما أَرادَه لم يَذْهَبْ فيه ولم يَجْهِ . فقال له : يا هذا ، إن كنت تزوجت امرأتك على شرط أنك كاتب فقد بانت منك وحرمت عليك ، لأنك خلوت من الصناعة مُسَلِّخٌ منها .

ولما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة قال أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : ما افتقرت الوزارة إلى أحد قط مثل افتقارها إلى هذا الوزير المتقلد ، على أنه لم يتجدد عليه منها إلا الاسم ، فأما أعمالها فما زالت دائرة عليه وعلى أبي العباس أخيه . ولقد دخلت يوما إلى أبي القاسم عبيد الله بن سليمان وهما بين يديه فرأيت يقف على الرِّقَاع ثم يرمي بها إليهما ، وينظر ما يقولان فيأمر به ، حتى ذكرت قول القائل :
خَلِيْلَتُهُ مُقْتَسِمٌ بَيْنَ وَصِيفٍ وَبُعَا
يقول ما قالوا له كما يقول البُعَا

وقال خفيف السمرقندي : لما قام ^(١) المعتضد بالله واستوزر عبيد الله بن سليمان قال له : قد دَفَعْتَ إِلَى مُلْكَا مُخْتَلًا ، ودُنْيَا خَرَابًا ، وأريد أن أعرف ارتفاع النواحي لأَجْرِي النَفَقَاتِ والرواتبَ على مُوجب ذلك ، فاعمل به عملا مشروحا ، وَأَتْنِي به وَبِحَجَلِهِ . فخطب عبيد الله كُتَّابَهُ وأصحابَ دواوينه على ذلك فوعده واستنظروه . وكان أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات محبوبين مُصَادَرَيْن ، وعرفا ما التمه المعتضد بالله فبدلا القيام به والفراغ منه في ثلاثة أيام ، وَوَفَّيَا بذلك وبلغا المراد منه . وعلم عبيد الله أن الخبر سيصل إلى المعتضد بالله فكلَّمَهُ فيهما واستأذنه في استخدامهما والاستعانة بهما .

وحكى أبو بكر الصولي قال : خاطب يحيى بنُ عَلِيٍّ النَجَّمُ أبا الحسن بن الفرات في أبي حاتم محمد بن حاتم المزنوي ، وأنه يريد الخروج إلى بلده ، ويخاف التَّبَعِ

(١) انظر الخبر في ابن خلكان ترجمة علي بن محمد بن الفرات .

لأجل رِزْقِهِ ، وسأله إسقاط جَارِيهِ ، والإِذْنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ الَّذِي اعْتَزَمَهُ . فضحك وقال : مَا أُوجِبْتُ لَهُ فِي الرِّزْقِ فَأَقْطَعَهُ ، وَلَوْ كُنْتُ مُوجِبًا لَهُ لَمَا رَأَى اللَّهُ وَأَنَا أُوقِعُ بِقَطْعِ رِزْقِ أَحَدٍ ، فَإِنْ شَاءَ فَلْيَقِيمْ ، وَإِنْ شَاءَ فَلْيَخْرُجْ .

ودفع أبو الحسن إسماعيل القاضي إلى أبي الحسن بن الفرات رُقْعَةً ذَكَرَ فِيهَا أَنَّ ضَيْعَتَهُ الْقَلَانِيَّةَ قُطِيعَةٌ ، وَقَدْ تَأَوَّلَ عَامِلُ النَّاحِيَةِ عَلَيْهِ وَادَّعَى أَنَّهَا إِسْتَان ^(١) . فلما وَقَفَ عَلَيْهَا قَالَ : هَذِهِ الضَّيْعَةُ كَانَتْ فِي إِقْطَاعِ زَبِيدَةٍ ، وَانْتَقَلَتْ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُضْعَبِيِّ ، وَبَاعَهَا ابْنُهُ مُحَمَّدٌ ، فَاشْتَرَاهَا ابْنُ فُلَانٍ السِّي ^(٢) وَتَوَفَّى فَصَارَتْ لَوَرِثَتِهِ فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ : أَنَا اشْتَرَيْتُهَا مِنْ ابْنِهِ فُلَانٍ . قَالَ : فَمَا فَعَلْتَ حِصَّةَ أَخِيهِ ؟ قَالَ : لَوْلَاهُ ، وَهَمْ شُرَكَائِي فِيهَا . فَوَقَّعَ إِلَى الْعَامِلِ : هَذِهِ النَّاحِيَةُ مِنَ الْقَطَاعِ الْقَدِيمَةِ ، فَأَمَضَهَا عَلَى رَثْمِهَا وَلَا تَعْرِضْ لَهَا . فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ حِفْظِهِ مَا حَفِظَهُ .

وحدث أبو الحسن أحمد بن العباس بن الحسن ^(٣) قَالَ : كُنْتُ بِمَحْضَرَةِ الْوَزِيرِ أَبِي أَحْمَدَ وَالِدِي ^(٤) وَعِنْدَهُ كُتَّابُهُ ، وَهُوَ يَتَصَفَّحُ رِقَاعًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَرَمَى وَاحِدَةً إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ دَاوُدَ ، وَكَانَتْ مِنْ صَاحِبِ الْخَلِيرِ . فَلَمَّا قَرَأَهَا مُحَمَّدٌ اضْطَرَبَ وَقَالَ : كَذَبَ كَاتِبُهَا أَيُّهَا الْوَزِيرُ . قَالَ لَهُ وَمَاذَا يَكُونُ لَوْ صَدَقَ ؟ ثُمَّ رَمَى بِأُخْرَى إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلَى بَنِ عَيْسَى تَتَضَمَّنُ ذِكْرَ مَالِهِ مِنَ الْعَالَاتِ بِسُوقِ الطَّعَامِ فَتَغْيِرُ وَجْهَهُ وَارْتَبَدَ لَوْنُهُ وَقَالَ : كَذَبَ كَاتِبُهَا أَيُّهَا الْوَزِيرُ وَالَّذِي لِي فِي الْأَحْرَازِ هُنَاكَ دُونَ الْمُبْلَغِ الْمَذْكُورِ . وَرَمَى إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِوَنَ بِثَلَاثَةِ قُرْأَتٍ وَجَّحَدَ مَا فِيهَا . ثُمَّ رَمَى رَابِعَةً إِلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَاتِ فَلَمَّا نَظَرَ فِيهَا ضَحِكَ وَقَالَ لَهُ : أَنَا أَذْكَرُ مَا عِنْدِي فِي مَعْنَاهَا . وَجَلَسَ إِلَى أَنَّ

(١) إستان : أى أنها يسرى عليها من الحراج ما يسرى على أهل البلد .

(٢) غير واضحة في الأصل

(٣) توفى سنة ٣٠٥ انظر صلة عريب حوادث ٣٠٥

(٤) يريد به والده العباس بن الحسن الوزير الذى قتل سنة ٢٩٦ .

تَقَوَّضُ^(١) المجلس ولم يبق عند أبي غیری ، ثم قال له : قد كذب صاحب الخبر أيد الله الوزير ، فإن لی بسوق الطعام وعند الباعة أضعاف ما ذَكَرَهِ ، فإن كان قوله فی غیری مثل قوله فیَّ فقد حَابَى وصانَعَ وكَذَب ولم یَصْدُقْ ، وأنا مُسْتَعْنٍ عن جمیع ما أَشَرْتُ إِلَیْهِ ، ومُسْتَظْهِرٌ عَلَى الزمان بأكثر منه ، والله الحمد والمِنَّة . بلى ، لی إلى الوزير حاجة أسأله الإنعام على بها . قال : ما هی ؟ قال : لا أقولها إلا بعد أن یَشْرطَ لی الإجابة إِلَیْهَا . قال قد شرطتُ وفضلتُ ، قال : عندي خمسمائة ألفِ دينار أنا فی غناء عنها ، فلیأذن لی الوزير فی أن أبنی بها داراً لأبني الحسن ، وأبتاع له ما یحتاج إِلَیْهِ فیها وأجعل ما یبقی من المال فی خزائنه ، فإنه فی دار الوزير ، وموضعه ومكانه یقتضیان إفراده بدارٍ وأثاثٍ وَتَجَمُّلٍ وَحَالٍ . فقال له أبی : بل یریدك اللهیا أبا الحسن ویرضاعف مالك وحالك ویرینی لك فی الشهر الواحد ضِعْفَ ذلك ویمجریه على یدي فی قضاء حَقِّكَ . فقال له نقض الوزير شرطی ، وأخلف وعدي ، وما أقنع منه إلا بالوفاء . فجعل یشكره ویدافعه وأبو الحسن مقيم على أمره ومُئَلِّحٌ فی سؤاله ، ثم قام على رجلیه وأخذ یضرع إِلَیْهِ ویکرر القول علیه ، حتى قال له : قد قبلتها فلتكن لی قِبَلْكَ إلى أن أعرِّفَكَ من بعدُ رأيی فیها . فعند ذلك أمسك وانصرف . وأقبل أبی یقول لی بعد خروجه : ما أعلم أن الله تعالى خلق مثل هذا الرجل فی سَعَةِ نفسه ، ولا مثل أولئك فی ضيق نفوسهم وجحَدِهِم القليل مما نُسِبَ إِلَیْهِمْ ، واعتراف هذا بأضعاف ما ذَكَرَ أَنَّهُ له ، ثم بذله إياه هذا البذل من نِیَّةٍ خالصة صادقة . ثم أخذ أبی ینشد ویردد :

عَزَمْتُ عَلَى إِقامَةِ ذی طُلُوحٍ لِأَمْرِ ما یُسَوِّدُ مِنْ یَسُودُ

قال أبو الحسن : ودخل جدی ونحن فی ذلك ، فحدثه بما جرى ، وقال له : قد

(١) تقوض المجلس : انقض .

والله سَرَّني ما شاهدتهُ منه ، وعلمت أنه رَدُّهُ (١) للملك ومَقَرَّع متى دَعته إليه حاجة . قال : وكان أبي رُبَّما يمازحه ويقول له : ما خَبَرُ تلك الجارية ؟ فيقول : أ كَمَلُ ما كانت ، أفيأذن الوزير في حملها ؟ فيقول لا بل تكون على حالها .

وعرض عليه في وزارته الثانية - وقد جلس للمظالم - رجل عُمري رُقعة تتضمَّنُ شكوى حاله وِرَقَتها ، وأن عليه ديننا قد ضاق ذَرُّعُه به ، وعلى ظَهْرِها توقيع أحدِ الوزراء بأن يُقضى دينُه من مال الصدقات ، فقال له : يا هذا ، إن مال الصدقات لِأَقوام بأعيانهم لا يتجاوزهم ، ولقد رأيت المهتدي بالله رحمة الله عليه وقد جلس للمظالم ، وأمر في مال الصدقات بما جرى هذا الجرى ، فقال له أهلها : ليس لك يا أمير المؤمنين ذلك ! فإن حَلَمْتنا على أمرنا وإلا حاكمتنا إلى قضاتك وقبائلك . فحاكهم فحاصموه . وإن شئت أنت حاكمتك . فقال له العمري : لا حاجة لي إلى المحاصمة . قال : الآن نعم أواسيك وأقضى دينك . وفعل ، وكان مبلغه خمسمائة دينار .

وحديث محمد بن داود بن الجراح قال : قال ابن أبي بدر وغيره : أنشدنا أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن القرات لنفسه :

وَعَلَّمْتَنِي كَيْفَ الْهَوَى فُخِلْتَهُ وَعَلَّمْتَكُمْ صَبْرِي عَلَى ظُلْمِكُمْ ظُلْمِي
وَأَعْلَمَ مَالِي عِنْدَكُمْ فَيُرِدُّنِي هَوَايَ إِلَى جَهْلٍ فَأَقْصِرُ عَنْ عِلْمِي
وله أيضا :

لَا تَلْحَقْنِي لَسْتُ سَامِعَ الْفَنَدِ (٢) عَدَلْتُ بِي عَنْ مَنَاهِجِ الرَّشَدِ
إِنْ كُنْتُ لَمْ تَضْطَرِّ لِحَادِثَةِ فَالْصَبْرُ فِي الْحَادِثَاتِ مِنْ عُدْدِي

(١) الردء : التامر والتمون

(٢) الفند : الكذب أو الخطأ في القول .

وقال أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات في وزارته الثانية بمحضرة أبي منصور ابن جبير : تأملت ما صار إلى السلطان من مالى فوجدته عشرة آلاف ألف دينار وما أخذت من الحسين بن عبد الله الجوهري^(١) فكان مثل ذلك . إلا أن فيما أخذ من الجوهري متاعاً وجوهرأ .

وللقاضى أبى جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول فى أبى الحسن بن الفرات فى وزارته الثالثة :

قُلْ لِهَذَا الْوَزِيرِ قَوْلٌ مُحِقٌ بِهِ النَّصْحَ أَيْمًا إِبْنَاتِ
قَدْ تَقَلَّدَتْهَا سَرَارًا ثَلَاثًا وَطَلَّاقُ الْبَتَاتِ غِنْدَ الثَّلَاثِ

ووقع ييدى ثبتٌ أخرج من ديوان المغرب فى أيام الراضى بالله بما أخذه الحسن ابن على بن محمد بن الفرات من الخطوط ممن قبض عليه وصادره فى أيام وزارتهم الثالثة ، نسختها :

أحمد بن محمد بن إبراهيم البسطامى عن النصف ممن بقى عليه من مصادره فى سنة ثلاثمائة ، سبعة^(٢) آلاف وثلثمائة دينار .

على بن الحسن الباذينى الكاتب عما تولاه بالموصل أحد عشر ألف دينار :
أبو الفضل محمد بن أحمد بن بظام ، خمسين ألف درهم .
محمد بن عبد الله الشافعى عما تصرف فيه لعلى بن عيسى ، ثلاثين ألف دينار .
محمد بن على بن مقله عما تصرف فيه ، ثمانين ألف دينار .
محمد بن الحسن المعروف بأبى طاهر . مائة ألف دينار .
الحسن بن أبى عيسى الناقد عما ذكر أنه ودبعة لعلى بن عيسى ، ثلاثة عشر ألف دينار .

(١) هو المشهور بابن الجصار وقد تقدم ذكره .

(٢) نصبت على : أخذته .

ومن الحسن بن أبي عيسى صلحا عن نفسه ، أربعة آلاف دينار .

إبراهيم بن أحمد المادرائي ، عشرين ألف دينار .

عبد الواحد بن عبيد الله بن عيسى عن بقية مصادرة والده ، ستة وثلاثين ألفا
وثلاثمائة وثلاثين ديناراً .

أحمد بن يحيى بن حاني الكاتب عن مصلحة وجبت ، عشرة آلاف دينار .

إبراهيم بن أحمد بن إدريس الجهبذ عن صلحه ، ستة آلاف دينار .

محمد بن عبد السلام بن سهل عما عنده من الوديعة لمحمد بن علي وإبراهيم بن
أحمد المادرائي ، أربعة آلاف دينار .

عبد الوهاب بن أحمد بن ماشاء الله عن صلحه ، أربعين ألف دينار .

علي بن حسن الباذيبي صلحا عما تصرف فيه بالموصل ، وقتل ، مائتي ألف درهم .

محمد بن عبد الله بن الحارث عن صلحه ، عشرة آلاف دينار .

محمد بن أحمد بن حماد صلحا عما تصرف فيه بأعمال الموصل وغيرها وقتل بعد
أيام يسيرة ، مائتين وخمسين ألف دينار .

إبراهيم بن أحمد المادرائي عن الباقي عليه من جملة خمسين ألف دينار ، خمسة عشر
ألف دينار .

أبو عمر محمد بن أحمد ، بن الصباح الجرجرائي عن ضمانته الباقي من مصادرة أبي
ياسر إسحاق بن أحمد ، مائة ألف درهم .

أبو عمر بن الصباح أيضا عن الباقي على أبي العباس أحمد بن محمد بن علي
الجرجرائي المعروف بقرقر ، ثلاثة آلاف دينار .

علي بن محمد الحواري ، وقُتِل ، سبعمائة ألف دينار

عبيد الله بن أحمد اليقوبى ، مائة ألف درهم
هارون بن أحمد بن هارون الهمداني ، سبعة آلاف دينار .
الحسن بن إبراهيم الخرائطي صلحا عما اقتطعه من مال الرئيس ، مائة ألف درهم
الحسين بن علي بن نصير أخو نصير بن علي ، مائة ألف درهم .
عبد الله بن زيد بن إبراهيم ، ألفين وخمسين دينارا .
ومن عبد الله بن زيد صلحا عن نفسه ، خمسة عشر ألف دينار .
علي بن محمد بن أحمد بن السمان عن ورثة قرق ، ألفين وخمسمائة درهم .
علي بن مأمون بن عبد الله الإسكافي كاتب ابن الحواري ، وقتل ، ستين
ألف دينار .

أبو بكر أحمد بن القاسم الأزرق الجرجاني عن ضياع علي بن عيسى ، عشرة
آلاف درهم .

الحسين بن سعد القطريلي ، مائة وثلاثين ألف درهم .
محمد بن أحمد بن ماسراد^(١) ، ألف ألف وخمسمائة ألف درهم .
أبو الحسن محمد بن أحمد بن بسطام ، ثلاثة آلاف ألف درهم .
أحمد بن محمد بن حامد بن العباس ، خمسين ألف درهم .
يحيى بن عبد الله بن إسحاق عما تصرف فيه مع حامد ، سبعين ألف دينار
حامد بن العباس ، وقُتِل ، ألف ألف وثلاثمائة ألف دينار
محمد بن محمد بن حمدون الواسطي ، مائة وخمسين ألف دينار .
أبو الحسن علي بن عيسى ثلاثمائة ألف وأحدا وعشرين ألف دينار .

(١) غير واضح في الأصل .

إبراهيم بن يوحنا جهيد حامد بن العباس ، مائة ألف دينار .
أبو محمد الحسن بن أحمد المادرائي ، ألف ألف ومائتي ألف دينار ومنه أيضاً
مخطّ آخر ، ألف ألف دينار .
أبو بكر محمد بن علي المادرائي ، ألف ألف دينار وألف دينار ومخطّ آخر أيضاً ،
عشرة آلاف دينار .

سليمان بن الحسن بن مخلد ، مائة وثلاثين ألف درهم .
فذلك من العين سبعة ^(١) آلاف ألف وخمسمائة ألف وخمسة وسبعين ألفاً
وسمائة وثمانين ديناراً ومن الورق خمسة آلاف ألف وثلاثمائة ألف درهم ^(٢) .
قيمة الورق عينا على التقريب ثلاثمائة وثمانين ألف دينار ^(٣) .
ويكون الجميع من العين ثمانية آلاف ألف دينار وأربعين ألف دينار ^(٤) .

وحدث أبو العباس أحمد بن محمد بن القرات أن منجما أخبره أنه لم ينزل رُحْلُ
في برج الثنبلة إلا حدثت حادثة ، وقد جرت العادة بذلك على مُضيّ الأوقات ،
ومن ذلك أنه نزل هذا البرج سنة ثمان للهجرة فكان في تلك السنة فتح خيبر
ومكة ، ونزل في سنة ثمان وثلاثين ، فكانت حرب صفين بين علي عليه السلام
وبين معاوية ، ونزل في سنة ثمان وستين وكان فيها حرب المختار وعبد الملك
وقصة عبد الله بن الزبير ، ونزل في سنة ثمان وتسعين فمات سليمان بن عبد الملك

(١) الجملة هي ٦/٥٧٥/٦٨٠ ولعله نسي مليوناً في ذكره لمصادرات الأشخاص أو أن الكلمة
حرفت من ستة إلى سبعة .

(٢) الجملة هي ٥/٤٧٢/٥٠٠ ولا شك أن هناك سقطاً في أرقام آلاف الدراهم فتلا رقم على
ابن محمد بن أحمد بن السمان وهو ٢٥٠٠ درهم مبلغ قليل في المصادرات ولم يذكر في الجملة للدونة
في الكتاب رقم مئات .

(٣) معنى هذا أن الدينار عندهم كان يساوي أربعة عشر درهماً تقريباً .

(٤) على حسابه السابق تكون الجملة ٧/٩٥٥/٦٨٠ وعلى ما جمناه تكون الجملة ٦/٩٥٥/٦٨٠ .

وانتقل الأمر إلى عمر بن عبد العزيز ، ونزل في سنة ثمان وعشرين ومائة فظهر أبو مسلم وجرت قصة مروان بن محمد . ونزل في سنة ثمان وخسين ومائة فمات المنصور ونزل في سنة ثمان وثمانين ومائة فأوقع الرشيد بالبرامكة . ونزل في سنة ثمان عشرة ومائتين فتوفى المأمون . ونزل في سنة ثمان وأربعين ومائتين فتوفى المنتصر وقتل المتوكل . ونزل في سنة ثمان وسبعين ومائتين فتوفى الموفق . وحدث من الأمور ما حدث .

وحدث أبو عبد الله زنجي قال : لما توفى أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات أحضر المكتفي بالله القاسم بن عبيد الله وسأله عنه ، فعرّفه وفاته وعزّاه عنه ، واستأذنه فيمن يُقلّده الديوان مكانه ، فأعلمه ما كان يسمعه من المعتضد بالله أبيه في وصف بني الفرات وذكر كفايتهم ، وأمر بإقرار أبي الحسن على دواوينه ، وسمع خفي السرقندي ذلك فأنفذ إلى أبي الحسن ميراً فطالعه وهو جالس للعزاء عن أبي العباس أخيه ، وأعلمه أنه أمرٌ يجب كتابته إلى أن يظهر من غير جهته ، وأنفذ إليه القاسم أبا عليّ وأبا جعفر ابنيه مُعزّيين له ولأبي محمد الفضل وأبي الخطّاب العباس وأبي جعفر محمد بن أبي العباس ، وسار إليه وإليهم أبو أحمد العباس بن الحسن وأبو الحسين ابن فراس ، مُعزّيين ، ولم يبق أحد من القواد والكتّاب والقضاة وسائر الطبقات إلّا فعل مثل ذلك . فحضر أبو الحسن بن الفرات بعد انقضاء أيام العزاء الديوان ، ونظر في الأعمال ، وأمضى ما كان تأخر إمضاؤه منها . وكان في نفس القاسم من أبي العباس وأبي الحسن ما لا يتمكّن من إظهاره في حياة أبي العباس ، فلما توفى عاود محمد بن عبدون الواقعة في أبي الحسن ، وأغرى القاسم به ، وحمله مع عِلّته على مطالبته بما كان أخرج عليه . فأمر بإحضار الأعمال التي كانت عملت له ، وجلس للنظر فيها ، ومواقفه عليها في يوم الثلاثاء قبل وفاته بثمانية أيام ، وأقبل ينظر أبا الحسن

وهو وقيد^(١) من علته ويسمى الروائح الطيبة طلباً للتماسك في قوته . فلما زاد ما يجده أشار عليه إسحاق بالإسك لئلا يزيد احتداد طبعه ، ودعا بماء ورد فَرَّشَهُ على وجهه وانقضى المجلس . واشتغل القاسم بنفسه وتوفي في يوم الأربعاء لست ليالٍ خلون من ذى القعدة سنة إحدى وتسعين ومائتين بعد أن كاتب المكتفي بالله ، وعرفه اشتداد مرضه ويأسه من برئته ، وأشار عليه بالتعويل في مكانه على العباس بن الحسن كاتبه ، ووصفه بما رغبه فيه به . وكانت فارس الدابة على عناية بأمره ، لأن القاسم استكتبه لها فأحسن خدمتها ، فأشارت على المكتفي بالله - وكان كثير القبول منها - بالتعويل عليه ، والتفويض إليه ، ففعل . وخرج المكتفي بالله إلى سر من رأى ، ومعه العباس ابن الحسن ، وهو معتقد للقبض على أبي الحسن بن الفرات هناك . فذكر أبو عبد الله زنجي أنه خرج متبهماً لأبي الحسن بن الفرات ، فلقه أبو القاسم ميمون بن إبراهيم المادرائي منصرفاً عن وداعه ، وسأله عن مقصده ، فعرفه أنه لاحق بأبي الحسن ابن الفرات ليكون معه ؛ فأشار عليه بالعود إلى منزله وأوحى^(٢) إليه بإشفاقه من حادث يحدث عليه . قال : فقلت : لا يحسن التأخر عنه ، وكفاية الله من دون ما يُشفق منه^(٣) وسار المكتفي بالله والعباس بن الحسن وأبو الحسن بن الفرات ، وأنا في الصحبة ، ووصلنا إلى الأحدي وليس مع أبي الحسن من كتابه غيري وغير أبي منصور بن جُبَيْر .

فلما كان في بعض الأيام حضرت عنده على رسي ، وقُدِّمَ الطعام ، ودعاني إليه فامتنعت وقلت : إني صائم . وسألني عن سبب ذلك وألحَّ ، فعرفته أتنى رأيت

(١) الوقيد : من معانها الشديد المرض .

(٢) في الأصل : وإراح يقال : أوحى إلى فلان : كلمه بكلام يخفيه عن غيره .

(٣) يعني أنه يدعو له : بأن تكون عناية الله وكفايته حائلة دون ما يخاف منه .

في المنام أبا العباس أخاه وهو يقول لي : قل لأبي الحسن أخى : لَسْتُ تَقُمْ بعد هذا اليوم .

فسر بما حدثته به وقال : أنا أحقُّ بالصوم . وأمر برفع المائدة وجلسنا ، فمضينا في ذلك حتى وافاه خادم أسود مسرعٌ قد عدلا وجهه الغبارُ ، فدنا منه وسارّه ثم انصرف . والتفت أبو الحسن إلى وقال : قد حقق الله رؤياك ، هذا رسول خفيف السمرقدي يُعلمني عن خفيف أن أمير المؤمنين المكتفى بالله ركب في هذا اليوم يتصيدُ ومعه العباس بن الحسن ، وأنه قال له : إن جماعة من الكتاب قد غلبوا على ضياع للسلطان ، وعليهم من حقوق بيت المال ما يحتاج معه إلى القبض عليهم وارتجاع ما حصل في أيديهم . وأذن له في تدبير أمرهم بما يراه ، قال : فلما انصرف دنوت من أمير المؤمنين وقلت له : إنما أراد العباس — بما قاله لك — أبا الحسن بن الفرات ، وأن المعتضد بالله كان يؤثقه ويوثق أبا العباس أخاه ، ويعول عليهما في تدبير الأعمال وحفظ الأموال . فقال لي : إذا كان الأمر على ذلك فبادر إلى العباس وتقدم إليه بالألّا يعرض لأبي الحسن بن الفرات ولا يُعَيَّرَ شيئاً من أمره ، ويعمل ما شاء في غيره . ففعلت وبادرت إليه بمن قال له هذا لئلا يجعل إلى أمر من الأمور . فسجد أبو الحسن بن الفرات شكراً لله تعالى وتصدق بصدقة كثيرة . وصحح يومئذ ثلاثين ألف دينار عند صاحب بيت المال وأخذ خطه بقبضها ، وصار إلى العباس فأعلمه أن الكلام قد كثُرَ والخوض قد طال في ذكره وذكر ما كان في يده من ضياعه وأملاكه وما خدم به وكلاؤه من حقوق بيت المال مما لا تعرف حقيقة الدعاوى فيه ، وأنه صحح لبيت المال ثلاثين ألف دينار صلحا عن هذه القُروف ^(١) المشتبهة ، وحسباً لمادة الأقوال المختلفة ، وتخفيفاً عن قلب

(١) القُروف : التهم جمع قُرف أو قُرفة .

الوزير والاهتمام بأمره ، وسلم إليه الخط بالقبض . فأظهر العباس إنكاراً لفعله وقال له : تجلّت إلى ما وجب أن تتوقف عنه ، وتعرّفتني ذلك وعزمتك فيه . وأورد جميلاً كثيراً فيما خاطبه به .

ولما لم يجد العباس طريقاً إلى ما همّ به في أبي الحسن بن الفرات عدل إلى الإقبال عليه والتفويض إليه . وعاد المكتفى بالله من سفره بعد أن ضاقت صدور أصحابه وندمائه من طول مقامه وشدة البرد الذي يلاقونه والقش^(١) الذي يقاسونه ، وقال يحيى بن علي المنجم أحد جلسائه :

قالوا لنا إن في القاطول مشتاتنا ونحن نأملُ صنعَ الله مولانا
والناسُ يأتَمرونَ الرأىَ بينهمُ والله في كل يومٍ مُحدثٌ شأنًا

وغنّى للمكتفى بذلك ، فسأل عن قائله فقيل : يحيى بن علي المنجم . فأمر بالرحيل إلى بغداد وشكر الناس يحيى بن عليّ على شعره .

ولما حصل العباسُ بن الحسن بالحضرة عاودَ محمدُ بن داود ومحمد بن عبدون وعليُّ بن عيسى الوقيعةَ في أبي الحسن بن الفرات والإغراء به ، والإطاعَ فيه ، والكلام على حاله .

قال أبو عبد الله زنجي : وحضرت مع أبي الحسن في دار العباس ، فوجدناه جالساً في مجلسه ، والجماعة المذكورون بين يديه ، إذ نهض وأقام الكتاب علي انتظاره ، وخرج كاتبه فاستدعى أبا الحسن ، فدخل إليه ، ولم يشكّ الحاضرون أنه يقبض عليه . قال أبو عبد الله : واشتدَّ إشفاقُ ، وزاد خوفي ، وتأخّر عنده طويلاً . والقوم مُتَشَوِّفون إلى علم ما جرى في أمره . ثم خرج العباس وأبو الحسن معه ، وقعد

(١) القش : سوء الحال وراثثة الهيئة وضيق العيش .

وأَقَمَّه عن يمينه ، وأقبل عليه بوجهه ، وزاد في تَقْرِيبِهِ وَبَسَطَهُ ، ونظر بعضُ الجماعة إلى بعضِ واجِئين بما يشاهدونه ، ومتعجبين من انعكاس ما كانوا يُقَدِّرونه . ثم نهض أبو الحسن منصرفاً إلى داره ، وصَحَبَتْهُ ، ووصل فما استقر به مجلسه حتى سأله عن خبره ، وما جرى عليه أمرُه مع العباس ، فقال : دعاني ودخلت إلى حجرة ما دخلت إليها من قبل ، فوجدته جالسا خاليا بنفسه وبعضِ حواشيه ، فتقدَّم إلى الحاجبِ بإخراج كلِّ من يقرب من موضعه ، والجلوسِ على الباب ، ومنع كلِّ من رام الدخول ، وانفردنا جميعاً وبدأ يذكر ما يعتقدُه فيَّ من الجليل ، وما هو عليه من المحاماة عني ، وأنه قد حُجِّل في أمري على أشياء فوقف عنها مراعاةً لِحَقِّي . ثم قال : إن كان في نفسك من هذا الأمر - يعني الوزارة - شَيْءٌ سَلَّمْتَهَا إِلَيْكَ وَخَلَّيْتَ عَنْهَا لَكَ ، على أن تحرسني في نفسي ومالي وحرَمي وولدي . فأعلمته أنني أحسن حالاً منه مع الأتقال التي عليه ، وأنتي أرجع من المالِ والنِّعَةِ والأَمْلاكِ والضيعة والجاه والقُدرة إلى ما أَسْتَغْنِي به عن زيادة . وراجعتُ مراجعةً بعد مراجعة . فلما رآني مُقْبِياً على على حالٍ واحدة قال . فإذا كان ذلك كذلك فأنا أتصور أن الأمر من بعدى صائر إليك ، وأوصيك بولدي وحرَمي ، قُلت : بل يُبْقِيكَ اللهُ وَيُطِيلَ عَمْرُكَ وَلَا يُحْلِي مَكَانَكَ مِنْكَ ، وَلَا يُرِينِي سَوْءاً وَلَا مُحْذَوراً فَيْكَ . فلم يقنع إلا بأن استحلقتني ثم مدَّ يده إليَّ وعانقني وقال : أمرنا الآن واحدٌ ، ويدُّنا واحدة ، فلا تلتفت إلى هؤلاء الكتاب وأقوالهم ، ولا تُفَكِّرْ في كلامهم وتشنيعاتهم ، وثِقْ بما لك عندي من مَزِيَّةِ المِراعاةِ وزيادة المحاماة . فشكرته ودعوت له وأعلمته قُوَّةَ نفسِي الآن به ، وخرجنا . فكان ما رأيتَ من فعله . قال أبو عبد الله : فسُررت كلَّ سرور بما حدثنيهِ . ثم رَدَّ العباسُ بعقب ذلك إلى أبي الحسن الزمامَ عَلَيَّ عَلِيَّ بن عيسى . وأعفاه من ديوان الجيش ، وقد كان سألَ القاسمَ بنَ عبيد الله إعفاهه منه فلم يفعل .

وقيل إن أبا الحسن تصدق عند إعفائه بعشرة آلاف درهم .

ولما قُتِلَ العباس بنُ الحسن ووزر أبو الحسن بن القرات قُبِضَ على أولاد العباس في جملة من قُبِضَ عليه . وأدخلت اليَدُ في جميع أملاكهم فحدث أبو عبد الله زنجي قال : التمس أبو الحسن بنُ العباس بن الحسن لقاء أبي الحسن بن القرات فَمَنَعَ منه ، فألحَّ في ذلك إلحاحاً طُولَعَ به أبو الحسن فأمر بإحضاره ، فحضر وقال له : احفظ فينا أيها الوزير وصية أئبنا لك وما أخذنا لنا من عهدك . قال : ومتى كان ذلك ؟ قال : في اليوم الذي خلوت فيه معه في الحجرة ، وصرف كلَّ مَنْ كان بين يديه وقريباً منه ، وكان من حديثكما فيما تفاوضتما كذا وكذا . قال له : ومن أين عرفت ذلك ولم يكن معنا ثالث ؟ قال : كنت في الرُّواق خلفَ الباب ، وسمعت ماجرى بينكما كلَّهُ . قال : صدقتَ وقد كنتُ أُسَيِّتُ ذلك . ثم أمر بإطلاقه وإطلاق إخوته والإفراج عن أملاكهم التي تخصُّهم . ثم قدَّم بعد ذلك البواوين . وحدث أبو عبد الله زنجي قال : حضرت مع أبي الحسن بن القرات مجلس أبي أحمد العباس بن الحسن وهو وزير ، وبين يديه الأعمال ينظر فيها ، إذ مرَّ به كتاب من الحسن بن محمد القصرى المعروف بابن زياد - وإليه الصدقاتُ بقصر ابن هبيرة - جواباً عما كُتِبَ به من تَجَمُّلِ ما اجتمع عنده من مالها . فلما نشره قرأ في العطف الذي وراءه : ضربتُ وجهك يا عباس بلا حَوْلٍ ولا قُوَّةٍ إلا بالله . فاستشاط غضباً واختلط غيظاً وقال : مَنْ ابنُ زياد الكلبُ حتى يلقاني بما لَقِيَ ، ويستعمل من الجرائمِ وأطراحِ المراقبة ما استعمل ؟ ! ودفع الكتاب إلى أبي الحسن بن القرات وقال له أنفذ إليه مَنْ يسجبه إلى الحضرة على وجهه ، ويعامله من المكروه بما استدعاه لنفسه ، وإذا ورد لم يبرح من الديوان إلا بعد الخروج مما عليه . وقام أبو الحسن ومضى إلى ديوانه وتصفح ما قدَّم إليه من الكتب ، فقرأه ، ولحظ في طَيِّ غنوانه

ضربتُ وجهك يا عليّ بن محمد بلا حول ولا قوة إلا بالله . فاعتاظ أبو الحسن مثل غيظ العباس وأكثّر ، وأمر بإفناذ من يحرقه من القصر إلى الحضرة ثم قال : لا ، ولكن التمسوا ثلاثة أنفس من المستحقين الغلاظ الفظاظ وأنفذوهم إليه وواقفهم على ألا يفارقوه إلا بعد تصحيح ما عليه ، وأوجبوا لكل واحد منهم في اليوم دينارين يأخذونها منه . قال أبو عبد الله بن زنجي : والتفت إلي وقال : اكتب لهم منشورا ينفذون به ، وندب من يخرج ، وكتبت المنشور ، وحمل إلى حضرته مع غيره مما كنت كتبت ، فأول ما وقع بيده المنشور ، فأخذه وقرأ موعظه إلى جانبه ، وأقبل يقرأ ماسواه إلى أن استغرق قراءة الجميع . ثم قال لي وأنا جالس بين يديه : قد - والله يا أبا عبد الله - ضرب ابن زياد وجهنا بشيء لا تقدر معه على أن نسيء به ، خرّق المنشور وأضرب عن إفناذ المستحقين ، واكتب إليه أن يعجلّ حمل ما عليه ولا يحوج إلى إفناذ من يُقيم عنده ويُثقل عليه مؤننته . ففعلت ذلك ، ومضى الأمر عليه ، ولم يعد من العباس فيه قول .

ووجدت نسخة ما كتب به أبو الحسن بن القرات عن نفسه إلى ولاية البلاد عند تقلده الوزارة وزوال فتنة عبد الله بن المعتز فكانت :
نعم الله عند أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - تتجدّد في سائر أوقاته ، وتتوكّد في جميع حالاته ، فليس يخلو منها قاهرة لأعدائه وناصرة لأوليائه ، والله سبحانه وتعالى يُعينه على أداء حقّها والقيام بشكرها ، إنه ذو فضل عظيم . وكان جماعة من جِلّة الكتّاب والقوادِ ووجوه الغلمان والأجناد حسدوا أبا أحمد العباس ابن الحسن - رحمه الله - على محله ومنزلته ، وما قام به لأمير المؤمنين - أيده الله - من عقد بيعته ، فسعوا في إتلاف مَهجته ، وإزالة نعمته ، وتوصّل إليهم عبدُ الله ابن المعتز بمكره وخديعته ، فأوحشهم من أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - وشيعته ، وحسّن لهم الخروج عن طاعته ، فكثروا ومَرَقوا ، وغدروا وفسقوا ، وشهروا سيوف

الفتنة ، وأضرموها نيرانها ، وأظهروا أعلامها . وتفرد الحسين بن حمدان بأبي أحمد فقتله ، وَثَّقِي بِفَاتِكِ الْمُعْتَضِيَّ فَأَتْلِفْهُ ، وقصد المارقون دار الخلافة ، ووصلوا إلى جدرانها ، وحرقوا عِدَّةً من أبوابها ، ووفق الله الغلمان الحَجْرِيَّةَ والخدم والأولياء المصافيَّةَ لمنازلتهم ومحاربتهم ، فانصرفوا مغلولين . واجتمعوا إلى عبد الله فعاقدوه وباعوه ، وتسمى بالخلافة في ليلته ، ووازره محمد بن داود بن الجراح على ضلَّالته ، وصَبَّحَهُمْ ^(١) من غلمان أمير المؤمنين أدام الله تمكينه وخاصته وذوى البأس من رعيته مَنْ حَسُنَ دِينُهُ ، وخلص يقينه ، فتحصَّنوا بالإبعاد في الحرب لما خافوه من شِدَّةِ الطلب ، وأسیر جماعة من أصحاب عبد الله بن المعتز وكتَّابه ، منهم : يُمَيْنُ الكَبِيرُ ووصيف بن صُوار تَكِين وخطار مش ^(٢) وعلى اللبثي ومحمد الرقَّاص وسرخاب الخادم ، وأبناء دميانة ومحمد بن عبدون وعلى بن عيسى بن داود ابن الجراح ومحمد بن سعيد الأزرق والمعروف بأبي المثنى ^(٣) ، ومحمد بن يوسف المكنى أبا عمر ، وحلوا إلى دار أمير المؤمنين ، وحَصَّلُوا في أعظم البُؤس ، وأضيق الحبوس . ولما خمدت النائرة ^(٤) ، وسكنت النائرة ، استدعاني أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - وأوصلني إلى حضرة ، وخصني ببره وتكرُّمته ، وفوض إلى تدبير مملكته ، وقلدني سائر دواوينه مع وزارته ، وخلع على خِلْمًا ألبسني بها جلالاً وقدرًا ، وجمالاً وفخراً ، وعُدَّتْ إلى داري مغموراً بإحسانه ، مثقلاً بأياديهِ وامتنانه ، وأسأل الله معونتي على طاعته ، وتبليغي غاية رضاه وإرادته بمنه ورحمته . وقد أُوْبِقْتُ عبد الله

(١) في الأصل : صبحهم . وأضاف إليه الناشر الأول كلمة « ما » فصارت : وما صبحهم ، لكن صبحهم هي التفقة مع النبي بدون زيادة على أنه قد سبق مثل هذا الخطاب في صفحة ١٠٠ وفيه : وما صبحهم .

(٢) في تجارب الأمم ٧/٥ خرطامش ولم يرد في الخطاب المشار إليه في صفحة ١٠٠ .

(٣) هو القاضي أحمد بن يقوب كما في تجارب الأمم ٧/٥ .

(٤) النائرة : الفتنة والعداوة .

ابن المعتز ذنوبه ، وأسلمته عيوبه ، وحصل في قبضة صافي مولى أمير المؤمنين مأسورا مقهورا . وأوجبت الحال إطلاق صليّ للأولياء وافرة المبلغ ، وأنا بتجديد البيعة متشاغل وللخدمة مواصل ، والأمور جارية على أجل مجاريها ، وأفضل الحجاب فيها ، والحمد لله رب العالمين . وعرفتك ماجرى لتعلمه أهل عملك وتزداد اجتهدا إلى اجتهدك ، وكفاية وغناء على كفايتك وغنائك ، وتكتب بما يكون منك في ذلك إن شاء الله .

وكان أبو الحسن بن الفرات خاطب محمد بن داود وهو يتولى عطاء الجيش فيما يطلقه بغير صك ولا حجة ، وأخرج عليه مما أطلقه من بيت المال بصكّين مُثَبَّتَيْنِ مُكْرَرَيْنِ مائة وعشرين ألف دينار ، واقعه على ذلك بحضرة العباس موافقة اعترف بها محمد بن داود ، واعتذر بالسهو في فعله . وجدّد ذلك أن أمر العباس صاحب بيت المال بالألا يُطلق شيئا في إعطاء وإنفاق إلا ما عرفه أبو الحسن وأذن فيه ، وثبتت علامته على الصكّاء به ، وكان مما قاله أبو الحسن لمحمد بن داود : أنا أجمع الأموال وأحصلها وأتم تفرقونها وتفرطون فيها ! فقال له محمد : التفريط والتضييع كان في أيامك - يعني أيام نظره في ديوان الجيش - فقال له أبو الحسن : قد كنت أحد كتابي إذ ذاك وفي بعض مجالس الإطلاق ، فإن عرفت خيانة فاذا كرها أو إضاعة فاستدركها . وقال له العباس . حالك يا أبا الحسن في الضبط والاحتياط معروفة ، وطريقتك في الاستيفاء والاستقصاء معلومة ، وما بك إلى هذا القول حاجة .

وكان أبو الحسن على بن عيسى حَفَظَهُ بحضرة العباس بن الحسن لمناظرة أبي الحسن بن الفرات على ما كتب به إبراهيم بن عيسى ومحمد بن عيسى العرمم أخواه في ضيعة أبي الحسن بن الفرات بكمورة كسكر ، وضياعه بناحية الأجمتين وما غير (١٧ - الوزراء)

من معاملتها وخفف من مقاسمتها . فلما بدأ علي بن عيسى يذكر ما كتب به أخواه وأورده قال العباس بن الحسن لأبي الحسن بن القرات : ما عندك يا أبا الحسن في ذلك ؟ قال له . ما أعرف من أمر ضياعي شيئاً ، لأن العمال قد أدخلوا أيديهم فيها منذ نيف وعشرين شهراً ، وأخذوا الحقوق السلطانية فيها على ما أرادوه واقترحوه منها ، وما تكلمت ولا تظلمت انصراف قلب عنها ، ولكنه قد وجب على محمد بن عيسى من ثمن الأرز بالسيين أكثر من ثمانية آلاف دينار لا عذر ولا حجة له في دفعها ، ولما كاتبته بحملها والخروج منها كتب في أمر ضيعتي بما كتب ، والأمر للوزير ، وهو أعلى عينا فيه . فأمر العباس عند سماعه ذلك بإفخاذ من يستحث محمد بن عيسى فيما أخرج عليه ، ويطالبه بالخروج منه ثم صرفه من بعد . وتقدم إلى أبي الحسن بن القرات بأن يعمل له عملاً يستقصي النظر فيه ويكشف أمره فيما تولاه وقام به . وقال له أبو الحسن : ومما أسأله صرف جعفر أخى عما يتقلده ، فإن علي بن عيسى قد قصده وأنفذ إليه من المستحقين من ثقل به عليه ، وإذا انقطعت المعاملة بينه وبينه زال بذلك تسوقه عليه وعلى به . فأجابه العباس إلى صرفه .

وكتب أبو الحسن بن القرات إلى عامل طريق خراسان مما تولاه بيده : قد اشتهرت بأحكام الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، رحمة الله عليهم أجمعين ، في إخراج مزايا افتتحت نواحيه ، ووُضعت الطسوق فيه ، بالرسوم الجارية والشئ الباقية التي سبها أفضل سلف ، وعمل بها أعدل خلف ، ليس في شيء منها حكان مختلفان ولا طسوقان متفاوتان ، في صقع واحد ، لمسلم أو معاهد . وبطريق خراسان وكلوذاي ونهر بين معاملات مخطوطة الواضع ، في الإستان والقطائع ، لطائفة دون أخرى ، سبها ما شرطه محمد بن جعفر في سني ضمانه . وأحق الشروط عند الفقهاء بالإبطال ،

ما يجرى على سبيل حيلة وإدغال^(١) ، فانقضى كلَّ شرط ورسم يعودان على مال السلطان - أعزه الله - بنقض أو نلم ، واستوف خراج ذلك على أكل طسوقه ، وأفضل حقوقه ، حتى تنحسم تلك الأطلع ، ويتوفر على يدك الارتفاع إن شاء الله . وكُتِبَ للنصف من رجب سنة ست وتسعين ومائتين .

ولما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة في أول مرة أجرى كلاً من حُجَّابه وكتَّابه وأصحابه على رسمهم ، وأقرهم على ما كانوا يقولونه من أمره ، ولم يستبدل بهم ، ولا استزاد فيهم ، لا كفتائه بمن كان معه عن غيرهم . وكانت أخلاقه وهو وزير مثله وهو صاحب ديوان . ومن رسمه أن يقدُّو إليه الكتاب فيواقفهم على الأعمال ، ويسلم إلى كل منهم ما يتعلَّق بديوانه ، ويوصيه بما يريد وصاته به . ثم يروحون إليه بما يعلمونه من أعمالهم ، فيواقفهم عليها ، وعلى ما أخرجوه من الخروج ، وأمضوه من الأمور ، ويُقيمون إلى بقض من الليل . وإذا خَفَّ العمل ، وقد عُرِضَتْ عليه في أثنائه الكتب بالنفقات والتسييات والإطلاقات والحسابات ، نهض من مجلسه ، وانصرفت الجماعة بعد قيامه . وكانت علامته تحت بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : ورفع إلى أبي الحسن بن الفرات أن جماعة الكتاب في ديوان الجيش المتولين للعطاء احتسبوا على الجند بما لم يعطوهم إياه ، وأخذوه لنفوسهم ، واقتطعوه من دونهم ، فأنكر ذلك ، وعظَّم في نفسه ، وكشف عنه فوجده صحيحاً ، ورأى الإقدام على مثله غليظاً . فقبض على القوم الذين فعلوه ، فمنهم من ضربه وأدبه ، ومنهم من ارتجع منه ما حصل في يده ، ومنهم من صفح عن جرَّمه . وكان في الجماعة أبو القاسم الحسين بن علي بن كردي ،

وقد اعتقل ، فكتب إلى أبي عبد الله والدي يسأله خطاب الوزير في بابه والتلطف في إطلاقه . وافق أن دعا الوزير أبا عبد الله إلى طعامه على رسمه ، فلما حضر امتنع من الأكل ، فقال له الوزير : ما سبب امتناعك ؟ قال : إنني ما أطيب نفساً بأن آكل عابن كردى قريبي في الحبس يُعرضُ للسكره . وأتبع ذلك بالسألة في أمره وهبة ما عليه له ، فأجابه جواباً جميلاً ، وتقدم بتغلية ابن كردى ، وتسليمه إليه ، والصفح له عما يُطالب به . ثم قال له . تقدّم الآن كل . قال أبو القاسم : ولم يكن بيننا وبين ابن كردى نسب ولا قرُوبى . وإنما قال أبى ما قاله تأكيذاً للخطاب في بابه .

وحدث أبو القاسم بن زنجى قال : استدعى أبو الحسن بن الفرات في بعض الأيام أبا علي بن مقلة وأبا عبد الله والدي في وقت العصر ، على خلوة لم يحضرها غيرها ، وقال لأبى علي : استدع قرطاساً يُكتبُ فيه . فأحضره صاحب الدواة تلت قرطاس ، وقال له : وقع بأن يُكتبَ إلى علي بن أحمد بن بسطام بوصول كتبه بما قرّر عليه أمر المادرائين ، وأنتى وجدته مخالفاً لما أمرته به . وما توجه الجملة المحصلة عليهم وهى ثلاثة آلاف ألف وكذا دينار ، وكذا منها من جهة كذا وكذا ، ومن جهة كذا وكذا ، حتى استوفى الإملاء بتفصيل الجملة المذكورة ، وفيها أنصاف دينار وأثلاثه وأرباعه وما دون ذلك . ووصل القول بما ملأ به الثلث . واستدعى أبو علي ثلثاً آخر ، واستتم الأمر فيه وفيما أراد خطابه به في معانيه ، فكان ذرعُ الثلثين اللذين كتب فيهما نحو ستين ذراعاً . ثم قال لأبى عبد الله أبى : اكتب إلى علي بن أحمد على موجب ذلك . فقال له : والله أيها الوزير ما يحتاج إملأوك إلى أكثر من أن تُثبت في أوله وآخره الدعاء ، فإنه قد أتى على كل غرض ، وبلغ فيما يُراد كل مبلغ . فقال : تأمله على كل حال وتفقدّه وفّ معانيه . قال

أبو القاسم : ولقد حدثتُ بعضَ الرؤساءِ هذا الحديثَ في مجلسٍ حافلٍ قد صعدَ على ابنِ الفراتِ فيه بِنَزَارَةِ الكلامِ ، فعجب منه ، وقال لي : لولا أنْ ذكرتهُ لَمَا صَدَّقْتُهُ .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : رسم أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات في وزارته الثانية أن يُدعى أبو الحسن موسى بن خلف وأبو علي محمد بن علي بن مقلّة وأبو الطيب محمد بن أحمد الكلوزاني وأبو عبد الله محمد بن صالح وأبو عبد الله والدي وأبو بشر عبد الله بن الفرخان النصراني وأبو الحسين سعيد بن إبراهيم التستري النصراني وأبو منصور عبد الله بن جبير النصراني وأبو عمرو سعيد بن الفرخان النصراني في كُلِّ يومٍ إلى طعامه فكانوا يحضرون مجلّسه في وقته ، ويقعدون من جانبيه وبين يديه ، ويُقدّم إلى كل واحدٍ منهم طبقٌ فيه أصناف الفاكهة الموجودة في الوقت من خير شيء ، ثم يُجعل في الوسط طبقٌ كبيرٌ يشتمل على جميع الأصناف وكلُّ طبقٍ فيه سِكِّينٌ يقطع بها صاحبه ما يحتاج إلى قطعه من سفرجل وخوخ وكُمثرى ، ومعه طست زجاج يرمى فيه التَّمَلُّ ، فإذا بلغوا من ذلك حاجتهم واستوفروا ^(١) كفايتهم ، شيلت الأطباقُ وقُدِّمت الطسوتُ والأباريق فغسلوا أيديهم ، وأحضرت المائدةُ مغطاةً بديققٍ فوق مكبةٍ خيازر ^(٢) ومن تحتها سُفرةُ آدم ^(٣) فاضلةٌ عليها ، وحواليها مناديل القمر ^(٤) من الثياب المعصور ^(٥) فإذا وُضعت رُفعت المكبةُ والأغشية ، وأخذ القوم في الأكل ، وأبو الحسن بن الفرات

(١) استوفروا : استوفوا :

(٢) الخيازر : جمع خيزرانة ، فالمكبة مصنوعة من الخيزران .

(٣) الأدم : الجلد .

(٤) القمر : الدهن ويريد بذلك المناديل التي تستعمل ساعة الأكل « فوط المائدة » .

(٥) المعصور : المحفّف ولعلها يراد بها المضغوطة لتكون كالسكرية .

يُحْدِثُهُمْ وَيَبَاسُطُهُمْ وَيُؤَانِسُهُمْ . فلا يزال على ذلك ، والألوان توضع وترفع أكثر من ساعتين ، ثم ينهضون إلى مجلس في جانب المجلس الذي كانوا فيه ، ويسفلون أيديهم ، والفراشون قيامٌ يصبون الماء عليهم ، والخدمُ وقوف على أيديهم المناديلُ الدقيقية ، وَرَطَلِيَّاتُ^(١) ماء الورد لمسح أيديهم وصَبَّهُ على وجوههم ، فمن كانت له من الكتاب حاجة قام إليه وخاطبه فيها وسأله إياها ، ومن أراد إطلاعه على سِرِّ يجب الانفراد معه فيه فعَلَّ مثل ذلك . ثم يُخْرِجُ وظائف^(٢) الكتاب وغلماهم والخُرَّانَ وَمَنْ دونهم وسائر من جَرَتْ عادته بالوظيفة ، على طبقاتهم ، وأتبع ذلك بتفرقة وظائف التلج على أصحاب الدواوين والكتّاب والمقيمين في الدار .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : كثر الإرجاف بأبي الحسن بن الفرات في آخر وزارته الثانية ، وكان كتابه إذا ركب في يوم الاثنين والخميس إلى دار السلطان استقروا ، وإذا عاد إلى داره ظهروا وحضروا . فلما كان قبل القبض عليه بأيام كتب إليه المقتدر بالله يلتمس منه حمل مائتي ألف دينار من أموال الواحي . فحلباً بأبي الحسن موسى بن خلف ، وكان يثق به على سِرِّه ، ويستشير به أمره ، وعرفه ما طلبه المقتدر بالله منه ، فقال له . لا تفعل ومتى فعلت أطمعته في نفسك ومالك ، وطالبك في كل وقت بما تعجز عنه قُدْرَتُكَ . ورجع أبو الحسن في ذلك إلى أبي بشر عبد الله بن الفرخان ، فأشار عليه بمثل ما أشار به موسى بن خلف . وأعلم أبا عبد الله والذي ماجرى ، واستعلم ما عنده في ذلك ، فقال له : الأعمال في يديك ، والأموال محمولة إليك ، وما يتعذر هذا القدرُ عليك ، إِمَّا تَقْدِمُهُ من مالك ، أو أَخْذاً له من جهابذتك

(١) الرطليات لملها أوان سعتها رطل .

(٢) وظائفهم : مقرراتهم من الطعام وغيره .

ومعامليك ، ودفعُ الشيء ^(١) أولى من تعجيله ، ومتى جرى - وأعوذ بالله - أمره أخذ أكثر مما وقع الالتباس له .

فلم يدعه موسى بن خلف ، وأقام على ما أورد من رأيه . وأجاب أبو الحسن ابن الفرات المقتدر بالله بالاعتذار والاحتجاج وتكثير ما عليه من المؤن والنفقات والأعطيات والإطلاقات . واحتدَّ الإرجاف بعقب هذه الحال احتداداً شديداً ، وكتب إليه المقتدر بالله يعلمه رأيه الجميل فيه وإحماده الكثير له ومقامه على النية الصادقة في بابه ، وحلف له بتربة المعتضد بالله على سلامة باطنه ، وأنه لا يعتد تغييراً لأمره ، ولا استبدالاً بنظره . ووقف أبو الحسن على ذلك فسرَّ به ، وسكن إلى ما عرفه منه ، وأطلع كتابه عليه ، فاستبشرت الجماعة وزال عنها الشك والخافة . ووجم والدى وأمسك ، وتبين أبو الحسن منه ذلك ، فأدناه إليه ، وقال له : أراك ساكتاً وعن جملتنا في السكون خارجاً ، فما الذى وقع لك ؟ فقال له : أما أنا فقد زادتني هذه الرقعة استيحاشاً ، وملاَّتني خوفاً وإشفاقاً ، لأنه لم يتجدد ما يقتضيها ويوجب ابتداءنا بما فيها . فقال له : أنت يا أبا عبد الله بعيد النظر سبي الظن ، يحملك فرطُ الشفقة علىَّ إلى تصوُّر هذه الأسباب ، وأرجو أن يكذب الله تقديرك ، ويجري علىَّ جميل العادة . وكان هذا يوم الثلاثاء ، فلما كان يوم الخميس الثلاثين من جمادى الأولى سنة ست وثلاثمائة مضى على رشمه في أيام اللواكب إلى المقتدر بالله ، ووصل إلى حضرته ، ووقف بين يديه ، وخاطبه فيما احتاج فيه إلى خطابه ، وانصرف إلى داره ، وعرف كتابه خيره ، فظهروا وحضروا ، ونظروا في الأعمال ، وأعطى كلَّاً منهم ما يتعلق بديوانه ، ودعا بالطعام فأكل ، ثم قام

إلى بيت منامه ونام ، واتبه وقت العصر ، وجدد الوضوء ، وصلى في الدار المعروفة بدار الصلاة ، وجلس على مُصَلَّاه يُسَبِّح ، وما عنده إلا ساكنٌ صاحب دَوَاتِهِ وغلامان من غلاماته . فبينما هو على ذلك إذ هجم أبو القاسم نصر العشوري الحاجب إلى موضعه ، ومعه عِدَّةٌ كثيرة من الرِّجَالَة وقال : أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يأمرُك بالحضور . فقال : بتيابِ الموكب أم بدرّاعة ؟ قال بدرّاعة . فقال له : حينئذ أوصيك يا أبا القاسم بالحرَمِ خيراً . وأخذهُ وأنزله في الماء ^(١) إلى دار السلطان ، بعد أن وكل بجميع من في داره من الكتاب والأصحاب .

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال : كنت في دار حامد بن العباس ، وهو وزير بباب خراسان المعروفة بدار حجرة ، إذ أدخل القراشون إلى حضرة حامد رجلاً مُكْوَرًا في كساء أسود ، ثم سمعنا صوتَ صراخ وَوَقَعَ الصَّغَم ، وحامدٌ يقول للصافع : جَوْد . والرجل المصفوع يقول : الله الله قد ذهبتُ والله عيني . وهو يقول له : إلى لعنة الله يا ابن كذا ويا زوج كذا . ويُسرَف في الشتم ويبالغ . ويقول له الرجل : لا تَسُنَّ أيها الوزير هذه السُّنَّةَ على أولاد الوزراء . ويقول له : وأنت من أولاد الوزراء ؟ ثم يزيد صغعاً وشتماً ، فلما لم يبقَ فيه بقيةٌ أمرَ برده إلى حيث كان فيه ، فأخذهُ القراشون وحملوه ، وجاء أحدهم إلى الموضع الذي كنت فيه ، فأخبرنا أن الرجلَ الحسنُ بنُ أبي الحسن بن القرات ، وأنه مُقَيَّدٌ بقيدٍ ثَقِيل ، وعليه جَبَّةٌ صوفٍ قد عُخِستَ في النَفْطِ مزرورة في عُنقه ، وأنهم ردُّوه إلى الحجرة التي كان فيها وحبسوه في الكنيف منها ودلُّوا رأسه في بئر .

وقال أبو القاسم : وقتُ إلى أبي عبد الله والدي لأحدثه بذلك ، وهو جالسٌ مع بشر بن علي النصراني صاحب حامد وخليفته . فابتدأ وسألني عن الصياح الذي

(١) أي أنزله في سفيحة .

سمعه ، فأعلمته بالصورة ، فأنزعج ، وأقبل على بشر بن عليٍّ يَعْجَبُهُ . فقال له بشر : هذا رَجُلٌ مُحَيِّئٌ ، ^(١) وهؤلاء القوم يَلُون عليه منذ ثلاثين سنة ، ويقومون بأمره ويحسنون عَوْنَهُ ، فلما مَلَكَ من أمرهم ما مَلَكَ عاملهم بهذه المعاملة ، وما هذا إلاَّ إِدْبَارٌ وسوء توفيق . ولم يزل حامِدٌ يُرَدِّدُ الحَسَنَ في صنوف العذابِ وَيَحْمِلُهُ على كلِّ حال ، إلى أن كَلَّمَ المقتدرُ بالله في أمره ، وُبذِلَ لأبي القاسم بن الحواري مالٌ على إخراجهِ عن يده ، فسعى في ذلك إلى أن تَمَّ نقلُهُ إلى دار السلطان ، وأقام بها أياماً ، ثم سُلِّمَ إلى أبي القاسم بن الحواري وحصلَ في داره ، وخاطب المقتدرُ بالله من بُعدٍ في إطلاقهِ إلى منزله فأذن فيه .

وأقام يتعرف أخبارَ عليٍّ بن عيسى وحامدِ بن العباس وما يُقرّانه ويُدبِّرانه ويُصلِّح حواشيَ المقتدر بالله ويستميلهم ، ويعمرُ ما بينه وبينهم . واتشبت بينه وبين أبي نصرٍ بشر بن عبد الله النصرانيّ الأنباريّ كاتبِ مُفْلِحٍ الخادمِ مَوَدَّةً ، وتردَّدَت مراسلةٌ ، ثم جمع بينهما أبو سهل نصر بنُ عليّ الطبيبُ النصرانيّ كاتبُ الحسن في دارِ بين القصرين على شاطئ دجلة . وقال له الحسن ، إنه يصحح للمقتدر بالله ثلاثة آلاف ألف دينار ، وألفاً وخمسمائة دينار في كلِّ يوم إذا أطلق أبا الحسن أباه واستوزره وسلم إليه حامد بن العباس وعليّ بن عيسى ومكّنه منهما ومن مناظرة المادرائيين واستيفاء ما عليهم . وكتب بذلك رُقْعَةً سَلَّمَهَا إلى بشر بن عبد الله كاتبِ مُفْلِح ، وتفرقا ، ومضى بشرٌ إلى مُفْلِح وعرفه ماجرى ، وأن الذي بذله الحسنُ جَلَّةٌ كثيرة يَرْتَعِبُ فيها المقتدرُ بالله ، ومتى تَمَّ الأمر وصحَّ المال بواسطته تضاعفَ جاهُهُ وأحمَدَ سلطانه ، ولم يَقدِّم من أبي الحسن والحسن معرفةً حَقَّةً وقضاء حوائجِه .

وأشار عليه بالكلام في ذلك ، وعَرَضَ الرقعة التي كتبها الحسن ، فقبل وفعل ، وعأوته القهرمانة زيدان ، واجتمعت معه على إيراد ما يُورده . فلما وقف المقتدر بالله على رقعة الحسن أنفذها إلى أبيه أبي الحسن وقال له : أنت قِيمَ بهذا الضمان وملّزِمَ له ؟ فقال : نعم . واستدعاه من موضعه حتى سمع قوله ، وعقد عليه الوفاء بما قاله . فلما كان يوم الخميس لسبع ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة حضر أبو الحسن على بن عيسى دار السلطان ، ومعه جماعة من القواد والعلمان على رسم الموكب ، وجلس في المجلس الذي جرت العادة يجلسه فيه ، إلى أن يُستأذن له . ثم خرج إليه من قبض عليه ، وأنفذ إلى داره ودور إخوته وكتبه وأصحابه ووُكِّلَ بها ، واستُظهِرَ على ما فيها . واستدعى المقتدرُ أبا الحسن بن الفرات من حيث كان مقياً فيه من داره ، وحضر الحسنُ ابنه وكان قريباً من الدار ، وخلع عليهما وحملهما على حُمْلَانٍ ^(١) بمراكبٍ ذهبٍ ، وتقدم إلى الأمراء والقواد والعلمان وانخدم ونشأ الطبقات بالركوب منعهما إلى دارهما .

ومن فضائل أبي الحسن بن الفرات والمأثور من ذكائه أنه وَقَعَ تَشَاجُرٌ بين ولد المكتفي وعلي بن المقتدر بالله في أجمة هوانا من أعمال القصر ، وادَّعى كلٌّ من الفريقين أنها له ، وأوجبت الصورة أن وَقَعَ إلى عامل سوق المسك بالحظير على ثمن ما يرد من صيود هذه الأجمة إلى أن تبين صورتهما . وكان المقتدر بالله يُوَقِّعُ في وقتٍ لعلِّي ابنه وفي آخرٍ لولد المكتفي بالله ، فلما زاد وقوف هذا الأمر وتأخر فضله وظهور الحق فيه لمستحقه ، أحضر أبو الحسن بن الفرات خادماً لولد المكتفي بالله ، ووكيلاً لعلِّي بن المقتدر بالله يُعرف بالحربي ، للمناظرة والحكومة ، وقال أبو الحسن للخادم : ممن ابتغى هذه الأجمة ؟ قال : من ولد بدر اللاني . فأمرها بالخروج والجلوس في الدار

(١) الحملان : ما يحمل عليهن الدواب وتكون في الهبة خاصة .

بقر به إلى أن يدعوها ، وأحضر ابنًا لبدر اللاني كان من أحد خلفاء الحجاب ، وسأله عما عنده من الحسابات التي لوكلاتهم بنواحي القصر . فذكر أن الأملاك والضياع لما خرجت عن أيديهم أفلوا المراجعة للحسابات فذهبت وحلكت ، ولم يبق منها باقٍ . فقال له : امض إلى دارك وسلِّ وفتِّش وأحضِرْ ماتجده . فضى وعاد بعد ساعة ومعه حسابٌ ذكر أنه وجده لبعض وكلائهم ، فأخذه منه وسأله إلى أبي منصور عبد الله بن جبير وكان بين يديه ، وقال له : تصفِّحه وانظرْ هذا الحق من الأجمة كيف أورد ، وإلى أى شيء نُسب . فقرأه أبو منصور وردّه إليه وقال : مال هذا الحق ذكرٌ فيه . فقال : هذا محال ، وأخذ الحساب وقرأه وتأمله تأملًا استوفاه ثم وضع يده وقد تصفَّح ثلثيه على موضع وقال : هاهنا يجب أن يكون ما نطلبه منسوبًا إلى وجهه . ووقف ساعة ثم دعا بالخدام والوكيل وقال لهما : هذا الحدُّ منسوب إلى الإلجاء ^(١) لا إلى الملك . أفتعرفان في يد من كانت هذه الأجمة من قبل ؟ قالوا : لا . قال : كانت في يد فلان في سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ثم انتقلت في سنة ثلاث وخسين إلى يد فلان ، ثم انتقلت في سنة أربع وستين إلى إبراهيم بن فورعه ، ثم انتقلت في سنة خمس وثمانين إلى فلان . ولم يزل يذكر حالها وقتًا بعد وقت إلى أن دخلتها يدُ بدرٍ اللاني . قال المحدث بهذا الخبر : فقلت لإنسان كان إلى جانبي : كيف يذكر الوزير سنة إحدى وأربعين وفيها مولده ؟ ورأى شفقًا تتحرك بالقول ، فقال لي : ما قلت ؟ ودافعته فيكرر سؤالى وقال لي : قل ما قلت . فصدقته عنه فقال : أحسنت - بارك الله عليك - فيما تأملت وتبعت . إني لما دخلت الديوان في حال الحدائة كان أستاذى الذى أخذته أسنَّ من فيه ، فكنت إذا مرَّ بي رَسَمَ كان من

(١) يقال لجأ فلان ماله تلجئة : جملة بعض الورثة دون الآخرين . وهو مأخوذ من الإلجاء كأنه ألجأ إلى فعل ما يكره .

قبلُ سألتهُ عنه وحفظت مايقوله فيه ، أو جرى شيء في أيامى حفظته ، وكان هذا مما عرفنيه .

وحكم بالملك لولد المكتنى بالله ، وطالبه صاحبهُم بتسليم ما اعتيق^(١) من ثمن الصيد ، فوقع بذلك ، وكتب إلى المقتدر بالله بما كشفه وحكم به .

وحدث أبو عبد الله زنجى قال : توفي^(٢) أبو عيسى أحمد بن محمد بن خالد المعروف بأخى أبى صخرة فى يوم الأربعاء لبعاء سبع ليال بقين من شعبان سنة إحدى عشرة وثلاثمائة فى وزارة أبى الحسن على بن محمد بن القرات ، وخلف أموالاً وأملاً كثيراً كثيرة ، ولم يخلف ولداً . فتعرض أصحاب الموارث لتركته ، وبلغ أبى الحسن بن القرات ذلك فأنكره ، ومضى إلى المقتدر بالله وقال له : قد كان المعتضد بالله والمكتنى بالله رفعاً الموارث وأزالها وأنت أولى من أمضى فعلهما وأجرى سنتهما . فأمره بفعل ذلك والتقدم به ، وفعل وأزال التوكيل عن دار أبى عيسى أخى أبى صخرة والاعتراض عما خلفه ، وسلم جميعه إلى الورثة ، وأشهد عليهم بتسلمه . وأمر بأن يكتب إلى العمال فى سائر النواحي برفع الموارث ، فكتب أبو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابة بما نسخته :

أما بعد^(٣) ، فإن أمير المؤمنين يؤثر فى الأمور كلها ماقرّبه من الله جلّ جلاله ومن طاعته ما اجتلب له منه جزيل منوبته ، وحسنت به العائدة على كافة خليفته ورعيته ، لما جبل^(٤) الله عليه نيته من العطف عليها ، وإيصال المنافع إليها ،

(١) اعتيق : تأخر تسليمه . وكان قد حظر أن يدفع ثمن مايرد من سيود هذه الأجمة كما تقدم

(٢) انظر صلة عرب سنة ٣١١ هـ .

(٣) صلة عرب حوادث ٣١١ .

(٤) لملها أيضاً : لا جبل . وجبله الله : خلقه وقطره ، ويقال : جبله الله على الكرم : قطره عليه .

وإزالة الإعنت عنها ، وإبطال رسوم الجور التي كانت تعامل بها ، وإحياء سنن الخير وإيثاره لها ، جاريًا مع الكتاب والسنة ، عاملاً بالآثار عن الأفاضل من الأئمة ، وعلى الله يتوكل أمير المؤمنين ، وإليه يُقَوَّضُ وبه يستعين .

وَأُنْهَى إِلَى أمير المؤمنين أبو الحسن عليُّ بنُ محمد ما يلحق كثيراً من الناس من الإعنت في مواريتهم ، وما يُتناول على سبيل الظلم من أموالهم ، ويُحكَّم فيه بخلاف ما جرت به السنة ، وأنه قد كان عبيدُ الله بن سليمان أُنْهِيَ إلى المعتض بالله - صلواتُ الله عليه - حالَ للمتقلِّدين لأعمال المواريث ، وما يجرى على الرعية من مطالبتهم إياهم بأحكام لم يُنَزَّلَ بها كتابُ الله عزَّ وجلَّ ولا جَرَتْ بها سُنَّةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أجمع أئمةُ الهدى - رحمة الله عليهم - عليها ، فكتب - صلواتُ الله عليه - إلى يوسف بن يعقوب وعبد الحميد بن عبد العزيز القاضيين - كانا بمدينة السلام وما يتصل بها من النواحي في أيامه - يسألها عن الحال عندهما في مواريث أهلِ المِلَّةِ والأئمة . فكتب عبد الحميد - رضى الله عنه - كتاباً في مواريث أهلِ المِلَّةِ ، حَكَّى فيه أن عمر بن الخطاب وعليُّ بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود - رضوان الله عليهم ومن اتَّبَعَهُمْ من الأئمة الهادين رحمة الله عليهم - رأوا أن يُرَدَّ عَلَى أصحاب السهام من القرابة ما يُفْضَلُ عن السهام المُفْتَرَضَةِ في كتاب الله تبارك وتعالى من المواريث إذا لم يكن للمتوفَّى عَصَبَةٌ يحوز باقي ميراثه ، وجعلوا - رضى الله عنهم - تَرِكَةً من يُتَوَقَّى ولا عَصَبَةٌ له لذوى رَحِمِهِ إن لم يكن له وارثٌ سواهم ، ممثلين في ذلك أمر الله سبحانه إذ يقول : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ^(١) وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في توريثه من لا فَرَضَ له في كتاب الله تعالى من الخلال وابن

الأخت والجدَّة . وكتب يوسف بن يعقوب إليه كتابا في موارِيث أهل الذمَّة حَكَى فيه ما رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أَنَّ المسلم لا يَرِثُ الكافر ، وأنَّ الكافر لا يَرِثُ المسلم وأنه لا يَتَوَارِثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ . ووصف يوسف في كتابه أن السُّنَّة جرت بأن أهل كل ملة يُورَثُونَ مَنْ هو منهم إذا لم يكن له وارث من ذِي رَحْمَةٍ .

وعرَّف أبو الحسن أمير المؤمنين [أن] ما قرَّر عليه حامدُ بنُ العباس الأمر - من تبسُّع الموارِيث وتقليدِ جبايتها عَمَّالًا يَجْرُونَ عَمَالَ الخراج - شَيْءٌ لم يكن في خِلَافَةٍ من الخلافات إلى أن مضى صَدْرُ من خِلَافَةِ المعتمد على الله - رحمه الله - فإن يدا دخلت فيها في ذلك الوقت على سبيل تَأَوُّلٍ بما رَوَى عن زيد بن ثابت - رحمه الله - دون غيره ، فأزالها المعتضد بالله صلوات الله عليه . ثم أعاد ذلك الرَّمَمَ الجائر والأثر القبيح السائر حامدُ بنُ العباس بِظُلْمِهِ وتَعَدِّيهِ وتهوُّرِهِ وتَسَطُّيهِ وتأوُّلٍ على الرعية بما لم يُرَضِ الله عزَّ وجلَّ فيه . فأمر أمير المؤمنين بأن يُرَدَّ على ذوى الأرحام ما أوجب الله عز وجل ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وعمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وعبدُ الله بن العباس وعبدُ الله بن مسعود - سلام الله عليهم ومن اتبعهم من أئمة الهدى رضی الله عنهم - رَدَّهُ من الموارِيث عليهم ، وأن تُرَدَّ تَرَكَهُ مَنْ مات من أهل الذمة ولم يُخَاف وارثا على أَهْلِ ملته ، وأن يُصَرَّفَ جميعُ عَمَالِ الموارِيث في سائر النواحي ويُبْطَلَ أمرُهم ، ويُرَدَّ النظرُ في أعمال الموارِيث إلى الأحكام على ما لم يَرَكْ يَجْرَى عليه قَبْلَ أَيَّامِ المعتمد على الله . ورأى أمير المؤمنين أن من الحق لله عليه فيما قلَّده من خلافتِهِ ، وألبسه من جلباب كرامته ، وألزمه من رعاية عبادِهِ في بلاده الدانية والقاصية ، ونواحي سلطانه القريبة والبعيدة ، أن يَعمَّ جميعَهم بعدله وإنصافه ، ويتناولهم بفضله وإحسانه ، ويسُنَّ لهم سُنَّةَ الخير في أيامه ، ويُزِيلَ

عنهم البوائق والعوارض التي توجَدُ بها السبيلُ إلى أن تُنقَصَ أموالهم وَيُتَوَصَّلَ فيها إلى ظلمهم وإعتابهم ، وأن يُجْرَى الأمرُ في الموارِثِ على ما كان جارياً عليه في أيام المعتضد بالله صلوات الله عليه ، وتركَ تبديله والحذرَ من إزالته وتغييره ، وإذاعةَ ما أمر به وإظهاره وقراءته على الناس في المسجدين الجامعين بمدينة السلام ليكون مشهوراً مُتَعَاكِماً ، والخبرُ به إلى الأدنى والأقصى واصلاً . فاعلمَ ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمره وأعمل عليه وبحسبه إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله ، وكتب أبو الحسن يوم الخميس لإحدى عشرة ليلةً بَقِيَتْ من رجب سنة إحدى عشرة وثلاثمائة .

ونسخة ما كتب به أبو خازم إلى بدر المعتضدى جوابَ كتابه إليه في أمر الموارِثِ .

وصل كتابُ الأمير يذكر أنه احتيج إلى كتابي^(١) بالذي أراه واجباً من مال الموارِثِ لبیت المال ، وما لا أراه واجباً منه ، وتلخيص ذلك وتبيينه ، وأنا ذاكر للأمير الذي حَضَرَنِي من الجواب في هذه المسألة والحجة فيما سأل عنه ليقف على ذلك إن شاء الله .

الناس مختلفون في توريث الأقارب ، فرَوَى عن زيد بن ثابت أنه جعل التركة إذا لم يكن للمتوفى من يرثه - من عصبه وذى سهم - لجماعة المسلمين وبيتِ مالهم ، وكذلك يقول في الفضل بعد الشَّهْمَانِ^(٢) السُّمَاءُ إذا لم تكن عصبَةً ، ولم يَرَوْ ذلك عن أحدٍ من الصحابة سوى زيد بن ثابت ، وقد خالفه عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وجعلوا ما يَفْضُلُ من الشَّهْمَانِ ردّاً على أصحاب السهام

(١) كتابي : كتابي أى إلى أن أكتب .

(٢) السَّهْمَاتُ : جمع سهم والسهم النصيب المقروض .

من القرابة، وجعلوا المال لدى الرّحيم إذا لم يكن وارثٌ سواه . والثَّنيةُ تَمَاضِدُ ما رَوَى عنهم ، وتُخَالِفُ ما رَوَى عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ . وتَأْوِيلُ الْقُرْآنِ يوجبُ ما ذهبوا إليه ، وليس لأحد أن يقول ، في خلافِ السنة والتَّنْزِيلِ ، بالرَّأْيِ . قالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ ^(١) فَصَيَّرَ الْقَرِيبَ أَوْلَىٰ مِنَ الْبَعِيدِ ، وإلى هذا ذهبَ عُمَرُ وَعَلِيٌّ وَعَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَنْ تَابِعَهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ ، وعليه اعتمدوا ، وبه تمسكوا ، والله أعلم .

ولو كان في هذه المسألة ما لا يدُلُّ عليه شاهد من الكتاب والثَّنية لكان الواجبُ تَقْلِيدَ الْأَفْضَلِ وَالْأَكْثَرِ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ ، وتركُ قَبُولِ مَنْ سِوَاهُمْ يَمْنُنُ لَا يَلْتَحِقُ بِدَرَجَتِهِمْ بِسَابِقَتِهِ . وإذا رُدَّ أَمْرُ النَّاسِ إِلَى التَّخْيِيرِ مِنْ أَقْوِيلِ السَّلَفِ فَهَلْ يُحِيلُ أَوْ يُشْكَلُ عَلَى أَحَدٍ أَنْ يُزِيدَ لَا يُنْقِصَ عَلَيْهِ بِعَمَلِ عُمَرَ وَعَلِيٍّ وَعَبْدِ اللَّهِ ؟ وإذا فضّلوا في السابقة والهجرة فَمِنْ أَيْنَ وَجِبَ أَنْ يُؤْخَذَ بِمَا رَوَى عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَأَطْرَاحَ مَا رَوَى عَنْهُمْ ؟ وقد استدلُّوا بِمَعْنَى ذَلِكَ بِالْكِتَابِ فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ . وبِالسَّنةِ فِيمَا أَفْتَوْا بِهِ . وَالرَّوَايَةُ ثَابِتَةٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَوْرِيثِ مَنْ لَا فَرَضَ لَهُ فِي الْكِتَابِ مِنَ الْقَرَابَةِ ، فمن ذلك ما ذُكِرَ لَنَا عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ ، عَنْ رَاشِدِ ابْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِي عَامِرٍ الْهُوزَنِيِّ عَنْ الْمَقْدَامِ بْنِ مَعْدَى كَرِبَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « الْخَالُ وَارِثٌ مَنْ لَا وَارِثَ لَهُ ، يَرِثُ مَالَهُ وَيَقْبَلُ عَنْهُ » . وكذلك بلغنا عن شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ لَيْثٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ . وعن ابنِ جُرَيْجٍ عَنْ عُمَرَوِ بْنِ مَسْلَمٍ عَنْ طَاوُسٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ . وَذُكِرَ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ أَبِي عِبَادٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عَتَبَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ عَنْ عَمِّهِ وَاسِعِ بْنِ حَبَّانَ قَالَ :

تَوَفَّى ثَابِتُ بْنُ الدَّحْدَاحِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَاصِمِ بْنِ عَدَى : أَلَهُ فَيْكُمْ نَسَبٌ ؟ قَالَ : لَا . فَدَفَعَ تَرْكَتَهُ إِلَى ابْنِ أُخْتِهِ . فَقَدْ أُوجِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا نَقَلْتَهُ عَنْهُ هَذِهِ الرِّوَايَةُ تَوْرِيثٌ مِنْ لَا سَهْمَ لَهُ مِنَ الْقَرَابَةِ مَعَ عَدَمِ أَصْحَابِ الشُّهُمَانِ الْمَبْنِيَةِ فِي الْكِتَابِ ، وَأَعْطَى الْجِدَّةَ السُّدُسَ مِنَ الْمِيرَاثِ وَلَا فَرَضَ لَهَا ، وَفِي ذَلِكَ الْإِتْفَاقِ وَفِيمَا صَيَّرَ لَهَا مِنَ السُّدُسِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ [مِنْ] لَا سَهْمَ لَهُ - مِنَ الْقَرَابَةِ - فِي مَعْنَاهَا ، إِذَا بَطَلَتِ الشُّهُمُ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا ، وَأَنَّهُ أَوْلَى بِالْمِيرَاثِ مِنَ الْأَجْنَبِيِّ . وَالْمَرْوِيُّ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّهُ جَعَلَ الْقَضْلَ عَنْ سَهَامِ الْقَرَائِضِ وَكُلِّ الْمَالِ - إِذَا سَقَطَتِ السَّهَامُ بَعْدَ أَهْلِهَا - لِلْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَجَعَلَهُمْ كُتْلَهُمْ وَرِثَانًا ، وَجَعَلَ مَا يَصِيرُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ - فِي خِلَافِ مَا لَفِيَ الْمَصْرُوفُ إِلَى الشَّحْنَةِ وَأَرْزَاقِ الْمَقَاتِلَةِ وَإِلَى الْمَصَالِحِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ - يَكُونُ ، فِيمَا رَوَى عَنْهُ ، لِلنَّاسِ كَافَّةً ، وَعَدَّدَهُمْ لَا يُحْصَى ، فَغَيْرُ مُمْكِنٍ أَنْ يُقَسَّمِ ذَلِكَ فِيهِمْ وَهُمْ مُتَفَرِّقُونَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ مُشَارِقِيهَا وَمُغَارِبِيهَا . وَإِذَا اسْتَمَعَ ذَلِكَ وَخَرَجَ إِلَى مَا لَيْسَ يُمْكِنُ فَسَدَ ، وَثَبَّتَ مَا قَلَنَاهُ مِنْ قَوْلِ أَكْبَرِ الْأُئِمَّةِ . وَقَدْ تَأَوَّلَ بَعْضُ الْمُتَأَوِّلِينَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ فَقَالَ فِيهِ : كَانَ النَّاسُ يَتَوَارَثُونَ بِالْحَلِيفِ دُونَ الْقَرَابَةِ ، فَلَمَّا أُوجِبَ اللَّهُ الْمَوَارِيثَ لِأَهْلِهَا مِنَ الْأَقَارِبِ مَنَعَ الْحَلِيفُ بِمَا فَرَضَ مِنَ الشُّهُمَانِ ، فَفَعَلُوا وَصَرَفُوا حُكْمَ الْآيَةِ إِلَى الْخُصُوصِ ، فَذَلِكَ غَيْرُ وَاجِبٍ مَعَ عَدَمِ الدَّلِيلِ ، لِأَنَّهُ تَخَرَّجَهَا فِي السَّمْعِ تَخَرُّجُ الْعُمُومِ . وَبَعْدُ ، فَلَوْ كَانَ تَأْوِيلُهَا مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ ، وَكَانَتِ السَّهَامُ الَّتِي نَسَخَتْ مَا يَرِثُهُ الْحَلِيفُ قَبْلَ نَزُولِ الْقَرَائِضِ ، لَوْجِبَ فِي بَدءِ ، وَمَا قَالُوا ^(١) : إِذَا كَانَ لِوَارِثٍ لَلْمَيِّتِ مِنْ أَصْحَابِ السَّهَامِ أَنْ يَكُونَ الْحَلِيفَانِ فِي التَّوَارِثِ عَلَى أَوَّلِ فَرَضِهِمَا وَعَلَى الْمُقَدَّمِ مِنْ حَكْمِهِمَا ، لِأَنَّهُ الَّذِي مَنَعَهُمَا - إِذَا ثَبَتَ

(١) أَيْ لَوْجِبَ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ وَلَا قَالُوا .

هذا التأويل - مَنْ لَهُ مَهْمٌ دُونَ مَنْ لَا مَهْمَ لَهُ . فإذا ارتفع المانع رَجَعَ الْحُكْمُ إلى بدئه . ولا اختلاف بين الفريقين أن الحليف لا يرث الحليف اليوم ، وإن كان لا وارث سواه ، وهذا يدلُّ على فساد تأويلهم ، وعلى أن المراد في الآية التي أوجبت الْحَقَّ للأقارب غيرُ الذي ذهبوا إليه ، فإن الله سبحانه إنما أراد بمصنافها اختصاصَ القريبِ بالإرث دون البعيد . وقد يلزَمُ مَنْ ذَهَبَ إلى الروايةِ عن زيدٍ وترك الروايةَ عن عمرَ وعليٍّ وعبد الله - عليهم السلام - جانباً ، وأسقطَ التَّعَاوُلَ ^(١) بين الأجنبي والقريب أنْ يَحْتَمَلَ ذَا الرَّحْمِ أَوْلَى ، لأنه ^(٢) يَفْضُلُ الْأَجْنَبِيُّ بِالْقَرَابَةِ . وترتيبُ الوارث في الأصل يَجْرِي على تَقَدُّمِ مَنْ فَضَّلَ غَيْرَهُ في المناسبة كالْأَخِ لِلْأَبِ وَالْأُمِّ ، وَالْأَخِ لِلْأَبِ ، وَابْنِ الْعَمِّ لِلْأَبِ وَابْنِ الْعَمِّ لِلْأُمِّ ، وَأَخَصُّمَا ^(٣) قرابةً أَوْلَاهُمَا بالميراث عند جمع الجميع . قال الله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِي كَرِهَ مِثْلُ حُظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ ^(٤) وَوَلَدُ الْوَلَدِ مِنْ سَفَلٍ مِنْهُمْ مَنْ ارْتَفَعَ يَعْطُهُمْ هَذَا الْإِسْمُ ، إِلَّا أَنَّ الْأَقْرَبَ مِنْهُمْ فِي مَعْنَى الْآيَةِ أَحَقُّ مِنَ الْأَبْعَدِ . فإذا كان ذلك كذلك كان القريبُ أَوْلَى مِنَ الْأَجْنَبِيِّ بِالرَّحْمِ الَّتِي يَقْرُبُ بِهَا دُونَهُ .

وبعدُ ، فإن العلماءَ نَفَرٌ لَا يَعْرِفُونَ الصَّوَابَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا فِيمَا رَوَى عَنْ الْخَلِيفَتَيْنِ عُمَرَ وَعَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَمَا رَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، ثُمَّ لَمْ يَقْتَصِرُوا فِي الْمُبَالَغَةِ وَالِدَلِيلِ فِي تَوْرِيثِ ذِي الرَّحْمِ إِلَّا عَلَى مَا رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعِصَاسِ جَدِّ

(١) التعاؤل : الالتزام بالديات والاعتراك فيها .

(٢) في الأصل : لا يفضل .

(٣) في الأصل : واختصاصهما . وما أثبتناه يعني به وأقربهما قرابة بمعنى أن الأخ الشقيق وهو أقرب قرابة أولى بالميراث من الأخ لأب ويحببه وأن ابن العم الشقيق وهو أقرب أولى بالميراث من ابن العم لأب ويحببه .

(٤) سورة النساء الآية ١١ .

أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - وترجمان القرآن ، وبحر العلم ، ومن كان إذا تكلم سكت الناس ، ومن دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ » . ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم مستجابة ، ومن كان أعلم بتأويل القرآن فاتَّباعه فيه أَوْجَبُ . وقد روى عن ابن عباس مثل ذلك من قول عمر وعلى وعبد الله والجماعة ، وما زالت الخلفاء من أجداد أمير المؤمنين - أعزه الله - يَسْتَقْضُونَ الْحُكْمَ فَيَقْضُونَ بِرَدِّ الْمَوَارِيثِ عَلَى الْأَقْرَابِ ، ولا ينكرون ذلك على من قضى به من قضائهم ، ولا يَرَوْنَهُ مُتَجَاوِزاً لِلْحَقِّ فِيهِ ، وما عُرِفَتِ الْجَمَاعَةُ بِغَيْرِ هَذَا الْأَسْمِ إِلَّا مِنْذَ نَحْوِ عَشْرِينَ سَنَةً . وأمير المؤمنين أَوْلَى مَنْ اتَّبَعَ آثَارَ السَّافِرِ ، واقتدى بخلفاء الله ، ومَالَ إِلَى أَفْضَلِ الْمَذْهَبَيْنِ . وإلى اللَّهِ الرَّغْبَةُ فِي عِصْمَةِ الْأَمِيرِ وَتَسْدِيدِهِ . والحمد لله رب العالمين .

وحدث أبو الخصيب كاتب أحمد بن العباس قال : حدثني حامد قال : دخلتُ إلى عبيد الله بن سليمان وهو وزيرُ المعتضد بالله - رحمه الله - فوجدته خالياً ، وعنده أبو العباس بن القرات ، وعبيدُ الله يُعَاتِبُهُ ، فلم يَحْتَشِئْ لِعَلَمِهِ بِمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فسمعتُه يقول لأبي العباس : ولكنك تَمِيلُ إِلَى فَلَانٍ وَفَلَانٍ ^(١) وابن بسطام . فقال له : أما فلان - أيها الوزير - فمِيلِي إِلَيْهِ لِأَنَّهُ أَسْعَفَنِي فِي وَقْتِ نَكْبَتِي وَعِنْدَ مَصَادِرْقِي بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، ومن عاونتني بماله ، وأشركني في حاله ، فقد استحقَّ مِنِّي أَنْ أُصْفِيَهُ الْوُدَّ وَأُخْلِصَ لَهُ الْعَقْدَ ^(٢) . وأما ابن بسطام فرجل كاتب ^(٣) له على رئاسة ، وحقُّ الرئاسة لَا يُنْسَى وَدَيْنُهَا لَا يُقْضَى .

(١) يبدو أنها زائدة في الكلام إذ لم يرد ذكر لفلات الآخر .

(٢) لعلها أيضاً : العهد .

(٣) لعلها أيضاً : كانت . وهو الأسوب .

وحدث مُحدث قال : قلت لأبي العباس بن الترات يوماً على شُرْبٍ - وقد رأيتَه
يلعب بالخصوم وأرباب الظَّالِمات لعباً ، فتارة بالحَجَج الديوانية وتارة بالحجج
الفقيهية - : يا سيدي هل قطعك أحدٌ في مناظرة ؟ فقال أما بالحجة فلا . بل ^(١) كما برئني
رجل مرةً فخرت في جوابه ، وانقطعت في يده ، وذلك أن محمد بن زكريا المعروف
بوزير الإسكافي كان صنيعاً لي ، فتولَّى الضياع بواسط ، وحضر من تكلم عليه
وبذل موافقته على ما فرقه ، فرسم لي عبيد الله بن سليمان مكاتبته بالحضور ،
فقلت له : هذا - أعز الله الوزير - وقت العِارة ، وإذا أخلَّ العاملُ بها
وقع التصيرُ فيها ، واحتجَّ علينا بأننا قطعناه بالاستدعاء عنها . قال : فأخَّره
إلى أن يفرغ منها . فأخَّره شهوراً ، ثم عاود المتظلمُ منه القول فيما تكلم عليه به ،
وأمرني عبيد الله باستدعائه ، فقلت : هذا وقت التقدير ، وبه يُخصَّر الارتفاع .
قال : فأخَّره . فأخَّره شهرين ، ثم عاود المتظلمُ ، وعاودني عبيد الله . فقلت :
قد شَبَّهت ^(٢) الغلات وما تفسد إلا بالحزْر . فقال المتظلم : كيف تسمعُ نفسُ
أبي العباس بإحضار مَنْ تَعمر ضياعه وأضاف إليها خواصَّ السلطان وأملاكه
ونقل إليها أكرَّة الوزير ؟ ! فضياعه كالعرائس المجلَّوات ، وضياعُ الوزير كضياع
الأرامل ^(٣) والأيتام .

قال أبو العباس : وعمل كلامه والله في عبيد الله . فابتدأتُ أحلف على كذبه
واستحالة قوله ، فنعني وقال : حَسْبُكَ الآن . وكتبَ منشوراً بخطه بإشغاضه ،
وأفدَّ به مُستَحْتاً ، ومُحِلَّ وزيرٍ ^(٤) ، واعتقله وصادره .

(١) في الأصل : بل .

(٢) شَبَّهت : أشكلت ، ومعنى أن الغلات الآن مجموعة دون أن تحصى وإحضار هذا العامل قبل
الإحصاء سيدعو إلى التخمين فيها . وهذا التخمين مفسد لها .

(٣) لعبها أيضاً : وضياع الوزير كالأرامل .

(٤) أي حل محمد بن زكريا المعروف بوزير الإسكافي .

وحدث محدث قال : رأيت أبا العباس بن الفرات يُناظر شيخاً مُرَبَّياً بيادوريا قد احتال في تخفيف مقاسمة بيدره وقال له : في أية سنة قسم هذا البيدر على مادعته في المعاملة ؟ قال : السنة التي ملكت فيها - أيدك الله - البيدر الفلاني والبيدر الفلاني . حتى عدَّ عشرة بيادر في عدَّة طاسيج من خواصَّ السلطان التي استضافها إلى ضياعه . فورد عليه من قوله ما أدهشه وأسكته ، وأمضى مقاسمة بيدره وصرَّفه .

وحدث أبو عبد الله بن الماسح الكاتب قال : حدثني أبو الحسن علي بن عيسى ، وقد جرى ذكر الجهبذة ، وقال : ما أعجب ما جرى في أمرها بنواحي المغرب . وذلك أنها لما صَحَّت في أيام المعتض بالله؛ وكتبت لعبيد الله بن سليمان على الديوان ، أمرني أن أعمل عملاً بارتفاع الموصل والزَّابَات ، فعلته وعرضته عليه ، فاعترضه أبو العباس بن الفرات على رثمه في مثل ذلك وما تقتضيه خلافته لعبيد الله ، وقال لي : ما أرى لِمَالِ الجهبذة في هذا العمل ذِكْراً . فقلت له : هذا ما لا أعرفه في أصل ولا مُضاف ، فإن يكن من مال السلطان فهو بمنزلة ما يؤخذ من الذَّيْلِ ويُرَقَّع به الجنب ، أو يكن من مال الرِّعية فهو ظلم ، وطريقُ الجهابذة إلى أخذ أموال العاملين . وهذه نواحي افتتحت قريبا ، وسبيلها أن يُعامل أهلها بالإنصاف ، وتُخَفَّفَ عنهم المؤن لِيَتَحَلَّوْا سياسةُ السلطان . فقال : هذا باب من أبواب الارتفاع ، ولا يجوز أن يترك ويضاع ^(١) ، فليحقنا من السلطان استبقاء وإنكار . وتقدِّرُ ما يجب في هذه النواحي من ذلك عشرة آلاف دينار ، فما هو إلا أن سمع الوزيرُ ذِكْرَ السلطان وعشرة آلاف دينار تزيد في الارتفاع حتى قال : سبيلُ

(١) في الأصل : ولا يضاع .

هذه النواحي سبيلٌ غيرها من نواحي السواد . فأمسكتُ ، واستمرَّ بلاء الجهمزة على الناس إلى حين انتهينا .

وحدث أبو الحسن بن ماني الكوفي الكاتب قال : حدثني علي بن حسين الجهمز كاتب أبي العباس أحمد بن محمد بن ثوبة قال :

جرت المناظرة يوما بين أبي العباس بن ثوبة وأبي العباس بن القرات في حساب باروسما الأعلى بمحصرة عبيد الله بن سليمان . فأقام ابن ثوبة الشاهد على صِحة ما رفعه ، والبرهان على عامل ابن القرات في تأويله . وأخذ ابن القرات يُبَاهِتُ^(١) في نصرة قوله . فقال ابن ثوبة : كيف أتصفُ منك يا أبا العباس وأنا أناظرك بالحجة ، وأنت تُعارضني بفضل القدرة ، وتزعمُ أن هذا الوزير أسيرٌ في يديك ؟ قال : فنظر عبيدُ الله إلى من حضر وقال : اشهدوا أنني أسيرٌ في يدي كلِّ كافٍ . قال : يقول^(٢) ابن ثوبة : قد علمنا .

قال : وتظلم أهل السارية من أهل بادوريا إلى المعتضد بالله وحَكَّوْا أن أهل سَفِي القرات واطثُوا الْعَمَالَ والمهندسين على ظلمهم وكتبان ما عندهم في أمر أبواب قنطرة دِمْما ، وواقفهم على تضيقها ليتوفر الماء عليهم . فتقدم المعتضد بالله إلى بدر بالخروج مع القاسم بن عبيد الله ومن استنصحه القاسم من أصحاب الدواوين ومشايخ العمال والمهندسين وقضاة الحضرة وطائفة من الشهود وابن حبيب الدَّرَاع ومن يختاره من الدَّرَاع للوقوف على ما وقعت الظلامة منه ، وكشف الصورة فيه . فخرجوا في القوم على جعفر بن ابنا القرات ، ومحمد بن داود بن الجراح وعلي بن عيسى ، وإسماعيل ابن إسحاق وأبو الخازم القاضيان ، وإبراهيم بن عبد الله عامل بادوريا وجماعة من

(١) يباهت : يأتي بالهتان والزور .

(٢) لعلها : فقال ابن ثوبة ، أو : قال : ويقول ابن ثوبة قد علمنا .

تَنَاسُهَا وشيوخها ، ووصلوا إلى الموضع واستَدَعَوْا الدَّهَاقِينَ^(١) بسقى القرات ، واستقرَّ الأمر على أن ذُرِعَ البابُ الكبيرُ بِذِرَاعِ السَّوَادِ ، فكان سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا ، وَذُرِعَتِ الأربَعَةُ الأبوابُ الصَّغَارُ ، فكان كل واحد منها ثمانية أَذْرَعٍ ، وكان مَقَامُ المَاءِ على الصَّبِّ الَّذِي قُيِّمَتْ عليه الأبوابُ فوق الدِّكَّةِ^(٢) أَرْبَعَةَ أَذْرَعٍ ونصفًا في أَيَّامِ الطَّنْكَابِ^(٣) وقلة المَاءِ . وسئل أهل بادوريا عما عندهم ، فأقاموا على أنْ عَرَضَ البابُ الكبيرُ خَمْسَةً وَثَلَاثُونَ ذِرَاعًا ، وَقَارَبُوا أَهْلَ سَقَى القراتِ في الأبوابِ الصَّغَارِ وقالوا : لولا أَن سَعَةَ البابِ ما ذكرنا لما أمكن انحدارُ زورقٍ في البابِ ولا طَوْفٍ^(٤) من أَطْوَافِ الزَّيْتِ والخَشْبِ ، وأنكر أهلُ الأعلى قولَهُمْ ، وطالبوهم بالشاهد عليه ، فلم يأتوا به ، واختلفت الأقوالُ مع الإجماع على أنه فوق العشرين الذراع. فقال أبو الحسن بن القاسم بن عبيد الله : قد كُتِبَ إليها الوزير الاختلاف والتلاحى والأقاويل والدعاوى ، فليأمر بِكُتْبِ ما يقوله كلُّ فريق لِيَتَحَصَّلَ وَيُعْلَمَ ، ولا يَقَعَ عنه رجوعٌ من بَعْدُ . فأمر بذلك ، وأُخِذَتِ الخطوطُ بِهِ . ثم قال ابن القرات : فيسألهم الوزيرُ : هل كانت قراقيرُ^(٥) الرُّمَّانِ وأطوافُ الزيت والخشبِ تنحدر في البابِ أم لا ؟ قالوا : بلى . قال : فليُنْفِذِ الوزيرُ ثِقَّةً من ثِقَاتِهِ مع صاحبٍ للقاضى حتى يَذْرُعَ عَرْضَ قراقيرِ الرُّمَّانِ التى تَرِدُ دجلة من هذا الباب . فذُرِعَتْ عَشْرَةُ قَرَاقِيرَ ، فكانت سَعَتُهَا ما بين عشرين ذِرَاعًا . وَكُتِبَ بذلك إلى المعتضد بالله ، وأقام القوم بمكانهم إلى أن ورد أمره بأن يُجْعَلَ البابُ الكبيرُ

(١) الدهاقين : الرؤساء ، وأيضاً البحارة ، جمع دهمقان .

(٢) لعله يراد بها القاعدة .

(٣) الطنكاب : ضحولة المَاءِ وقلة غوره ويعنى به أيام عدم الفيضان .

(٤) الطوف : ما يقوم على وجه المَاءِ وقد تشد أخشاب أو قرب قنمبر كهيئة سطح ويركب عليه فوق المَاءِ أو تحمل عليه الأثقال .

(٥) القراقير : أنواع من السفن .

بالذراع السوداء اثنين وعشرين ذراعاً ، والأبوابُ الصغارُ على رُسمِها .

وحدث محمد قال : كان أبو الحسن بن القرات يَسْتَظْهِرُ ^(١) في نفقات المصالح ، ويستكثر من إعداد الآلات على الأماكن التي تُخَافُ الحوادثُ منها ، فلما ولى على ابن عيسى العباس بن منصور على المصالح أظهر العِفَّةَ وَقَلَّ النفقة ، ونسب ابن القرات فيما كان يفعله إلى التفريط والإضاعة . وَقُدِّرَ للنفقة على بَزْدٍ من بَزْدَاتِ نهر الرُّفَيْلِ ثلاثون ديناراً ، فلم يُطْلَقْها ، وقال : نفقة هذا البَزْدِ واجبة على صاحب الضيعة لأنها قطيعة . فَأَحْدَثَ فِعله انْفجارُ البَثْقِ ^(٢) المعروف بأبي الأسود في نهر الملك ، فخرج إليه إبراهيم بن عيسى وأتفق عليه سبعمائة ألف درهم ، وذهب من ارتفاع السلطان بهر سير والرومقان وإغار يقطين أضاف ذلك ، وكثرت البثوق والجبايات في نفقاتها والمضرة بحوادثها .

وحدث أبو بكر بن ثوابة قال : سمعت أبا الحسن بن القرات يقول : حدثني أبو العباس أخى قال : قال لى عبيد الله بن سليمان : قد أُلْحَ على أمير المؤمنين بأن أجعل بالجانب الغربي بإزاء داره ميّداً أنا يكون تكسيه ^(٣) مائتي جريب . فقلت : أعوذ بالله أيها الوزير من ذلك . قال : فإني لا أجتري على مخالفتي ومراجعتي . قال له أبو العباس : فإذا عاودك فاذكرني له لأعرفه ما في ذلك عليه . فعاود للعتضد بالله عبيد الله بن سليمان وصحّجَ عليه من تأخير ما أمره به . فقال : يا أمير المؤمنين ، بالباب أحمد بن محمد بن القرات ، فإذا شرفه أمير المؤمنين بالوصول إلى حضرته ذكر ما عنده في ذلك . فَأَذِنَ له ، فحضر وسلم وخدم ، فقال له للعتضد بالله : ما عندك ؟ فقال : طساسيج السواد يا أمير المؤمنين أربعة وعشرون

(٢) البثق : موضع الكسر من البطح .

(١) يستظهر : يمتط .

(٣) تكسيه : مساحته .

طُسُوجاً، أَجْلُهَا طُسُوجٌ بِادُورِيا وَهُوَ اثْنَا عَشَرَ رُشْتاقاً، أَجْلُهَا رُشْتاقُ الْكَرْمِخِ وَهُوَ اثْنَا عَشَرَ قَرْيَةً، وَأَجْلُهَا مَا عَلَى دِجَلَةٍ، وَكُلُّ جَرِيبٍ مِنْهُ يَسَاوِي أَلْفَ دِينَارٍ، وَفِيهِ أَلْفُ دَرَاهِمٍ، أَقْبَرَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِضَاعَةُ مَائَتِي أَلْفِ دِينَارٍ يَشِيعُ خَيْرُهَا فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، فَاطْلُبُوا لَنَا مَوْضِعاً آخَرَ. قَالَ: يَكُونُ مَا بَيْنَ الْحَلْبَةِ وَالرَّحْبَةِ. فَتَقَدَّمَ بِالْعَمَلِ عَلَى ذَلِكَ.

قال أبو بكر: وسمعت أبا الحسن بن الفرات يقول: أصلُ العارة وزيادة الارتفاع حِفْظُ البذور، وإن يَتِمَّ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعَدْلِ.

ويقول: الضَّمانُ يذهب بالارتفاع كما يذهب السَّكنُ بالعقار.

وسمعتَه يقول: سبيلُ العامل أن يُؤدَّبَ على الزيادة في المساحة كما يُؤدَّبَ على الاقتطاع منها.

قال: ووقع يوماً بحضرتي إلى بعضِ العال - وقد رَفَعَ إِلَيْهِ صاحبُ الخَبَرِ - أَنَّهُ صَفَعَ وَاحِداً مِنَ التَّنَاءِ لَتَقَاعِدِهِ بِأَدَاءِ الْخَرَاجِ: فِي الْحَبْسِ لِلتَّنَاءِ مَأْدَبَةٌ، فَلَا تَعَامَلُ بَعْدَهَا أَحَدًا بِهَذِهِ الْمَعَامَلَةِ فَأُمَكِّنْهُ مِنَ الْاِقْتِصَاصِ مِنْكَ.

قال: وسمعتَه يقول: أَحْسَنْتُ إِلَى بَعْضِ الْأَكْرَةِ وَالْمِزَارَعِينَ فِي نَاحِيَةِ كَحْلَةٍ مِنْ طُسُوجِ الْأَنْبَارِ بِنَحْوِ مِائَةِ دَرَاهِمٍ، فَأَخْلَفَ عَلَيْنَا ذَلِكَ عَشْرَةُ آلَافِ دِينَارٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ صَارَ الرَّجُلُ الْمُسَامَحُ إِلَى بَعْضِ الْبُلْدَانِ فَذَكَرَ أَنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيْهِ فِي مَعَامَلَتِهِ بِمِائَةِ دَرَاهِمٍ، فَرَغِبَ أَهْلُ الْبَلَدِ فِي الْاِنتِقَالِ إِلَى قَرْيِ كَحْلَةٍ، فَانْتَقَلُوا وَعَمَرُوا، وَارْتَفَعَتْ فِي تِلْكَ السَّنَةِ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ، وَوَكَّلْنَا فِيهَا مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ.

قال أبو بكر: كتبت إلى أبي الحسن بن الفرات أسأله أن يرُدَّ إِلَيَّ شَيْئاً أَتَوَلَّاهُ وَأَجَلَ جَارِيَهُ لِأَبِي عَلِيٍّ. فَوَقَّعَ لِي بِخَطِّهِ: وَصَلَتْ رَقْعَتُكَ - جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ -

والأعمال كثيرة ، غير أنك تكره القضاء ، والعمالة فلا تدخل فيها ، والحسبة فلا تصلح لك ، والمظالم فتجزي تجزي الحكم والذي يصلح لك أن تعقد عليك الغلات في عدة طاسيج تختارها من السواد ، فإن أردت جميع غلات السواد كان ذلك لك مبدولاً ، فاعمل على ذلك فإنه أصلح لك وأعود عليك إن شاء الله .

وذكر أنه كان بمدينة السلام رجل من أهل الأهواز يتحلى بالقضاء ، وكانت له حال واسعة ونعمة ظاهرة ، وعادته جارية بالحيلة على الناس وأخذ أموالهم بالتمويهات والتزويرات . فصار إليه رجل من أهل إسكاف بنى الجند وسأله أن يسعى له في تقليده ناحية أسماها . فتركه أياماً ، ثم دفع إليه كتاباً بتقليدها ، وأعلمه موافقة الوزير أبا الحسن على بن الفرات على تقديمه خمسين ألف درهم . فأخذ الرجل الكتاب ، وأقرض^(١) من بعض التجار المال وسلمه إليه ليحمله إلى الوزير ، وواعده إلى البكور إليه في غد ذلك اليوم للقاء الوزير ووداعه ، وفارقه . وغدا إليه على وعده فلم يره ، وخاف أن ينتهي إلى الوزير خبره بالحضرة فينكره ، فدخل إليه وتقدم فقبل يده واستأمره في الخروج . فقال له الوزير : إلى أين ؟ قال : إلى حيث قلتني . قال : ما قلتك شيئاً . فأخرج الكتب وعرضها عليه ، فلما قرأها الوزير عجب منها ، وسأل عن تنجزها له . فأسمى القاضي وأعلمه أنه أخذ منه خمسين ألف درهم باسمه ، فأمر بطلبه فطلب فقيل إنه هرب . فقال الوزير . الحيلة على تمت . ووقع في الكتب وأمضاها وكتب له بالعوض عن المال وأمره بالنفوذ .

وحدث أبو الحسن على بن جعفر الهذاني الكاتب قال :

لما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة حضره من عمال على بن عيسى العباس

(١) أقرض من بعض التجار : أخذ منهم قرضاً .

ابن موسى بن اللثني ، وابن أمينة ، وأحمد بن محمد بن سمعون وكان يخلف أبا ياسر على أعمال الأنبار ، وأمر بأن يخرج إليه تقدير الغلات من النواحي التي كانوا يتقلدونها ، وأخرج .

ونظر في تقديرات ابن اللثني ، وكان يتولى كوثى ونهر درقيط ، فوجده يعجز نحو ستة آلاف كثر بالفالج ، وقال له : من أنت ؟ فقال . العباس بن موسى ابن اللثني من أهل همنيا . فقال ابن الفرات : كان اللثني بندارا ^(١) ويحلف على الكذب أكثر مما يحلف ^(٢) على الصدق وقد خلقت نصف لحيته على اقتطاع اقتطعه .

ونظر في تقدير أبي ياسر فوجده يعجز اثني عشر ألف كثر ، وقال لابن سمعون : من أين أنت ؟ قال : من أهل جرّجرايا . فقال . لم أعرف بجرجرايا هذا الاسم ، ولكنك من قرية البرت ، وكان أبوك هرك ^(٣) فلان . ونظر في تقدير ابن أمينة فوجده يعجز ثمانية آلاف كثر . فقال : يا أبا الحسن على بن عيسى ، شغلت نفسك بأخلاق المملكة والنظر في علوفة البط ، والخطيطة من أرزاق الناس وما تجرى هذا الجرى من الصغائر المستهجنات ، لعمارة بيدر واحد أصالح للسلطان وأعوذ عليه من توفيرك ما تقرّب به إليه .

ثم تقدّم بحاسبة الجماعة .

(١) البندار : الناجر

(٢) في الاصل وتغلف مما تحلف

(٣) هرك : أبله ساذج وهي كلمة فارسية .

محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان

أبو علي محمد بن عبد الله بن يحيى بن خاقان ^(١)

كان أبو علي أكبر ولد أبيه ، وتقلد بعد وفاته ديوان زمام الخراج والصّياح السلطانية في وزارة الحسن بن مخلد ^(٢) . فلما صُرف الحسن وتقلد سليمان بن وهب ^(٣) قلده نفقات أبنية المعتمد على الله بالمعشوق في الجانب الغربي الذي من سر من رأى ، ثم صرفه المعتمد فلأزم بيته إلى أن تقلد أبو القاسم عبيد الله بن سليمان فرد إليه البريد يَكُورَتِي ما سبذان ومهرجا نقدف . وكان أبو القاسم عبدُ الله ابنه صَحْبَ أبا القاسم عبيد الله بن سليمان عند حصوله بالجبل مع بدر المتضدى فضمه إلى أبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، وأبو عبد الله يتقلد ديوان الإشراف ، فَرَدَّ إليه الإنشاء فيه ، ووُلِّي أبو عبد الله محمد بن داود ديوان الجيش فنقله إليه ، وأقام أبو عليّ على البريد وعبدُ الله ابنه في ديوان الجيش إلى أن تغيرت الأمور في فتنة عبد الله بن المعتز ، وتقلد أبو الحسن ابن الفرات ، فخافه أبو عليّ لشيء أنكره منه ، واستتر عنه ، وأقام على الاستتار والسعي على ابن الفرات ، إلى أن قبض على ابن الفرات وتقررت الوزارة لأبي عليّ ، وأُنفذ إليه من دار السلطان ، وظهر وحضر معه ابنه عبدُ الله وعبدُ الواحد وذلك في اليوم الرابع من ذي الحجة الذي وقّع القبض فيه على ابن الفرات ، ووصل إلى حضرة المقتدر بالله فقدّمه وأكرمه وقلده وزارته وتدير أموره ، وانصرف وعاد من غَدٍ وخلع عليه وُجِّل على فرس بمركب ذهب ، وركب معه الحجاب والغلمان والقواد ، وأقطعه المقتدر بالله ما في

(١) انظر تجارب الامم ١٢٧/٥ وصلة عريب ٢٠ والقوى ٢٣٥ وابن الأثير حوادث ٢٩٩

(٢) كانت وزارته في سنة ٢٦٤ للمعتمد .

(٣) كانت وزارته في سنة ٢٦٤ للمعتمد أيضاً .

يد ابن الفرات من الضياع العباسية ، وأجرى له خمة آلاف دينار في كل شهر على رَسْم ابن ^(١) الفرات ، ولعبد الله ألف دينار ولعبد الواحد خَمْسَمِائَةَ دينار ، ووهب له دار صاعد بن مخلد على دجلة ، وأعطى ورثته شيئاً عنها ، وأشهد عليهم بها وعمرها ونزلها . وَقَدْ أَبَا القاسم عبد الله ابنه العَرَضَ على المقتدر بالله وكتابة الأمراء ، وخلع على عبد الواحد أخيه وَعَوَّلَ على أبي الحسن بن أبي البغل في مناظرة ابن الفرات . ومطالبتَه فاستخرج منه صدرا كبيراً . ثم ورد أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوابة من الموصل ، فولَّاه ذلك ، فجَدَّ أبو الهيثم بأبي الحسن بن الفرات وكتابه وأسبابه وعَسَقَهُمْ ، وزاد في الاستقصاء عليهم ، وإيقاع المكروه بهم حتى حصل منه ومنهم الجملَة التي ذكرناها في أخبار ابن الفرات . وتقدَّم أبو الهيثم عند الوزير أبي علي بهذا الفعل ، فقلبه ديوان الدار الكبير ، وبسط يده حتى أمر ونهى ، وعزل وولى ، وغلب على أكثر الأعمال . وكانت فيه سَطُوةٌ وخُسُونَةٌ جانب ، فاستجاز الجَرْفُ ^(٢) واستعمل العسف ، وقَسَطَ على أصحاب الدواوين والقضاة وأسباب السلطان مالا على وَجْهِ القرض الذي يُسَبَّبُ لهم عوضه على النواحي ، وصادر قوما من الكتاب منهم الماحريون ، فلم تقع هذه الأسباب موقفاً فيما تدعو إليه الحاجة ، ولا أثَّرت إلا القباحة والشناعة . وَحَوَّلَ من بيت مال الخاصة إلى بيت مال العامة ألف ألفِ وستَمِائَةِ ألفِ دينارٍ في مُدَّةٍ نَظَرَ أبي علي الخاقاني على سبيل القرض ، ولم يؤدَّ من عوض ذلك سوى أربعين ألفَ دينار . وكان في أبي علي إهمال للأُمُورِ وأطراح للأعمال وتَلَوُّنٌ في الأفعال ، فكانت الكتبُ تَرِدُ عليه وتصدر جواباتها عنه من غير أن يَقِفَ عليها أو يَأْمُرَ بشيء فيها ، وإذا أُخْرِجَتْ إليه جوابُها تركها أياماً فلم

(١) أي كما كان يأخذ ابن الفرات من القرض له وهو وزير .

(٢) الجرف : التخمين .

يطالعها ، وربما وزدت رسائلُ بحمول ، وكتبُ فيها سقَاتِجُ بِمال فنبقُ أَياماً لا تُنْقَضُ ،
 وإذا قُلْدَ عَمِلَ أَتَبَعَ بِن يَعْزِلْهُ قَبْل وصوله إلى عمله وأَتَبَعَ الصَّارِفُ بِن
 يصرفه . فقيل إنه اجتمع في خان بِحُلُوان سبعةُ أنفس ، وقد قُلْدَ كُلُّ واحد منهم
 ماء الكوفة في عشرين يوماً . وبالموصل خمسةٌ قد قُلْدُوا قردى ويزيدى ، وأنهم
 اجتمعوا وتشاركوا ما دُفِعوا إليه ، وخرج عن أيديهم من نفقاتهم وما بذلوه عن
 تقليدهم على أن يَنَالُوا من مالِ العمل ما قدَّموه وأنفقوه ، واستظهروا لنفوسهم به
 وخَلَّوْا العَمَلَ على آخر من وَرَدِ الناحية . وكان إذا سئل حاجة دَقَّ صدره بيده
 وقال : نعم وكرامة ، حتى أَلْقَبَ دَقَّ صدره بذلك ، وبسط يده وأيدى أولاده وكتبابه
 بالتوقيعات بالصلّات والإطلاقات ، والإقطاعات والتسويغات وتخفيف الطسوق
 والعمالات ، وأَخَذَ الرَّافِقُ على إضاعة الحقوق وإسقاط الرسوم ، فَسَخَّفَتِ الوزارةُ
 وَأَخْلَقَتِ الهيبةُ ، وزادت الحال ، في إخلال الأعمال ، ووقوف الأموال ، وقصور
 المواد ، وتضاعف الاستحقاقات ، واشتداد المطالبات ، وشغب الجند شغباً بعد شغبٍ
 وتَسَحَّبُوا ^(١) على السلطان تَسَحُّباً بعد تَسَحُّبٍ ، وأخرج إليهم من بيت مال الخاصة
 الشيء بعد الشيء الذى بلغ تلك الجلّة المذكورة . حتى إذا انحَلَّ النظامُ وبان
 الانتشار ^(٢) وتصورَ المقتدرُ بالله الصورةَ فيما تطرَّق من الوهن على المملكة ، شاور
 مؤنسا الخادم فيمن يُقلده الوزارة . وجاراه ذِكْرُ ابن القرات ، وَرَدَّهُ فقال : لم يَطُلْ
 يا أمير المؤمنين العهدُ بعزله ، وَرُبَّمَا ظَنَّ الناسُ وأصحابُ الأطراف أن عزله كان طمعاً
 في ماله . وأصحابُ الدواوين الذين دَبَّرُوا الأمور والأعمال منذ أيام المعتضد بالله هم
 ابنا القرات ومحمد بن داود بن الجراح ومحمد بن عبدون وعلي بن عيسى بن داود بن

(١) تسحبوا : أدلوا وأفرطوا عليه واجترأوا .

(٢) الانتشار هنا : التفرق .

الجراح ، فأما ابنا القرات فقد توفى منها أبو العباس وتقلد الآخر الوزارة وجُربَ
نَظَرُهُ وَأَثَرُهُ . وأما محمد بن عبدون ومحمد بن داود فقد مضيا عَقِبَ فتنه ابن المعتز ،
ولم يَبْقَ من الجماعة من هُوَ أَسَدٌ تَصَرُّفًا ، وَأَشَدُّ تَعَفُّفًا وأظهرُ كَفَايَةً ، وأكثرُ
أمانة ، من علي بن عيسى . فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يأمرَ باستخدامه واستخدامه ،
لم يَعدْ إِمْحَادَ الرَّأْيِ في بابه .

فأمره بإفْخَافِ يَلْبِقَ لإحضاره ، وَوَقِفَ الخِلافِيَّ على أمره ورُسِمَ له استدعاؤه
واستخلافه على الدواوين . فكتب إلى عَج بن عَاج بإفخافه ، ووجهَ مُؤَنَسَ يَلْبِقَ
حَاجِبَهُ ليلقاه ، وتدافع الأمرُ إلى أن وصل يَلْبِقُ إلى مكة ، وشهد الموسم مع
أبي الحسن علي بن عيسى ، وقضيا حَجَّهُما وأقبلا . وعند أبي علي أنه يَقدِّمُ على
القاعدة التي تَقَرَّرَتْ معه في استخلافه على الدواوين ، ولم يكن ذلك كذلك ،
وإنما أريد لِيُقَامَ مقامه ، حتى إذا انكشف له باطنُ السُرِّ في بابه ، تَوَصَّلَ إلى
إصلاح خواصِّ المقتدر بالله وبطائته ، ونَقَضَ مَادِبِرَ في أمر علي بن عيسى وتسليمه
إليه ، وَرَتَّبَ على ماظَنَّ أنه أَخَذَ بالوثيقة فيه . وورد أبو الحسن علي بن عيسى
إبن داود في سُحْرَةِ اليوم العاشر من الحرم سنة إحدى وثلاثمائة ، ووصل إلى حضرة
المقتدر بالله وقت صلاة الصبح . وبكر أبو علي الخِلافِيَّ ومعه ابنه إلى الدار على
رسمه ، وهو واثق بأن أبا الحسن علي بن عيسى يُسَلِّمُ إليه ، وجلس في المجلس الذي
جرت عادته بالجلوس فيه إلى أن يُؤَدِّنَ له في الوصول . وَقُلِّدَ أبو الحسن الوزارة
وانصرف إلى داره ، وَوُكِّلَ ^(١) بآبي علي وابنيه وابنِ سعد حَاجِبِهِ وأبي الهيثم بن ثوبان
وجماة من كُتَّابِهِ ، فكانت مُدَّةُ نَظَرِهِ سنة واحدة وشهراً وخمسة أيام .

وَحُكِيَ أن السببَ في تقليد الخِلافِيَّ الوزارة أن دستنويه أم ولد المعتضد بالله

قامت بأمره مع المقتدر بالله ، لأنه بذل لها مائة ألف دينار . وبلغ أبا الحسن ابن الفرات ما هو ساع فيه فهم أن يقبض عليه ، فاستروجد ابن الفرات في طلبه ، فنبه على أمره ، وظن أن نقوره منه أفضل فيه عنده ، وأشير عليه بأن يؤمنه ويؤليه بعض الدواوين ليزول الخوض في بابه ويختلط بكتابه ، فلم يفعل . فكان أبو علي ينمّس على ^(١) الخدم بالصلاة وإظهار التسنن ، فإذا وافاه خادم برقعة أو رسالة تركه زماناً طويلاً إلى أن تتمّ صلاته ، وكان يطيلها ثم يتبعها بالتسبيح ، فيصفونه بالديانة ، ويميلون إليه بهذه الوسيلة .

أخبار أبي علي المتنورة

حدث أبو الحسن علي بن هشام قال : حدثني أبو عبد الله الحسن بن علي الباقطاني ، وأبو الفضل بنان بن بنان وعلي بن عيسى الزندائي النصرانيان قالوا :

حدثنا أبو علي محمد بن عبيد الله الخاقاني قال : لما ت مدت الأيام بما وعدنيه المقتدر بالله من القبض على أبي الحسن بن الفرات وتقليدي الوزارة استعظم الحال في نكته وأشفق من حادث يحدث بذاك في دولته ، وعلمت أنه لا ينفع في ذلك إلا إعمال الحيلة . وكنت أتبع الأخبار في استتاري لفاءتي في بعض الأيام امرأة من مجازنا وقالت : رأيت الساعة عمارية ^(٢) على بقال ، وجنداً وغلماً يمشون إلى باب الكناس يريدون الكوفة ، وربما كان ذاك لخارجي خرج وفتني حدث . فكتبت إلى أبي عيسى يحيى بن إبراهيم المالكي أسأله عن هذا الأمر ، وكان ظاهراً متصرفاً ، فأجابني بأن ملاحاة ^(٣) جرت بين هشام بن عبد الله وعبد الله بن جبير

(١) نمس عليه الأمر تنمياً : لبسه عليه لبساً .

(٢) العمارة : شبه الهودج .

(٣) الملاحاة : المنازعة .

كَاتِبِي ابْنِ الْفَرَاتِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ لِلْأَضَاحِيِّ فِي عِيدِ النَّحْرِ ،
وَرَسُومِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْحَوَاشِي .

قال أبو الحسن : وكان الرسم جارياً بأن يفرق على القواد والفرسان والعلمان
الحجرية والرجالة والخدم والبوابين والفراشين وأصحاب الرسائل والفرانقيين ووجوه
الكتاب وأصاغهم وخزّان الدواوين في كل عيد . من شاة إلى عِدَّةِ بُعْرَانِ^(١) ، وتُنَحَّرُ
فِي الْمَصَلَّى سَبْعُونَ نَاقَةً وَيُلْتَزَمُ عَلَى ذَلِكَ مَالٌ جَلِيلٌ ، فَاسْقَطَهُ عَلَى بَنِ عَيْسَى فِي وَزَارَةِ
حَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَاسْتِيلَانَهُ عَلَى الْأُمُورِ . قَالَ الْمَالِكِيُّ : فَأَشَارَ ابْنُ جُبَيْرٍ عَلَى ابْنِ الْفَرَاتِ
بِمُغَايَظَةِ لَابِنِ الدَّرْدِيِّ الَّذِي ضَمَّنَهُ إِقَامَةَ الْأَضَاحِيِّ ، وَإِظْهَاراً لِتَوَقُّرٍ فِيهَا أَنْ يُقْلَدَ
ذَلِكَ رَجُلًا أَسْمَاءً ، وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ الْكُتَّابِ مَتَخَلِّفًا مُتَزَقًا^(٢) فَقَلَّدَهُ ، وَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ
إِلَى الْكُوفَةِ لِتَحْصِيلِ مَا يَرَادُ مِنْ هَذِهِ الْأَضَاحِيِّ فِي فُسْحَةٍ مِنَ الْوَقْتِ ، قَالَ الْخَلْقَانِيُّ :
فَتَجَلَّفَ الرَّجُلُ وَخَرَجَ بِهَذَا الزَّيِّ وَالصَّنْفِ^(٣) وَتَرَكَ الْعِمَارِيَّةَ فَارِغَةً لِيَبْعُدَ عَنِ الْبَلَدِ
ثُمَّ يَرْكَبُهَا وَرِكَبَ الدَّوَابَّ فَتَأْتَتْ لِي الْحِيلَةُ فِي الْحَالِ ، وَكَتَبْتُ رُقْعَةً إِلَى أُمِّ مُوسَى
الْقَهْرْمَانَةِ أَقُولُ فِيهَا قَدْ أَحْضَرَ ابْنُ الْفَرَاتِ رَجُلًا عُلُوِيًّا قَرِيبَ النَّسَبِ مِنْ صَاحِبِ
الْخَلَالِ الَّذِي قَتَلَهُ الْمَكْتَنِيُّ بِاللَّهِ ، وَعَزَمَ عَلَى إِجْلَاسِهِ فِي الْخِلَافَةِ يَوْمَ عِيدِ النَّحْرِ ، وَالْجُنْدُ
وَالنَّاسُ مُتَشَاغِلُونَ بِصَلَاةِ الْعِيدِ ، وَإِنْ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ إِنْغَاذُهُ عَامِلًا مِنْ ثِقَاتِهِ
إِلَى الْكُوفَةِ وَمَعَهُ عِمَارِيَّةٌ خَرَجَتْ فَارِغَةً ظَاهِرًا ، لَمْ يَخْفَ خَبَرُهَا لِرُكُوبِ الْعُلُوِيِّ
فِيهَا مُتَخَفِيًا لِيَحْصَلَ بِالْقُرْبِ مِنْ بَغْدَادَ قَبْلَ الْوَقْتِ الَّذِي يَفْعَلُ فِيهِ مَا يَفْعَلُ . قَالَ :

(١) البُرَانُ : جَمْعُ بَعِيرٍ وَهُوَ الْجَلَبُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ مُتَزَقًا . وَالْمُتَزَقُ مَنْ أَتَرَكَ الرَّجُلَ سَفَهُ بَعْدَ حِلْمٍ .

(٣) الصَّنْفُ مَا يَلْبَسُ تَحْتَ الدَّرْعِ .

وعظمت القصة وقلت . إن لم يُعالج ابنُ الفرات تَمَّت الحيلةُ الموضوعة . ثم سألته مطالعة الخليفة والسيدة بذلك ، وكتابه عن كلِّ أحدٍ بعدها ثلاثين^(١) الحديث إلى ابن الفرات فيبطلُ مارتبته . ففعلت أمُّ موسى ، وأنفذَ المقتدر بالله شقيقاً خادماً السيدة إلى القصر على وجه التصيّد^(٢) حتى عرف خبر العارية الفارغة ، ورأى زياً العامل الذي هو أكثر من عمله . فلم يشكَّ المقتدر بالله في صحّة ماذكرته ، واستظهر^(٣) بأن شافه مؤنساً وغريباً الحال بذلك ، وكانا عدوّي ابن الفرات ومعي في التدبير عليه ، فقالا : هو خبرٌ مُستفيض . وقويّاه في نفسه ، وقالاه : إن لم تعالجه امتنع من حضور الدار ، واعتصم بمن يساعده من الجيش على كثرتهم .

فقبض عليه في يوم الأربعاء الثالث من ذى الحجة من سنة تسع وتسعين ومائتين .

قال أبو الحسن بن هشام : لحدثني أبو عبد الله بن عبد الأعلى الإسكافي كاتبُ نصرٍ القشوريّ الحاجب قال : كنت بحضرة صاحبي في يوم القبض على ابن الفرات ، فرأيتُه قد خاف خوفاً شديداً ، فقلت : ما الخبر أيها الأستاذ ؟ قال : ويحك ، جاءني السبّاعة خادم من أعمول عليه في مراعاة أخبار الخليفة ، فعرفني أنّه شاهده وقد جمع جماعة من خواصّ خدمه ، وأقامهم حواله بالسلاح ، وأسبل الستور والستائر في الدار التي هو وهم فيها ، وهذا الأمر كبير ما أعلم ما هو . فما مضت ساعة حتى وافى أبو الحسن بنُ الفرات ، وخرج نصرُ الحاجب فلقاه على رُشمه ، ودخل إلى دار الوزارة المرسومة به ، وأنفذ نصرُ يستأذن في وصوله . فخرجت رسالة الخليفة : بأنّي

(١) الصيد هنا : اقتناص الأخبار .

(٢) استظهر : استعان وقوى أمره .

في دار خَلْوَةٍ ، فَقُلَّ له يدخل وحده مع بعض الخدم ، ولا يصحبه منكم أحدٌ ،
واحبس^(١) أنت القوادَ واضِرِّفهم ، فليس هو يومَ وصول .

فدخل ابن الفرات مع الخدم ، وقبض عليه نذيرُ الحرمي وخدمُ السيدة في
طريقه ، وَعَدَلُوا به إلى حيث حبسوه فيه ، وعرف نصرُ الحاجب الحال فأشفق
من القبض عليه أَوْصَرَفِهِ ، ولم يزل مُرَوَّعاً إلى أن نَصَرَمَ النهارُ . فعلمت أن
أولئك الخدم أقيموا لخوف المقتدر بالله أَلَّا يَتِمَّ له القبضُ عليه ، وأن الجيش رُبَّمَا
هجموا فمنعوا منه .

قال أبو الحسن : وكان الرسم إذا دخل الوزير على الخليفة وَحَدَمَهُ أَلَّا يُقْبَضَ
عليه في ذلك اليوم ، لا في داره ولا مُنْصَرَفاً عن حضرته ، إِيْجَاباً لِحَقِّ الوصول
وَحُرْمَتِهِ ، وإنما يُقْبَضُ عليه في بعض المرات عند^(٢) دخوله من قبل أن تقع عينه
عليه . وكان أيضاً من الرسم أن يكون للوزير دارٌ مُفْرَدَةٌ في دار الخلافة يجلس فيها
وينظر ، مُنْذَ أيام صاعدي وإلى أيام الخاقاني الأكبر ، ويجلس الخواصُّ والخواشي
بين يديه . فلما ولي الخاقاني صارفاً لابن الفرات جالس في دار الحاجب متقرباً إليه
وَمُدَارِياً له ، وفعل عليُّ بنُ عيسى بعده مثلَ فعله . فلما عاد أبو الحسن بن الفرات
إلى الوزارة عاد إلى الدار الأولى المفردة ، وَشَقَّ ذاك على الحاشية ، وتقلد حامدٌ مجلس
في دار الحُجْبَةِ ، ورجع ابنُ الفرات في الدفعة الثالثة فرجع إلى الدار القديمة ، ثم بَطَلَ
الجلوسُ فيها بعده .

وحدث أبو عيسى أخو أبي صخرة قال : كان أبو عليٍّ الخاقاني يَتِمَّنِي بِمَوْدَةِ أَبِي
الحسين بن أبي البغل . فلما استُدْعِيَ وَقُرُبَ من بغداد خرجتُ إليه وتلقيته ، وثقل

(١) في الأصل واجلس . وحبسهم : منهم من الدخول .

(٢) في الأصل : عن .

ذلك على أبي عليٍّ ، وأرجف الناسُ به ، وبأنه أقيم بُلَّةً إلى أن يرد أبو الحسن .
 وكان أبو الحسن أخو أبي الحسين قد تقلد مناظرة أبي الحسن بن القرات وأسبابه في
 دار السلطان ، وإثارة ودائعهم ، بعناية أم موسى وقيامها بأمره ، سعت أم موسى
 وابن الحواري في تقليد أبي الحسين ابن أبي البغل . وقد كان ظهر من اختلال نظر
 الخاقانيَّ وسوء تديبره ووقوف الأمر على يده ما دعا إلى صَرَفه قبل تَطَاوُلِ المدة .
 وعرف الخاقانيُّ ما يجرى الخوض فيه ، فتوصل إلى فسْخِه بحيلة عملها ، وذلك أنه قال
 لأبي القاسم ابنه : ادْعُ دعوةً أجمع فيها أصحاب الدواوين ووجوه القواد وإخوانك
 وكتابتنا ، فإن لذة الوزارة في ظهور الرئاسة ، وإلا فما الفرق بين العمل والعطلة ؟ فقال :
 السمع والطاعة . وعيَّن له في ذلك على يوم سبت ^(١) لأنه لا موكب فيه ، ودعا الجماعة
 فلما حصلوا عند أبي القاسم ابنه - وقد كتم رأيه فيما هو مُدْبِرُهُ عنه وعن كل أحد -
 مضى وقت العصر من ذلك اليوم إلى دار الخلافة وقال لنصر الحاجب : استأذني لي
 على أمير المؤمنين لأجاريه مُهِمًّا لا يَحْتَمِلُ تَأَخُّرَ وقوفه عليه ، فذكر نصر ذلك
 للمقتدر بالله ، فقلق وخاف من حدوث حادث عظيم ، فأوصله . فلما دخل إليه ودنا
 منه قال : ها هنا مُهِمٌّ لا يجوز أن يحضره أحدٌ ، فانصرف نصر الحاجب وسائر من
 في المجلس حتى بقيا خاليين ، ثم قال له الخاقانيُّ : قد رفعتني يا أمير المؤمنين بعد ذلة
 وأغيتني بعد قلة ، وما قصَّرتُ في خدمتك ، ولا قعدت عن مُمكنٍ في تَمْشِيَةِ أمور
 دولتك ، وفيما بان من اجتهادي أخذت من أموال ابن القرات ما مبلغه ألف ألف
 دينار وكسرت سوى الأمتعة الجليلة . وما أدفع أني لستُ كهُوَ في ^(٢) الكفاية لطول
 عطلي ودُرْبَتِهِ ، واعتزالي وتصرُّفه ، ولكنني مأمون على أيامك ، ومُعْتَمِدٌ لإماتك

(١) أي على أن يكون يوم سبت .

(٢) أي أني لا أني أني لست مثله في الكفاية وذلك لطول عطلي .

وهؤلاء الراضية كلهم أعداؤك ، ورأيهم مع الطالبين لامعك ولا مع آبائك . وقد وَفَّرَ الله عليك من ارتفاع ضياع ابن الفرات ما قدره ألفُ دينار في السنة ، وليس يبلغ أثرُ تقصيري في تدبيري - على ما يُقال لك - هذا القدر ، فكيف وليس الأمرُ على ما يُدعى؟! وما استعنتُ إلا بالكفاة الذين كانوا يعملون مع عبيد الله بن سليمان والقاسمِ ابنه ، وابن الفرات بعدهما ، والأمور منتظمة بهم ، وقد أمنتُ بذلك عدوا يسعى على أصول الدولة . وَلَعَمْرِي إن ولدي وحاشيتي قد مدُّوا أيديهم إلى قبول هدايا المُعَمَّال ومَرافِقهم لأنهم كانوا فقراء ، وَعَقِيبَ مِحْنَةٍ طَوِيلَةٍ وَعُظْلَةٍ مُتَّصِلَةٍ ، لكننا ما أخذنا حَبَّةً واحدة من الأصول ، وقد غَنَيْنَا الآن بما حصل لنا وَبَلَّ أَحْوَالنا ، وسأحلف آفِئَةً على استئناف الأمانة ، واستعمال النزاهة ، وأضبط أولادي وأصحابي عن أخذ درهم واحد . وابنُ أبي البغل أعظمُ عداوةً لمولانا من ابن الفرات ، لأنه رجل مُلْحِد ، يُبْطِلُ الإسلام والنبوة ، ويلهو بالقرآن ، وَيَدَّعِي الخطأ فيه ، وقد أخرج عُيُوبَهُ وصَنَّفَ فيه كتابا ، فكيف يُوثق بِمَنْ هذه حاله على الخدمة وقد صَافَرَهُ جماعةٌ مِنْ عُمَمَالٍ على أمرِهِ ، وتربصوا بما قَبَلَهُمْ من الأموال تَوَقُّعًا لِأَيامِهِ . وقد بلغني اليومُ أَنَّهُ قال لِثِقَاتِهِ : إن أمير المؤمنين قد أَفْذَإَ إليه على يَدِ فَرَجِ النصرانيةِ صاحبةِ أُمِّ موسى خاتمةً ، وجعله على ثقة من تقليده في يوم الموكب الأدنى فإن كان ذلك حَقًّا فقد حضرتُ دارَ أمير المؤمنين بعد أن جمعتُ عند ابني جميعَ أولادي وأقاربي وكُتَّابِي وأصحابي ، ولم أَطْلِعْهم على أمرِي ، فإن أراد مولانا وهم بالقبضِ عليهم فنحن في يده ، فيأمرُ بِإِنْفَازٍ من يتسلَّمُ الجماعة بعد أن تُحْرَسَ نُفُوسُنَا بِكُونِنَا عنده . فقد يجوزُ أَنْ نُسْتَعْدِمَ في كتابة السيدة والأمراء ولا نَخْرُجَ عن الجملة . وَأَنْ يُفْضَلَ^(١) مولانا بِإِتِمَامِ صَنِيعَتِهِ ، وَتَمَكُّنِي من هذا المُلْحِدِ ابنِ أبي البغل الذي

(١) أَفْضَلَ عليه : أَنَا لَهُ من فضله وأحسن إليه .

أبعده الوزراء قبل لِسْرَه ، وطرده من الحضرة لِقُبْحِ فعله ، وكانوا أعرفَ به مني
أَثَرْتُ من جِهَتِهِ وَجِهَةِ أَخِيهِ مَالاً كثيراً ، إذ كان أخوه قد اقتطع من مال
ابن الفرات الذي تولى إثارته صدراً كبيراً .

وَبَكَى وَرَقَّى المقتدر بالله ، وأطمعه ، فَرَقَّ له ورجحه ، وتوقف عن أمر
ابن أبي البغل ، وقال للخاقاني : ما أردت صَرْفَكَ ، ولو كنت أردتُ لَزَلْتُ عنه
الآن مع سماعي ما سمعته منك ، وقد أطلقت يدك في ابن أبي البغل وأخيه ،
فأقبض عليهما وأبعدهما . فقال : يا أمير المؤمنين كانت أم موسى سَعَتْ لي
في هذا الأمر ، وقد تَغَيَّرَتْ عَلَيَّ ، وَعَدَلْتُ عني إلى السعي لابن أبي البغل والقيام
بأمره ، وأخاف أن يفسد قلبُ السيدة فتتذنبك عن هذا الرأي فأهلك أنا .

فعاهده ألا يُطلع السيدة ولا غيرها على ما جرى بينهما إلى أن يتم القبضُ عليه .
فقال له الخاقاني : فيظنُّ أمير المؤمنين أني حضرت لأجل كذا وكذا ، لحديث
عَلِمَهُ من أمور الأطراف .

وخرج الخاقاني مجلس في دار الحجة ، وكتب بخطِّه إلى أبي الحسن بن أبي البغل :
إن أمير المؤمنين قد طلب مني عملاً لما صَحَّ من أموال ابن الفرات وأسيابه فَحَضَرُهُ
الساعة ، فإني مقيم في الدار أنتظرك .

فما بَدَأَ أن وافى ابن أبي البغل ، فقال له الخاقاني : قد جَرَى بيني وبين
أمير المؤمنين في أمر أخيك ما لو تَوَلَّيْتَهُ لما زِدْتُ عَلَيَّ فيه ، وقررتُ معه تقليده
أصول دواوين السواد والمشرق والمغرب ، ليكون هو على الأصول ، وأبو بكر محمد
ابن علي المادرائي على الأَزِمَّة ، وأنشغلُ أنا بالخدمة ، وتزولُ هذه الأراجيفُ
الواقعة ، ونكون بدأً واحدة في إثارة الأموال وتسديد الأحوال .

فشكره ابن أبي البغل على ذلك ، وظنَّ أنه شيء قرَّره الخليفة وأمر به ليجمعه

طَرَفًا إِلَى مَا اعْتَقَدَهُ ، وَسِيَّاءً لِيُكُونَ الْخُلَاقِيَّ وَالْأَلَا يَسْتَوْحِشَ مِنَ الْأَقْوَالِ
الَّتِي تَقَالُ فِي الْإِرْجَافِ بِهِ ، وَأَنَّ الْخُلَاقِيَّ ادَّعَى مِنْ ذَلِكَ مَا ادَّعَاهُ لِنَفْسِهِ تَجْمُلًا وَتَمَنُّنًا عَلَيْهِ
بِمَا لَا ضَعْفَ لَهُ فِيهِ . وَأَمْرُهُ الْخُلَاقِيَّ بِمَكَاتِبَةِ أَخِيهِ بِأَنْ يَسْبِقَهُ إِلَى دَارِهِ لِيُوقَعَ لَهُ
بِمَا رَسَمَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَسَلَّمَ الدَّوَاوِينَ . وَكَتَبَ ابْنُ أَبِي الْبَغْلِ إِلَى أَخِيهِ بِالصُّورَةِ
وَبِمَا حَسِبَهُ فِيهَا وَقَدَّرَهُ . فَبَادَرَ دَارَ الْخُلَاقِيَّ وَتَأَخَّرَ الْخُلَاقِيَّ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ إِلَى وَقْتِ
صَلَاةِ الْمَغْرِبِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ لَيْلًا ، فَسَاعَةً رَأَى ابْنُ أَبِي الْبَغْلِ حَاصِلًا وَقَدْ صَعِدَ
أَخُوهُ مَعَهُ قَبْضَ عَلَيْهِمَا ، وَأَتَزَلَّهْمَا فِي زُورْقٍ مُطْبِقٍ ، وَوَكَّلَ بِهِمَا ثِقَاتَهُ وَحَدَّرَهُمَا
إِلَى وَاسِطٍ لِيَنْفِيَهُمَا مِنْهَا إِلَى حَيْثُ يَتَقَرَّرُ رَأْيُهُ عَلَيْهِ . وَعَرَفَتِ السَّيِّدَةُ وَأُمُّ مُوسَى
مَا جَرَى ، فَقَامَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمَا ، وَخَاطَبَتَا الْمُقْتَدِرَ بِاللَّهِ فِيهِ فَقَالَ . أَنَا أَمَرْتُ بِهِ ،
وَلَا يَجُوزُ فَتَسْخُهُ مَعَ وَقُوعِهِ ، فَكَانَتْ غَايَةُ مَا عِنْدَهُمَا أَنْ سَأَلَاهُ مِرَاسَلَةَ الْخُلَاقِيَّ
بِأَلَّا يُصَادِرَهُمَا وَأَنْ يَقْلُدَهُمَا بَعْضَ الْأَعْمَالِ لِيُنْفِذَ إِلَيْهِمَا . وَوَجَّهَتْ أُمُّ مُوسَى بِأَخِيهَا
وَابْنَ الْخَوَارِ إِلَى اللَّهِ ، فَمَا بَرَّحَا حَتَّى قَلَّدَ أَبَا الْحُسَيْنِ أَصْبَهَانَ وَأَبَا الْحَسَنِ الصَّلَاحَ وَالْمُبَارَكَ
وَكَتَبَ بِإِطْلَاقِهِمَا وَإِنْفَاذِهِمَا إِلَى أَعْمَالِهِمَا .

وَحَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ الزَّهْرِيُّ الْأَصْبَهَانِيَّ الْكَاتِبَ قَالَ : لَمَّا تَقَلَّدَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ
الْكُرْخِيَّ أَصْبَهَانَ ، وَقَبِضَ عَلَى أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْبَغْلِ ، أَقَامَ فِي حَبْسِهِ
إِلَى أَنْ تَقَلَّدَ الْأَهْوَازَ وَحَمَلَهُ مَعَهُ ، وَمَاتَ الْقَاسِمُ وَتَقَلَّدَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُهُ مَوْضِعَهُ .
وَكَتَبَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ أَبِي الْبَغْلِ مِنَ الْحَبْسِ إِلَى أُمِّ مُوسَى الْقَهْرْمَانَةَ بِالشَّرُوعِ لَهُ
فِي الْوِزَارَةِ ، وَبَدَّلَ الْبُدُولَ الْكَثِيرَةَ ، فَقَامَتْ أُمُّ مُوسَى بِأَمْرِهِ وَقَرَّرَتْهُ مَعَ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ
وَالسَّيِّدَةِ ، وَكَتَبَتْ إِلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَبِأَنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ أَمَرَ بِمَكَاتِبَتِكَ بِالْإِصْعَادِ لِيَسْتَوِزِرَكَ .
فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُمَا لَمْ يَنْتَظِرْ رُودَ كِتَابِ السُّلْطَانِ ، وَخَرَجَ مِنَ الْحُجْرَةِ الَّتِي كَانَ
مَعْتَقِلًا فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ الْمُوَكَّلُونَ بِهِ : إِلَى أَيْنَ ؟ فَاتَّهَرَّهْمُ وَشَتَّمَهُمْ ، وَأَظْهَرَ الْكِتَابَ ،

ورأى بَنَلًا مُسْرَجًا لأبي عبد الله بن القاسم ، فركبه يريد الدار التي فيها رِجَالُهُ
وغلمانُهُ . وعرف أبو عبد الله خبرَهُ ، فخرج حافياً حتى لحقه وقد وضع رجله
في الرُّكَّاب ، فقال له : عرفَ الله الوزير البركة ، وخار له فيه .

قبل ذلك منه ، ثم قال أبو عبد الله : ماوردَ على الكتابُ بشيء من هذا .
أفأكتبُ إلى بغداد بما فعله الوزير من خروجه عن محبسه ، وركوبه من غير أمرٍ
وردَ في بابه ، واحتجاجه بكتاب القهرمانه ؟ فقال له : اكتب ما شئت .

فوافى إلى داره واستأجر سُفْنًا ، وسار من يومه عن الأهواز يريد الحضرة .
وكتب أبو عبد الله إلى الوزير الخاقاني بالصورة ، فركب إلى المقتدر بالله ، ودخل إليه
وحلَّ سيفه ومنطقته بين يديه ، وقبل الأرض وبكى ، وأذكره بخدمته وحرُمته ،
وحقوق أسلافه على أسلافه ، بعد أن عرفه حال ابن أبي البغل ، وما أظهره بالأهواز ،
وما فعله ، وبذل له أن يقوم بكثير مما بذله ابن أبي البغل ، واستحيا المقتدر بالله ،
ورقَّ لقوله وبكائه ، وغازطته عَجَلَةً أبي الحسين بن أبي البغل ، ومبادرته إلى الإصعاد
قبل ورود أمره عليه بذلك ، فأمره برُكَّه من الطريق وترك الفُسْحَةَ له في الورد .
وعرفت أم موسى ماجرى ، فقامت عليها القيامة منه ، وراجعت الخليفة ، وأذكرته
بما قرَّرت معه ، فامتنع عليها من استيزاره ، وأجابها إلى تعويضه من ذلك ، وإخراجه ،
من النكبة ، وردَّه إلى أصبهان ، وكتب له بتقليد هذه الناحية ، ورسم له الرجوع
من حيث يلقاه الكتابُ فيه ، وألَّا يُتِمَّ إلى الحضرة . فاتفق أن وصل الكتابُ
إليه وقد حصل بِحَرَ جَرَايَا ، فعاد مغموماً وتوجه إلى أصبهان .

قال أبو بكر الزهرى : ولما وردھا ، نزل بظاھرھا فی بستان یسی ماہان ، وخرج
الناس لاستقباله ، ودخلتُ إلیه ، وجاست عنده . فلما خلا قال أعطنی ذلك التَّقْوِیمَ ،

وأوماً إلى تقويم في زاوية المجلس ، فجثته به . فكتب على ظهره بيتين لنفسه
وأشدهنهما ، فسمعتهما منه وهما :

ولى همة تعلقو السما كين رفعة وتسمو إلى الأمر الذى هو أشرف
وجدى عثور كلما رمت نهضة تقاعد بى يغتالى ليس ينصف
وله في هذا المعنى لما انتقض أمره في الوزارة :

أمل كان كضوء الشمس في بعد المكان
فإذا صار على قر ب يلتمس وعيان
استردته يد الدهر فعدنا في الأماني

ولأبى سعيد عبد الرحمن بن أحمد الأصبهاني الكاتب إلى أبى الحسين ابن
أبى البغل في هذا المعنى من قصيدة أولها يقول فيها :

نصائبه من جذة اللهو مانصا وعوضه ثوب النهى فتعوضا
أقول وقد شئت البروق فلم أجذ كبرق بدا من أصبهان فأومضا
سقى الرايح الغادى بلدا رقتها ولم تك لولا أن نبت بى لثرفضا
وهل هى إلا موطن لى محبب إلى أعادته الخطوب مبغضا
ولما تولأها الأغز محمد حدا ذكره شوق إليه فأومضا
كأنى بذلك الضمير قد حله أبو ال حسين فجادته يداه فروضا (١)
فأليس فيه الأمن من كان خائفا وحكم فى الإثراء من كان منفضا (٢)
وأصلح مبتائا هناك بعزمه وقوم مومجا ودلل ريفا (٣)

(١) جادته : أمطرت عليه . وروضا : صيرها كالروضة .

(٢) المنفض : الذى فى زاده وهلكت أمواله .

(٣) اللثا : الذى اختلطت عليه الأمور والتبت ، والبطىء . والريض : الذى لم يحكم تديره .

والدابة أول ما تراض .

وجازى يا إحسان مُسِيئًا ومُحْسِنًا وكل امرئ يَفْقِضُ الذي حَيْثُ أَقْرَبَا
وفيها يذكر الوزارة :

ووالله ما أدرى أَرَأَيْكَ تَنْتَضِي أم الْقَدَرُ الْمَاضِي إِذَا الْخَطْبُ أَجْهَضَا^(١)
ومُعْرِضَةً عَنْ خَاطِبِيهَا تَبَرَّجَتْ إِلَيْكَ عَلَى قَصْدٍ فَأَلْفَتَكَ مُعْرِضًا
رَأَتْ مُنْكَرًا فِي الرَّأْيِ أَنَّ رَأْبَ الثَّانِي سَوَاكَ امْرُؤًا وَأَنَّ مُيمِرًا قَيْنُقُضًا^(٢)
لَجَاءَتْكَ تَخْطُو الْعِزَّ يَمْنًا تَعْرِضُوا لَهَا ، وَهِيَ لَا تَأْلُوكَ مِنْهَا تَعْرِضًا
تَجُوبُ إِلَيْكَ الْبَرَّةَ وَالْبَحْرَ وَالْوَرَى يَحْتُونَهَا لَمَّا رَأَوْكَ لَهَا رِضًا^(٣)
فحَاطَكَ عَنْهَا اللَّهُ عِلْمًا بِأَنهَا مَدَى غَايَةٍ إِمَّا اتَهَى فَقَدْ انْقَضَى
وَرَدَّكَ صَوْنًا لِلْمَكَارِمِ وَالْعُلَى إِلَى مَنَهِجٍ لَا نَبْتَغِي عَنْهُ مَدْحًا^(٤)
وَلَيْسَ بِمَغْبُوطٍ أَخُو الرِّبَةِ الَّتِي إِذَا زَلَّ عَنْهَا قَيْسٌ شَبْرٌ فَقَدْ قَضَى^(٥)
وَلَوْ كُنْتَ قَدْ حُمِلْتَ أَغْيَاءَ ثِقَلِهَا حُمِلْتَ وَرَرًا يَتْرُكُ الظَّهْرَ مُنْقَضًا^(٦)
أَعْيِذُكَ وَالرَّاجُونَ طَرًّا مِنَ الَّتِي تَكُونُ بِهَا لِلنَّائِبَاتِ مُعْرِضًا
وَهُنْتُ أَغْيَابَ الزَّمَانِ بِشَابَتِ مِنَ الْعِزِّ وَالسُّلْطَانِ لَنْ يَتَقَوَّضًا^(٧)
فَإِنَّكَ لَمْ تُحْبِسْ لِسُوءٍ وَلَمْ تُضْمِ وَلَمْ تُلَفْ فِي تِلْكَ الْقَامَاتِ مُدْحَضًا^(٨)
وَمَا كَانَ يُدْعَى ذَلِكَ الْجُلُوسُ الَّذِي تَبَوَّأْتَهُ إِلَّا عَرِيْنًا وَمَرَبَضًا^(٩)

(١) أحض هنا منهاها أزلقي .

(٢) يقال فلان يرأب الثأى : أى يصلح الفساد . والثأى : هو الفتق وآثار الجرح . ويمر : بشد القتل .

(٣) رضا : مرضى عنه .

(٤) المدحض هنا : البحث من قولهم دحض عنه بحث .

(٥) قيس : مقدار . وقضى : هلك .

(٦) منقض : مثقل .

(٧) أغياب : جمع غب وهو يرمى بعد العاقبة ، أى هتت عقب كل زمن أو فى عاقبة كل وقت .

(٨) مدحضا : مزالا عن مكانك أو ميطلا كاللحجة الباطلة .

(٩) يريد بالمربض هنا من ربوض الأسد لا أى حيوان .

وما كُنتَ إِلَّا السيفَ يُرْهَبُ مُعْتَدًا وإن كان محصوراً وَيَقْطَعُ مُنْتَضَى^(١)
 محمدُ يا حِلْفَ النَّدَا يابنَ أَحْمَدٍ نِدَاءُ أَمْرِيءٍ أُضْحِي إِلَيْكَ مُفَوَّضَا
 أترضى بِيُعْذِي عن ذَرَاكَ فَمَا أرى وراءَكَ عَيْشًا وإن كان مُرْتَضَى^(٢)
 فداؤُكَ نَفْسِي كَمْ يَدٍ بَعْدَهَا يَدٌ جَبَرَتْ بِهَا عَظْمِي وَكانَ مُهَيَّضَا^(٣)
 أَيَادِي نَمَى طُولًا وَعَرَضًا غَيْرَ اسْمِهَا تَحْقُ لَشَكْرِي أَنْ يَطُولَ وَيَعْرِضَا
 وله إليه في هذا المعنى من قصيدة :

أرادوا له ما لم يُرِدْهُ لِنَفْسِهِ لِيُكِي يُدْرِكُوا عِزًّا وَفَضْلَ ثَرَاءِ
 وَأَفْضَلُ مِنْ نَيْلِ الْوِزَارَةِ لَأَمْرِيءٍ بَقَاءَ يُرِيهِ مَصْرَعُ الْوُزَرَاءِ
 وَلَا سِيَّامًا مِنْ كَانَ مُسْتَوْجِبًا لَهَا وَإِنْ عَاقَبَهُ عَنْهَا اعْتِلَالُ قَضَاءِ^(٤)
 وَمَنْ قَدْ رَأَيْنَا بِالْخِلَافَةِ فَاقَةً إِلَى مِثْلِهِ مِنْ رَاشِدِي الْخُلَفَاءِ
 وَمَنْ هُوَ مَعْلُومٌ بِأَنَّ وَفَاءَهُ بِهِ لَوْ يَكُونُ فَوْقَ كُلِّ وَفَاءِ
 أُرِيدُ لَهُ طَوْلَ الْبَقَاءِ وَقَلْبًا رَأَيْتُ وَزِيرًا نَالَ طَوْلَ بَقَاءِ

وذكر أبو الحسن ثابت بن سنان قال . لما ظهر من الاختلال في أيام الخلفائي
 ما ظهر ، كتب أبو محمد الحسن بن روح إلى المقتدر بالله رُقعة يضمن فيها الخلفائي
 وأسبابه بما يجمل منه خمسمائة ألف دينار ويقول :

أنا أقتصر على الوزارة ، وتكون الدواوين إلى علي بن عيسى ، فتمشى الأمور ،
 وتستقيم الأعمال .

وسلم الرقعة إلى أم موسى القهرمانة لتوصلها ، وتُحَرِّزَ الأمر في مضمونها .

(٢) ذراك : فناؤك وروحائك .

(١) منتضى : مسلول .

(٣) مهيض : مكسور .

(٤) اعتلال القضاء : ضعف القدر ونظله .

فَلَمَّا أُمِّمُ مَوْسَى إِلَى الْخَقَانِي ، فَأَنْفَذَ إِلَى مَنْزِلِ ابْنِ رُوحٍ وَكَبَسَهُ ، وَقَبِضَ عَلَيْهِ
وَجَسَّهُ ، وَصَرَفَهُ عَنْ دِيْوَانِ ضِيَاعِ الْخَاصَةِ .

وَحَكَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ : قُلْتُ لِلْوَزِيرِ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ
ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْخَقَانِي فِي كَلَامٍ جَرَى : الْعَادَةُ طَبِيعَةٌ ثَابِتَةٌ .

فَقَالَ لِي : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، هَذَا تَصْغِيفٌ ، إِنَّمَا هُوَ : الْعَادَةُ طَبِيعَةٌ ثَانِيَةٌ .

وَذَكَرَ أَبُو عَلِيٍّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عِيسَى أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ كَانَ لَيْنَ الْعَرِيكَةِ ، قَلِيلَ
الْبَصِيرَةِ ، لَا يَدْفَعُ عَنْ شَيْءٍ يُخَاطَبُ فِيهِ ، وَلَا يَتَصَوَّرُ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ فِيمَا يَكُونُ مِنْهُ
فَانْبَسَطَتْ الْعَامَّةُ عَلَيْهِ فَضْلاً عَنْ الْخَاصَةِ ، وَلُقِّبَ بِدَقِّ صَدْرِهِ ، وَوَقَّعَ بِكُلِّ سُؤَالٍ
وِإِنْفَازٍ لِكُلِّ مُحَالٍ .

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَخَذَنِي سَبْكُ الْمَفْلَحِيِّ أَنَّ أَحَدَ الْقَوَادِرِ الْأَصَاغِرِ سَأَلَ أَبَا عَلِيٍّ
الْخَقَانِيَّ أَمْرًا فَقَالَ : اكْتُبْ رُقْعَةً حَتَّى أُوقِعَ لَكَ فِيهَا . فَأَحْضَرَ بِيَاضًا وَقَالَ :
يُوقِعُ الْوَزِيرُ فِي آخِرِهِ بِالْإِجَابَةِ إِلَى الْمَسْئُولِ لِأَكْتُبَ الْعَرَضَ بَعْدَ ذَلِكَ .
فَوَقَّعَ لَهُ بِذَلِكَ .

وَحَكَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيْضًا : أَنَّ نَعْمَ بْنَ الْفَتْحِ كَاتِبَ مُؤَنَسِ الْخَادِمِ تَأَخَّرَ
عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْخَقَانِي ، وَجَاءَهُ ، فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ تَأَخُّرِهِ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ بِعِلَّةٍ بَنَتْ لَهُ
عَزِيزَةً عَلَيْهِ . فَاتَّفَقَ أَنْ أَنْصَرِفَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَعُرِضَ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ عَلَيْهِ لِبَعْضِ
الْوُجُوهِ بِمَا لَطَّقَ لَهُ ، فَوَقَّعَ إِلَيْهِ : أَطْلِقْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ ذَلِكَ وَعَرِّفْنِي خَيْرَ الصَّبِيَّةِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَذَكَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ سَبْكِ الْمَفْلَحِيِّ : أَنَّهُ سَأَلَهُ إِثْبَاتَ رَاجِلٍ مَعَهُ بِأَرْبَعَةِ
دَنَانِيرَ فِي الْمَشَاهِرَةِ . فَقَالَ : أَرْبَعَةُ دَنَانِيرٍ ! وَكَرَّرَهَا ، وَمَا زَالَ يَحْسِبُهَا حَتَّى

صارت ثمانية وأربعين ديناراً في السنة . ثم وقع بإجراء ثمانية وأربعين في المشاهرة .

وحدث أبو الفرج السلمي الكاتب قال : حدثني أبو العباس ابن النفاط قال : حدثني أبو عبد الله بن أبي العلاء الكاتب قال : كنت بحضرة الخاقاني وقد عُرض عليه كتابٌ كُتب من الديوان إلى عامل النيل يحمل غلّة كانت حاصلة قبّله وأبكر عليه تأخيرها ، فوقع إليه في الكتاب : أحمل الغلّة ، وأزح العلّة ، ولا تجلس متودّعاً في الكلّة ^(١) . قال : ثم التفت إلى وقال : يا أبا عبد الله ، في النيل بقّ يحتاج إلى كللٍ ؟ فقلت : إي والله وأيّ بقّ ومن أجله يلزم الناس الكِللَ نهاراً وليلاً . قال : فسُرّ وقال : تَحْمَدُ الله على حسن التوفيق . ونفعني ذلك عنده .

ووقع في كتابٍ إلى بعض العمال - وكان مُستزيداً له - : الزم - وفكك الله - المنهاج ، وأحمل ما أمكن من الدجاج ، إن شاء الله . قال : فَحَمَلَ الْعَامِلُ دجاجاً كثيراً على سبيل الهدية . فقال : هذا دجاج وفقرته بركة السجع . وتقدّم بأن يُباع ويؤرد ثمنه في الحساب ، فأُورِدَ منسوباً إلى ثمن دجاج السجع .

قال : وسأله رجلٌ كتابَ شفاعَةٍ إلى أم موسى القهرمانة ، فكتب له ، وعنوانه : لأبي موسى . قال : وكان لها أخٌ يجلس فيلقاه الناسُ وأصحابُ الحوائجِ ليأخذَ رعاهم وقصصهم إليها . فلما دَفَعَ إليه ذلك المستشفعُ الكتابَ نظر إلى عنوانه وضحك وقال له : أحمله إلى صاحبه . قال : وأين منزله ؟ قال : في مقابر الخيزان . قال : أحمله إلى أهل

(١) الكلة : السر الرقيق وهو أشبه بما يسمى « التاموسية » .

القبور؟ قال : فإذا كان ذلك إلى أهل القبور، تحمله إلى سكان الدُّور؟ وأخذ الكتاب منه وشاع خبره .

ومن أحاديث الخاقاني المشهورة أن أبا الحسن علي بن عيسى جلس معه يوماً في طياره ، وأراد الخاقاني أن يُحييه بتفاحة كانت في يده ، وهم أن يبصق في الماء ، فبصق في وجه علي بن عيسى ، ورمى بالتفاحة إلى الماء . وقال : إنا لله ، غلطنا . فقال : علي بن عيسى : إنا لله ثلطنا ^(١) .

ومن أحاديثه أيضاً أنه مر في طياره مُنصرفاً من دار السلطان عند صلاة المغرب ، فرأى ملاحين يصلُّون في مسجد على دجلة بمشعة القصب ، فقدم وصعد وصلى معهم وكان صاعماً . فأنفذت إليه بدعة الكبيرة ماء مثوجاً ليُفطر عليه ، فردّه وشرب ماء حاراً من دجلة .

وقيل : إنه كان يدخل إليه الرجل الذي قد عرفه طويلاً فيسلم عليه ويسأل عنه ، فيقول أو يقال له : هذا فلان ، أو إنه فلان . ثم يلقاه بعد يوم فتكون حاله معه مثل الحال الأولى ^(٢) .

وحدث أبو الحسين علي بن هشام قال : سمعت أبي وأبا إسحاق وإبراهيم بن عيسى بن داود بن الجراح وأبا القاسم سليمان بن الحسن يتحدثون ، قالوا ^(٣) : لما تقلد أبو الحسن علي بن عيسى الوزارة صارفاً لـ الخاقاني عنها ، وجد ^(٤) في أيدي القواد والحاشية والرعية توقعات كثيرة بخطه وخط عبد الله وعبد الواحد ابنيه ، ومحمد وأحمد ابني سعيد حاجبه ، وبنان بن بنان ويحيى بن إبراهيم المالكي وعلي بن عيسى الزنداني ، كتابه ، في فلك وإثبات وتقرير وإيجاب ومظالم وتسويات وإقطاعات

(١) أسبنا بالثلط وهو البراز .

(٢) في الأصل : الأولى .

(٣) في الأصل : قال .

(٤) انظر ابن الأثير حوادث سنة ٣٠٠

وَمُقَاتِلَاتٍ تَمَامُهُ يَأْتِي عَلَى ارْتِفَاعِ الْمَلِكَةِ ^(١) . وَقَدْ كَانَ الْخَلْقَانِي أَذِنَ لِهَذِهِ الْجَمَاعَةِ فِي التَّوْقِيعِ عَنْهُ بِكُلِّ مَا رَأَوْهُ ، وَكَانُوا عَلَى فَاقَةٍ وَضَنْطَةٍ وَخُرُوجٍ مِنْ نَسْكَبَةٍ وَعُطْلَةٍ ، وَغَرَضُهُمُ الْارْتِفَاقُ وَأَخْذُ مَا لَاحَ ، وَأَغْلَظَ الْأَمْرُ وَكَثُرَ الْحَرْجُ . وَتَأَمَّلَ عَلَى بْنِ عِيسَى هَذِهِ التَّوْقِيعَاتِ ، فَاسْقَطَهَا ، وَكَانَ مِنْهَا مَا ثَبَتَ فِي الدَّوَابِّ وَمَا لَمْ يَثْبُتْ ، وَعَمِلَ عَلَى إِعْلَامِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ مَا عَلَى الْمَلِكِ وَبَيَّتَ لِنَالٍ مِنَ الْوَهْنِ وَالنَّقْصِ بِإِمضَائِهَا وَاسْتِثْنَائِهِ فِي رَدِّهَا وَإِبْطَالِهَا .

قَالَ هِشَامُ : وَكَنتَ مُتَحَقِّقًا بِهِ إِذَا ذَاكَ فَقُلْتَ : لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ الْخَلِيفَةَ عَلَى مَا تَعْرِفُهُ مِنَ التَّدْبِيرِ بَأْرَاءَ النَّسَاءِ ، وَالْقَبُولِ مِنَ الْحَاشِيَةِ ، وَأَكْثَرَ هَذِهِ التَّوْقِيعَاتِ لَهُمْ وَلِلْمُتَعَلِّقِينَ عَلَيْهِمْ ، وَلِلْمُتَجَشِّئِينَ إِلَيْهِمْ ، فَاعْدِلْ إِلَى أَنْ تَنْظُرَ مَا قَدْ أَنْشَأَ الْكِتَابُ بِهِ مِنْ دِيْوَانِ الدَّارِ إِلَى أَصْحَابِ الدَّارِ فَتَمُضِيهِ ، وَمَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ أَبْطَلْتَهُ ، فَإِنَّكَ تُمَضِّي الْقَلِيلَ وَتُبْطِلُ الْكَثِيرَ ، وَتَأْمَنُ عِدَاوَةَ النَّاسِ ، وَمَتَى اسْتَأْذَنْتَ الْخَلِيفَةَ لَمْ تَأْمَنُ أَنْ يَأْمُرَكَ بِإِمضَاءِ الْكُلِّ فَتَقَعَ فِي الطَّوِيلِ الْعَرِيضِ .

فَلَمْ يَقْبَلْ ، وَمَضَى فَطَالَمَ الْمُقْتَدِرَ بِاللَّهِ بِالصُّورَةِ ، وَاسْتَأْمَرَهُ فِي إِسْقَاطِ التَّوْقِيعَاتِ ، وَقَدْ كَانَ الْحَوَاشِي سَبَقُوا إِلَيْهِ بِالشُّكُوفِ ، فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ إِلَى الْخَلْقَانِيِّ وَابْنِهِ فَمَا عَرَفَاكَ أَنَّهُ بِتَوْقِيعِهِمَا أَمْضِيَّتَهُ ، وَمَا كَانَ بِتَوْقِيعِ أَصْحَابِهِمَا رَدِّتَهُ فَأَمَرَ عَلَى بْنَ عِيسَى أَصْحَابَ الدَّوَابِّ بِجَمْعِ الرِّقَاعِ ، فَجُمِعَتْ فِي أَيَّامٍ ، وَأَنْفَذَهَا إِلَى الْخَلْقَانِيِّ وَابْنِهِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَيُّوبَ كَاتِبِ حَضْرَتِهِ وَابْنِ الْمَاسِحِ لِيَعْرِضَاهَا عَلَيْهِمَا ، وَيَسْأَلَاهُمَا عَنْهَا . فَلَمَّا دَخَلَا عَلَى الْخَلْقَانِيِّ وَابْنِهِ وَجَدَا الْخَلْقَانِي قَائِمًا يَصَلِّي صَلَاةَ الضُّحَى - وَكَانَ يُطِيلُهَا - وَابْنَهُ عِنْدَهُ جَالِسًا فَعَدَلَا إِلَيْهِ ، وَأَدَّيَا الرِّسَالَةَ ، وَأَعْطِيَاهُ الرِّقَاعَ عَلَى حُكْمِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْاسْتِبْدَادِ بِالْأُمُورِ فِي خِلَافَتِهِ لِأَيِّهِ . فَأَخَذَ يَتَأَمَّلُهَا وَيُمَيِّزُهَا ، وَيُفَرِّدُ الْأَقْلَ .

(١) يَعْنِي أَنَّ هَذَا كُلَّهُ يَسْتَرْقُ لِرَادَاتِ الْمَلِكَةِ

ويطرح الأكثر ، ولحظه أبوه ، فخنق الصلاة ثم صاح عليه وقال له : أفسدت أمري في نظري ، وتريد أن تفسده في حبي ! وأقبل على الرسولين وقال لهما : ما أحسبما الفعل . فإنكما أنفذتما إليّ فعدلتما إلى ولدي عني ، وإنما كان خليفتي . فقاما إليه وعرفاه ماجسرا فيه . وأقرأه الرقاع . فجعل يتأمل التوقيعات خاصة ، حتى إذا استوفى النظر فيها قال لهما : قولا للوزير - أيداه الله - هذه التوقيعات صحيحة ، وما وقع بها إلا ياذني ، فإنه ما كان أحد من كتابي يُقدم على أن يوقع عني بما لأعلمه ولا أرسنه ، والذي فعلته هو ما رأيته صلاحاً لنفسى وخدمة للخليفة - أطال الله بقاءه - في استبالة قلوب حاشيته ورعيته ، واستخلاص نيتهم في مولاته وطاعته ، والأمر الآن إليك فافعل ما تراه .

قال : فقاما وعادا إلى علي بن عيسى ، وأعادا عليه قوله : فقامت قيامته منه ، واضطراً إلى إمضاء الأكثر ، وإسقاط من استضعف صاحبه واستألف جانبه ، ولم تكن له جهة تشفع في بابه . وعرف الحاشية ذلك ، وشكروا الخاقاني وتعصبوا له ، وقاموا بأمره مع المقتدر بالله حتى قررت مصادره وأطلق بعد أربعة أشهر .

وقال الخاقاني ^(١) لابنه بعد انصراف ابن أيوب وابن الماسح : أردت يابني أن تبغضنا إلى الناس بغير فائدة ، ويكون أبو الحسن علي بن عيسى قد لقط الشوك بأيدينا ! نحن قد صرنا ، لم لا نتحجب إلى الخاصة والعامة بإمضاء ما زوروه علينا ؟ فإن أمضاء كان الحمد لنا والثقل عليه ، وإن أبطله كان الحمد لنا والدم عليه .

وقد كان الخاقاني متخلفاً عاماً إلا أنه كان خبيثاً داهياً ، ولم يكن له إلا هذه الأفعال الثلاثة : في أمر ابن الفرات ، وأمر ابن أبي البغل ، وتلافي الحاشية بعد النكبة . وقد حفظ من سقطاته وحكاياته ما كان أعداؤه يشعرون عليه به . وقد أوردنا ما سمعناه وتأدى إلينا منه .

على بن عيسى بن داود بن الجراح

أبو الحسن على بن عيسى بن داود بن الجراح^(١).

وأبو الحسن من أهل دير قنّى ، ومولده يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الأولى سنة خمس وأربعين ومائتين ، والطالع العقرب بد والرأس فيه ح د والقمر فى القوس ط ل ح والمشتري راجع فى الدلو ك ا ، يد ، والذنب فى الثور ح د ، والشمس فى الأسد ي و ح ، وزحل فى ب ط لا ، وعطارد فى السنبلة ا ي ه ، والزهرة فى ك ط والمريخ فى الميزان د ل ح .

وكتب فى الدواوين ، وتقلد كثيراً منها رئاسة . وقد مضى من ذكره فى أخبار أبي الحسن بن القرات ما لا حاجة بنا فيه إلى الإعادة . ولما أشار مؤنس باستدعائه من مكة ، وتقليده الوزارة ، وأنفذ يلبق لاستقدمه إلى الحضرة ، ورد فى اليوم العاشر من المحرم سنة إحدى وثلاثمائة . ووصل إلى حضرة المقتدر بالله ، وخاطبه بما أراد خطابه به ، وقلده وزارته وتدير أمره . وخرج أبو الحسن ومؤنس معه - وأبو على الخاقاني جالس فى المجلس الذى كان يجلس فيه قبل الوصول إلى الخليفة - وقال للحجاب وخواص العلما : اتبعوا الوزير وامشوا بين يديه . فارتاع أبو على وقال : من الوزير ؟ فقال له مؤنس : أبو الحسن على بن عيسى . فقال أبو على : الله الله يا أبا الحسن فى دى ، فإننى ما أردت الدخول فى هذا الأمر ، وإنما أجبرت عليه . فأجابه جواباً سكته فيه ، ونقل إلى الاعتقال فى الموضع الذى أعد له . ومضى أبو الحسن على بن عيسى إلى داره ، والناس فى موكبه ، وبكر إلى الدار

(١) المنتظم ٣٥١/٦ - ٣٥٥ ومعجم الأدباء والفخرى ٢٣٦ وصلة عرب ٢٢ .

من غديرٍ وخلصت عليه الخلع السلطانية ، وركب إلى الدار المعروفة بسليمان بن وهب ،
 يجلس فيها ، وركبت إليه الأمراء والقواد في النواحي ، وكتب إليهم بإقرارهم
 في مواضعهم من ولاياتهم وأعمالهم ، وحثهم على استخراج الأموال وتحتلها . وسُلم إليه
 أبو علي الخاقاني وولده ، وأبو الهيثم بن ثوابة ، وطالبهم مطالبة رفيقه . وبسئل
 في أمر عبد الواحد بن أبي علي ، فأطلقه بعد مُديدة في ليلة الخميس لتسعة خلون
 من جمادى الآخرة ، ثم أطلق أبا القاسم أخاه ليلة الجمعة مُستهلَّ شوال ، وحمل
 أبا الهيثم بن ثوابة إلى الكوفة ، وسلمه إلى إسحاق بن عمران صاحب المعونة ،
 فكان عنده إلى أن توفى يوم الأحد لليلة بقيت من ذى الحجة . وأجرى
 المقتدر بالله لأبي الحسن علي بن عيسى خمسة آلاف دينار في كل شهر ، وارتجع
 الضياع العباسية التي كانت جُمعت لابن الفرات وأبي علي الخاقاني ، ورتب أبو الحسن
 علي بن عيسى الأمور والدواوين على ما رأى فيه الصلاح والسداد ، وكان رجلاً
 عاقلاً مُتديناً مُتصوِّناً ظليفاً ^(١) مُتفقاً ، عارفا بالأعمال حافظاً للأموال ، كثير الوقار
 والجِدِّ بعيداً من التَّبَذُّل والهزل ، على شحِّ غالب في طباعه ، وتجهُّم ظاهر في أخلاقه .
 وما كان يُحِلُّ بصلاة الجماعة والجمعة في كل يوم جمعة ، ولا يدع المناوبة في ذلك بين
 المساجد الجامعة ، حتى قيل : إنه كان يستعمل الوضوء في أيام الجمع التي يكون
 فيها محبوساً ، ويستوفي طهوره ، ويلبس ثيابه ، ويقوم ليخرج من موضعه ، فيردّه
 المؤكِّلون به ويمنعونه ، فيرفع رأسه إلى السماء ويقول : اللهم اشهد .

وعمد في نظره إلى تخفيف المؤن ، وحذف السُكُلف ، ونقص الخرج ، والمضايقة
 في الجارى والرِّزق . وردَّ كثيراً مما وقَّع به أبو علي الخاقاني من الإثبات والزيادات ،
 فأوحش بذلك خواصَّ المقتدر بالله وعاداهم ، وكثرت به السعاية عليه والوقعة فيه

(١) ظلفاً : تسكف نفسه عن الأمور .

واستقل أكثر الناس موضعه ، وضائق صدورهم بنظره ، وَقَعَ الشروع في إفساد أمره ، وتغير رأي المقتدر بالله فيه ، وردَّ ابن الفرات . وعرف ^(١) أبو الحسن على بن عيسى ما يجري في ذلك ، فبدأ بالاستعفاء والخطاب عليه ، ومواصلة القول فيه . وتحدث في دار المقتدر بالله بأن ابن الفرات شديد العلة ، واتفق أن مات هارون الشاري الذي كان محبوسا في دار السلطان ، وكان ^(٢) التدبير في أمر الشراة أن يكتم موت من يؤخذ من أمتهم ، لأنهم لا يرون إقامة غيره وهو حي ، فأظهر أنه ابن الفرات وكفَّن وأخرجت جنازته على أنها جنازة ابن الفرات . فصرى عليه على بن عيسى ، وانصرف موجعا إلى داره وقال لخواصه : اليوم ماتت الكتابة .

ومضت ^(٣) أيام ووقف على بن عيسى على أنه حي وقد تمَّ السعى له مع المقتدر بالله ، فعجب ابن عيسى وقال : ما ينبغي لأحد أن يحدث بكل ما يسمع ، ويصدق بجميع ما يُخبر .

فما طالب الجند عند أخذ الحسين بن حمدان بما طالبوا به من الزيادة ، واستعملوا ما استعملوه من الشغب وخرق الهيبة ، وبلغ لهم في ذلك ما بلغ من الإرادة وكثرت النفقات ، وتضاعفت الاستحقاقات ، ولحق الشوب ^(٤) غلات سنة أربع وثلاثمائة ، تأمل على بن عيسى الأمر وخاف أن يطالب بما لا يكون له وجه ، وأن يحدث من الفساد ما لا يقوم له به عُذر . فوقف أملا كنه ، وأعتق عبيده ، وشرع

(١) تجارب الأمم ٣٩/٥ .

(٢) تجارب الأمم ٤٠/٥ .

(٣) تجارب الأمم ٤٠/٥ .

(٤) الشوب هنا : الحيانة والنش .

في الاستعفاء ، وراسل في ذلك المقتدر بالله ، فدفعه عنه دَفْعاً وَعَدَهُ فِيهِ بِالْمَعُونَةِ عَلَى تَمْشِيَةِ الْأُمُورِ .

وكان فيما وَقَعَ إِلَيْنَا مِنْ رِقَاعِهِ فِي ذَلِكَ رَقْعَةً إِلَى السَّيِّدَةِ نُسَخَّتْهَا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ السَّيِّدَةِ وَأَدَامَ عِزَّهَا وَتَأْيِيدَهَا ، وَكَلَّأَتْهَا^(١) وَحَرَّاسَهَا ، وَأَسْبَغَ نِعَمَهُ عَلَيْهَا ، وَزَادَ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْهَا ، وَمَوَاهِبِهِ الْجَمِيلَةَ ، وَالْآلَاءَ الْجَزِيلَةَ ، وَأَقْسَامِهِ الْمُهْنِيَّةَ - وَفَوَائِدِهِ السَّيِّئَةَ عِنْدَهَا ، وَبَلَّغَهَا فِي سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَأَدَامَ لَهُ الْعِزَّ وَالتَّمَكِينَ ، وَالنَّصْرَ وَالتَّأْيِيدَ - غَايَةَ مَحَبَّتِهَا وَأَفْضَلَ أُمْنِيَّتِهَا ، وَوَصَلَ أَيَّامَ سُرُورِهَا بِعَافِيَتِهِ ، وَاعْتِبَاطِهَا بِرُؤْيَيْتِهِ ، وَوَقَاها فِيهِ وَفِي نَفْسِهَا وَفِي الْأَمْوَالِ - أَسْتَوْدِعُهُمُ اللَّهَ وَأَسْتَوْهَبُهُ إِيَّاهُمْ - كُلَّ سُوءٍ مُحْذُورٍ وَخَوْفٍ ، بِمَنَّةٍ وَرَأْفَتِهِ . وَصَلَتْ الرَّقْعَةُ - أَعَزَّ اللَّهُ السَّيِّدَةَ - وَعَرَفْتُ مَا تَضَمَّنَتْ . فَأَمَّا الْفِتْنَةُ الَّتِي كَانَتْ مَلْتَحِمَةً مَعَ أَعْظَمِ الْأَعْدَاءِ مَضَرَّةً ، وَأَقْرَبَهُمْ مَحَلَّةً ، وَأَشَدَّهُمْ عَلَى الْمَطَالِبَةِ جُرْأَةً ، فَقَدْ تَكَلَّفْتُ الْإِنْفَاقَ عَلَيْهَا ، وَقَتَّ بِتَدْيِيرِهَا ، حَتَّى بَلَغَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالسَّيِّدَةَ فِي جَمِيعِهَا الْحُبَّةَ ، وَاتْتَضَمَتْ فِي صُدُورِ الْأَعْدَاءِ شَرْقاً وَغَرْباً الْهَيْبَةَ ، وَمَا أَنْفَقْتُ مَعَ ذَلِكَ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ بَعْدَ الَّذِي رَدَدْتُهُ إِلَيْهِ نِصْفَ عَشْرِ مَا أَنْفَقَهُ مُحَمَّدُ ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْخَلْقَانِيُّ وَابْنُ الْفَرَاتِ قَبْلَهُ ، وَأَنَا عَامِلٌ بِعَوْنِ اللَّهِ عَلَى رَدِّ ذَلِكَ عَنْ آخِرِهِ . وَمَتَى لَمْ يَنْفَقِ الْمُعْتَصِدُ بِاللَّهِ فِي أَسْفَارِهِ عَلَى مَائِدَةِ أَعْدَائِهِ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ أَضَاعَافَ هَذِهِ النِّفْقَةِ ؟ ! وَقَدْ أَنْفَقَ الْمَكْتَنِيُّ بِاللَّهِ - وَكَانَ مِنَ النَّظَرِ فِي الْقَلِيلِ الْيَسِيرِ وَعَلَى مَا عُرِفَ بِهِ - مِنْ بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ جَمَلَةً بَعْدَ جَمَلَةٍ ، مَعَ قَلَّةِ النِّفَقَاتِ فِي أَيَّامِ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ . وَمَا أَقُولُ قَوْلًا يُدْفَعُ ، لِأَنَّ الدَّوَّابِينَ تَشْهَدُ بِهِ وَحُسْبَانَاتُ بَيْوتِ الْأَمْوَالِ تَدُلُّ عَلَيْهِ ، وَمُؤَنَسُ خَازِنِ بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ مِنْذُ أَيَّامِ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ وَإِلَى هَذِهِ

(١) كَلَّأَتْهَا : رَعَايَتَهَا وَحِفْظَهَا .

الغاية يَعمَلُه ، وإن سُلَّ عنه صدق . هذا مع رِفْقٍ بالرعية ، وعمارتي النواحي المختلة ، وإزالتى عنها كلَّ ظلم ومؤونة ، حتى صارت أيام أمير المؤمنين - أظال الله بقاءه - منذ خدمته أيام الخير ، وفيها الآثار الموصوفة ، وامتلات قلوبها هيبةً بعد أن كانت تثب على الرؤساء ، وترمى بالحجارة على ما قيل لى عند اجتيازهم فى دجلة . وأما الاستحقاقات المتأخرة فلست أعرفها ، ويباب أمير المؤمنين الكثير من التلمس والحاشية والفرسان والرجالة ، وما أحسب صنفًا من هذه الأصناف يَقدِر أن يقول : إنه قبض فى وقت من الأوقات قبضًا متصلًا ، وليس يقول أحدٌ منهم إنه دُفِعَ عن استحقاق ولا تأخر له شىء من رِزقه ونزله . وكذلك الفرسان والعساكر الخارجة مع مؤنس وغيره مستوفية ، وأكثروا من بالحضرة هذه سيلهم به . وقد حضروا منذ مدة يباب العامة ، وطالبوا ، فأدخلت طائفةً منهم ونُظِرَتْ ، فلم تكن لهم حُجَّةٌ فى الاستحقاقات ، وإنما التمسوا الزيادة والنظر والصلة ، وهذا خارج عن الواجب ، ولو منع بعضهم فلم يُقَطَّ شيئًا لكان ذلك واجبًا صالحًا . ومتى كان الجند يُوقَفُونَ حتى لا يكون لهم شىء متأخر ؟ ما كان هذا فى زمنٍ من الأزمان وما تركت أن قلتُ لسيدينا أمير المؤمنين - أعزه الله - فى ذلك ما يجب أن أقوله ، وخاطبتُ أم موسى مرةً بعد مرة فيه ، وأما ما قيل للسيدة - أعزها الله - فى استغاثى فلم أستغف نصًا ، ولو حُمِلَتْ الرماح على رأسى لما تكرر هُت ذلك ولا تَأَبَّيْتُه ، وإنى لألزم نفسى الصبر على كلِّ نائبةٍ فى خدمة سيدنا أمير المؤمنين - أيده الله - وأرى ذلك ديانةً ، ولكنى - أعز الله السيدة - أضجَر كما يضجر الناس إذا خوطب بما لا يحب ، وأنا أبلغ جهدى فى النصيحة وتأدية الأمانة ، فإن كان ذلك واقعًا مَوْقَعَه فهو الذى أقصد ، وإن كان يُظَنُّ بى غيرُ ما أنا عليه فى المصيبة . وقد يُحَرِّم الإنسان ثمرةَ اجتهاده ، ويَقَعُ ما يَفْعَلُه على خلاف مذهبه واعتماده ، وما يَسْعَى ولا يَحِلُّ لى أن أؤخر الصدق

في جميع الأحوال ، قاضياً بذلك حقَّ الله عزَّ وجل ، وحقَّ سيدنا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - وحقَّ السيدة - أعزها الله - وأسأل الله أولاً وآخرأ أن يُصلح لهما أمورهما ظاهراً وباطناً ، صغيرها وكبيرها ، ويكفيهما الميمَّ ويُسهِّل الصَّلاحَ بهما وعلى أيديهما بينَهُ وقُدْرته وجُوده وكرمه .

وقرب عيِّد الأضحى واحتيج إلى ماجرت العادة بإطلاقه للحرم والجاشية ، فجاءته ^(١) أم موسى القهرمانة في آخر ذى القعدة سنة أربع وثلاثمائة مخاطبة على ذلك ، ومقررة للأمر فيه ، وكان محتججاً ، فلم يقدم سلامة حاجبه إلى الاستئذان لها ، واعتذر إليها عذراً لطيفاً ، وصرفها صرفاً جميلاً ، ففضبت وانصرفت . وأعلم على بن عيسى خبرها في حضورها وانصرافها فأنفذ إليها واستعذرها فلم تعذر ، وصارت إلى المقتدر بالله وإلى السيدة وأغرتهما به ، وتكذبت عندهما عليه ، وأدى ذلك إلى القبض عليه في غداة يوم الاثنين الثامن من ذى الحجة سنة أربع وثلاثمائة عند ركوبه إلى دار السلطان ، واعتقاله عند زيدان ، فكانت مدة وزارته ثلاث سنين وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً .

وكان مما فعله في وزارته هذه أن أسقط المكس ^(٢) بمكة ، والتكيلة بفارس وسوق بحر الأهواز وحِصن مهدي ، ونهر السدرة ، وكان يُعترض في هذه المواضع على ما يُجهزُ إلى البحر ويرد منه ، وتؤخذ الضرائب المُسرَّقة عنه ، وأزال جباية الجمهور بديار ربيعة . وأشار على المقتدر بالله بوقف ^(٣) المستغلات بمدينة السلام - وغلتها نحو ثلاثة عشر ألف دينار - والضمايع الموروثة بالسواد الجارية في ديوان

(١) تجارب الامم ٤٠/٥ .

(٢) المكس : ما يؤخذ من الباعة من نقود على ما يبيعونه « ضريبة » أو عند ما يدخلون بضائعهم إلى المدن « جرك » .

(٣) أى يحطها موقوفة عليها .

الخاصة - وارتفاعها نيفَ وثمانون ألف دينار - على الحرمين والثغور ، فقَبِلَ رأيَه وأشهد بذلك القضاة والشهود على نفسه ، ونصبَ عليُّ بن عيسى لهذه الوقوفِ ديوانا سماه ديوانَ البرِّ ، وردّه ^(١) إلى أبي شجاع ابن أخت أبي أيوب

ولما كان بمكة وجد الماء ضيقاً على أهلها ، وأصحابُ السلطان يُسَخِّرونَ جمالَ الناس وحميرهم لنقله من جدّة إليها ، فابتاع عددا كثيرا من الجمال والحمر ووقفها على تحلِ الماء ، وأقام لها العُلُوفَةَ الراجعة ، ومنع من السخرة وحظرها ، وحفر بئرا عظيمة في الحنّاطين ، فخرجت عذبة شَرُوباً ^(٢) وسماها الجِرّاحيّة . وابتاع عينا غزيرة بألف دينار ، وفتحها ووسّعها حتى كثر ماؤها ، واتسع الماء بمكة ، ووصل الرِّفْقُ به إلى أهل الضَّغَفِ والسكنة .

وكان فيما أُقِطِعَه عليُّ بن عيسى من إقطاع الوزارة أربعة أحجارٍ أُرْحاءَ بالعباسيّة تُعرف بالعباسيّة ، وتُعرف باليُوسُفِيّة ، قيمتها عشرة آلاف دينار . فنظَّم مجاوروها من أخذها الماء وقصوره غنهم ، وإضرار ذلك بزروعهم ونقصه من ارتفاع ضياعهم ، وتأذى أهل الشَّفّة بهذه الحال أيضاً ، فأمر بهدمها ونقضها وعملَ مسجدٍ في موضعها ، وتوفّر الماء على أهل الضياع والشَّفّة .

وحدث أبو علي عبد الرحمن بن عيسى قال : لما ابتاع أخى أبو الحسن عليُّ بن عيسى من تركة نازوك ووالدة القاسم بن عبيد الله الثُّلُثَ من حصتها في قصر القاسم في سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، وأضاف إليه حصصا ابتاعها الزوجاتُ وبعضُ الأولاد الأصاغر ، وعمل ذلك داره المعروفة بباب البستان ، وكانت مسناة ^(٣) القصرِ

(١) أى جعل الإشراف فيه لأبي شجاع .

(٢) الماء الشروب الصالح للشراب .

(٣) المسناة هنا : المشرقة أو المجرى والقناة .

القديمة بعيدة من دجلة فأخرج أحمد بن بدر عم السيدة أم المقتدر بالله مسنة لداره المجاورة له إلى الماء ، وفعل عبيد الله بن القاسم مثل ذلك من الجانب الآخر ، وبقيت دار أخى مستورة بينهما ، فخطبه أبو إسحاق إبراهيم أخونا في ذلك ، وأعلمه ما في إخراج المسنة - حتى توازنهما - من الزيادة في قيمة العقار ، وكانت الذراع على دجلة في المواضع الرذلة على ذلك العهد تباع بدينار عتينا . فقال له : قدّر لها ولما يُبنى عليها ما يُحتاج إليه من النفقة . فقدّر لذلك مائة ألف درهم ، وصوّر البناء ، وأحضره الصورة والتقدير . فاقام أبو إسحاق يحثه على إطلاق المال والابتداء بالعمل ، والوزير يُعده ويدّفعه ، حتى إذا اجتمع في خزانته ما جعله لذلك من ارتفاع ضيعته ، تقدّم إلى خازنه بإحضاره ودعا بعبد الوهاب بن أحمد بن ماشاء الله ، فأعطاه إياه ، وأمره بصرفه في ضِعفاء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي فقراء المسلمين ومساكينهم بعد أن أثبتهم في ديوانه ، ففعل ، وأخرج جميع المال وفرقه عليهم . وحضر أبو إسحاق ، فذكره بالعمل والأمر بتقديمه قبل زيادة دجلة ، فضحك إليه وقال لا بن ماشاء الله : حدّثه يا أبا القاسم بحديث العقار الذي ابتعنا ، وتجاوزّه في النفع هذا البناء الذي لا يزيد الله منّ حوله إلا إثمًا وبُعدًا . فحدّثه ، فخار أبو إسحاق ، وما أمكنه الجواب ، وعلم أنه كان من وعده على غرور . وبقي ماء داره محبوبا ، وسمّى الفضاء بين المسنتين الستيني .

وكان أبو إسحاق إبراهيم بن هلال جدّي ابتاع دار عبيد الله بن القاسم من أبي الحسن بن أبي عمرو الشرابي حاجب الخلافة بخمسة آلاف دينار ، وكانت مسنّتها طاعنة في دجلة لا يفارقها المساء في سائر أوقات السنة .

ذكر خلافة أبي الحسن علي بن عيسى لحامد بن العباس

وتفرّده بالأمر من بعد ذلك ^(١)

قد أوردنا في أخبار حامد عند وزارته ما جرى أمر أبي الحسن بن الفرات معه ^(٢) وبعده ، وما انتهى ذلك إليه من القبض عليه ^(٣) واعتقاله عند زيدان القهرمان . وراسله المقتدر بالله بأن يصدق عن أمواله ، فكتب رقة يذكر فيها أنه لا يقدر على أكثر من ثلاثة آلاف دينار . واتفق من ورود القرامطة ^(٤) إلى البصرة ، ودخولهم إليها واستيلائهم عليها ونقلهم ما وجدوه فيها ثم انصرفهم بعد أيام عنها ، ما دعا إلى إخراج بُنَيَّ بن نفيس لقتالهم ودفعهم ، ووصل وقد عادوا إلى بلدهم . فكتب إلى ابن الفرات بذلك ، وبأنه أسرَ قوماً منهم ، وحكى عنهم أنهم قالوا : إن عليَّ بن عيسى كاتبهم بالمسير إلى هناك ، وأنفذ إليهم في عدة أوقات هدايا من سِلاح وآلات . فلما وافى ^(٥) هؤلاء الأسراء ، وعرض ابن الفرات على المقتدر بالله كتاب بُنَيَّ بن نفيس فدَّكرهم وذكر ما حدثوا به عن عليَّ ابن عيسى ، أمر بالجمع بينه وبين القوم ليواجهوه بما قالوا فيه ، فأخرج وجمع بينه وبينهم بحضرة ابن الفرات . فقال عليُّ بن عيسى : من كانت صورته صورتي في سخطِ السلطان وانحرافِ الوزير عنه لُقي بالحق والباطل . ثم عدل ابن الفرات إلى خطابه في أمر الأعمال فقال له : قد كان عليُّ بن أحمد بن بسطام أخذ خطوط

(١) راجع تجارب الأمم ٥/٨٠ وما بعدها والفخرى ٢٢٧ وابن الأثير حوادث ٣٠٦ .

(٢) معه : أي مع علي بن عيسى .

(٣) أي من القبض على علي بن عيسى راجع تجارب الأمم ٥/١٠٤ .

(٤) كان قائدهم أباطاهر سليمان بن الحسن الجنابي انظر تجارب الأمم ٥/١٠٤ .

(٥) تجارب الأمم ٥ .

المادرائين في وزارتي الثانية بألف ألف وثلاثمائة ألف دينار صلحاً عن خراج ضياعهما بمصر والشام ، وما أخذاه من المرافق عند تقلدها الأعمال في أيامك الأولى .
وبقي عليهما من المصادرة التي واقفهما أبو علي الخاقاني عليها ، وأدباً في أيامي نحو خمسمائة ألف دينار ، وكانا على أداء تبتة المال ، حتى صرفت ابن بسطام . ساعة وليت . عن الدواوين ، وقلدت هذين العاملين الخائنين المجاهرين بأخذ أموال السلطان واقتطاعها^(١) ، وكتبت عن أمير المؤمنين بإسقاط مآل الصلح عنهما ، وذكرت أنه أمر بذلك ، وقد سأله فأنكر دَعَاكَ عليه ما ادّعيته . فقال علي ابن عيسى : كنت في الوقت كاتباً لحامد ، وخليفة له على الأعمال ، ومتصرفاً على أمره في كبير الأمور وصغيرها ، وهو ذكر لي عن أمير المؤمنين أنه أمر بإسقاط هذا المال ، ووقع بذلك توقيعاً كتبت في آخره بامثاله كما يفعل خليفة الوزير فيما يأمر به صاحبه . فقال له ابن القرات : أنت كنت تعارض حامداً في كل أحواله ، وتخاصمه في السير^(٢) مما يخرج عليه من مال ضمانه ، حتى تحدث الناس بكما ، وعجبوا لما يجري بينكما ، فلم تركت أن تستأذن السلطان في مثل هذا المال الجليل ؟ فقال : كنت في أول الأمر كاتباً لحامد مدة سبعة أشهر حتى بان لأمر المؤمنين ما رأي معه التعويل على في تدبير الأمور ، وكان ما جرى من أمر المادرائين في صدر أيام حامد . فقال له ابن القرات : فلما اعتمد عليك أمير المؤمنين ألا^(٣) صدفته عن غلط حامد فيما غلط به وفرط فيه ؟ فقال : إنما تركت ذلك

(١) في الأصل : واقتطاعهما والنصوب من تجارب الأمم ١٠٦/٥ فقيه : المجاهرين باقتطاع مال السلطان .

(٢) في الأصل : السير والنصوب من تجارب الأمم ١٠٦/٥ .

(٣) ألا معناها : هلاً .

لأننى أخذت خطَّ الحسين بن أحمد بحضرة أمير المؤمنين بألف ألف دينار
عن مصر والشام خالصاً لِلْحَمَلِ^(١) ، بعد التفقات ومال الجند فى تلك الأعمال ،
وكان ذلك غاية ما قررتُ عليه . فقال ابن الفرات : أنت يا أبا الحسن تعمل
[أعمال]^(٢) الدواوين منذ نشأت وقد ولّيت ديوان المغرب سنين كثيرة ،
وقد تقلّدت الوزارة ، فهل رأيت من يدع مالا واجبا يؤدّى مُعَجَّلاً ويأخذُ
المَوْض عنه ضماناً مُوَجَّلاً لا يُدْرى ما يجرى فيه ؟ وهبك على ما ذكرت
من أنك رأيت ذلك صوابا و [هو]^(٣) خطأ ، فهل استوفيت مال الضمان
من هذا الضامن بخمس^(٤) سنين دبّرت فيها الملكة ؟ . فقال : قد كان حمل
من مال السنة الأولى صدراً ثم حدث من تغلب العلوى^(٥) بإفريقية على
أكثر تلك النواحي مادعا إلى خروج مؤنس المظفر وانصراف المال فى نفقاته
وأعطيات الجند ، وانكسر الباقي لأجل هذه الحادثة . فقال ابن الفرات : انهزم هذا
العلوى منذ سنتين ، فهل أدى ماله^(٦) كاملاً ؟ . فقال على بن عيسى فى جواب
ذلك قولاً استوفاه لنفسه ، وأخذ ابن الفرات خطّه بالحجة عليه وله بآنة قد رضى
بحكم أمير المؤمنين . ثم قال له ابن الفرات فى آخر قوله : قد أمر أمير المؤمنين بأن
تطالب بالأموال التى اقتطعتها وجمعتها ، وينبى أن تُعطىها عفواً وتصون نفسك عن

(١) يريد : للحمل إلى بيت المال . كما فى تجارب الأمم ١٠٥/٧ .

(٢) زيادة من تجارب الأمم .

(٣) زيادة يحتاج إليها السلام . وفى تجارب الأمم : وهبك أغصبت كما ذكرت ورأيت ذلك
صوابا فى التدبير قبل استوفيت

(٤) أى : فى خمس سنين . وفى تجارب الأمم : فى مدة خمس سنين .

(٥) يريد به : الهدى عبيد الله .

(٦) فى الأصل : ماله . وفى تجارب الأمم ووجب على هذا الضامن مال سنتين كاملتين بعد هزيمة
العلوى فهل استخرجت من هذا الضامن ألفى ألف دينار ؟

المكروه . فقال : لست من ذوى الأموال ، ومالى قُدْرَةٌ على أكثر من ثلاثة آلاف دينار . فقال له ابنُ الفرات : تقول هذا وقد وُجِدَ لك عند عيسى الناقدر سبعة عشر ألف دينار وأخذَ خطَه بها ودِيعَةً كانت لك عنده ؟ فقال . هذا رجل قلَّدته مال ضياع البرِّ والجُهْدَةِ ، وعنده أموال حاصلة ، فإمَّا أن يكون المال منها أو تكون قد أخذت ماله ونسبته إلىَّ وأكرهته على أن كتب خطَه بذلك . فقال له ابنُ الفرات قد أسقطت من أرزاق أولاد القراية والحرم والحواشي والخدم والفرسان الذين كنت أوفِّمهم أرزاقهم في أيامى الأولى والثانية مدة خمس سنين دبرت فيها الملكة ، وأخذت من ارتفاع ضياع الملك والإقطاع بعدما أفرد منها للأمرء ما يكون مبلغه - مع ما كنت أحمله إلى أمير المؤمنين في وزارتي الثانية - وهو في كل شهر خمسة وأربعون ألف دينار للمدة المذكورة - الجملة الكبيرة ، فإما أن تكون قد احتجنت^(١) ذلك لنفسك أو أضعته^(٢) لتفريطك . فقال له على بن عيسى : ما استغللتُ من الضياع ووفَّرتُه من أرزاق من يستغني عنه تمتُّ به عجزاً أدخل في الخرج حتى اعتدلت الحال ، ولم أمدد يدي إلى بيت مال الخاصة . وأما خمسة وأربعون ألف دينار التي كنت تحملها من المرافق فإني لم أر ما رأيت أنت قط من المرافق للعمال ، بل حظرتُها عليهم علماً بأنها طريق إلى ضياع الحقوق وخراب البلاد وظلم الرعية ، وأنت كنت توصي الحواشي بإخراب بيت المال ، وتحوّل مافي بيت مال الخاصة إلى بيت مال العامة ، ومن الدليل على ذلك أني كنت أتولى ضياع ديوان الخاصة ، فلما تقلدت الوزارة بعد العباس بن الحسن انصرفت عنه فتركت في بيت مال الخاصة سبعة عشر ألف ألف دينار حاصلة ، فلما قلَّدني أمير المؤمنين

(١) احتجنت المال . ضمه إلى نفسه واحتواه .

(٢) في الأصل : وضعت والتصويب من تجارب الأمم ١٠٨/٥ .

وزارته في سنة إحدى وثلاثمائة لم أجد من ذلك المال شيئاً كبيراً . فقال له ابن الفرات :
اكتب خطك بأنك خلقت في بيت مال الخاصة سبعة عشر ألف ألف دينار .
فبدأ يكتب ثم وقف وقال : حتى أرجع إلى الحساب وأعرف المبلغ على تحقيق .
فقال له ابن الفرات . ما الأمر على ما وقع لك ، فإن المعتضد بالله توفي وفي بيت مال
الخاصة عشرة آلاف ألف دينار ، وتوفي المكتفي بالله وفي بيت مال الخاصة أربعة
عشر ألف ألف دينار . أطلق العباس بن الحسن منها في البيعة لأمير المؤمنين ثلاثة
آلاف ألف دينار . ووجدت أعمال فارس وكرمان خارجة عن يد السلطان
منذ أيام المعتضد لا يحمل منها المتعلّبون عليها إلا النزر اليسير ، فصَدَّقْتُ أمير المؤمنين
عن صورتها وضمّنتُ له فتَحَها ففتَحَها . وقد كانت لي أموال جمعتها في خدمة أمير
المؤمنين أنا وأخي وأسلاف مع أسلافه ، وضياع وإفرة الارتفاع ، فلما رأى أمير
المؤمنين أخذها كان أحقّ بها ، فصَحَّ لي في بيوت الأموال في دفعتين أربعة آلاف
ألف دينار .

ثم أخذ ابن الفرات في مطالبته بالمال ، فأقام على أنه لا مال عنده ، وأعيد
إلى محبسه .

وكانت له بعد ذلك مناظرات ، منها ما حدّث به أبو محمد عبد الله بن عليّ
المعروف بذكويه كاتب نصر القشوري الحاجب ، وأبو الطيّب محمد بن أحمد
الكلوذاني كاتب بني الفرات قالوا : حضر أبو الحسن بن الفرات في وزارته الثالثة في
يوم الخميس لحس ليال بقين من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة في أيام
المقتدر بالله ، وجمع القواد والقضاة والكتّاب ، فأحضر أبو الحسن عليّ بن عيسى
من محبسه وجمع بينه وبين ابن فلحة ^(١) رسوله - كان - إلى القرامطة في وزارته

(١) الكلمة غير واضحة النقط في الأصل .

الأولى حتى واجهه بأنه أنفذه إلى القرامطة مبتدئاً ، وكتبوه يلتمسون منه المسامحة والطلاق^(١) وغير ذلك ، فحُمل جميعه إليهم ، وأخرج أبو الحسن بنُ الفرات نسخة كتاب أنشأه ابنُ ثوبان عن علي بن عيسى إلى القرامطة جواباً عن كتاب ورد منهم إليه وفيه إصلاحات بخطه ، ولم يقل فيها : إنكم خارجون عن ملة الإسلام لمخالفتكم الإجماع وعصيانكم على الإمام . بل قال : ولكنكم خارجون عن جملة أهل الرشاد والساد . وداخلون مع أهل العناد والفساد .

وقال ابن الفرات لعلي بن عيسى مؤبَّحاً ومُهَجِّباً : تقول - ويحك - للقرامطة الذين قد أجمع الناس أنهم أهل ردة وضلالة قولاً تلحقهم فيه بأهل الملة وهم لا يصطنون ولا يصومون ولا يدينون بما يدين به المسلمون ، وتنفذ إليهم الطلق الذي إذا طُلِيَ به البدن أو غيره لم تعمل النار فيه ؟ قال : إنما اعتمدت بذلك المصلحة ، وأن أستعيدهم إلى الطاعة بالرفق والاستمالة . فقال ابنُ الفرات لأبي عمر القاضي : ما عندك في هذا يا أبا عمر ؟ فتوقف عن جوابه ، وأقبل على علي بن عيسى وقال له : قد أقررت يا هذا بما لو أقرَّ إمامٌ به لسقطت طاعته وتمطلت إمامته . قال : فنظر علي بن عيسى إليه نظر منكر لقوله ، لعلمه بأن المقتدر بالله بحيث يسمع ما يجرى ولا يرى . وطالب ابنُ الفرات أبا عمر بأن يكتب خطه بشيء من هذا المعنى ، فلم يفعل وقال : قد غلط علي بن عيسى غلطاً كبيراً فأما جواب هذا القول فما عندي . فأخذ خطه بما سمعه من إقراره في أن الكتاب كتابه ، وأن الإصلاح في النسخة بخطه .

ثم أقبل ابنُ الفرات على أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضي فقال : ما عندك يا أبا جعفر في ذلك ؟ فقال : إن أذن الوزير أن أقول ما عندي على بيان قلته . قال : افعل . قال : صح عندي أن هذا الرجل - وأوماً إلى علي بن عيسى -

(١) الطلق : ما تعطل الآن منه بكرة « التلك » وكذلك الجير النقي .

استخلص بكتابين كتبهما إلى القرامطة في وزارته الأولى ابتداءً وجواباً ثلاثة آلاف رجلٍ من المسلمين كانوا مُستعبدِينَ معهم ومُسترقِّين بالاستحلال منهم ، حتى رجعوا إلى أوطانهم وأولادهم ونِعَمِهِمْ وأموالهم . فإذا كتب الإنسان مثل هذه الكتب على وجه الصَّلاح والمُعاطلة للعدو لم يجب عليه حكم . قال : فما عندك فيما أقرَّ به من أن القرامطة مُسلمون ؟ قال : إذا لم يثبتَّ عنده كفرهم ، وكتبوه بذكر الله والصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وانسبوا إلى الإسلام ، وكانوا إنما يُنَازِعُونَ في الإمامة ، لم يُطلق عليهم بالكفر . قال له : فما عندك بالطلق الذي إذا طُلِيتُ به الأبدان لم تعمل النارُ فيها يحْمَلُ إلى أعداء الإمام - ورفع صوته بذلك على أبي جعفر كالمُكْرِ لما جرى من قوله - فقال أبو جعفر لعليُّ بن عيسى : أنفذت الطلقَ الذي هذه صورته إلى القرامطة ؟ قال : لا . فقال ابن الفرات : رسولك وثقتك ابن فلحة . . (١) يُقرُّ عليك بذلك . فدهش عليُّ بن عيسى وأمسك . فقال ابن الفرات لأبي جعفر بن البهلُول : احفظ اعترافه بأنَّ ابن فلحة رسولُه وثقتُه ، وقد أقرَّ عليه بما أنكره . فقال : أيها الوزير ، ليس هذا إقراراً إنما هو دعوى . قال : فهو ثقته بإفاده إياه . قال : إنما وثَّقَه في حمل كتاب ، ولا يُقبل قوله عليه في غيره . فقال ابن الفرات : أنت يا أبا جعفر وكيله لا حاكم . قال : ما أنا وكيل لكنني أقول الحقَّ كما قلته في أمر الوزير - أيده الله - لما أراد حامد في وزارته الحيلةَ عليه بما هو أعظم من هذا . فعَدَلَ ابن الفرات إلى أن قال لعليُّ بن عيسى : يا قَرْمَطِيَّ فقال : أنا أيها الوزير قَرْمَطِيَّ ؟ أنا قَرْمَطِيَّ ؟ - وكرَّرها تعريضاً به - . قال : نعم ، وكان عندي أنك عدُوُّ لأمير المؤمنين وبنى العباس خاصَّةً - أعز الله سلطانهم - وإذا أنت عدُوُّ للمسلمين كافَّةً . فأمسك عليُّ بن عيسى خوفاً

(١) قط الكلمة غير واضحة في الأصل .

على نفسه . وأخذ نصره ^(١) الحاجب والحسن بن أبي الحسن بن الفرات يسده وأقاماه بعد أن استأذنا الوزير في الخلوة به ، فأذِن ، فجلسا معه على انفراد .

قال أبو الطيّب في حديثه : فقيمتُ معهما ، وسمعت ما جرى بينهما وبينه وكان أن قالَا له : إن رجعتَ إلى موضعك من تحيسك ولم تُقرّر أمرَكَ في صلحك خفناً عليك من استحلال السلطان دَمَكَ بعد ما سمعته عنك . ولم يزالا به إلى أن استجاب إلى ثلاثمائة ألف دينار يُعَجَّل منها الثلث في ثلاثين يوماً ، ويؤدى الباقي على رَسْم المصادرات ، وكتب خطّه بذلك ، وعادا إلى ابن الفرات وعرفاه ما جرى فأَمْضاه . واستدعى عليّ بن عيسى وجعل يواقفه على شرائط الخط ، وكان إذا امتنع الوزيرُ من شيء غمز أبو الحسن عليّ بن عيسى يده وقال : يتفضّلُ الوزير . فيستحي ابن الفرات ويَطْرُق ثم يفعل - وإنما كان عليّ بن عيسى يفعل ذلك إذكاراً بعهد كان بينهما في أيام العباس بن الحسن ومعاقدته في أن يتعاضدا ويحرس كل واحد منهما صاحبه ، ولا يسعى على نَفَمَتِهِ ولا نَفْسِهِ - حتى إذا انتهى القول إلى حق بيت المال في ضياع عليّ بن عيسى قال عليّ بن عيسى : وعما كثرَ به العمالُ عليه من حق بيت المال في ضياعه ، ووجوبه مُدَّة ، وذَكَرُوه في تحيفه السلطان في ذلك ! فقال له ابن الفرات : كُلُّ شيء أحتمله وأفعله إلا أن تُعرّضني لما يقدح في صناعتي ، ويَطْرُق عيياً عليّ في خدمة سلطاني ، أرايتك إن كتب العمالُ بأنه يجب عليك من هذه الجمّة ثلاثمائة ألف دينار أَلَسْتُ أكون قد أخذتُ خطّك بحق بيت المال في ملكك لا مصادرةً عن نصرُفك ؟ وقد تَرَدَّدَتْ في الوزارة والأعمالِ الجليّةِ مَذهَ عشر سنين ؛ ولكن خُذ مبلغاً في استثنائك بما يُسْتَننى به لتنفيك . فقال : عشرون ألف دينار . فأجابه إلى ذلك ، وكتب عليّ أنه : متى أوجب العمالُ عليه

بالعدل والإنصاف والموافقة التي لا يعترضها تحيُّف من حقِّ بيت المال في سائر ضياعه ووقوفه منذ وقت ملكه لها وإلى هذا الوقت ما يكون مبلغه من ألف دينار إلى عشرين ألف دينار فقد دخل ذلك في مال المصادرة ، وإن زاد على هذا المبلغ كانت الزيادة خارجةً عن الجملة ، ولازمةً له بعدها .

ولما تقرَّرت النسخةُ وابتدأ عليُّ بنُ عيسى يُحرِّرها بخطِّه كتب في التعجيل : بعد ثلاثين يوماً . فقال له ابنُ الفرات : ارفق بنا يا أبا الحسن ماصغرنا وكبرت ، أفادعك تسعةً وعشرين يوماً لا أطالبك ولا تؤدِّي شيئاً ؟ ولكن اكتب : أصحَّحه أوَّلاً أوَّلاً في مدة ثلاثين يوماً . فقال عليُّ بنُ عيسى : على شرطٍ من أن يكون ابتدائي بالأداء إذا خرجتُ من دار أمير المؤمنين إلى موضع يأمنُ الوزير - أيده الله - فيه على نفسي - يومئذٍ ألاَّ يسلمَ إلى المحسِّن أو من جرى مجراه في إشفاقه وخوفه إياه - فتقرر الأمرُ على ذلك وأنفذَ الخطَّ إلى المقتدر بالله فأمضاه ، ورُدَّ أبو الحسن عليُّ ابن عيسى إلى محبسه .

وقالت زبدان القهرمانة والسيدةُ للمقتدر بالله : إن سلَّم عليُّ بن عيسى إلى ابن الفرات سلَّمه إلى ابنه الحسن ، ولم يؤمِّنْ عليه منه ، وهو رجل دَيْنٌ وقد خدمك وخدم أباك ، وليس يُفزع اليوم إلا منه ، فلا تسلمه إليهم . وقد رتبا بذلك أن تبطلَ المال الذي قرَّره عليُّ بن عيسى على نفسه . فقال - وقد كان وقرَّ في صدره ما سمعه من حديثه مع القرامطة وتَشَمَّتْ به رأيهُ فيه - : إن أدَّى المال في داري لم أسلمه ، وإن تقاعد وألَطَّ ^(١) مكنتُ المحسِّن في داري وغير داري منه وسلمتهُ إليه .

وأخذَ المحسِّنُ في الإغراء بعليِّ بن عيسى ، فاستدعاه إليه في دار الخلافة أياً ما

(١) ألط : منع من الحق .

من غير حضور الوزير أبيه ، وطالبه وجدَّ به ، فأحال عليُّ بنُ عيسى على خطِّه
وماشَرَطَ فيه له وعليه . فقال له الحسن : هذا تقاعد ، وتريد ألاَّ تُؤدِّيَ في دار أمير
المؤمنين ولا تُسَلِّمَ إليَّ ، وهذا أمر لا يتم . فإذا أدبت بحيث أنت ، وإلاَّ أخذتك إليَّ .
فقال عليُّ بن عيسى : هذا نقض لما تَقَرَّرَ . واستدعى أحد بن محمد بن جاني ، وكان
يتولى ضيعته ، وإبراهيم بن أيوب النصراني ، وكان يكتب بحضرة ، فلما حضر
أمرها ببيع داره التي في سويقة أبي الورد المعروفة بدليل النُّصراني ، وعقار له يجاورها
فلم يَرُجْ من ثمن ذلك إلاَّ ألفا دينار وكسْرًا . واستعفى إبراهيم من العود فأعفى
وواصل ابن جاني . وأراد الحسنُ أن يُوحِّثه ليقف أمرُ عليِّ بن عيسى فقال له :
أنت كنتَ كاتبه على ضياعه ، ورسولَه إلى أصحاب ودائمه ، ولا بد من أن تصدق
عما نعرفه من أموره ، وأوقع به مكروهاً غليظاً أغمى عليه فيه ، وقيل : إنه تلف ،
ثم أفاق وتراجع ، وجزع الحسن من ذلك فأطلقه ، إلاَّ أنه استتر ، ووقف أمرُ عليٍّ
ابن عيسى . وواصل الحسن القول في بابه عند المقتدر بالله ، ونسبه إلى التقاعد في فعله ،
وحضر الوزيرُ والحسن في يوم الاثنين الثالث عشر من رجب بحضرة المقتدر بالله ،
فجدد الحسن القول في أمر عليِّ بن عيسى وسكت الوزير ، وأقبل المقتدر بالله عليه
وقال له : أنت رجلٌ خَيْرٌ^(١) ، وتريد أن تتفضل عليَّ بن عيسى ليقول الناس :
رعى حقَّه وعرف له حُرمة ما كان بينه وبينه ، وراعى ذمام الصناعة فيه . ويضع
مالِي في الوسط ، وما أصبر على ذلك . وهذا رجل قَرْمَطِي ، ودمه وماله حلالان ، وإذا
وهبتُ له ماله فلا أقل من أن يُستَوْفَى مَالِي منه . ثم قال للحسن : اخرج أنت
واجلس في الدار ، واستدع بعليَّ بن عيسى ، وأرهبه ، فإن أقرَّ بدوائمه وخرج مما
قرَّره على نفسه وإلاَّ قيَّده ، فإن أذعن وإلاَّ لبسه مع القيد جَبَّة صوف ، فإن أقام

(١) الخير من معانيها الكثير الخير .

على أمره أوقع المكروه به في جسمه بمحض من القواد جزاء له على ما فارق الطاعة .

فخرج الحسن وجلس معه نصر القشورى الحاجب ونازوك والقواد ، وأحضر على بن عيسى ، فبدأ الحسن بالرفق ، ثم نقله إلى الأغظ فلم يستجب إلى أداء شيء في دار الخلافة ، وقال : ما يمكنني الاحتيالُ وتصحيحُ المال إلا بحيث أن أكون في موضع آمن فيه على نفسي ، ويمكن أن يحنني من أريده من كتابي وأحبابي بحسب ما تقرر من شرائط خطي .

فتقدم الحسن إلى نازوك بإحضار قيده فيه عشرون رطلاً وجبةً صوف مدهونة بماء الأكارع ، فأحضرهما ، وجيء بمجداد ، وأمر بتقييده . فلما بدأ بذلك نهض نصر القشورى منصرفاً . فقال له الحسن : ما يمثل هذا عاملتي يا أبا القاسم لما أنفذ هذا عامله ابن حماد حتى قيدني بحضرتك ، وأمر على المكروه بمشاهدتك . فقال له نصر : والله ياسيدي ما ندرى كيف نصنع إذا غضب مولانا على وزرائه وكتابه وأمر فيهم بأمر ، إن حضرنا عادونا إذا عادوا إلى الخدمة وسعوا في قبيحنا ، وإن امتنعنا من الحضور عادانا من إليه الأمر ، فدلونا على ما نتخلص به منكم .

وتركه ومضى إلى حجرته المرسومة بالحجة في دار الخلافة . وجعل القيد في رجل على بن عيسى وضربه الحداد بالمطرقة ليسمره ، فأخطأ وأصاب كعبه ، فقال على بن عيسى : يا هذا، أي عداوة بيني وبينك حتى فعلت ما فعلت ؟ فقال له : كيف لا أعاديك وقد أسقطت من رزقي ديناراً ؟ فوثب نازوك ليضى . فقال له الحسن : أنت صاحب الشرطة وهذا أمر يلزمك القيام به ، فإذا تركته وانصرفت لم يكن جلوسى معنى ، وإذا كنتم على هذه الحال من محبة على بن عيسى ومراقبته ، وقد سمعتم من أمير المؤمنين لى فيه ما سمعتموه ، فألاً واجهتموني بالامتناع من الحضور

أَوَّلًا ؟ فقال له نازوك^(١) : ما أستحسن أن أحضر مكروه رجل قَبَلْتُ يده
عشر سنين ، وله عندي من الأيادي والفضل ، ومع ذلك فهو شيخ يتدين ويصوم
الدهر . فاعتاظ الحسن وقال للقواد الباقين : إن جلستم وإلا قت ، فليست صاحب
شرطة ، فقمعدوا . وأخذ ياقوت وصالح من بينهم يستعطفانه لعل بن عيسى ، وسألاه
ألا يلبسه الجبة الصوف ولا يجري عليه مكروها . فقال : لا أفعل إلا أن يكتب
خطه بأداء ثلاثين ألف دينار في عشرين يوما ، إذا لا أقل من ذلك ، فقال على
ابن عيسى : لا أكتب بما لا أفي به ولو قطعت يدي . فألبسوه الجبة حينئذ ،
وقال له : لم يبق إلا المكروه فإن استجبت وإلا امتثلت أمر أمير المؤمنين في
إيقاعه بك ، وكنت أنت الذي توقعه بنفسك . فقال : إذا كتبت بما لا أتمكن منه
وقع المكروه بحجة ، وإن وقع بي الآن كنت مظلوما . فدعا الحسن بفسرة غلمان
كان قد واقفهم على أن يشددوا المكروه به ، وأمرهم بصفعه ، فصفعه كل واحد
صفعة عظيمة ، فصاح في ثلاث : أوه . وقال في الباقي : أستغفر الله من ذنب
مكن مثلك من مثلي . وكان مفلح قد قام ودخل إلى حضرة المقتدر بالله قبل
ما جرى على بن عيسى وكان قريبا من الموضع . فلما سمع المقتدر قوله واستغفاره باللفظ
الذي وصله به رق له ورجه وقال : ما أشك في أن على بن عيسى خير عند الله
من الحسن ، وقد وقع السرف فيما عومل به وبلغ منه . فاخرج وحل بين الحسن
ومكروهه . وردّه إلى محبته .

وقامت القيامة على السيدة وزيدان بما جرى وقالتا : إنما صنّا ابن الغرات
ومنعنا أعداءه منه لما كان يصون الوزراء ويعرف حقوقهم ، والآن فقد بسط
هذا الجنون ابنه لما يخالف العادة ويورث القباحة والشناعة .

وانصرف المحسن إلى أبيه وعرفه ما جرى ، وقد كان آخر طعامه انتظاراً لحضوره . فلما وقف من الصورة على ما أخبره به قَلِقَ من ذلك قلقاً شديداً وقال ^(١) :
كان يجب يا بني ألا تفعل ما فعلته وتقبل ما أمرت به كُله ، وأنت حدثت لم تجرب الأمور ، ومغرور لم تتدرب ، وقد أفسدت أمرَ علي بن عيسى علينا . ووالله لا سَلَمَ بعد هذا إلينا .

ووجه من وقته إلى هشام بن عبد الله فاستحضره ، وأعلمه ما كان من المحسن وجانيته في أمرِ علي بن عيسى ، وقال له : سَتَعْظُمُ زِيدَانُ على الخليفة والسيدة ما جرى ، وتجعلُ ذلك طريقاً إلى نزع جُبَّتِه وفكِّ قِيدِه ، وألَّا يُسَلِّمَ إلينا ، فما الرأي عندك ؟ قال : أن تكتبَ ^(٢) الساعة إلى الخليفة رقعةً بخطِّكَ لا بخطِّ كاتبٍ من كتابك ، وتذكُرْ له ما انصرف به إليك أبو أحمد من خيرِ علي بن عيسى ، وأن ذلك أقلقك وأزعجك ، وشقَّ عليك وبلغ منك ، حتى دعاك إلى ترك الأكل ، وتنسب المحسن إلى الحداثة وركوب الخطأ فيما فعله ، وتقرِّظ علي بن عيسى ، وتستعطف رأيه له ، وتذكُرْ ما سلف من حقوقه وحُرُمَاتِه ، وتسأله الصّبح عنه ، والتجاوز عما أنكره منه ، وترغب إليه في فكِّ قِيدِه ونزع الجُبَّة عنه . لتوهمه بذلك إنكارك للقصة ، ويشيع أن تنحية قِيدِه وجبته بشفاعتك ، وتُمنِّيَ علي بن عيسى بما صدر عنك . فأمّا متى لم تفعل هذا فُعل بغير مرادنا ، وخسِرنا الحمد والنِّعَةَ ، وحصلنا على القباحة والشناعة .

فقال ابن الفرات : صدقت وأصبت الرأي . وكتب الرقعة وأنفذها مع صافي الخادم ، وكان يحمل رِقَاعَه إلى المقتدر بالله ، فأخذها مفلح منه ، وأوصلها ، وعاد الجواب

(٢) انظر تجارب الأمم ١١١/٥ .

(١) انظر تجارب الأمم ١١٠/٥ .

من وقته بخط نعمة الكتابة، يتضمن شكر الحسن على ما كان منه، وذم^(١) على ابن عيسى، واستصغار ما جرى عليه، وأن الحسن لو لم يمثل ما أمر به فيه لأفسد حاله عنده، وأنه مع ذلك قد شفع أبا الحسن بن الفرات في علي بن عيسى، ووجهه له وأمر بزرع الجبة والقيد عنه.

ومضت عشرة أيام، وأنفذ علي بن عيسى إلى ابن الفرات، وقيل له: قد حُجِل إليك لتطالبه بالمال المقرّر عليه. وكان الباطن أن زيدان قالت لابن الفرات: لولا ما استعمله الحسن ابنك بعلي بن عيسى لَسَلِمَ إليك إقامة لجاهك لثلا يظهر من منعك عنه ما تضعف به يدك. وأشارت عليه بنقله إلى دار شفيع اللؤلؤي من وقته، وأن يظهر اختيار علي بن عيسى لذلك وسؤاله إياه. ووعدها ابن الفرات بالعمل على رأيها. وأحضر علي بن عيسى دار ابن الفرات وهو في دار حرمة، فجلس في رواق بقرب من مجلس ابن الفرات، ومعه فائق وجّه القصعة وفلفل، وكانا يشهدان عند القضاة. ولما رأى كُتّاب ابن الفرات علي بن عيسى قاموا إليه، وسلموا عليه، وأذن بصلاة العصر، فقام علي بن عيسى وصلى بقوم اجتمعوا خلفه، ودخل هشام إلى ابن الفرات وقال له: أهنيء الوزير أيده الله. فقال: بأي شيء؟ قال: تقلّد علي بن عيسى الصلاة في دارك، ومَسَّ^(٢) على الخدم والعامة بذلك. فقال ابن الفرات: ما أَرَادَ إِلَّا التَّفَاوُلَ بأن يقيم حقاً في هذه الدار ويأمر وينهى.

ثم خرج ابن الفرات من دار حرمة إلى مجلسه، وقام إليه فائق وفلفل وأوصلا رقعة المقتدر بالله إليه بإفاده علي بن عيسى ليؤدّي ما قرّر عليه وكان فيها: إن علياً وإن كان قد أخطأ وأذنب فله خدمة وحرمة، وأريد أن تُراعِيَه

(١) تجارب الأمم ١١٩/٥.

(٢) مَسَّ تنميساً: ليس عليهم الأمر لاساً.

في مطعمه ومشربه ، وتفقده أجل تفقد وأحوطه ، فقد ضمن الإسراع إلى أداء المال .
فلما قرأ ابن الفرات الرقعة استدعى على بن عيسى ، وقرّبه حتى صارت ركبته مع
مرّفع الدواة ، واجتمع الناس ينظرون ، ووافى الحسن ، فقام على بن عيسى ، وقد
كان الأمراء والقواد وسائر الطبقات يقومون للحسن في مجلس أبيه ، فلم ينكر ابن
الفرات قيام على بن عيسى لابنه . وأعاد ابن الفرات قراءة الرقعة الواردة ، ودفعها
إلى الحسن حتى وقف عليها وردّها بعد ذلك إلى أبيه . فأقبل ابن الفرات على
الخادمين وقال : ما أقبح ما وصيت به من تفقد أبي الحسن في مطعمه ومشربه ، فإن
كان ذلك لتقصير يُظنّ بي فيما هذه سبيله فما أبعدني عن مثله ، وإن كان لكناية عن
أمر آخر فأرجو ألا أكون في منزلة من يستجيزه أو يُطلقه . وقد سلّم حامد إلى مع
تناهيه في العداوة لي واستعمال القبيح معي فعاملته بالجميل الذي عُرِف ، ومعلوم فرق
ما بينه وبين أبي الحسن عندي .

وقد كان ابن الفرات قطع لحامد لما سلّم إليه ثياباً بعشرة آلاف درهم ، وأصلح
له فرساً وثيرة ، وأجلسه في دار كبيرة ، وأخدمه عدّة غلمان وخدم ، وكان يُبجّره
في كل يوم دفعات ، ويُقدّم إليه أحسن وأوسع طعام ، فاستخرج بذلك منه ألف
ألف وثلاثمائة ألف دينار لا يعلم بها أحد غير حامد ، كان منها أربعمائة ألف
وكسر من آبار بواسط ومائة ألف دينار وكسر من ودائع . وإنما جرى عليه
المكروه من الحسن بغير إثارة ابن الفرات ، ولأن المقتدر بالله أقام على أنه لا بدّ من
تسليمه إلى الحسن ، فإنه ضمنه منه بعد ما أخذه أبوه منه بمخسبائة ألف دينار . وخرج
من المكروه إلى حدّ عليم به أن الغرض نفسه لا ماله فأقام على التّبلج^(١)
ولم يؤد على يد الحسن درهما واحدا . وجرى عليه بواسط ما أدى إلى هلاكه ، وقيل :

(١) التّبلج : الإعياء والعجز وإظهار أنه لا شيء عنده .

إنه طلب في الطريق ما يأكله فأتوه ببيض مسموم فأكله ^(١) ، ولم يزل يقوم ^(٢) حتى مات في دار البرزوقري .

وكان قول ابن الفرات ما قاله قبل تسليم حامدٍ إلى الحسن .

ونرجع إلى استتمام حديث علي بن عيسى . وقال له ابن الفرات : والله لقد استأذنتني جامد في القصد عندى لوجع لحقه في ضرسه فحقت أن يجتمع عليه القصد وعلو السن فيضعف ويتلف ، فلم آذن له ومنعته . مالنا ولهذا ^(٣) إذا كنا نخاف على النفوس ؟ فوالله لا أقام هذا الرجل في داري . وقّع يا أبا عبد الله - وأوماً إلى زنجي - إلى شقيق الكبير - يعني اللؤلؤي - بالحضور ، فوقع إليه . وقد كان شقيق عرف الخبر من دار السلطان فلما جاءه التوقيع أنفذ قيصرا خادمه فأجاب بالاعتذار وقال : قد أنفذت ثقتي وهو يقوم مقامى ، فما يراد مني ؟ فرد إليه الوزير : بأن لا بد من حضورك . وحضر ، فسلم إليه علي بن عيسى ، ووصاه بحفظه ليؤدّي المال المقرّر عليه عنده .

وقبل ذلك أعطى ^(٤) علي بن عيسى ابن الفرات تذكرة له كان أولها : الكتاب إلى العمال بالإفراج عن وقوفى .

فلما قرأ ذلك دعا بساكن صاحب دراته وقال : هات الكتب التي كتبت أمس من ديوان المقبوضات وأمرتك بحفظها . فأحضرها ، وإذا هي بالإفراج لعلى ابن عيسى عن وقوفه وقال ^(٥) : قد فعلت ذلك قبل أن تسأله ، وعملت فيه ضدّ

(١) انظر المنتظم ١٨٤/٦ وتجارب الأمم ١٠٤/٥ وابن الأثير حوادث سنة ٣١١ .

(٢) أى فلم يزل يتوَجَّع وهو من قولهم مثلاً قام به ظهره أى أوجعه ويراد بقوله يقوم . إفراط الإسهال ، وفي ابن الأثير : فأصابه إسهال فلما وصل إلى واسط أفرط القيام به .

(٣) في الأصل : ولا لنا هذا . (٤) في الأصل : وقبل ذلك ما أعطى .

(٥) انظر تجارب الأمم ١١١/٥ .

ما عاملتني به ، لأن أمير المؤمنين - أيده الله - أمرك في نكبتى بالإفراج عن بعض وقوفى فرجعت ودافعت ، حتى إذا ما لم تجد مدفعاً استخرجت ما فيها ورددتها فارغة وأنا قد أطلقتها لك بفلاتها وأموالها ، وما استحللت إطلاق أيدي العمال في وقوف . فشكره علي بن عيسى وقال : أيها الوزير فني الحديث إلا هذا . ودخل المحسن في القول في الزيادة من ^(١) توييخ علي بن عيسى في فعله ، فقال له قولاً لافظه فيه وفي عرضه : أنا والله أستجليك ^(٢) فغلظت هذه اللفظة على الحسن وغازطته . فأجابه المحسن جواباً حشمة ^(٣) فسكته أبوه . ثم أقبل على علي بن عيسى فقال له : أبو أحمد ^(٤) كاتب أمير المؤمنين وصنيعته - ووصف موضعه منه ، وتفويضه إليه - فاعتذر على ابن عيسى من كلمته أشد اعتذار ، ورجع أبو الحسن إلى قراءة التذكرة .

وكان الباب الثاني منها : الإفراج عن دورى وعقارى ببغداد . فقال له ابن الفرات أما دورك وولدك فما عرض لهم . وأما عقارك فأنا أطلقه . ووقع بذلك .

وكان الباب الثالث : كتب أمان لأولادى وأسباني . فقال له ابن الفرات : أما أولادك فلا علة ^(٥) عليهم ، لأنك ما صرقتهم في أيامك ولا قلقتهم شيئاً من أعمالك ، ولكنى أستظهر لك ولهم بالأمان ، وأما أسبابك فسم من تريد من لاتبعة عليه . فأسمى جماعة . وكتب الأمان لهم ولأولاده .

(١) في تجارب الأمم ١١١/٥ وكان المحسن حاضراً فأطلب في توييخه وتقريبه على هذا الباب فأجابه بمثل ما أجاب به والده وزيادة وقال في عرض كلامه : أنا أستجليك .
(٢) أستجليك : أجذك حلوا .

(٣) حشمة : آذاه وأغضبه بتسميته ما يكره . وحشمة أيضاً : أخجله .

(٤) يعنى بذلك المحسن ابنه . ويعنى : أنقول هذا الكلام في المحسن وهو كاتب أمير المؤمنين وصنيعته ؟ ثم أخذ يصف موضع المحسن من الخليفة ومثله . هذا وفي تجارب الأمم : فقامت على المحسن القيامة من هذه الكلمة وغلظت على أبيه أيضاً فأجابه المحسن بجواب فيه غلظة ... أبو أحمد... وأخذ يصف محله ...

(٥) العلة : التعليل ، ويقال : لم يبق عنده علة أى شئ .

وكان الباب الرابع : إطلاق غلة إن كانت بقيت في ضياعي . قال ابن الفرات : هذا لا يجوز لأنني لا أطلق الضياع ولا الغلة إلا بعد أن تؤدى مال التعجيل ، ولكنني أكتب إلى العمال بأن يحصلوا موجود الارتفاع ليحسب ذلك من مال التعجيل ، فهو أعود .

وكان الباب الخامس : إطلاق ضياعي بديار ربيعة والموصل والشام . فقال ابن الفرات : أما ما كان بديار ربيعة والموصل فأنا أطلقه بعد أن تؤدى ثلاثين ألف دينار ، وأما ما بالشام فهو مختلط ولا أعرف ارتفاعه ، ولكن عرّفني مبلغه لأقفه عنك ، فإني أتق فيه بقولك . فقال : هو في هذه السنة ناقص العمارة ومقداره مائة ألف درهم ، فقال : أنا أقف هذا القدر عنك .

والباب السادس : إطلاق ضيعتي بالسود إذا أدت ثلاثين ألف دينار . فامتنع أبو الحسن من ذلك ، ووقع في الأبواب الأول بما ذكرناه .

وعرض فائق وقليل عليه رقاعا في حوائج لها ، فشغل بهما وبمن جرى مجراها من أرباب المطالب . وأقبل الحسن على علي بن عيسى وقال له : ألت زعمت أن حامد بن العباس أسقط عن المادرائين ألفي ألف ومائتي ألف دينار مضاربة ، وكتب لهم مؤامرة بذلك إلى الخليفة ، وأخذ توقيع الخلافة فيها ؟ وأنت وإن كنت إذ ذاك من قبله فقد جحد حامد هذا القول منك . فقال له علي بن عيسى : يحمده وهو الناظر الأمر ! فقال له : فألا عارضته ومنعته ؟ لأن الخليفة أقامك للاستظهار عليه . فقال : ما كنت في الوقت إلا من قبله ، فلما ضمن اعتمد الخليفة علي في استيفاء ما استوفيته ، ومع هذا فصناعتك ترتفع عن أن تلزمني في مثل ذلك دَرَ كَأ لو كنت فعلته متعمداً ، فإن المال يلزم من هو عليه .

وعلا صوتاهما بالقول ، فأقبل ابن الفرات عليهما وقال : في أي شيء أنما ؟ فعرفه الحسن الصورة . فقال ابن الفرات : للمادرأى وابن أخيه واردان ، وإذا وردا كان الخطابُ معهما والمناظرةُ لهما ، وقد أسقطتِ المصادرة عن أبي الحسن كلَّ تبعه ، وكفالك ماعاملته به فأمسك عنه . فقال الحسن : هو شيخى ، وقد علم الله أننى ما آثرتُ ماجرى . فقال له على بن عيسى : كذلك الظنُّ بك ياسيدى .

ثم رجع ابنُ الفرات إلى قراءة مابقى من التذكرة التى لعلَّ بن عيسى ، فإذا فيها : يؤذن للكتاب وأصحاب الدواوين الولاية والمعلمين والقواد وكتابهم فى الاجتماع معى ولا يمنع واحد منهم عنى . فقال ابنُ الفرات : أما أصحاب الدواوين الولاية فلا يحسرون على لقائك فزعاً منى إلا رجلاً واحداً هو جارالموضع الذى أنت فيه - يعنى ابن الصريفيْنى صاحبَ الجيش لأن داره كانت مجاورة لدار شفيح اللؤلؤى التى فى مشرعة القصب على دجلة ، وانتقلت من بعدُ إلى أبى بكر محمد بن بدر الحمادى - وسيصير إليك سرّاً . وأما القواد فعليك فى مجيئهم إليك شناعة . فقال : إنما أريدهم لابتياح ضياعى ، ومنهم داود بن حمدان ، وهو يرغب فيما بدار ربيعة منها ، ولا شناعة فى مثل ذلك . فقال : بلى . وربما صار منه حديث ، وكتابهم يميئونك ، وفيهم كفاية . ووقع بهذا .

وتبع هذا الباب من التذكرة : كتاب يكون فى يدى بما تقررت عليه مصادرتى ، وأنه مُزِيلٌ لكلِّ تبعه وتأوّل عنى وعن كُتّابى وأسبابى . فضحك ابنُ الفرات وقال : ما أطرف هذا بين أن تَصِيحَ وتظلم وتقول : إنه لا يجب على مثلك مصادرة ، ثم تحتاط لنفسك فى التّبعة بأن تتنجزَ بها كتاباً . فقال : إى لعمرى ماهى واجبة علىّ ، ولا ارتزقتُ فى مدّة خمس سنين إلا مثلَ مالِ التعجيل وهو مائة ألف ، ولكن إذا وقعتِ المصادرةُ فلى ولأسبابى فى هذا الكتاب حُجّةٌ فى نفوسنا وأملاكنا .

فأقبل ابنُ الفرات على الحسن ابنه وقال له : أنت تتولى لأُمير المؤمنين ديوان المصادرين ، فاكُتِبْ له بما يريد . فقال أَوْقَعُ بأن يُكُتِبَ له ذلك . قال : لا ، بل تكتبه بخطك . قال : فكيف أدعوه له ؟ قال : بالدعاء التام . فكتب له الحسن بخطه عن نفسه كتاباً بالمصادرة ، ودعا له في صدره ، ثلاثة أسطر ، وترجمه بالدعاء التام ، وكتب : من الحسن بن أبي الحسن . كما يكتب إلى الناس كُلِّهم ، ودفع الكتاب إلى أبي غانم سعيد بن محمد المعروف بابن الشاشي خليفته على ديوان المصادرين .

وبينا ابن الفرات يحدث على بن عيسى خرج أبو علي الحسن بن أبي الحسن ابن الفرات ، من دولة^(١) ، وسنه إذ ذاك بضع عشرة سنين . فقام إليه على بن عيسى ، فأكبر ذاك أبو الحسن بن الفرات وقال : يا أبا الحسن - أعزك الله - هذا ولدك . فقال على بن عيسى : قد خدمتُ السيّدَ الماضيَ أبا العباس^(٢) - رحمه الله - وخدمت الوزيرَ أيده الله ، وأرجو أن أعيش حتى أخدم هذا السيدَ - أعزه الله - فشكره ابن الفرات على قوله ، وأخذ قرطاساً ووقع فيه إلى هارون بن عمران بأن يحسب عليه من مال ضيعته بألفي دينار يحملها إلى أبي الحسن على بن عيسى - من غير دعاء -^(٣) معونة له على مصادرتِه . فقال على بن عيسى : ما أحب التثقيب على الوزير - أيده الله - ولكن لا أرُدُّ تفضله مع الحاجة إليه . وأخذ الحسن النواة وكتب له بألف دينار . وتقدّم ابن الفرات إلى هارون بن عمران بأن يكتب له قبضاً بهذه الثلاثة الآلاف الدينار من مال مصادرتِه ، ونهض على بن عيسى بعد أن قُبِلَ يدَ

(١) دولة : هي أمه والخبر في تجارب الأمم ٥ / ١١٢ .

(٢) يعني بذلك أحمد بن محمد بن الفرات أخا أبي الحسن على بن محمد بن الفرات .

(٣) يعني أنه لم يكتب دعاء بجوار اسم على بن عيسى كأن يقول : أعزه الله ، مثلاً .

أبي الحسن بن الفرات ، وضمة ابن الفرات إليه ، وأكبَّ عليُّ بن عيسى على رأس الحسن فتناول له تطاولاً كالقيام ، وقام معه كلُّ من كان بحضرة ابن الفرات إلا وجوه أصحاب الدواوين ، ومشى بين يديه الحُجَّاب والحواشي ، ومضى إلى دار شفيع . ولم يَبْعُدْ أن قام ابن الفرات لصلاة المغرب ، فلما صَلَّى دعا بهشام وابن جبير وابن فرجويه وقال : رأيتم مثل رُجْلة ^(١) علي بن عيسى وتطأمنه ^(٢) للنكبة واستعانتة عليها بالاستعطاف والتذلل ؛ وهذه طريقة لا أحسنها ، لأن كبدى فى المحن كأ كباد الإبل ، لا جَرَمَ أنها تزداد وتتضاعف .

ثم دعا بالعباس الفرغانى حاجبه وقال له : حَدِّثْهُمْ . فقال : نعم ، لما نزل عليُّ ابن عيسى إلى طيَّار شفيع اللؤلؤى أجلسه فى صدره وجلس بين يديه . فقال ابن الفرات : هذا غيرُ منكّر لأنَّ ما عاملناه بقبيح فيتصنَّع لنا شفيع بإذلاله ، وهو مع ذلك شيخ قد رأسَ عليهم ، وكان مُعْظَماً فى أيام عبيد الله بن سليمان وله أُبُوَّةٌ وصِنَاعَةٌ .

وأقام عليُّ بن عيسى فى دار شفيع إلى أن أدَّى ثلاثمائة ألف دينار المصادرة ، وأُطْلِقَتْ ضياعه . ثم أُبْعِدَ إلى مكة ، وأُطْلِقَ له ابن الفرات عشرة آلاف درهم ^(٣) نفقة سلَّها إليه ، وأعطى فى أجر الجمالين ونفقاتِ الموكِّلين ثمانية آلاف درهم . فلما حصلَ بمكة أُعيدَ قبض الضياع وأمر بإخراجه إلى صنعاء . وإِنَّمَا تَمَّ ذلك عليه بعد خروج مؤنس إلى الرقة كالبعيد .

وذكر أن علي ^(٤) بن عيسى لم يقبل لأحد من الكتاب فى نكبته هذه معونة

(١) الرجلة : من معانيها الرجولية .

(٢) تطأمنه : انحنأه وانحنأوه .

(٣) فى تجارب الأمم ١١٣/٥ سبعة آلاف درهم .

(٤) تجارب الأمم ١١٢/٥ .

مع بذلهم ذلك له ، إلا ابن فرجويه فإنه حمل إليه ألف دينار . وحمل إليه الفضل
والحسن ^(١) ابنا ابن القرات ألف دينار . وكان أبو الهيجاء بن حمدان أنقذ إليه
عشرة آلاف دينار فردها وقال له : لو كنت متقلداً فارس لقبلتها ، وأعلم أنها تُجحف
بمالك ، وما أحبُّ ثَمْلَكَ ^(٢) . خلف أبو الهيجاء أنها لا ترجع إلى ملكه ففَرَّقَتْ
على الطالبين والضعفاء . وحمل إليه هارون بن غريب جُمْلَةً قَبِلَهَا . وبذل له شقيق
ألفي دينار فامتنع منها وقال له : لا أجمع عليك مؤنتي ومعونتي .
ولأبي الميمون سالم بن عبد الله في علي بن عيسى لما أخرج إلى مكة :

سَيَّرْتُ الشَّمْسَ	بِالنَّحْسِ	فَاطْلَعْتُ سَعْدًا	عَلَى الْأَنْسِ
فَابْعِدَ اللَّهُ	الَّذِي سَيَّرْتُ	فِي الْأَرْضِ أَقْصَى	مَطْلَعِ الشَّمْسِ
مَضَى ذَمِيًّا	خَاسِرًا	مَصَاحِبًا	بِالْتَّمَسِ وَالنُّكْسِ
لَمَّا غَدَا	أَهْلُوهُ فِي مَاتَمٍ	أَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ	فِي عُرْسِ
فَلَا كَلَامَ	اللَّهِ مِنْ ذَاهِبٍ	وَلَا رِعَاةَ	اللَّهِ مِنْ جَبَسٍ ^(٣)
أَطْلَعَ فِي	أَيَّامِهِ كَلَامًا	عَلَى الْبَرَايَا	كُوكِبِ النَّحْسِ
وَضَيَّقَ الدِّينَ	عَلَى أَهْلِهَا	كَأَنَّهَا	الْعَالَمُ فِي حَبَسٍ
يُضَيِّعُ الْأَمْوَالَ	مِنْ عَجْبِهِ	وَيَنْظُرُ السَّاقِطَ	مِنْ فَلَسٍ ^(٤)
أَهْلَكَ اللَّهُ	وَلَا رَدَّه	فَهَلَكُهُ	أَطْيَبُ لِلنَّفْسِ
مَا يُؤْمِنُ	الشَّرُّ وَلَا يَنْقِضِي	حَتَّى يُوَارِيَ	النَّذْلُ فِي رَمَسٍ

(١) في تجارب الأمم : الفضل والحسين فإنه قبل من كل واحد منهما خمسمائة دينار .

(٢) ثَمْلَكَ : إحداهن خلل بك .

(٣) لا كلامه : لاحفظه . والجبان : اللثيم .

(٤) الفلاس : قطعة من النقود نحاسية صغيرة القيمة .

وزارة أبي الحسن على

ابن عيسى الثانية^(١)

لما قبض على أبي الحسن على بن عيسى بعد نظره مع حامد بن العباس جرى أمره مع أبي الحسن بن الفرات وابنه الحسن على ما ذكرناه . ثم أخرجاه إلى مكة ، ومنها إلى اليمن ، فكان هناك إلى أن قبض عليهما . ووزر أبو القاسم الخاقاني ، فسأل مؤنس الخاقاني أن يأذن لعلي بن عيسى في الرجوع إلى مكة ، ففعل ، ثم سأل مؤنس المقتدر بالله من بعد تقليده الإشراف على مصر والشام ، فأمر الخاقاني بذلك ، وكتب إلى علي بن عيسى به ، وأجرى له ألفي دينار في كل شهر . وكان عامل مصر يومئذ أبو أحمد الحسن بن محمد الكرخي وعامل الشام محمد بن الحسن ابن عبد الوهاب . وتقلد أبو العباس الخصبى الوزارة^(٢) فأقره على ذلك . وفسد أمر الخصبى ، فأشار مؤنس على المقتدر بالله باستقدام علي بن عيسى ورد الأمور إليه والتعويل فيها عليه . ونُدب سلامة الطولوني للنفوذ إلى دمشق في طريق البرية وإحضار علي بن عيسى منها ، ونفذ في يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة ، واستقر^(٣) الأمر في مراعاة الأعمال إلى حين وصوله على أن استدعى المقتدر بالله عبيد الله بن محمد الكلوزاني في يوم الخميس الحادى عشر من ذي القعدة ، وعرفه تقليده أبا الحسن على بن عيسى الوزارة ، وأمره بالنيابة عنه إلى حين وروده ، فانصرف أبو القاسم إلى دار الوزارة بالحرّم في طيار الخصبى المقبوض عنه ، وجلس ونظر في الأعمال ،

(١) صلة عريب ٦٦ - ٦٧ والنتظم ٢٠٢/٦ وتجارب الأمم ١٤٩/٥ وابن الأثير

حوادث ٣١٤ .

(٢) نولى الخصبى الوزارة بعد الخاقاني سنة ٣١٣ .

(٣) صلة عريب ٦٦ والنتظم ٢٠٢/٦ وتجارب الأمم ١٤٩/٥ .

وقرأ الكتب الواردة ، ووقع في الكتب الصادرة ، وكتب إلى عمال الخراج والمعاون وعمرأض الجيوش وأصحاب الأخبار والبُرد والقضاة بما رُدَّ إلى علي بن عيسى ورُسِّم له من خلافته ، وأمر ونهى وعزل ووَلَّى . وظهر في هذا اليوم أبو علي بن مقله وأبو الفتح الفضل بن جعفر ، وجاءا إلى أبي القاسم وسلما عليه ، وحضر هشام بن عبدالله ونظر فيما كان ينظر فيه للخصمي . ولم يزل السكوداني يدبر الأمور حتى مَشَى كثيرا واستخرج صدراً كبيراً .

وسار علي بن عيسى من دمشق إلى جسر منبج ثم انحدر في القرات إلى بغداد ، وخرج ^(١) الناس لتلقيه في سلخ الحرم وأول صفر من سنة خمس عشرة وثلاثمائة ، فنهض من لقيه بالرجة ثم بهيت ثم بالأنبار . وورد إلى الحضرة في يوم الثلاثاء خامس صفر ، وبدأ بالمقتدر بالله ، فوصل إليه بعد العشاء ^(٢) الآخرة ، ومعه مؤنس المظفر ، فحاطبه خطاباً جليلاً وانصرف إلى منزله ، فحمل إليه المقتدر بالله من الثياب الفاخرة والفرش الجليل والمال ما قيل : إن ثمنه وقدره نحو عشرين ألف دينار ، وأمره بالاستعانة بذلك على إصلاح أمره وإقامة تجهله ، وخلع عليه خلع الوزارة في يوم الخميس لسبع ليال خلون من صفر ، وسار معه مؤنس المظفر إلى أن بلغ إلى داره بسوق الثلاثاء ، ثم حلف عليه علي بن عيسى فتأخر عنه ، وسار بين يديه هارون بن غريب وشفيع ومفلح ونسيم وباقوت ونازوك وجميع القواد والغلمان إلى داره بباب البستان . وقدم بقدم علي بن عيسى أخوه عبدالرحمن . وقد كان خرج إليه عند تقلد الخصمي الوزارة من غير أن يلقاه ، وسليمان بن الحسن . - وقد ذكرنا حاله فيما تقلد من أعمال الشام في وزارة الخصمي - وعبيد الله بن عبدالله بن الحارث ، وأبو زنبور الحسين بن أحمد المادرائي . وبلغ هشام بن عبدالله أنه قد ذكر عند أبي الحسن علي بن عيسى

بما أفسد رأيه فيه ، وذُكر بما كان كاشفه فيه في أيام ابن الفرات الأخيرة ، وما عامل به إبراهيم وعبد الله أخويه من القبيح قولاً وفعلاً ، فاستوحش وأشفق واقتصر على أن وقفَ لعليّ بن عيسى في الطريق ، وترجّلَ له ، وعاد إلى منزله ولم يجسُرَ على حضور داره . وكان يتقلّد مع ديوان المصادرين كتابته أحمد بن بدر العَمّ ، فلما تأخر عن عليّ بن عيسى وقعَ إليه : لم أرك - مدّ الله في عمرك - أحضرتني عملاً للمصادرات التي تتقلّد ديوانها ، ولا أغذتَ إلى كتاباً بالمطالبة بشيء من ماليها ، ولا أخرجتَ إلى ما تعلمُ شدة الحاجة إليه من أحوال ضمانات الضمائم التي ضمنوها ، وبلغني أنك متشاغلٌ عن هذه الأعمال بغيرها ، فينبغي - أكرمك الله - أن تُخرجَ إلى سائر ما قبلك ، وتجريّ على عادتك في خدمتي وملازمة حضرتي إن شاء الله .

فأجابه هشام : بأنه حضر الدار للخدمة فوجد الوزير قد قام من مجلسه ، وعزم على الرواح وملازمة الخدمة التي يتشرف بها وأنه إنما أخر إخراج ما على المصادرات لعلّه يذهب الوزير في البحوث عن الظلم .

وعملَ على المشافهة بما عنده ليُخرج من المصادرات ما هو واجبٌ مما لم يجزِ فيه تحريف ولا حيف . فوقع إليه : أخرِجْ ما عندك كائناً ما كان ، وبينَ وجوه وأسبابه لأتقدّم فيه بما يوفق الله إن شاء الله .

وحضر هشام مجلسه ، فقال له : ليس من مذهبي أن أذكر إساءة أحد ، ولما خلّصني الله تعالى من صنعاء وعُدْتُ إلى مكة عاهدته سبحانه على ترك مقابلة كلِّ مَنْ سعى عليّ في ولايتي ونسبتي ، ووكلتُ جميعهم إلى الله . ولك خدمة قديمة تُوجبُ لك حقاً ، وعليك أضعافه ، فإذا لم ترعَ ما يلزمك لم أدعَ رعاية ما يلزمي . ثم قال له : أموال الصدقات بفارس وكرمان معقودة على أبي عيسى أحمد بن بدر العمّ ،

وقد حلَّ منها ثلاثمائة ألف درهم ، والضرورة قاندة إلى مطالبته بأداء ذلك في بيت مال العامة لِأَسَبِّبَ لَهُ عِوَضَهُ عَلَى الْمَسْمُوعِ مِنْ مَالِ ضَمَانَةِ الضَّيَاعِ ^(١) والخراج بفارس ، وأريد أن تكتب لي خطك بعشرة آلاف دينار من ذلك . فكتب له بمائة ألف درهم ، ووقع لأهل الصدقات بالمعوض منها على المسموع ، ثم ذكر له هشام أن عليَّ إسحاق بن إسماعيلَ من مال ضمانة النهروانات ، وعليَّ نصير بن عليٍّ من مال ضمانة طريق خراسان ومَوَاتِ جُلُولا ، وعليَّ محمد بن الحسن الكرخيُّ الملقَّب بالجرِّو من مال ضمانة نهر بوق والزاب الأسفل ، وعليَّ ابن عرفة خليفة محمد بن القاسم الكرخيُّ من مال الأعمال التي يتولاها صاحبه ، وعليَّ محمد وجعفر ابني جعفر الكرخيُّ من مال مصادرتهم ، وعليَّ محمد بن الحسن كاتب المسموع من مال ضمانة أعمال فارس وكرمان ، وعليَّ خليفته ابن رسم من مال أصبهان ، أموالاً كثيرة ، وأنهم لم يؤدِّوا منذ وقع اسمه على الوزارة إلا شيئاً يسيراً . وأنه قد أحضر خطوطهم بأعيانها ، وعملاً بأصول ما عليهم وما أدَّوه ، وبقي خطوط المصادرين بما تقرَّرت عليه أمورهم ، وعملاً مُصَّلاً بما بقي منها على كل واحدٍ منهم . وقال : سبيل ذلك كله أن يُستوفى . فأمره عليُّ بن عيسى بتسليم الخطوط إلى صاحب دواته بثبت ، وتسلم هو العَمَلَيْنِ بيده ، وقراها ، وتقدم إلى أبي القاسم الكلوزانيِّ بالاجتماع مع هشام على المطالبة بالمال والجِدِّ في ذلك حتى يَصِحَّ في ثلاثة أيام .

وأخرج عليُّ بن عيسى جميع الأعمال إلى أبي القاسم الكلوزاني ، ولزم أصحاب الدواوين مجلسه في دار عليِّ بن عيسى حتى ظنَّ أنه خليفته على الدواوين كلها . فلما أخرج الكلوزانيُّ كلَّ ما عنده إلى عليِّ بن عيسى وتشاغل بما أمره به من مطالبة الضمَّاء والمصادرين قال له عليُّ بن عيسى : إليك أَجَلُ الدواوين ، وإن ارتسمت

(١) في الأصل : ضمانة والضباع .

بجلافتي اختل ما إليك منها ، وليس يقوم أحد مقامك في ذلك ، فينبغي أن تتوفّر على ذلك فسّر السكوداني بهذا القول لأنه خاف أن يرُدّ ديوان السّواد إلى عبد الرحمن أخيه على ما كان فعله في وزارة حامد ، ويحصل هو على خلافة لا يؤقّبه على بن عيسى حكمها ، لأن من مذهبه أن ينظر في الأعمال بنفسه ليلا ونهاراً . وعول على عبد الرحمن أخيه وسليمان بن الحسن في عمل من الأعمال للضماء والعُمال مما يُخرجه إليهما أصحاب الدواوين ، وفي مكاتبة عُمال الخراج والضياغ والمعاون في نواحي المغرب عنه ، والنظر في سائر أعمال المغرب كما ينظر صاحب الديوان ، فتحققاً به ولازماً مجلسه ، وتجدد إشفاق هشام واستيحاشه ، وذلك أنه بلغه حضور أولاد إبراهيم بن عيسى عند عمّهم على بن عيسى فلما رآهم دمغت عينه وقال : ترك أبوم العمل معي في وزارة حامد طلباً لسلامة فلم ينفعه ذلك وأفقره ابن الفرات ثم سلّمه إلى من قتله . فقال له من كان بحضرته : الذي جرى عليه من هشام - مكرّوها وشتما له ولآل الجراح كلّهم - أعظم من القتل .

وخفف هشام الحضور في دار على بن عيسى ، وكان يُنفذ إليه الأعمال من غير أن يلقاه . وزاد ما يتأدّى إليه من ذكر أصحاب على بن عيسى له ونصريتهم^(١) إياه عليه ، فاستتر وستر حرّمه ، ولم يعرض له على بن عيسى ، ووقع إليه بعد أيام من استتاره توقيعاً جليلاً فأجاب عنه بأنه قد كان واثقاً بتفضل الوزير عليه وصفحه عنه .

وعمل على ملازمة الخدمة إلى أن أكثر أعداؤه من الإغراء به والوقعة فيه ، فأقام في منزله واثقاً بنيتيه ومعوّلاً على عفوه ورأفته . فوقع إليه : ماصرفكأ كرمك^(٢)

(١) نصريتهم يراد بها هنا تسليطهم من لولهم ضرى الوحش جعله ضارياً .

(٢) في الأصل ماصدقتك .

الله فإن أحببت الحضور والخدمة وإلا فالله لك بالرشد . فلم يسكن وأقام على الاستتار .
ونظر على بن عيسى في الجارى والأرزاق ، فنزل^(١) أصحاب الدواوين من
الثلاثين إلى النصف ، وجعل لأبى القاسم السكودانى من خمسمائة دينار كان يقبضها في
كل شهر عن ديوان السواد خمسة آلاف درهم ، وقرّر لأبى الفتوح الفضل بن جعفر
عن ديوان المشرق مائة دينار في كل شهر ، ولأبى على بن مقلة عن ديوان الخاصة
والمستحدثة مائة دينار . وكان حامداً أجرى له ثلاثة آلاف درهم في كل شهر برسم
مشيخة الكتّاب ، وكان يقبضها إلى أن نكبه ابن الفرات . وأسقط أرزاق كل من
كان يقبض برسم الدواوين من الكتّاب وأولاد الكتّاب الذين يحضرون ولا يعملون ،
وغلمان وأسباب وأصحاب الدواوين ، واقتصر بالعلماء على جارى عشرة أشهر في السنة .
وبأصحاب البرد والمنفقين على ثمانية أشهر . وحذف من كان جارياً بالفرسان والرجالة
برسم النوبة من الكتّاب والتجار ومن لا يحمل السلاح ، وأرزاق الأولاد الذين
في المهود ، وجميع أرزاق الخدم والحشم والجلساء والندماء والمُفَنِّين وأصحاب العنايات
وأرباب الشفاعات .

ثم إن على^(٢) بن عيسى رأى من اختلال النواحي في وزارة أبى القاسم ابن الخاقاني
وأبى العباس الخصبى ونقصان الارتفاع ، وتضاعف النفقات ، وما زيده الرجالة
عند ورود القرمطى وهو مائتان وأربعمائة ألف دينار في السنة ، ما استعظم الصورة فيه ،
وعلم أن الأمور لا تستقيم معه ، وتبين انحراف نصر الحاجب عنه ليل مؤنس المظفر
إليه وقيامه بأمره . فاستعفى المقتدر بالله من النظر استعفاء دفعه عنه وقال له : أنت
عندى بمنزلة المعتضد بالله ، ولا بد من أن تصبر وتحتمل . فترك مديدة ثم عاود وواصل

(١) في الأصل فتراك .

(٢) ابن الأثير حوادث : ٣١٦ . وتجاروب الأمم ١٨٤/٥ والمنتظم ٢١٦/٦ .

وشاور المقتدر بالله مؤنسًا فيمن يُقلِّده ، وقال له : قد أُسميَ لي الفضلُ بنُ جعفر فلم أرِدْهُ ، وابنُ مقلّةٍ فما عندك فيه . قال : هو حدث خامل ، والوزارة تحتاج إلى شيخ له ذكر وفيه فضل . فقال له : محمدُ بنُ خلف النيرمانى وقد بذلَ تحصيلَ ألفِ ألفِ دينار من مال النواحي في مدة أربعة أشهر . قال : هذا رجل متهور ولا يُحسن أن يكتب اسمه . وأشار بمداراة عليّ بن عيسى . وخاطب مؤنسَ عليّ بن عيسى ، فقال : لو كنتَ مقبلاً بالحضرة لعميت وعولت على معاوتك ومعاضدتك ، فأما وأنت خارج إلى الرقة فلا تيمُّ لي أمر . وبلغ أبا عليّ بن مقلّة ذلك ، فجذّ في السعي على عليّ ابن عيسى . وشاور المقتدر بالله نصرأ الحاجب في الثلاثة الذين هم الفضلُ بن جعفر وابنُ مقلّة ومحمد بن خلف النيرمانى ، فقال : أما الفضلُ فما يدُفع عن محلِّ وصناعة ، ولكنك قتلتَ عمّه بالأمس ، وبنو الفرات كلُّهم يدينون بالرّقض ، ويميلون إلى القرمطى ، وابنُ مقلّة فلا هيبةَ له . وأشار بمحمد بن خلف ، فلم يتقبَّله المقتدر بالله ، لأن مؤنسًا وهارونَ بن غريب نفّراه منه . وعرف ابنُ مقلّة طعنَ نصرِ الحاجب عليه ، فواصل مداراته واستصلاحه ، وواقف أبا عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياريّ على ملاقاته أبي محمد دلويه كاتب نصرٍ واستمأنّته على إصلاح صاحبه . وأشار مؤنسُ بأبي زنبور المادرائى ، فكرهه نصرٌ وانقاد لأبي عليّ بن مقلّة والمشورة به ، وقال : يُقلِّد فإن استقلَّ بما نُدب إليه وإلا صُرِف واستبدل به . فاضطرَّ المقتدر إلى أن استوزره . وحصلت له وسيلة أخرى قوّت أمره ، وذلك أن^(١) المقتدر بالله كان شديد التطلُّع إلى معرفة أخبار أبي طاهر القرمطى ، ولم يكن يقفُ عليها إلا من جهة الحسن ابن إسماعيل الإسكافى عاملِ الأنبار وما يكتبه منها إلى عليّ بن عيسى في كل أيامه^(٢) ،

(١) تجارب الأمم : ١٨٥/٥ والمتنظم ٢١٦/٦ .

(٢) في الأصل : في كل أيام .

فأنفذ أبو عليّ بن مقلة طيوراً إلى الأنبار ، وعوّل على قوم من أهلها في مكاتبته بأخبار القرمطيّ على الساعات . فكان يرد من ذاك ما يُنفذه لوقته إلى نصر الحاجب ، ويعرضه نصرٌ على المقتدر بالله ويجعله طريقاً إلى تربيته وإطرائه حتى قال له : إذا كانت هذه مراعاته لأمرؤك يا أمير المؤمنين ولا تَعَلّقْ له بخدمتك فكيف يكون إذا اصطفتته واستكفيتها ؟

فلما كان ^(١) وقت الظهر من يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الأول من سنة ست عشرة وثلاثمائة أنفذ المقتدر بالله هارون بن غريب إلى عليّ بن عيسى للقبض عليه ، فصار إلى داره ، ومعه أبو جعفر بن شيرزاد وهو متعطل إذ ذاك ، فلما قرب هارون منها قدّم أبا جعفر أمامه إليه ، وعرفه ما أنفذ فيه حياء من لقائه به ، وعرفه أبو جعفر الحال ، فقال : أنا جالس أتوقّعه . ولبس عمامة وطيلساناً وخفّاً ، وأخذ في كمّه مصحفاً ومقراضاً . ووافى هارون فدخل إليه ، وسأله صيانة حرّمه وولده ، ففعل ، ومنع من التعرّض لشيء من الدار . ولم يجد في مجلسه ولا داره أحداً من كتّابه وأصحابه ، وبصر بأبي عليّ عبد الرحمن في بيت من الدار مطّلعاً في شبّاك ، فهجم عليه وأخذه ، وحملهما إلى دار السلطان ، وسلم عليّ بن عيسى إلى زيدان القهرمانة ، واعتقل عبد الرحمن عند نصر الحاجب ، فكانت مدّة وزارة عليّ بن عيسى هذه سنة وأربعة أشهر ويومين .

وادّعى نصر ^(٢) الحاجب - بسوء رأيه في أبي الحسن عليّ بن عيسى - أنه وجد رجلاً يُعرف بالجوهريّ ، وأقرّ بأنه رسول القرمطيّ وسفير بينه وبين عليّ بن عيسى ، وحكى عنه أن عليّ بن عيسى كان يُكتب القرمطيّ على يده ، وجمع بينه وبين

(١) تجارب الأمم ١٨٥/٥ .

(٢) تجارب الأمم ١٨٦/٥ .

عليّ بن عيسى حتى واجهه بذلك . فقال عليّ بن عيسى : كذب عليّ وبهتني ، وما خلق الله لما قاله أصلاً ولا فرعاً ، وعاون أبو عليّ بن مقلّة نصراً الحاجب إلى أن كاد المكروه يتمّ عليّ عليّ بن عيسى ، وهمّ المقتدر بالله بأن يضربه بالسوط على باب العامة بمحضرة الفقهاء والقضاة وأصحاب الدواوين . فتوصلت السيدة إلى كشف ما ادّعى عليه ، حتى وقفت على بطلانه ، وقررت ذلك في نفس المقتدر بالله ، فزال ما كان اعتقده فيه .

وتقلّبت بعليّ بن عيسى من بعدُ أمورٌ قد ذكرناها فيما أوردناه من أخباره المنشورة وأخبار الوزراء .

وَرَدَّ إليه ^(١) في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة - في خلافة المتقي لله وإمارة بجمكم ^(٢) ، ونظر أبي عبد الله الكوفي ^(٣) - النظر في المظالم ، فجلس لذلك ونظر في خصومات بين عوامٍ ، وَرَدَّ ما يَتعلّقُ بماملٍ وصاحب ديوانٍ وجنديٍّ إلى أبي عبد الله الكوفي ، وبالحكم إلى الحكام .

فلما انهزم ^(٤) أبو عبد الله البريدي من كورتكين ^(٥) وتكيناك ، وخلت الوزارة من ناظرٍ فيها ومُرَّسمٍ بها ، استدعى المتقي لله أبا الحسن عليّ بن عيسى وأبا عليّ عبد الرحمن أخاه وأمرهما بالنظر ، وكان أبو عليّ عبد الرحمن يُدبّر الأعمال وعليّ بن

(١) انظر تجارب الأمم ١٨/٦ .

(٢) انظر ترجمته في المنتظم ٣٢٠/٦ وقيل سنة ٣٢٩ وقد كان أمير الجيش وكان يلقب أمير الأمراء قبل ملك بني بويه وانظر ابن الأثير حوادث السنوات ٣٢٦-٣٢٩ .

(٣) كان كاتباً لبجكم وكان إليه التدبير أكثر من الوزراء انظر ابن الأثير حوادث ٣٢٩ .

(٤) انظر ابن الأثير حوادث ٣٢٩ وتجارب الأمم ١٨-١٧/٦ وانظر ابتداء حال البريدي وضبط اسمه والاخلاف فيه في ابن الأثير حوادث ٣١٦ .

(٥) في تجارب الأمم كورتكيج ١٧/٦ أما في ابن الأثير فكلأصل .

عيسى يصل إلى حضرة المتقي لله ، وجرى الأمر على ذلك تسعة أيام ثم تقلد أبو إسحاق القرار بطى ^(١) الوزارة ، ولازما منزلها .

وتوفى أبو الحسن على بن عيسى في يوم الجمعة لليلة خلت من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة عن تسع وثمانين سنة وستة أشهر ، لأن مولده كان في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائتين .

أخبار أبي الحسن المنشورة

حدث أبو على عبد الرحمن بن عيسى قال : كان محمد بن جعفر العبرتي من عمال أبي الحسن بن الفرات وخواصه ، وكان يعامل أخى أبا الحسن على بن عيسى فيما ضمنه من طساسيج طريق خرّاسان الجارية في الخاصة ، فاستوفى عليه استيفاء تشدد فيه ، واجتهد في إصلاح نيّته وقبول مبرّته بكل ما يجتهد مثله مع مثله ، وأخى يمتنع ويقول : يا هذا الرجل إنما بيننا أمرٌ هذا الضمان فإن وفّيت به وخرجت منه فانت أجلّ الناس عندي وأقرّ بهم منى ، وإن أفت على أمرك في المغاورة ^(٢) والمدافعة فانت أبعدهم من قلبي وأشقاهم بى .

فحضر عنده في بعض الأيام وكان يوم الثلاثاء ، وأخى خالٍ من العمل ؛ وجرى ذكرُ البلدان وما خصّ به كل واحدٍ منها من الطّرف والألوان ، فقبل : لمصرَ دهنُ البلسان ^(٣) وللبصرة النخل والبساتين ، ولكسكر زكاء الأرض وجودة الفلات

(١) هو محمد بن أحمد الإسكافي واطّظر وزارته في تجارب الأمم ١٨/٦ .

(٢) المغاورة : الإغارة .

(٣) البلسا : شجر له زهر أبيض صغير بهيئة العناقيد يستخرج منه دهن عطر الرائحة .

والكوفة القُسوب^(١) وللا هواز القند^(٢)، ولُنُستر الديباجُ والفاكهةُ، ولجنديسابور
الدستنبو^(٣) ولنهاوند الكُمثرى والزعفران، ولِقَطَرَبِل الشراب. وذكر محمد بن جعفر
«كلواذى» ووصف أترُجَّها وتجاوزَه في القَدَّ والكبر ما في «السُّوس» منه، فقال
أخى على مجازِ القول: أحب أن أراه. وتقوَّض المجلس.

فلما كان وقت المغرب حضر باب أخى رسولَ لُحمد بن جعفر. قال عبد الرحمن
لُحدثنى ما هر الخادم - وكان عاقلاً مُحَصِّلاً - قال: جاءنى البوابُ فقال: بالباب من
يَطْلُبُكَ. فخرجت فإذا صاحب العبر تائى قد حضر، ومعه قَطَاطر ما رأيتُ أدقَّ ولا
أحسنَ منها، وفيها أترُجُّ قد أنفذه، ومعه رُقعةٌ إلى مولاي، ورُقعةٌ إلىَّ يسألنى
إيصالَ القماطر وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاي، وإذا معه خمسون ديناراً لى على التوصل
إلى القبول. فدَعَوْتُ بالنعمان وأشالوها^(٤) إلى حضرته، وأوصلتُ رُقعتَه فقرأها
وقال: افتح. ففتحنا بعض القماطر، وأخرجنا منها أترُجَّاً مثل المساور^(٥) اللطيفة لم يَرِ مثُلُها
حُسناً وَنُبَلاً وَكُبَراً. فقال بعض الخدم: فيها شيء أثقل من شيء. فقال: تأملوها.
فتأملناها، وإذا فيها عشرُ أترُجَّاتٍ مُقَوَّرةٌ نَحِيظَةٌ، فسللنا الخيوطَ وإذا فى كل أترجةٍ
ديباجٌ فيه ألفُ دينار. والجميع عشرة آلاف دينار، فتقدَّم بردُّها كما كانت، ودعا
بالرسول وأمر بتسليمها إليه بحضرته، فسلمها وقال له: قل له: لم يَذْهَبْ عَلَىَّ ما أَرَدْتَه
بهذا الفعل، وأنت عارفٌ بمذهبي وستعرفُ خَبَرَكَ. قال ماهر: فبادرتُ مع الرسول
حتى خرج ورددت عليه الخمسين الدينار. فقال: أنت قد فعلتَ ما يجب عليك فَلِمَ تَرُدُّ

(١) القُسوب: نوع من التمر يابس يتفتت في الفم.

(٢) القند: عسل قصب السكر إذا جدد.

(٣) الدُستنبو: عطر.

(٤) أشالوها: رفعوها.

(٥) المساور: جمع مسورة ومسورة: متكا من جلد.

الدنانير وهي يسيرة في جنب استحقاقات . فقلت : ما أجسرُ على قبول شيء من ماجرى . وبكر أخى إلى الديوان ، وابتدأ بالنظر في أمور الأعمال التي في ضمان محمد ابن جعفر ، وأخرج إليه ما ألزمه فيه عند المناظرة نحو خمسين ألف دينار .

وحدث أبو محمد الحسن بن محمد الصلحي قال : حدثني أبو الحسن بن ظفر الكرخي بمصر قال : كنت أكتب لأبي على الحسين بن أحمد المادرائي . ووافي أبو الحسن علي بن عيسى من مكة في أيام وزارة أبي القاسم عبد الله بن محمد ابن خاقان للإشراف على مصر والشام ، فدخل إلى مصر وتحتة حماراً وعليه طيلسان . وكان التولى للمعونة تسكين ، فتلقاء وترجل له ، وعظمت هيئته في النفوس جداً . وجلس ونظر . ثم ركب في بعض الأيام متفرجاً وعاد ، فحين دخل من باب الدهليز ونحن مجتمعون في داره لانتظاره صاح : اللصوص . ففرغنا كلنا خوفاً من أن يكون قد وقف لنا على خيانة . فلما استمر في مجلسه قال : يا معاشر الناس اجتزت الساعة على جسر قارون - وهو بزند من البرندات ، وتسمى البرندات بمصر جسوراً - فقدّرت النفقة عليه عشرة دنانير ووجدت العمال يحسبون عنه على السلطان ستين ألف دينار في كل سنة . وكرر ذلك وأكثرت التعجب منه والقول فيه ، وكان أبو علي حاضراً ، فلم يحبه عن كلامه ، فقال : الشأن أننى أقول ما أقوله فلا تميميني عنه يا أبا علي ! فنهض وانصرف . واعتناز أبو الحسن علي ابن عيسى من ذلك ، وأطبق دوائه وقال : لعن الله أمر السلطان إذا انتهى إلى هذا الحد . وقام ودخل ، وانصرف الناس ، ومضيت إلى أبي علي قلقاً بما شاهدته وسمعته ، ووجدته قد أنفذ خادماً إلى علي بن عيسى يستأذنه في حضوره عنده على خلوة . فأذن له ، ومضى وأطال ، فجلست أنتظره . فلما عاد سأله عما جرى

قال : دخلت إليه وقلت له : لم أترك جوابك سوء أدب عليك ، ولا استهانةً بقولك ، وإنما كرهتُ أن أعترفَ بحضرة الناس فألزم نفسي مالا يلزمُها ، أو أجيبك بما حضرتُ الآن لِذِكْرِهِ فيكون ما عليك فيه أكثر مما على فيه ، فامتنعتُ إكراماً لك وصيانةً . ثم قلت له : كم جاري ؟ . فقال : ثلاثة آلاف دينار في الشهر . فقلت : يمكنني وأنا عامل مصر أن أكون بغير كُتَّاب ولا أعمال ولا كُراع ولا جمال ولا إعطاء ولا إفضال ؟ . قال : لا . قلت : أفلا تعلم أن لي حُرَّما وأولاداً وأقارب وأهلاً أحتاج لهم إلى مؤونة ؟ . قال : بلى . قلت : فأخلو من أن يردَّ عليَّ زوارٌ يَكُتِّبُكَ وكتب أمثالك من الرؤساء فتقتضى المروءة أن أبرِّهم وأصلِّهم ؟ . قال : بلى لعمري . قلت : فهذا الجبَّار الذي أجاوره وفائقٌ خادمه له ثمانون مرقداً وهو متسلِّط على الأمر كله يمكنني أن أقيمه على الطاعة وأمنعه إدخال اليد في الضياع إلا بمؤونة أنكلفها له وأولاده وخدمه وكتَّابه حتى يستقيم ما بيني وبينه ؟ . قال : هذا ما لا بدَّ منه . قلت : فأخليفةُ والسيدة والخالة والقهرمانه ومؤنسٌ ونصرٌ الحاجب وكتَّابهم وأسبابهم يحوز أن لا أهاديهم في كل سنة ؟ . قال : هذا رسم لا يمكن الإخلالُ به . قلت : فالوزراء إذا تقلد الواحد منهم هل يدخلُ داره شيء قبل ما تحمُّله خليفتي إليه ؟ وإذا نُكِبَ فهل يؤدِّي من مال مُصادرته شيئاً قبل ما يستدعيه مني ؟ وهذا أنت - أيَّدك الله - وأنت أعفُ الوزراء ومن لا يُعرف له نظير - ألم أحمل إليك في وقت كذا وكذا وفي وقت كذا وكذا ؟ وأجرٍ على عيالك في مدة كذا وكذا ؟! فقال : أنا والله شاكر لذلك . فقلتُ : ما ذكرت هذا اعتداداً عليك ، وإنما ذكرته لتعلم أنه يلزمني لغيرك مثله وأكثر منه . وهذا حقُّ بيت المال في ضياعك بمصر والشام - وهو بضعة عشر ألف دينار في السنة - أدَّيت منها درهما واحداً ؟ . فقال : ما أدري ، فقلتُ : هذا مال عظيم ولست أبرحُ أو أعلمُ أنه

قد حُصِّل لك ، أو كان أصحابك خانوك فيه حتى أرتجعه منهم للسلطان ؟ فأعاد الشكر .
فقلت : يا سيدى فضاءرتى فى كل وقت تزيد على ألف ألف دينار هل ^(١) من الثلاثة
الآلاف الدينار الجارى تكون ؟ . فقال : دع هذا يا أبا على فإن كبار الرجال
يُغْضِي لهم السلطان عن كثير الأموال .

وما سمعناه بعد ذلك أعاد فى شيء من أمور أعمالنا قولاً .

وحدث أبو محمد الحسن الصلحى قال : حدثنى بعض أصحابنا قال : قال لى
أبو القاسم الخاقانى فى وزارته : أشرت على المقنن بالله بتقليد أبى الحسن على
ابن عيسى الإشراف على مصر والشام ، فرأيتهُ مُتَكَرِّهاً لذلك ثم قال : افعل
ما ترى . فأقبلت أصفه بالموالاة والثقة لأعرف ما عنده فى أمره على حقيقة ، فقال :
هو كما تصف ولكن أحفظنى ^(٢) عليه أن سُمته تُقلد وزارتى فى أيام حامد
ابن العباس فامتنع ، وثقل على امتناعه ، وشاورته فيمن يراه لهذا الأمر فقال :
أبو عمر محمد بن يوسف القاضى . فعلمت أنه غشنى ولم ينصح لى . فقلت : وما لمحمد
ابن يوسف يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لعمري إنه عالم ثقة إلا أننى لو فعلت ذلك
لافتضح عند ملوك الإسلام والكفر ، لأننى كنت بين أمرين إما أن يتصور
مملكى بأنها خالية من كاتب يصلح للوزارة فيصغر الأمر فى نفوسهم ، أو أننى
عدلت عن الوزراء إلى أصحاب الطيالس ، فأنسب إلى سوء الاختيار .

وحدث القاضى أبو على المُحسن بن على التنوخى قال : حدثنى أبو طاهر
الحسن بن محمد بن الحسن الجوهري المعروف بالمقننى أحد الشهود قال : حدثنى
أبو القاسم عيسى بن على بن عيسى أنه كان يرتفع لأبيه من ضياعه فى كل سنة
عند الاعتزال والعطلة بعد ما يتصرف فى الثقة ثلاثون ألف دينار . ويرتفع من ضياع

(٢) أحفظنى : أغضبنى .

(١) فى الأصل : م .

أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات إذا قبضت عنه ألف ألف دينار ، وإذا وُزَرَ ورُدَّت عليه أضعفت .

قال القاضي : واتفق أن حضر هذا الحديث منه أبو الحسن أحمد بن يوسف ابن الأزرق الأنباري فقال : حدثني جماعة من أصحاب أبي الحسن علي بن عيسى أن جميع ما كان يرتفع له في السنة نيفٌ وثمانون ألف دينار يخرج منها في أبواب البرِّ وسُبل الخير وتنفقُ الطالبين والعباسيين والأنصارِ وأولاد المهاجرين ومصالح الحرَمين نيفٌ وأربعون ألف دينار ، ويبقى الباقي لنفقاته . وأنه كان يسمع الكتاب يقولون في ضياع أبي الحسن بن الفرات: إنها ترتفع في وزارته بألف ألف دينار وعند القبض عليه ودُخول يدِ العمال فيها بمائة ألف دينار وأقل وأكثَر .

وحكى أبو^(١) الحسن ثابت بن سنان قال : قال لي أبو الحسن علي بن عيسى يوما ، وهو متعطل في أيام الرضا بالله في عرض حديث كان يجارِنيه بعد إقراي العمل الذي عملَه في سنة ستٍ وثلاثمائة لارتفاع الدنيا ونفقاتها : قال لي ابنُ الفرات يوما وقد أخرجتُ إليه من دار السلطان بعد صرفه إياي : أبطلتِ الرؤوم وهدمتِ الارتفاع . فقلت : أيَّ رسم أبطلتُ وارتفاع هدمتُ ، قال : المكس^(٢) بمكة فقلت له : قد أزلتُ هذه وأشياء كثيرة ، منها ومنها - وعددت الأبواب التي رَفَعْتُها وكان مالُ ذلك في السنةِ خمسةَ ألفِ دينار فلم أستكثرها مع ما حَطَطْتُه عن أمير المؤمنين من الأوزار بها ، وغَسَلْتُه من الأدران عن دولته فيها . ولكن أنظر مع ما حَطَطْتُ وأبطلتُ إلى ارتفاعي وارتفاعك ونفقاتي ونفقاتك .

(١) تجارب الأمم ٢٩/٥ .

(٢) المكس : أموال تؤخذ من الباعة أو عن أشياء معينة عند بيعها أو إدخالها المدن الضريبة والجرك .

قلت : فبأي شيء أجاب . قال : خرج الخادم ففرق بيننا قبل أن يجيب .
وحدث أبو عمر أحمد بن محمد بن الحسين البصري قال : لما توفى القاضي
أبو الحسين بن أبي عمر ركب أبو الحسن علي بن عيسى إلى أبي نصر وأبي محمد
ابنَيْه يُعزِّيهِمَا به . فلما نهض متصرفا قال : مصيبةٌ وجبَ أَجرُها خيرٌ من نعمة
لا يؤدِّي شُكرُها .

وحدث ^(١) أبو الحسن أحمد بن يوسف بن الأزرق الأنباري قال : كان
أبو عيسى أخو أبي صخرة جاراً لنا ببغداد ، وكان عظيمَ الحال ، كثيرَ المال ، كاملَ
الجاه ، معدوداً في شيوخ الكتاب ، وقد تقلدَ كبار الأعمال ، وخلفَ إسماعيلَ
ابنَ بُلبُل على الوزارة فلما وَرَرَ أبو علي محمد بن عبيد الله الخاقاني قلده ديوانَ
السَّواد ، ثم صرَّف أبو علي وَوَرَدَ أبو الحسن علي بن عيسى من مكة وزيرا . فلم
يره أهلاً لهذا الديوان لتقصان صناعته ، وكان يَفُضُّ منه إذا حضر في مجلسه ، ولا
يُوقِيه ما يقتضيه عَمَلُهُ ، وإذا أراد عملاً أو خراجاً أو حساباً استدعاه من كُتَّابه
وواقفهم وخطابهم عليه بمشهدٍ منه فلا يَتْرُكُ له هذا الفعلُ جاهاً . ثم إن عرضَ عملٌ يَعْلَمُ
أنَّ كُتَّابَهُ أبي عيسى لانهض به وقوله لا يُعَيَّرُ عن غرضه فيه خاطبه عليه على رؤوس
الأشهاد لِيَتَبَيَّنَ له نقصه وعجزه ، فطال ذلك على أبي عيسى وزادَ احتمالُه له فجلس
عنده يوماً إلى أن تقوَّضَ مجلسه ولم يبقَ فيه غيره وغيرُ إبراهيم بن عيسى أخى أبي
الحسن ، فقال له أبو الحسن أَلَك حاجةٌ ؟ قال : نعم ، إذا خلا مجلس الوزير ذَكَرْتُهَا .
فأخبرتُ عن إبراهيم أنه قال : فلما سمعتُ قوله نهضتُ وانصرفتُ وعُذبتُ من
غد إلى مجلس أخى فوجدتُ أبا عيسى مُتَصَدِّراً فيه بِأَمْرِ ونَهْيٍ وتَبْطِطٍ وعَمَلٍ ،
وخطابُ الوزير معه دون الكُتَّاب ، وقد انتقل من الثرى إلى الثرى ، فدعنتى نفسى

إلى مسألة الوزير عن أمره حتى إذا خلا قال : تقول يا بُنَيَّ شيئاً ؟ . قلت : أسأل عن
فُضُول . قال : إن كان فضولاً فلا تَسَلْ عنه . قلت : لا بُدَّ . قال : فقل . قلت :
خلا بك أبو عيسى أمس لِمَا لم أعرفه . ثم رأيتك اليوم مُقْبِلاً عليه ومُعَامِلاً له بضدَّ
ما كنتُ تُعَامِلُه به ، فما سبب ذلك ؟ قال : نعم ، إنه خاطبني خطاباً عَظُمَ في نفسي
به ، وعلتُ صدقَه فيه فرجعتُ له . قال : وقد خلا بي ، أنا - أيَّد الله الوزير -
رجلٌ من شيوخ الكُتَّاب ، أعرف قَدْرَ صناعتي في الكتابة ، وإِنِّي في جملة
المتأخرين عن الفاية ، وما يخفى على سُوِّه رأي الوزير في واعتمادَه الفَضَّ مني ، وطلبُ
فضيحتي بالرجوع إلى الكتاب في أمور ديواني وقَصْدِي بمُعْضِلَاتِ الأمور إبانةً
لعجزِي وقُصُورِي . ويجب أن يعلم - أيده الله - أن باطن حالي ومالي أَوْفَرُ من
ظاهرها على كثرتِه وَوُفُورِه ، وما أنصرف طلباً لفائدة ، ولا حاجةً إلى مكسب ،
وإنما أريد قيام الجاه ونُفُوذَ الأمر ، وقد عشت طول ماضٍ من عمرٍ مُسْتَوْرٍ في أمري
مُقَدِّماً عند السلطان على كثيرٍ من نُظَرَائِي ، وخَلَفْتُ إسماعيل بن بلبل على الوزارة ،
وتَقَلَّدْتُ كِبَارَ الأعمال واحداً بعد آخر ، وسلَّمتُ على الوزراء وسلموا عليّ ، وقد تمكَّن
في النفوس من موضعي ومنزلي ما لا يخرج منها ، ولا يمكن أحداً إزالته عنها .
وأنا بين أمورٍ ممَّا لحقتني الغضاضة به ، إما أن تَوَصَّلْتُ إلى إزالته بما يثقل عليّ
الوزير فيزداد سوء رأيه ؛ أو استعفيتُ ولزِمْتُ منزلي فلم أَكُنْ خامِلاً ؛ وجعلت
نفسى حينئذٍ بحيثُ أخْتارَه من الكَوْنِ في أولياء الوزير أو أعدائه ، أو عاد إلى
الأولى به ووفائي حقوق ما قلَّدي به . فقلتُ له : ليس ترى بَعْدَ ذلك يا أبا عيسى شيئاً
تُسْكِرُه ، وسأرجع في معاملتك إلى أفضل ما تُؤثِّره . وبكر إلى لَيْتَحِنَ وعدى
ويَحْتَبِرَ ما عندي ، فكان ما رأيته .

وحدث القاضي أبو علي التنوخي عن أبيه وأبي الحسين بن عياش قالاً : كان

أبو الحسن علي بن عيسى يحمل في كل باب من ورائه مِسْوَرَةٌ وَيُسْبَلُ عَلَيْهَا سِتْرًا طَوِيلًا يُقَطِّعُهَا ، فإذا جلس في أَخْرِيَّاتِ النَّهَارِ مَجْلِسًا حَافِلًا أَصْقَ بِهَا ظَهْرَهُ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ لئَلَا يَشَاهِدَ مُتَبَدِّلاً ، تَمَسَّكَ بِالْوَقَارِ .

وقيل : إنه ما رُئِيَ قطُّ مُتَبَدِّلاً فِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا مُتَخَفِّفًا فِي مَلْبَسِهِ ، وَلَا فَارِقَ الدَّرَاعَةِ ^(١) [إِلَّا] وَالْقَمِيصُ مِنْ دُونِهَا ، وَالْبُطْنَةُ مِنْ دُونِهِ وَ [لَا] الْخَفَّ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ إِلَّا إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ أَوْ قَعِدَ مَعَ حُرْمِهِ .

وقد فعل أبو الحسن علي بن عيسى مع أبي علي بن مقلة مُشَبَّهًا بِمَا فَعَلَهُ مَعَ أَبِي عَيْسَى أَخِي أَبِي صَخْرَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَّغَهُ عَمَلُ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ عَلَى صَرْفِهِ بِأَبِي عَلِيٍّ — وَكَانَ مُتَقَلِّدًا لَهُ إِذْ ذَاكَ عَلَى عِدَّةِ دَوَاوِينَ — فَاسْتَدْعَاهُ وَطَالَبَهُ بِأَعْمَالٍ يَعْمَلُهَا لَهُ ، فَوَعَدَهُ بِهَا . وَحَضَرَ مَجْلِسَهُ بَعْدَ أَيَّامٍ فَاعْتَمَدَ الْغَضَّ مِنْهُ بَأَن قَالَهُ عَلَى مَلَأَ مِنَ النَّاسِ : كُنْتُ التَّمْتُ مِنْكَ أَعْمَالًا فَأَخَّرْتَهَا ، فَإِنْ كُنْتُ عَاجِزًا عَنْهَا وَغَيْرِ نَاهِضٍ بِهَا فَاصْدُقْ عَنْ نَفْسِكَ . فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ : قَدْ أَحْضَرْتُهَا وَهَامِي . وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَخَذَ يَقْرُؤُهَا وَيُؤَافِقُهُ عَلَى غَلَطٍ بَعْدَ غَلَطٍ فِيهَا ، وَيُقِيلُ عَلَى مَشَائِخِ الْكِتَابِ فَيَمَجِّجُهُمْ مِنْ ضَعْفِ صِنَاعَتِهِ وَقَلَّةِ بَصِيرَتِهِ ، وَحَتَّى قَالَ لَهُ فِي بَعْضِ الْقَوْلِ : هَذِهِ حَيَاكَةٌ لَا كِتَابَةَ . وَضَرَبَ عَلَى عَمَلٍ ، بَعْدَ عَمَلٍ وَرَسَمٍ فِي تَضَاعُفِهِ مَا يَجِبُ أَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ نَظْمُهُ وَتَرْتِيبُهُ ، وَالْكِتَابُ الْحَاضِرُونَ يُنْثَنُونَ عَلَيْهِ بِحُسْنِ الْكَفَايَةِ ، وَيَفْخَرُونَ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ بِضَعْفِ الْمَعْرِفَةِ . ثُمَّ رَمَى بِهَا إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : قُمْ فَاعْمَلْهَا عَلَى هَذَا الْمَثَالِ وَحَرِّرْهَا وَجَنِّبْ بِهَا ، فَمَا وَجَّهَ رِجْلَيْهِ . فَلَمَّا وَلَّى قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : إِنْ أَمْرًا عَجَزَ عَنْهُ ابْنُ الْفَرَاتِ وَنَحْنُ فِيهِ مَرْتَبِكُونَ ، وَيَدَّعَى هَذَا الْقِيَامَ بِهِ لِأَمْرٍ عَجِيبٍ ، فَأَمَضَى عَلَى هَذَا الْمَجْلِسِ أَرْبَعَةً أَوْ خَمْسَةَ أَيَّامٍ حَتَّى قَبِضَ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ بْنِ عَيْسَى

(١) الدَّرَاعَةُ : جِيَّةٌ مَشْقُوقَةُ الْقَدَمِ .

وسلم إلى أبي علي بن مقله . فأراد الغض من علي بن عيسى بأمرٍ يُظهره وشيء يقدح فيه به ، فلم يستطع ذلك ، ولا قدر على أكثر من تلقّيه بالقبّيح ، ومعاملته بالمكروه الفظيع .

حدث أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر قال : كنت بمحضرة أبي علي ابن مقله في وزارته ، وقد دخل إليه علي بن عيسى ، فجلس بين يديه . وكان أبو عبد الله الموسوي العلوي وأبو علي الحسن بن هارون حاضرين ، فقال أبو علي بن مقله للحسن بن هارون : اكتب رُقعة عن أبي عبد الله يشكو فيها إخلال ضيعته وقصور مراده منها وفائدته . ومثل له بإحباب مظلمة وإطلاق معونة . فكتبها الحسن وعرضها فوقع على ظهرها بإخراج الحال ، وأنفذ التوقيع إلى الكاتب . فأخرج ماصدق فيه دعوى أبي عبد الله ، ووقع أبو علي تحت ذلك بأن يُطلق له عشرون كُرًا حنطة وعشرون كُرًا شعيرا معونة ، ويُنسب له بكذا منسوباً إلى المظلمة . فاستحسن الحاضرون فعله وما تكرم به على رجلٍ علويٍّ ، وأخذ أبو الحسن علي بن عيسى يشكره . فقال له مجيباً . فلم لم تفعل مثل هذا يا أبا الحسن في وزارتك ؟ فنهض أبو الحسن وقال : أستودع الله الوزير . وانصرف .

وقيل : إن أبا عمر دخل إلى أبي الحسن علي بن عيسى يوماً وعليه قميصٌ دببتي شقيرى^(١) مُرتفعُ الثمن^(٢) جداً ، فأراد أبو الحسن أن يُجمله فقال له : بكم اشتريتَ أيها القاضي شقة هذا القميص ؟ قال : بمائة دينار . فقال أبو الحسن : ولكنه اشتريتَ لي شقة هذه الدُرّاعة والقميص الذي تحتها بعشرين ديناراً . فقال له أبو عمر

(١) الشقيرى نسبة إلى شقير كان يتولى البريد وبعض الصباغ انظر البقوبى ٦١٥/٢ .

(٢) في الأصل : الثوب .

مسرعا : الوزير - أعزه الله - يُجَمِّلُ الثياب فلا يحتاج إلى المبالغة فيها ، ويُجَدِّدُه الخواص الذين يعلمون أنه يدع الكثير عن قُدْرَةٍ ، ونحن نتجمل بالثياب ونغالي فيها ، ونلاقى العوام الذين يساسون بما يروق عيونهم من جلالتها ، وتقام الهيبة بما يكبر في صدورهم من غناتها . فكأنما ألقم أبا الحسن حجرا فقا ، أعاد عليه قولاً ولارد جواباً .

وحدث القاضي أبو علي التنوخي قال : حدثني أبو بكر محمد بن عبد الرحمن ابن قرية قال : حدثني مكرم بن بكر بن عمر أبو يحيى بن مكرم القاضي قال (١) : كنت أختص بأبي الحسن علي بن عيسى وربما شاورني في أموره . فدخلت له يوماً فرأيتُه مهموماً قد رت أنه بلغه عن المقتدر بالله ما يشغل قلبه . فاقضى تقشمة فقلت : أرى الوزير - أيده الله - مفكراً ، فهل حدث شيء ؟ - وأومأت إلى جهة الخليفة - . فقال : ليس ما أتا مغموم به من ذلك الجنس ، بل لِمَا هو أعظم في نفسى منه . فقلت : إن جاز أن يعرفنيهِ الوزير فليفعل ، فلعله يجدُ عندي فيه رأياً أو قولاً . قال : نعم . كتب إليّ عامِلنا بالثغر بأن أسارى المسلمين كانوا في بلد الروم على حالٍ رفاة وصيانة إلى أن ولي ملك الروم آنفاً حدّثانٍ منهم ، فسفّاهم وعاقبهم وأجاعهم وأعراهم ، وطالبهم بالتنصّر ، وأنهم في بلاء وجهد ، وهذا أمرٌ لا حيلة فيه ، ولا مقدرة على دفع ما أظلم هؤلاء المساكين ، ولو ساعدني الخليفة على إنفاق الأموال وتجهيز الجيوش إلى هؤلاء الكفار لعلتُ في ذلك غاية ما أوجهه الله علينا من بذل الوسع والإمكان . فقلت : عندي أيها الوزير رأي في هذا الأمر ربما نفع وكان أسهل مما تحسب وتقدر . قال : قل يا مبارك . قلت : بأنطاكية عظيم للنصارى ، يدعى البطريرك

وَبَيَّتِ الْقُدْسَ آخِرَ يَمَلِّهَا الْقَائِلِيْقُ ^(١) ، وَأَمْرُهَا يَنْفُذُ عَلَى مَلِكِ الرُّومِ ، لِأَنَّ أُمُورَهُمْ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهِمَا ، وَالطَّاعَةُ لَا تَلْزَمُ جُمْهُورَ رَعِيَّتِهِمْ إِلَّا بِقَوْلِهِمَا ، وَرَبَّمَا خَرَمًا الْوَاحِدَ مِنْهُمْ فَيُحَرِّمُ عِنْدَهُمْ . وَالرَّجُلَانِ فِي ذِمَّتِنَا وَتَحْتَ سُلْطَانِنَا ، فَيَأْمُرُ الْوَزِيرَ بِمَكَاتِبَةِ عَامِلِي الْبِلَدَيْنِ بِإِحْضَارِهَا وَإِعْلَامِهَا مَا يَجْرِي عَلَى الْأَسَارَى فِي بِلَدِ الرُّومِ وَأَنَّهُ مِمَّا لَمْ تَجْرِبْ بِهِ عَادَةً ، وَمَتَى لَمْ يُزَلْ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَتُسْتَأْنَفَ حُسْنُ الْمَعَامَلَةِ مَعَهُمْ طَوَلِبًا بِمَجْرِبَةٍ مَا يُفْعَلُ هُنَاكَ ، وَسُئِلَ فِي مَعَامَلَةِ النَّصَارَى مِثْلُ ذَلِكَ ، وَنَنْظُرُ مَا يَكُونُ الْجَوَابُ .

فَاسْتَدْعَى فِي الْحَالِ كَاتِبًا وَأَمَلَى عَلَيْهِ كِتَابًا فِي هَذَا الْمَعْنَى وَكِيدَةً ^(٢) ، وَأَنْفَذَهَا وَقَالَ لِي : سَرَّيْتُ عَنْكَ قَلِيلًا ^(٣) ، وَخَفَّفْتُ عَنْ قَلْبِي شُغْلًا .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ شَهْرَيْنِ وَأَيَّامٍ - وَقَدْ أَنْسَيْتُ الْحَدِيثَ - جَاءَنِي فُرَاتِيْقُ ^(٤) مِنْ بَابِهِ يَسْتَدْعِينِي . فَرَكِبْتُ وَأَنَا مَنشُوقٌ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يُرِيدُنِي لَهُ ، فَدَخَلْتُ وَهُوَ مُسْرُورٌ ، وَوَجْهُهُ مُسْفِرٌ ، فَخِينَ رَأَى قَالَ لِي : أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ عَنْ نَفْسِكَ وَدِينِكَ وَعَنِّي . فَقُلْتُ : مَا الْخَبْرُ ؟ قَالَ : كَانَ رَأْيُكَ فِي أَمْرِ الْأَسَارَى بِبِلَدِ الرُّومِ أَصُوبَ رَأْيٍ وَأَصَحَّهَ ، وَهَذَا رَسُولُ الْعَامِلِ - وَأَوْمَأَ إِلَى رَجُلٍ بِحَضْرَتِهِ - قَدْ وَرَدَ لِيذِكْرُ مَا جَرَى فِي بَابِهِمْ . وَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى : عَرَفْنَا الصُّورَةَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : أَنْفَذَنِي الْعَامِلُ مَعَ رَسُولِ الْبَطْرِكِ وَالْقَائِلِيْقِ الَّذِي أَنْفَذَاهُ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ ، وَكَتَبْنَا عَلَى يَدِهِ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ : بِأَنَّا كَمَا قَدْ فَعَلْتُمَا بِأَسَارَى الْمُسْلِمِينَ عِنْدَكُمَا مَا هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمَا وَمُخَالِفٌ لَوْصِيَّةِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَمْتَالِهِمْ ، وَأَمْرُهُ فِيمَنْ جَرَى تَجْرَاهُمْ . فَلَمَّا زُلْنَا عَنْ هَذِهِ

(١) فِي هَامِشِ الطَّبُوعِ : فِي حَاشِيَةِ الْجَائِلِيْقِ .

(٢) وَكِيدَةٌ صِفَةُ لِلْكِتَابِ عَلَى إِزَادَةِ مَعْنَى الرِّسَالَةِ .

(٣) قَدْ تَكُونُ مَعْرِفَةٌ عَنْ « تَقْلًا » .

(٤) الْفُرَاتِيْقُ يُرِيدُ بِهِ الرُّسُولُ .

الطريقة وعدلنا عنها إلى ما تقتضيه الشنة الماثورة وأحسننا إلى من في أيديكما ، وتركناهم على أديانهم ، ولم نكرهمهم على خلاف آرائهم ، وإلا لعنا كما وتبرأنا منكنا وحرمانا كما .

فلما وصلنا إلى القسطنطينية أوصل رسولُ البطرك والقائليق إلى المليكين وحجبتُ وخلوا به ووقفنا على ماورد معه ، وتركنا أيا ما ثم أحضرائي إليهما ، فسلمت عليهما وقال لي ترجمائهما : الملكان يقولان : الذي أدنى إلى ملك العرب من فعلنا بأشاري المسلمين كذب وشناعة ، وقد أذننا في دخولك دار البلاط لتشاهدهم وتسمع شكرهم وتعلم استحالة ما ذكر لكم في أمرهم . وحلت إلى دار البلاط فرأيتهم كأنهم خارجون من القبور ، وقائمون إلى النشور ، ووجوههم دالة على ما كانوا فيه من الضر والعذاب ، إلا أنهم في حال صيانة مستأنفة ، ورفاهة مستجدة ، وتأملت ثيابهم فكانت جددا كلها ، فتبينت أنني أخرت ذلك التأخير حتى غير أمرهم وجدد زيهم ، وقالوا لي : نحن شاكرون للمليكين - فعل الله لها ^(١) وصنع - مع إيمانهم إلى بأن حالهم كانت على ما تأدنى إلينا ، وإنما خفف عنهم وأحسن إليهم بعد حصولي هناك . وقالوا لي في عرض قولهم : كيف عرفت صورتنا ؟ ومن تذبذبة على مراعاتنا حتى أنهذك من أجلنا ؟ فقلت : ولي الوزارة الوزير أبو الحسن على ابن عيسى وبلغه خبركم ، فأنفذ وفعل كذا وكذا . فضجوا بالدعاء له ، وسمعت امرأة منهم تقول : قرأ ياعلى بن عيسى ، لا نسي الله لك هذا القمل . قال أبو يحيى بن مكرم : فلما سمع الوزير ذلك بكى بكاء شديدا ، ثم سجد لله تعالى شاكرًا وحامدا ، وبرر الرسول وصرفه . وقلت لعلى بن عيسى : أسمعك أيها الوزير تتبرم بالوزارة في خلواتك ، وترغب في الانصراف عنها تحرجا ^(٢) من آثامها ، فلو كنت معتزلا

(٢) في الأصل تحريا .

(١) في الأصل . بهما .

لها ومُتَحَلِّيًا مِنْهَا هَلْ كُنْتَ تَقْدِرُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ الْجَامِعَةِ لِحَالِ الدُّنْيَا وَنَوَابِ الْآخِرَةِ
وَطِيبِ السَّمْعَةَ وَحَسَنِ الْعَاقِبَةَ؟

وَحَدَّثَ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَيَّانِيُّ قَالَ : قَالَ
لِي أَبُو بَكْرٍ الشَّافِعِيُّ صَاحِبُ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى : كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ
ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَاتِ قَبَضَ عَلِيٍّ فِي نَكْبَةِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ بْنِ عِيسَى ، وَصَادَرَنِي
وَأَوْقَعَ بِي مَكْرُوهًا ، وَجَعَلَ التَّأَوُّلَ عَلَى اخْتِلَاطِي بِأَبِي الْحَسَنِ وَصُحْبَتِي إِيَّاهُ . فَلَمَّا
أُخْرِجْنَا مِنَ الْمِحْنَةِ ، وَعَادَ أَبُو الْحَسَنِ إِلَى الْوِزَارَةِ ، طَلَبْتُ الْإِتِّفَاعَ بِأُمُورِ أَخَاطَبُ
فِيهَا ، وَأَخْفِئْتُ بَعْضَ الْمَصَادِرَةِ مِنْهَا ، فَتَصَدَّيْتُ لِأَخْذِ الرَّقَّاعِ بِالْحَوَائِجِ ، وَعَرَّضْتُهَا
عَلَى أَبِي الْحَسَنِ . فَاتَّفَقَ أَنْ عَرَضْتُ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ شَيْئًا اسْتَكْرَهَ وَضَجَرَ عَلَيَّ
بِهِ ، فَقُلْتُ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ إِذَا كَانَ حَظُّنَا مِنْ أَعْدَائِكَ فِي أَيَّامِ نَكْبَتِكَ الصَّغَرِ ، وَمِنْكَ
فِي أَيَّامِ وَلَايَتِكَ الْمَنَعِ ، فَتَى - لَيْتَ شَعْرِي - يَكُونُ النِّفْعُ ؟ فَضَحَكْتُ وَوَقَعَ لِي فِي جَمِيعِ
الرَّقَّاعِ ، وَمَا اسْتَنْقَلَ شَيْئًا رَفَعْتُهُ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَحَدَّثَ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو السَّرِيِّ عَمْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَارِي
قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ عِيسَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عِيسَى قَالَ : قَالَ لِي أَبِي : عَرَضَ عَلَيَّ أَبُو بَكْرٍ
مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْهَاشِمِيُّ فِي بَعْضِ أَيَّامِ وَزَارَتِي رَقْعَةً التَّمَسُّ فِيهَا مُحَالًا ،
وَقَبَّلَ يَدِي ، وَتَرَكَتُهَا مِنْ يَدِي مَفْكُورًا فِيمَا أَفْعَلُهُ مِمَّا أُبْلَغُ بِهِ غَرَضُهُ وَلَا يَلْحَقُنِي
عَيْبٌ فِيهِ . وَعَرَّضَ لِي رَأْيِي فِي الرُّكُوبِ ، فَتَهَضُّتُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَبَضَ عَلَى يَدِي
وَقَالَ : أَنَا نَفِيٌّ مِنَ الْعِبَاسِ إِنْ تَرَكْتُ الْوَزِيرَ يَرْكَبُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُوقَعَ فِي رُقْعَتِي
أَوْ يُقَبَّلَ يَدِي كَمَا قَبَّلْتُ يَدَهُ . فَوَقَعَتْ لَهُ قَائِمًا بِمَا أَرَادَ ، وَعَجِبْتُ مِنْ سُوءِ أَدَبِهِ
وَشِدَّةِ وَقَاحَتِهِ .

قَالَ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ : وَشَاهَدْتُ أَنَا أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ هَذَا

في سنة خمسين وثلاثمائة ، وقد تقلبت به الأيام وبأهل بيته ، وهو بحضرة أبي محمد المهلبى ، وقد كان العيّارون ثاروا بمدينة السلام وأوقعوا فتناً عظيمة ، أصلها أن عَرَبَدَ رجلٌ عباسى على رجلٍ علوى فى خندق طاهر وهما على نبيذ ، قُتِلَ العلوى ، ونفر أهله واستغاثوا لأجله ، ودخل العامة بين الفريقين ، وشرفت ^(١) القصة إلى ما احتيج معه إلى إقامة الديلم فى الأرباع وترتيبهم فى كثير من الأصقاع ، وحتى أغلق العباسيون باب المسجد الجامع بالمدينة ، ومنعوا من صلاة الجمعة ، وزادوا فى إشعال النائرة . ودبر أبو محمد الأمر بأن قبض على جماعة من وجوه العباسيين وكثير من المستورين والعيّارين ، وأدخل فيهم عدة قضاة وشهود وصلحاء عباسيين ، وكان منهم أبو بكر بن عبد العزيز . ثم جلس لهم وأحضرهم وناظرهم ، وسأهم أن يسئواله العيارين وحلة السكاكين ليقصر على أخذهم ، ويفرج عن الباقين ، وأن يضمّن أهل الصلاح منهم أهل الريّة ، ويأخذوا على أيديهم أخذاً يحسم به موادّ الفتنة . فأخذ القاضى أبو الحسن محمد بن صلح الهاشمى يقول قولاً سديداً لطيفاً فى دفع ذلك واستعطاف أبى محمد المهلبى وترقيقه ، والرفق به وتسكينه ، واعترض أبو بكر بن عبد العزيز الخطاب ، وقال قولاً فيه بعض الجفاء والغلظة . فقال له أبو محمد : « يا ماص كذا وكذا ، ما تدع جهلك وتبسطك ، ولا تُخرج هذه الخيوط من رأسك ، كأنى لا أعرفك قديماً وحديثاً وأعرف حُحك وحقّ أهلك وتدرّحك ^(٢) » فى مجالس الوزراء وإيثارك أن تقول : قال الوزير وقت . ولعلك تقدّر أن المقتدر بالله على السرير ، وأننى أحد وزرائه ، ليس ذاك كذلك ، السلطان اليوم الأميرُ مُعزُّ الدولة ^(٣) الذى يرى سفك دمك قرّةً إلى الله تعالى وينزلك منزلة

(٢) التدرع : الدخول فى الشيء .

(١) شرفت : ارتفعت .

(٣) هو معز الدولة بن أبى شجاع بويه بن فنا خسرو البويهى : انظر ابتداء دولة البويهيين

فى ابن الأثير حوادث ٣٢١

الكلب يا عثمان برحله فحز برحله وحسن حاصرون فقال القاصي : فلقد رأيت
فقدسوه كات على رأسه وقد سمعتهم يرفون وطبقوا عليه يورق ونود إلى عمان .
فقبلت الجماعة مده وسنته الصريح عنه ، ورأسه نطيع لله - رحمة الله عليه - في أمره
مراسلات تردت إلى أن تركه وأزعمته . وأخذ خطوط العباسيين جميع ما كان
سامهم إياه وامتنعوا عنه ، وقيص من بعد على جماعة كثيرة من أحداث العباسيين
وأهل العياره والدعارة منهم ومن العامة ، وجعلهم في روارق مضطمة مُسَمَّرَة ، وأنفذهم
إلى بيروود وتَصَيَّ ، وحسبهم هناك في دور تحرى تحرى القلاع ومضامير ، فكانوا
فيها ، ومات كثير منهم . ثم أُطلقت نفثهم بعد وفاة أبي محمد المهلبى بسين ، ورالت
الفتن في تلك الأيام

وحدث القاصي أبو علي قال . حدثني أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عيَّاش
القاصي قال : كانت عادة أبي الحسن بن العراني في كلامه أن يقول للإسنان :
بارك الله عليك ومن عادة أبي الحسن علي بن عيسى أن يقول : « والاك »
أو « واك » فكان الناس يقولون : لو لم يكن من الفرق بين الرجلين إلا حسن اللقاء
وضرف^(١) ما بين القولين .

وحكى أبو محمد الصلحي قال . ما صرف الراضي بالله أبا علي عبد الرحمن^(٢)
ابن عيسى عن وراثته وسكبه وسكب أبا الحسن علي بن عيسى وصادر أبا الحسن
على ألف ألف درهم^(٣) وعبد الرحمن على ثلاثة آلاف دينار - وكان ذلك طريقا -
وحصل أبو الحسن مُعْتَقَلا في دار الخلافة ، وخاف أبو الحسن أن يكون في نفس

(١) لها : وظرف

(٢) كانت وراثته للراضي في سنة ٣٢٤ وقص عليه في سنة ٣٢٤ أيضاً

(٣) في اس الأئمة حوادث سنة ٣٢٤ أنه صدر أبا الحسن علي بن عيسى على مائة ألف دينار
وصادر عبد الرحمن - سبعين ألف دينار

الراضى بالله عليه ما يريد معه قتله ، فراسلنى يقول : هذا أبو محمد - وكان إذ ذاك كاتب أبي بكر بن زائق - يسألنى خطاب الراضى بالله عن صاحبه فى نقله إلى دار وزيره إلى أن يؤدى ما قرّر عليه أمره . قال : فجئت إلى الراضى بالله وقلت له : يا أمير المؤمنين ، على بن عيسى خادمك وخادم آبائك ، ومن قد عرفت محله من الصناعة ، وموقعه من جمال المملكة ، ومن حاله وأمره كذا وكذا . فقال : هو كذلك ، ولكن له عندى ذنوب . وأخذ يعدد ذنوب عبد الرحمن : فقلت له : يا مولانا ، وأى درك يلزمه فيما قصر فيه أخوه ؟ قال : سبحانه الله ، وهل دبر عبد الرحمن إلا برأيه وأمضى شيئاً أو وقفه إلا عن أمره أو أمرى إياه بألاً يحل ولا يعقد إلا بموافقتي ؟ وأقبلت أعذر له وأجعل بإزاء كل ذنب حجة . قال : دع ذا ، ما خاطبني قط إلا قال « واك » فهل يُتلقى الخلفاء بمثل ذاك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن هذا طبع له قد ألف منه وحفظ عليه ، وعيب به فى أيام خدمته للمقتدر بالله - رحمه الله عليه - وما استطاع أن يفارقه مع شبه ^(١) عليه وتعوده إياه . فقال : اعمل على أنه خلق ، أما كان يمكنه أن يُغيّر مع ما وصفته من فضله وعقله ، أو يتحفظ معى خاصة فيه مع قلة اجتماعي معه ومخاطبتي إياه ؟ وما يفعل ما يفعله إلا عن تهاون وقلة مبالاة . فقبلت الأرض مراراً بين يديه وقلت : الله الله أن يتصور مولانا ذلك فيه ، وإنما هو عن سوء توفيق ، والعفو من أمير المؤمنين مطلوب . ولم أزل إلى أن أمر بنقله إلى دار وزيره ، ونُقل وصحّح ما أخذ به خطه ، وصرف إلى منزله .

وحدث القاضى أبو على قال : حدثني جماعة من أهل الحضرة أن ^(٢) رجلاً

(١) فى الأصل تشبه . أو شبه : تمويه .

(٢) الفرج بعد الشدة ١٠٤/١ والمنظّم ٣٠٤/٦ .

عطارا مشهورا بالستر والصيانة رَكِبَهُ دَيْنٌ ، فقام عن دُكَّانِهِ ولزم منزله ، وأقبل على الصلاة والدعاء عِدَّةَ لَيَالٍ ، فبينما هو قد صلى ذات ليلة ودعا ، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه وهو يقول له : امض إلى علي بن عيسى الوزير ، فقد أمرته بأن يدفع إليك أربع مائة دينار تُصْلِحُ حالَكَ بها . قال العطار : وكان عليّ ست مائة دينار ديناً ، وأصبحت فقلت : قد قال النبي صلى الله عليه وسلم : «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي» فلمْ لا أمضِ إلى الوزير وأعرف ما عنده ؟ قال : فضيت ، فلما وقفت على بابهِ مُنِيتُ الوصولَ وجلسْتُ إلى أن ضاق صدرى ، وهممتُ بالانصراف ، فأنا على ذلك إذ خرج الشافعيُّ صاحبه وكان يعرفني معرفةً قريبةً ^(١) فقامت إليه وعرفته خبري فقال : يا هذا إن الوزير يطلبك منذ السحر ، وإلى الآن قد سأل عنك كلَّ واحد ، والرسل مبعوثَةٌ في اليَاسِكِ ، فكُنْ بمكانك . قال : ودخل ، فما كان بأسرع من أن دُعِيَ بِي ، فدخلت إلى الوزير أبي الحسن ، فقال لي : ما اسمك ؟ قلت : فلان بن فلان العطار . قال : من أهل الكرخ ؟ قلت : نعم ، قال : أحسن الله يا هذا جزاءك في قَصْدِكَ إِيَّاي ، فوالله ما تهَنَّأتُ عيشاً منذ البارحة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي في منامي : أعط فلان بن فلان العطار بالكرخ أربع مائة دينار يُصْلِحُ بها شأنه . فكنت اليوم منذ الغداة وإلى هذه الغاية أسأل عنك ، وما عرفنيك ^(٢) أحد . يا غلام هات ألف دينار . فجيء به عينا ، فقال : خذ منه أربع مائة دينار امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والست مائة الباقية هديةً مني إليك . فقلت : أيها الوزير ما أحب أن أزداد شيئاً على عطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإني أرجو البركة فيه . فبكي وقال : ما أحسن هذا اليقين ، خُذْ ما بَدَا لَكَ . فأخذت

(١) في الفرج بعد الشدة : ضعيفة .

(٢) في الفرج بعد الشدة : وما عرفك :

أربعائة دينار وأصرفت، وقصصت قصتي على صديق لي، وأرسته الدناير وكلفته أن يحبر غرمانى دمرى، وتوسط ما بينهم وبينى. فعلى، وبدلوا له تحيرى عما لهم ثلاث سنين، فقالت: لا بل يأحدون منى الثلث ويظرونى بالباقي. ففرقت عليهم مائتى دينار وفتحت دكانى وأدرته بالمائتين الباقية معى، فما حال الحول إلا وقد بلغ مالى ألف دينار، فوفيت غرمانى ما بقى لهم، وما رالت حالى سمو ومالى يريد والله الحمد.

وكان الخنابة بنوا مسجداً، وجعلوه طريقاً إلى المشاعة والفتنة، فنظّم إلى أبى الحسن على بن عيسى من أمره، فوقع على ظهر القصة: أحقّ مساءً يهدم، وتغفيرة رسم، بناء أسس على غير تقوى من الله. فتيحقّق قواعده إن شاء الله.

وكان أبو الحسن بن بيداد يتقلد كور الأهوار، فترى بزر من ارتفاع الناحية، ف وقعت فيه النار واحترق، وكتب إلى على بن عيسى كتاباً أقام فيه عذره، وسجع فى كتابه سجعاً راد فيه، فوقع على بن عيسى على ظهر الكتاب: أنت يا أبا الحسن تكتب فتجيد، والاسم الحميد خير من الكلام السديد، صيغت علينا أزرًا حصلته، وعوّلت بنا على كلام ألقته، وخطاب سمعته، أوجب صرفك عما توليته، والسلام.

فقال أبو الحسن بن بيداد: ماصرفنى غير السجع. وكتب إليه.

وصل كتاب سيدنا الوزير - أطال الله بقاءه - مشتملاً على وصفٍ وصرف. فأما الوصف فهو منه - أدام الله تأييده - مع تحله من الصناعة رهاية الفخر والسعادة. وأما الصرف عن الاعتذار، مما جرى به المقدار، فما جزاء من اعتذر من حالٍ لا يدرك عليه فيها أن يصرف عن ولاية لا جناية منه عليها، والاعتذار بلفظ الصواب، أولى من الاحتجاج بسوء الخطاب

فوقَّعَ علىَّ بن عيسى عن جوابه : قد أدَّته البلاغةُ إلى الإرادة ، فَلْيُكْتُبْ بِإِقْراره
على العمل ، وإسعافه بالأمل ، إن شاء الله .

وورد الحضرة قوم من أهل ديار ربيعة يتظالمون من حَيْفٍ لحقهم في
معاملاتهم ، فكتب على أيديهم إلى الحسن بن محمد بن عينة العامل هناك
كتاباً نسخته .

بسم الله الرحمن الرحيم . في علمك - أكرمك الله - بما أمر الله به من العدل
والإحسان ، ونهى عنه من الجور والعدوان ، وعاقب به الظالمين في سالف الأزمان ،
غَفَى لك عن التنبيه والتوقيف ، والوعظ والتخويف : وفيما رسمته لك مشافهة ومكاتبة
في إنكار الظلم وإزالته ، وإظهار العدل وإفاضة ، كفايةً وبلاغ . وقد ورد الحضرة
- أكرمك الله - جماعة من وجوه الثناء والمزارعين بديار ربيعة مُتَظَلِّمين مما
عُوملوا به في سِنِي إحدى واثنين وثلاث عشرة وثلاثمائة ، من إكراههم على تفضن
غلاتٍ بيادرهم بالخزير والتقدير وإلزامهم حقَّ الأعشار في ضياعهم على التربيع ،
واستخراج الخراج منهم على أوفر عِبرة^(١) قبل إدراك غلاتهم وثمارهم ، وإكراه
وجوهم وتجارهم على ابتياع الغلات السلطانية بأسعارٍ مُسرَّفةٍ مُجحفة . فألقني
ما أفاضوا فيه من الشكوى ، وآلني ما انتهى إليَّ وَصْفُهُ من عظيم البلوى ، ووجدته
- مع قبيح ذِكْرِهِ وعظيم وَزْرِهِ - عائداً بخراب الضياع ، ونقصان الارتفاع . فينبغي
- أكرمك الله - أن تُجَرِّى سائرَ رعيتك على المعاملات القديمة ، وتحملهم على
الرسوم السليمة ، حتى يعودوا إلى أفضل حالٍ عهدوها ، وأجل سيرة حمودها ، وتزِيل
السِّنَ الجائرة وتُبْطِلَها ، وتَقْطَعَ أسبابها وتَحْصِمَها ، وتكتب إليَّ بما يكون منك في ذلك
فإنني على اهتمام به ، ومراعاة له ، إن شاء الله .

(١) العبرة من معانيها الأصل الذي ترد إليه النظائر ويراد هنا على أوفر ما يكون المحصول .

وكتب إلى عبد الله بن علي الجرجاني عامل الصلح والمبارك .

وصل كتابك - أكرمك الله - جواباً عن الكتب النافذة إليك فيما تظلم منك فيه جماعة من الرعية ، وواصلوه من الشكينة ، بما دلت عليه من بطلان أقوالهم ، وشدة أطاعهم ، وحكيت من وجوبه عليهم بالحجج الواضحة ، والشواهد اللائحة ، وفهمته . فأما ما وصفته من استعمالك الحق في قولك وفعلك ، وحلك وعقدك ، فانظر أي دعوى ادعيتها لنفسك ، وماذا تحتج به غداً عند ربك . واعلم أن أقبح الناس في الدنيا ذكراً ، وأعظمهم عند الله وزراً ، من وصف عدلاً وأتى جوراً ، وأحسن قولاً وأساء فعلاً . وأما ما ذكرت أن هؤلاء المتظلمين أوقعوا فيه المغالبة ، وابتاعوه من أراضى المزارعات مصابرة ، فارتجعت منهم لتبيعه بالثمن الوافر ، والنقد الحاضر ، فقد عدلت في أمرهم عن طريق الحكم ، إلى أشنع جهات الظلم . ولو بانث دعواك وظهرت ، وقامت اليقينة عليها ووضحت ، لما جاز أن تمنعهم عما ملكوه ، ولا تحول بينهم وبين ما ابتاعوه ، إلا بعد أن يختاروا فسخ البيع ويرضوه ، ويؤثروه ولا يأبؤه ، وترد عليهم من الثمن ما وزنوه ، وتدفع إليهم معه ما أنفقوه . فسلم إليهم - عافاك الله - ملكهم ، ووفهم حقهم ، واقنع فيما بينك وبينهم بنظر محمد بن محمد ابن حدون ووساطته ، ولا تعدل عن قبول رأيه ومشورته . وأما ما أنفذته من العمل لبقايا سنة ثمان وثلاثمائة وما قبلها ويثبت أن معظمه على الطائفة المتظلمة منك ، فقد وقعت عليه ، وأحوال هذه البقايا مختلف ، والحكم فيها واضح منكشف ، وسبيل ما كان منها على الجهادية والبلدية ، وسكان المستغلات السلطانية ، أن تستخرجه في أسرع الأوقات ، وتستوفي على تصرف الحالات . وما نقاه المحملون وأصحاب المناثر (١)

(١) لعله يعني بأصحاب المناثر هم الذين يجمعون ما تساقط وتناثر من الخواصيل بعد قتل الأجران أو ما حرقها وما شابه ذلك .

عن ثَقَائِضِ قُنَابٍ^(١) الحاصل ، ووصفوا أن تصحيحه واجب على أرباب البيادر ،
فسيُلك أن تجريه مجرى أسلاف البذور التي تستنظفها ، مع التوثق منها بعد شهر .
وما بقي من الأسماء المجهولة - ولا أشك أنه من خراج نخل وخضر في أقرحة^(٢)
معروفة - فيجب أن تطالب مُزارعي تلك الأقرحة حتى يُصَحِّحوه ، أو يكشفوا حاله
ويوضحوه ، فاعمل في ذلك بما رسمته ، ولا تتجاوز ما حدّته ، إن شاء الله . وأما ما ذكرت
أن ابن المشرف الذارع أشار عليك بإيقاع المساحة عليه من حرّيم الأنهار ، المخوف
بالنخل والأشجار ، لتطالب باتباعه ، مَنْ تجده قد فاز بارتفاعه ، فقد غشك هذا الذارع
في مشورته ، وذلك على سوء مَريّته . وجميع نواحي واسط - أصلحك الله - من
السواد المفتتح عَنوة ، وليس يملكه السلطان - أعزه الله - فيباع ، لأنه في السليين
يقوم مقام الوقف على جميعهم ، وإنما تَبَاعُ أهليه فيه يَجْرِي بِجَرَى الشُّكْنَى لِأجل
ما أدّوه ويؤدّونه من الخراج وهو الكراء ، ومن غرس في هذا الحرّيم نخلا
أو شجرا ، أو زرع غلّة أو خضرا ، فقد نفع سلطانه - أعزه الله - وانتفع ، وثمر ماله
بما صنع . فاحذر أن يَحْطُرَ هذا الباب ببالك ، أو يَجْرِيَ ذِكْرُهُ على لسانك ،
وإِرجع عما يَعْزُبُ عنك فهمه ويُسْكِك عليك حُكْمه إلى الفقهاء ، لِتَسَلَّمَ من
سِمةِ المسبة ، وتأمّن سوء اللَّغْبة ، إن شاء الله .

وحدث أبو الحسن عليُّ بن هشام قال^(٣) : أقرأني أبو عبد الله أحمد بن محمد
الجليعيُّ كتاباً بخط أبي الحسن عليِّ بن عيسى ذكر أنه كتبه إليه في وزارته الأخيرة
وهو يتقلد طَسَاسِيحَ طريق خراسان ، يَحْتَنِي فيه على سَهل المال وكانت نُسخته :

(١) الثَّقَائِضُ جمع نفاذه وهي مَنَاقِط من الورق والتمر . والقُنَاب : الورق المجتمَع الذي
فيه السنبُل .

(٢) الأقرحة جمع قراح وهي الأرض .

(٣) نشوار المحاضرة ١٠/٨ .

قد كنت - أكرمك الله - عندى بعيدا من التقصير ، غنيا عن التنبه والتبصير
 راغبا فيما خَصَّكَ بالجمال ، وقدَّمك على نظرائك من العمال ، واتصلت بك تقى ،
 وانصرفت نحوك عيناى ، ورددت الجليل من العمل إليك ، واعتمدت فى المهيم
 عليك . ثم وَضَحَ عندى من أثرك ، وصَحَّ عندى من خبرك ، ما اقتضى استزادتك ،
 وَرَدَفَهُ ما استدعى استبطاءك ولائمتك ، وأنت تعرف صورة الحال ، وتطلعى - مع
 شدة الضرورة - إلى ورود المال . وكان يجب أن تبعثك العناية ، على الجدِّ فى
 الجباية ، حتى تَرِدَ جُحُولُكَ ، ويتوصَّلَ ما تتوقَّعُ ورودَه من جهتك . ونَشَدْتُكَ ^(١)
 بالله لَمَّا ^(٢) تَجَنَّبْتَ مذاهب الإغفال والإهمال ، وقرنتَ الجواب على كتابى
 هذا بِمَالٍ يَمَيِّزُهُ من سائر جهاته وتحصُّله ، وتبادر به وتَحْمِلُهُ ، فإنَّ العين إليه ممدودة ،
 والساعات لوروده معدودة ، والعذر فى تأخُّره ضيق ، وأنا عليك من سوء العاقبة
 مشفق ، والسلام .

وحدث أبو الحسين على بن هشام قال ^(٣) : سمعت أبا عبد الله الباقر يقول :
 لما غلب السَّجْزِيَّةُ ^(٤) على فارس ، جَلَّأ قومٌ من أرباب الخراج عنها لسوء المعاملة ،
 فَقَضَ ^(٥) خراجهم على الباقين ، وكَمَّلَ بذلك قانون فارس القديم ، ولم تزل هذه
 التسكُّلة تُستوفى على زيادة تارة ، ونقصان أخرى . وافتتح أبو الحسن ابن الفرات
 فارس فى وزارته الأولى سنة ثمان وتسعين ومائتين على يدِ وَصِيْفٍ ^(٦) كَامِه ، ومحمد

(١) نشده الله ونشده باق : سأله وأقسم عليه به .

(٢) لما معناها لا : قال ابن برى : وقد حكى سيوبه نشدتك الله لما فعلت بمعنى لا فعلت .

(٣) نشوار المحاضرة ٦٨/٨ .

(٤) السجزية نسبة إلى سجز وهو اسم لسجستان . ويريد المؤلف بذلك بنى الصفار وانظر ابتداء
 أمرهم فى ابن الأثير حوادث سنة ٢٥٣ .

(٥) يقال فض الشيء على القوم : فرقه وقسمه .

(٦) انظر الطبرى حوادث ٢٩٨ وابن الأثير حوادث ٢٩٧ .

ابن جعفر العبري ناوي^(١) فَأَجْرَى الأمر على رُئسِهِ، وفعل مثلَ ذلك محمد بن عبيد الله الخفائي وعليُّ بن عيسى في صدر وزارته الأولى . فلما مضى منها مُدِيدَةٌ ، وَرَدَ عبدُ الرحمن بن جعفر الشيرازي إلى الحضرة ، فتكلمَ على محمد بن أحمد بن أبي البغل ، وقَدَحَ فيه ، وكان يتقلدُ فارس إذ ذاك ، وَخَطَبَ العمل ، وبذلَ توفيرَ جُحْلَةٍ من المال ، ففقد عليُّ بن عيسى الضمانَ عليه ، وَصَرَفَ ابنَ أبي البغل وقَلَدَهُ أَصْبَهَانَ ثم أَمَرَ عبدُ الرحمن بن جعفر المالَ واحتجَّ بتظلمِ أهلِ فارس من التَّكْملة المذكورة ، وامتناعِهِم من أدائها ، فكتب عليُّ بن عيسى إلى أبي المنذر النعمان بن عبد الله - وهو يتقلدُ كُورَ الأهواز - بالاستخلاف على عمله ، والنفوذ إلى فارس ، ومطالبة عبدِ الرحمن بما حَلَّ عليه من المال ، والنظر في أمرِ التَّكْملة التي وَقَعَت الظَّلابةُ منها ، وشرَّحَ أمرها وحلَّ ضمانِ عبدِ الرحمن ، وعَقَدَ البلدَ على أحمد بن محمد بن رُستم ، وكتب إلى ابن رستم بأن يصير من أَصْبَهَانَ إلى فارس ، ليعقد [له]^(٢) عليه .

فلما وصل النعمان إلى هناك وجدَ قِطْعَةً من التَّكْملة على عبدِ الرحمن . وقد رام أن يَكْسِرَهَا ، ففَسَفَهُ^(٣) وباعَ شيئاً من أُملاكِهِ حتى استوفى ما عليه ، واستخرج قالَ التَّكْملة من الناس ، وكتب إلى عليِّ بن عيسى بأنَّ العمالَ يَسْتَضْعِفُونَ قوماً من أرباب الخراج فيُلْزِمُونَهُم من التَّكْملة أكثرَ مما يُلْزِمُهُمْ وَيَرْهَبُونَ آخَرِينَ فَيَحْمِلُونَهُمْ أَقْلَ مما يَخْصُهُمْ . وقال هو وابن رستم : وإن من طرائف ما يجري بفارسٍ مطالبةُ الناس بهذه التَّكْملة وهي ظُلمٌ لا شكَّ فيه ولا شبهة ، ومما سنه الخوارجُ جُوراً

(١) في الأصل عبر ناوي . ولكن النسبة إلى عبرتنا : عبرناوي أو عبرتي ، وفي ابن الأثير حوادث ٢٩٧ الفريابي .

(٢) يقال عقد له الرئاسة في قومه : جعلها له . وعقد له على الجيش رأسه عليه .

(٣) عسفه : ظلمه .

ومجازفة^(١). وإن هناك مما قد أُغْضِيَ عنه لأربابه ، والمطالبة به أولى وأحق ، وهو خَرَجُ الشَّجَرِ ، لأن فارسَ افْتَتَحَتْ عَنُوةً ، وهى فى أيدي المزارعين على سبيل الإجارة ، ولا حُجَّةَ لهم فى دفعهم إلَّا دعواهم أن المهدي أسقطه عنهم .

وعرف أهل بلاد فارس ما يجرى من الخوض فى هذا الأمر ، فورد قومٌ من أجلادهم إلى حضرة على بن عيسى ، ودخلوا عليه فى يوم جلوسه للمظالم وقالوا : نُمْنَعُ غَلَّاتِنَا وَنُعْتَمِقُ فى الكناديج^(٢) حتى تهلك وتصير هكذا - وطرحوا من أكلهم حِنْطَةً محترقة - ونطالب بتكملة ما أوجبه الله علينا فتدعوننا الضرورة إلى بيع نفوسنا وشعورِ نساءنا وأدائها حتى تُطْلَقَ الغلَّةُ وهى على هذه الصورة - ثم رموا من أكلهم تيناً يابساً وخوخاً مُقَدَّداً وَلَوْزاً وفُسْتَقاً وبنديقا وغُبَيْرَاءَ وَنَبَقاً وَعُتَّاباً - وقالوا : وهذا كله بلاخراج لقوم آخرين ، والبلد فُتِحَ عَنُوةً فإِذَا تساوينا فى العدل أو الجور .

فأنهى على بن عيسى ذلك إلى المقتدر بالله ، وجمع القضاة والفقهاء ومشايخ الكتاب والعمال وجلة القواد فى دار الوزارة بالحرَّم - وقد جعلها ديواناً - وتناظر الفريقان من أرباب الشجر - وقد ورد منهم قوم - وأرباب التكملة . فقال أربابُ الشجر : هذه أملاكٌ قد أنفقنا عليها أموالنا حتى نلبت الغروس فيها ، وحصل لنا بعض الاستغلال منها ، ومتى أُلْزِمَتِ الخراج بطلت قيمتها ، وقد كان المهديُّ أزال المطالبة ورسم الخراج عنها . وقال المطالبون بالتكملة ما شكَّوا به حالهم فيها ، واستمرار الظلم عليهم بها .

ورُجِعَ إلى الفقهاء فى ذلك فأفتوا بوجوب الخراج وبطلان التكملة . وقال

(١) يراد بالمجازفة : بدون قانون ولا تبصر ولا تقدير صحيح .

(٢) الكناديج : أوعية من الطين لحزن الغلال = صوامع .

الكتاب : إن كان المهدي شرطاً لمصلحة رآها في الحال ثم زالت سقط الشرط ورجع الحكم إلى الأصل. وقال لم علي بن عيسى : أليس احتجاجكم بأن المهدي إمام رأي رأيًا فيه صلاح ففعله ؟ قالوا : بلى . قال : فإن أمير المؤمنين الإمام قد رأى أن من الأحوط للمسلمين إلزام الشجر الخراج وإزالة التكلفة . فقام الزجاج وو كيع القاضي فدعوا له وأثنيًا عليه . وقال وكيع : لقد فعل الوزير في هذه القصة كفعل أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مطالبته أهل الردّة بالزكاة .

وأنهى علي بن عيسى والقضاة ما جرى للمقتدر بالله في يوم الموكب ، واستأذنه في كتب الكتاب بإسقاط التكلفة عاجلاً إلى أن يتقرر أمر الشجر . فأمره بكتب ذلك في الحال بحضرته ، وأحضرت له دواة - وكان رسم الوزراء إذا أرادوا كتب كتاب بحضرة الخليفة أن تحضر لهم دواة لطيفة بسلسلة فيمسكها الوزير بيده اليسرى ، ويكتب بيده اليمنى - وبدأ علي بن عيسى يكتب بغير نسخة ، فلما رآه المقتدر بالله وقد شق ذلك عليه أمر بإحضار دواته وأن يقف بعض الخدم معه فيمسكها إلى أن يفرغ من كتابته . وكان أول وزير أكرم بهذا ، ثم صار رسماً للوزراء بعده فكانت نسخة ما كتبه علي بن عيسى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين إلى النعمان بن عبد الله ، سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد فإن أفضل الأعمال قدراً ، وأجملها ذكراً ، وأكملها أجراً ، وأذخرها ذخراً ، ما كان للثقي جامعا ، وللهدي تابعا ، وللورى نافعا ، وللبلوى دافعا ، وقد جعل

الله أمير المؤمنين فيما استرعاه من أمور المسلمين مؤثراً ما يرضيه ، مثابراً على ما يرضي الله (١) عنده ويحطيه ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه يتوكل ، وبه يستعين . وقد عرفت حال السجزيّة والحرميّة الذين تغلبوا على كور فارس وكرمان ، واستعملوا الجوز والعُدوان ، وأظهروا العتوّ والطغيان ، واتهكوا المحارم ، وارتكبوا العظام ، حتى أنفذ أمير المؤمنين جيوشه إليهم ، وتورد بها عليهم ، فازالهم وأبادهم ، وشنتهم وأبارهم (٢) بعد حروب تواصلت ، ووقائع تباغت ، أحلّ الله بهم فيها سطوته ، وعجل لهم نعمته ، وجعلهم عبرة للمعتبرين ، وعظة للمستمعين . « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » (٣) ولما عاق الله أمر هؤلاء الكفار ، وفرّق عدد أوباشهم النجّار ، وجد أمير المؤمنين أفضع ما اخترعوه ، وأشنع ما ابتدعوه ، في مدتهم التي طال أمدها ، وعظم ضررها ، تكلّة اجتنبوها يسكور فارس في سبي غوايتهم لما طالبوا أهلها بالخراج على أوفر غيرتهم (٤) من غير اقتصار فيه على الموجودين ، حتى فاضوا (٥) عليهم خراج ما خرب من ضياع المفقودين ، فأنكر أمير المؤمنين ما استقرّ من هذا الرسم النميم ، وأكبر ما استعزّ به الظلم العظيم ، ورأى صيانة دولته عن قبيح مقرّته ، وحراسة رعيته من عظيم ضررته ، مع كثرتة ووفور جملته . فأرفع عن الرعية هذه التكلّة رفعا مشهورا ، فقد جعل الله من سنّها مدحوراً . ونادى في المساجد الجامعة بإزالتها وإبطال جبايتها . ليذيع ذلك في الجمهور ، ويتمكّن السكون إليه في الصدور ، ويحمد الله الكافّة على ما أتاحه الله لها من تعطف أمير المؤمنين ورعايته ، وجميل حيّاطته

(٢) أبارهم : أهلهم .

(١) أزاله : قرّبه .

(٣) الآية ١٠٢ من سورة هود .

(٤) العبرة من معانيها : الأصل الذي ترد إليه النظائر .

(٥) فاضوا : قسموا وفرقوا .

وعنانيته ، وأُجِبَ بما يكون منك في ذلك ، فإن أمير المؤمنين يَتَوَكَّفُ^(١) ويراعيه ويتشوقه إن شاء الله . والسلام عليك ورحمة الله . وكتب علي بن عيسى يوم الخميس النصف من رجب سنة ثلاث وثلاثمائة .

وقد كان علي بن عيسى نظر في سنة اثنتين وثلاثمائة الخراجية لأهل هذه التكملة بألف ألف درهم^(٢) قبل أن يستقرَّ على أرباب الشجر الخراج . ثم تقرر على أن يُقَارَبَ أَهْلُهُ فِيهِ وَيُزَمَّوا طُسُوقًا مخففة عنه ، وفعل النعمان في ذلك فعلًا ووفق به ، وكان ما ارتفع منه قريباً من مال التكملة . وكتب علي بن عيسى في أمر الشجر بما نُسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله جعفر الإمام المقدر بالله أمير المؤمنين إلى أحمد بن محمد بن رستم ، سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد فإن الله عظيم آلائه ، وقديم نعمائه ، وجميل بلائه ، وجزيل عطائه ، جعل أموال الفئ للدين قواماً ، وللحق نظاماً ، وللعزّ تماماً ، فأوجب للأمة جبايتها وحرّم عليهم إضاعتها ، إذ كان ما يُحتجى منها عائداً بصلاح العباد ، وحراسة البلاد ، وحماية البرية ، وحيطة الخوذة والرعية ، ولذلك يُعمل أمير المؤمنين فكره ورويته ، ويستفرغ وسعته وطاقته في حراستها وحياطتها ، وقبض كل يد عن تحييفها وتنقصها ، والله ولي معوته بمنه ورحمته . ولما فتح الله كور فارس على المسلمين ، وأزال عنها أيدي المتغلبين ، وجد أمير المؤمنين أهلها قد احتالوا في إسقاط خراج

(١) يتوكف الخبر : ينتظر ظهوره . ويتوكف الأمر : يتبعه .

(٢) في نشوار المحاضرة ٧٤/٨ بمشرة آلاف درهم .

الشجر بأشهره ، منع كثرته وجلالة قدره ، فأمر بإشخاص وجوههم^(١) إلى حضرته ،
وأتصلت المناظرة لهم بمشهد من قضاته وخاصته ، إلى أن اعترفوا به مذعنين ، والزموه
طائعين ، وضمنوا أداء ما أوجبه الله فيه من حقوقه على مانقّر من وضائعه^(٢) وطسوقه
فطالب بخراج الشجر ، في سائر الكور ، على استقبال سنة ثلاث وثلاثمائة . فاستخرجوه
واستوف جميعه واستنظفه^(٣) واكتب بما يرتفع^(٤) من مساحته ويحصل من
مبلغ جبايته ، متحرّياً للحق ، متوخّياً للرفق إن شاء الله . والسلام عليك ورحمة الله .
وكتب على بن عيسى يوم الاثنين لعشر ليال خلوف من شعبان سنة
ثلاث وثلاثمائة .

وحدث أبو الحسن أحمد بن محمد بن سمعون الجرجاني قال : كنت أخلف أبا ياسر
الجرجاني على التهرّوات ، فمسخنا على^(٥) الناس ما يجري على الطسق من غلاتهم
فإذا أحد الثناء^(٦) . قد أصدع إلى دار الوزير أبي الحسن على بن عيسى - ونحن
لأنعلم - فنظّم من أننا زدنا عليه في مساحة قراح^(٧) له . فلم نشعر إلا وقد جاءنا
ابن البذلّ العامل ، وهو من وجوه العمال ، ومعه فوّج من مساح بادوريا ، فرسان
ورجالة ، فلم نشك أنه صارف لنا . فقال لي صاحبي : أحب أن تتلقاه وتعرف
الخبر . فتلقيته فوجدته منقذاً لا اعتبار مساحة القراح الذي للرجل ، وعدت إلى صاحبي

(١) وجوه القوم : ساداتهم .

(٢) الواضع : جمع وضعية ومن معانيها : ما يأخذه السلطان من الخراج والمشور .

(٣) استنظف الخراج : استوفاه وأخذه كله .

(٤) رقع مطاوع رفع التي هي من قولهم رفع القوم الزرع : حمله بعد الحصاد إلى البيدر فارتفع
هو أي حل بعد حصاده .

(٥) مسح الأرض : قاسها وقسمها .

(٦) الثناء : جمع تائي وهو المقيم بالمكان .

(٧) القراح : الأرض لأماء فيها ولا شجر .

بذلك ، فقال لي : ماتدري كيف جرى أمرُ مساحته ؟ قلت : لا . قال : فاخرج حتى تَواقِفَ وتجهِد . قال : فخرجت ومعى مُسَاحُ البلد الذين مَسَحْنَا بِهِمْ ، وواقفنا واستقصينا ، ومازِلْتُ أَلُطِفُ حتى استقرَّت مساحَةُ القَرَّاحِ على أَحَدٍ وعشرين جريباً وقنيز^(١) وكُنَّا مسحناه اثنين وعشرين جريباً . واحتججتُ بأن المساحة وقعتْ أَوَّلًا وَالْعَلَّةُ قَائِمَةٌ فِيهِ ، وَمُسَحَّحَ الآنَ بعد حصادها ، وليس بمنكرٍ أن يكون بين المساحة على الحالتين هذا القدرُ . وانصرف القومُ وطالعوا على بن عيسى بالصورة ، فوردت علينا كُتُبُهُ بالصَّوَائِقِ فِي الإنكار والتَّوَعُّد وقال : والله لئن عادتْ ظُلَامَةٌ أَوْ تُحَيِّفَ أَحَدٌ مِنَ الرِّعِيَةِ فِي معاملة أَوْ مساحَةٍ لِأَقَابِلِنَّ عَلَى ذلك أشدَّ مُقَابِلَةً . فَتَحَرَّرْنَا وَتَحَفَّظْنَا وَحَرَسْنَا النَّاسَ وَنَفْسَنَا ، وَزَادَ الارتفاعُ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ ثَلَاثَةً فِي كُلِّ عَشْرَةٍ لِأَنَّ الْعَدْلَ شَاعَ ، وَالْحَيِّفَ زَالَ ، فَتَوَفَّرَتِ الْعِمَارَةُ .

وحدَّثَ أَبُو مُحَمَّدٍ ثَابِتُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْمَشْرِفِ كَاتِبُ بَادُورِيَا قَالَ : كَانَ أَهْلُ بَادُورِيَا مَعْرُوفِينَ بِالْجَلْدِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَظَالِمٌ وَقُوفٌ . وَمَظَالِمُ رُسُومٍ ، وَمَظَالِمُ تَدْعَى مَظَالِمَ الْقِرَطَاسِ . فَتَقَلَّدَ عَلَيْهِمُ ابْنُ أَبِي السَّلَاسِلِ^(٢) الْعَامِلُ فِي قَلْبِهِ أَحْقَادَ ، فَأَرَادَ الِاسْتِفْصَاءَ عَلَيْهِمُ وَالتَّشْقِيَّ مِنْهُمْ . وَأَخْرَجَ مَا عَلَيْهِمُ مِنَ الْبَقَايَا ، وَأَضَافَ إِلَيْهَا مَارَدَهُ مِنْ هَذِهِ الْمَظَالِمِ ، وَحَبَسَهُمْ وَطَالَبَهُمْ فَأَمْتَنَعُوا عَلَيْهِ ، وَصَبَرُوا عَلَى الْحَبْسِ ، فَقَيَّدَهُمْ وَاحْتَمَلُوا الْقَيْدَ ، وَلَمْ يَحْسُرْ عَلَى أَنْ يُوقَعَ بِهِمْ مَكْرُوهًا خَوْفًا مِنْ عَلِيِّ بْنِ عِيْسَى . فَأَمَلِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَلَى كَاتِبِهِ بِحَضْرَتِهِمْ رَفْعَةً إِلَى عَلِيِّ بْنِ عِيْسَى يُغْرِيه فِيهَا بِهِمْ كُلَّ إِغْرَاءٍ وَيَقُولُ : هَؤُلَاءِ قَوْمٌ يُدِلُّونَ بِالْجَلْدِ ، وَعَلَيْهِمْ أَمْوَالٌ قَدْ أَلْطَوْا^(٣) بِهَا وَصَبَرُوا

(١) القنيز : ١٤٤ ذراعاً وهو ربع جريب .

(٢) في تجارب الأمم ١٥٧/٥ ابن السلاسل وبهامشه نقلا عن تاريخ ميفارقين ، إن والى ميفارقين من قبل الفتندر هو ابن أبي السلاسل .

(٣) أَلَطَوْا : منوها .

على الحبس والقيد ، ومتى لم تُطْلَق اليَدَ في تقويمهم واستخراج المال منهم كَسْرُوهُ ،
وتَأَسَّى بِهِمْ أَهْلُ السَّوَادِ فَبَطَلَ الارتفاعُ ، والوزير - أَيْدَهُ اللهُ - أَعْلَى عَيْنًا فَمَا يَرَاهُ
مِنَ الإِذْنِ فِي مَعَامِلَتِهِمْ بِمَا يَضْطَرُّهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْحَقِّ . قَالَ : فَجَزَعَ الْقَوْمُ وَخَافُوا
أَنْ يَعُودَ الْجَوَابُ بِإِطْلَاقِ يَدِهِ فِيهِمْ فَيَبْلُغَ مِنْهُمْ مِثْلَ مَا يَكُونُ بِهِ ، وَهُمْوَا
بِالْإِقْيَادِ لَهُ إِلَى مَا يَرِيدُهُ . ثُمَّ صَبَرُوا ، فَوَرَدَ الْجَوَابُ عَلَى ظَهْرِ الرُّقْعَةِ بِحُطٍّ عَلَى
ابْنِ عِيسَى : الْخَرَجُ - عَافَاكَ اللهُ - دِينَ لَا يَجِبُ فِيهِ غَيْرُ الْمَلَاذِمَةِ فَلَا تَتَعَدَّ ذَلِكَ
إِلَى غَيْرِهِ ..

فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ ، وَأَمْضَيْتْ رُسُومُهُمْ ، وَلَمْ يُؤْذُوا إِلَّا الْبَقَايَا الصَّحِيحَةَ ، وَزَادَ ارْتِفَاعُ
بَادُورِيَا فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ اثْنَيْنِ فِي كُلِّ عَشْرَةٍ .

وَحَدَّثَ أَبُو مُحَمَّدٍ^(١) عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ دَاسَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو سَهْلٍ بْنُ زَيْدٍ
الْقَطَّانُ قَالَ : كَانَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى يَدْخُلُ إِلَى حَجْرَةِ زَوْجَتِهِ وَالِدَةِ أَبِي الْقَاسِمِ
ابْنِهِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ . فَلَمَّا نَشَأَ أَبُو الْقَاسِمِ وَتَرَجَّلَ جَاءَ إِلَى حَجْرَةِ أُمِّهِ فِي يَوْمِ نَوْبَتِهَا مِنْ
أَبِيهِ فَأَقْفَلَهَا عَلَيْهَا ، وَأَخَذَ الْمِفْتَاحَ وَانْصَرَفَ ، وَوَافَى عَلِيُّ بْنُ عِيسَى عَلَى رَسْمِهِ ، فَلَمَّا رَأَى
الْبَابَ مُقْفَلًا سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ : فَعَلَهُ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُكَ . فَاسْتَحْيَا وَعَرَفَ غَرَضَهُ ،
فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْ بَعْدُ إِلَى أُمِّهِ إِلَّا لِعِيَادَةٍ أَوْ حَالٍ ظَاهِرَةٍ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْقَاسِمِ عِيسَى بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عِيسَى قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : لَمَّا حَبَسَنِي
الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ كُنْتُ مُكْرَمًا فِي تَحْبِيسِي ، فَدَخَلْتُ إِلَى الْقَهْرْمَانَةِ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ عَشْرِ شَهْرًا
مِنَ الْقَبْضِ عَلَىَّ وَقَالَتْ : يَرِيدُ الْخَلِيفَةُ أَنْ يَحْيِيَّكَ فَتَأَهَّبْ لَذَلِكَ . فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ حَتَّى
دَخَلَ إِلَيَّ مُؤَنِّسُ الْقَشُورِيِّ وَابْنُ الْخَوَارِزْمِيِّ وَقَالَا لِي : أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَحْيِيَّكَ

(١) ذكر ميخائيل عواد أنها وردت في نشوار المحاضرة ٥٢/٢ .

فاستحيا منك . قال : فقامت وقبَّلت الأرض ودعوتُ له ثم قالاً : ويقول لك لولا علمنا بزهديك في الوزارة لما عدَّنا بها عنك ، ولكنا نشاورك فيمن نُقلِّده ، إذ كُرِّهنا النَّاطِرَ في الأمور ، فقلت : الوزارة محتاجة إلى رجل كاتب كافٍ مُمَشٍّ للأُمور عارفٍ بسياسة الجند ، وقد قلَّ النَّاسُ الذين هذه حالهم ، وما أعرف من أذكِّره اقتضاباً من غير رَوِيَّةٍ ، ولكن أنظرُوني حتى أراجع فكري وأقول ما عندي . فقالا : قلُّ على كلِّ حال . فقلت لهما : بالحضرة رَجُلان وعلى البُعْد رَجُلان . فأما الحاضران فأبو عيسى أحمد بن محمد بن خالد أخو أبي صخرة وأبو عبدالله حمد بن محمد القنَّائِي . وأما الغائبان وهما أَوْفَقُ وأصلح فأبو علي الحسين بن أحمد المعروف بأبي زُبَور وأبو بكر محمد بن علي المادرائيَّان ، فإنهما قد دبرا أمور بني طُولون في المال والرجال ، ولهما في الكتابة قَدَمٌ ، وبالتدبير دُرَّة ، فاستدعوا أحدهما . قالاً : ها بمصر ، والمسافة بعيدة ، ونريد ما هو أقرب . فقلت : إمَّا أبو عيسى أو حمد ، قالاً : فما تقول في حامد بن العباس . قلت : هو عامل يصلح لإمارة وحفظ ارتفاع ، وما الوزارة من عمله ولا سياسة الملوك والرجال وتديرُ الأمور مما يعرفه . قال له : خاعلم أن أمير المؤمنين قد قلَّده وخلع عليه ، ونظرَ مُدَّ ثلاثة أيام . قلت : فما معنى المشاورة بعد الإمضاء ؟ فقالا : لأنه قد تلوَّح لنا عَجَزُ حامد وكِدنا نَفْتَضِحَ به ، ولم يُؤثِّرِ الخليفة صَرْفه في إثْرَ تَقْلِيدِهِ فيقبَّحُ ذلك في السياسة ، ونريد أن نَشُدَّه بمن يقوم بهذا الأمر ويسدُّه ليبقى عليه اسمُ الوزارة ، وقد رأى أن يندُبَكَ لذلك فتكون كاتبه وخليفته ظاهراً وأنت الوزيرُ باطناً والتدبير إليك ، والمعاملة بين أمير المؤمنين وبينك . قال : فاسترحتُ إلى الإجابة لِتَطاولَ حبسي وخرجت ونظرتُ وكان ما كان .

وحدث أبو علي التَّوْخِي قال : حَدَّثَنِي أبو الحسن أحمد بن يوسف بن الأزرق

قال : حدثني أبو يعقوب أخى قال : حدثني أبو بكر بن مقاتل ونحن بمصر قال :
 ابتعت من السلطان قديماً ، وأنا تاجرٌ ، غلّةً على إكراهٍ وبقي على من ثمنها
 عشرون ألف دينار ، وأحضرنى أبو الحسن على بن عيسى وطالبني بذلك ، فلم يكن
 لى وجهه ، وعدات إلى جحدّه وترك الاعتراف به . وقال لى اعمل حساباً بأصل
 ما ابتعته وما أدّيته ليبين الباقي بعده . ودافعت فاعتقاني فى الديوان ، وأمرنى بعمل
 الحساب فيه . فأخذت أعلّل وأطاول إشفاقاً من أن تتحقق البقية فأحصل تحت
 المطالبة بغير عذر ولا حجة ، ثم أرهقنى ودعانى إلى حضرته ، فدخلت ومعى كيس
 حسابى لأريه ما ارتفع منه ، وأسأله إنظارى بإتمامه واستكمالّه . وفتحت الكيس
 بين يديه ، وكنت أستطيب خبز البيت ولا آكل غيره ، ويحمل لى من منزلى فى
 كل يومين أو ثلاثة ما أريد منه ، وبحسن الاتفاق تركت فى الكيس منه رغبين
 استظهاراً لئلا يتأخّر عني ما يحمل لى ، وبينما أقلب الحساب وقعت عين الوزير
 أبى الحسن على الرغبين ، فلما رآهما قال لى : اضمم إليك حسابك ، مراراً . فضمته
 وشدّته وقال لى : قم إلى بيتك . فأنصرفت ولم يطالبني بعد ذلك بشيء ، ولا تنبه
 من نظر بعد على أمرى ، فأنكسر المال والله ، وكان سببه الرغبين لأن على بن
 عيسى لما رآهما وقد كنت أشكو الخسارة والفقر حملنى على أن تخمى للرغبين مع
 الحساب لضغف حالٍ وشدة فاقة .

وحدث أبو القاسم عيسى بن على قال : حدثني أبى قال : لما استهلّ ذوالحجة
 من سنة أربع وثلاثمائة ، وقد قاربت استيفاء السنة الرابعة من وزارتى الأولى
 للمقتدر بالله ، باغنى ما قد عمل عليه من صرفى ، فدخلت إليه وخلوت به وقلت :
 يا أمير المؤمنين قد أظالّ العبد - عرفك الله بركته - ووجب أن تنظر فى أمر خواصك
 وجندك ، فمن كان له رزق متأخّر ، واستحقاق حاضر ، أطلقناه له ليصرفه

في نفقة عيده . فقال : نعم . قلت : ترسل السادة - وأشرت إلى السيدة والخالة والأمراء والحرم - ونستعلم منهم الصورة فيما يتعاق بهم . ففعل وقالوا : قد راجت أموالنا وما بقي لنا ما نطالب به أو نقتضيه . قال : فقلت : إن خدام الدار وحواشيها وأصحاب الجرّيات والمرزقة والعلمان الحُجَريّة والرجالة المصافيّة ، وأصحاب مؤنس وأصحاب الحُجّاب وأصحاب الشرطة جارون هذا الجري في الاستيفاء ، وقد أزحت عليهم فيما استحقّوه منذ نظرتُ وشكرتُ إلى هذه الغاية ، ولم يبق علينا شيء لأحد إلا ما كان لبعض رجال القواد التفاريق ، وقد تقدمت بإخراج الحال فيه فكان مائة وثلاثين ألف دينار ، وحملت إلى مجلس العطاء اليوم منه مائة ألف دينار وقدّرت أن الثلاثين ألفاً ستوفّر من جاري من مات أو غاب أو أسقط ، وفُضُول الأوزان والرّسوم التي كان يُرتفق بها قبل هذا الوقت . وإنما أردت في إعلام أمير المؤمنين من ذلك ما أعلمته ليتحقق استقامة أمره وأمر أهل دولته . قال : فأظهر السرور بما أخبرته به وشكرني على ما فعلته فيه وقلت : يا أمير المؤمنين إن ابن الفرات نظر لك قبلي أربع سنين فأنفق ارتفاع الدنيا ومال المصادرات ، وكذا وكذا ألف دينار من بيت مال الخاصة - لم يُسمَّ أبو القاسم عيسى [بن] على ما ذكر مبلّغه^(١) - ثم نظر لك بعده محمد بن عبيد الله الخاقاني ، فأخرج من بيت مال الخاصة ألف ألف دينار زائدة على ما أخرجه ابن الفرات بعد الذي أنفق من الارتفاع والمصادرة ، وقد وفّيتُ الناس أموالهم كما رأيت وما مسستُ من بيت مال الخاصة درهما واحداً ، وإن تركتني حتى أدبر أمورك في هذه السنة المقبلة ولم تُغيّر لي أمراً قت بجميع الخُرج ، وحملت إلى بيت مال الخاصة ألف ألف دينار أوفّرها . فقال : معاذ الله أن أعتدّ لك صرّفاً أو اعتاضَ عنك أحداً ، وأنت . . وأنت . . وجعل يقرّظني ويصنفي ويحمدني ويشكرني . فأنصرفت من بين يديه وعندي أنتي

(١) في الأصل : لم يسم أبو القاسم عيسى على ما ذكر مبلّغه .

قد كُفِّيتُ الصَّرْفَ فما مضى على هذا المجلس سبعة أيام حتى قبض على في اليوم الثامن وكان يومَ التَّزْوِيَةِ ، وَنَسَكَنِي .

وحدث أبو على عبد الرحمن بن عيسى قال : سمعت الوزير أبا الحسن أخى يقول :
 قلَّ ما ظفر أحد بني [فلم يَبْطُر] ^(١) ، وقلَّ من حرص على النساء فلم يَفْتَضِحْ ،
 وقلَّ من أكثر من الطعام فلم يَتَخَمْ ؛ وقلَّ من ابتلى بوزراء السوء فلم يقع في المهالك .
 وهذه الكلمة عمدة القول ^(٢) :

وحدث عبد الرحمن قال : كان أبو بكر بن مقاتل يتولَّى كيل ما يرد من الشعير
 لِلْقَضِيمِ واستيفاءه ، فيبقى عليه من أسافل الزَّوَارِقِ من الرَّطْبِ وَالْعَفْنِ ما يُباع
 بثمانٍ بِحْسٍ ، ويُورد الحُسابات على الأوقات . فاتفق أن حضر الناظر في أمور
 الجوارح والطُيور يلتصق إطلاق عُلُوفَةِ البَطِّ في البرك والزُّبَيْدِيَةِ - وَقَدَّرُ ذَلِكَ
 ثلاثون قَفِيزاً شعيراً في كلِّ شهر - فأحضر أخى أبو الحسن على بن عيسى ابنَ مقاتل
 وناظره على أمر الشعير الرَّطْبِ والمبلول وما يحصل من ثمنه ، وموقعه من ثمن الشَّيْلَمِ ،
 والتفاوت بينهما ، إلى أن عرف التوفير بين إطلاق الشعير الجيِّد والشعير الرَّطْبِ ،
 ثم تقدَّم بإقامة العُلُوفَةِ من الرَّطْبِ . فخرج ابن مقاتل متعجباً من دِقَّةِ نَظَرِ أَبِي الْحَسَنِ
 فيما نظريه حتى وفرَّ ما وفره منه بعد طول المحاورَةِ وذَهَابِ شَطْرِ من الزمان في المناظرة ،
 وعرَّج ابن مقاتل إلى أحمد بن يحيى بن حانى كاتب الوزير أبي الحسن على خاصةً
 فقال له : كم يَرْتَزِقُ الوزير في الشهر ؟ قال : سبعة آلاف دينار . فقال : قِطُّ
 اليوم فيها مائتان وثلاثون ديناراً ، وقِطُّ الساعةِ نحوُ عشرين ديناراً ، وقد نظر
 الوزير في أكثر من ساعة توفيراً لا يبلغ ما استحقَّه من الرزق . وأخرج القول

(١) زيادة من كلية ودمنة من ٤٢ ، ٨٠ طعة ١٩٠٥ .

(٢) في هامش إحدى النسخ : هذه بعينها في كتاب كلية ودمنة على النسق وصوره اللفظ .

نَخْرَجُ التَّنَادُرَ ، وَنَسْمَعُ صَاحِبَ الْخَبَرِ ذَلِكَ ، فَكَتَبَ بِهِ إِلَى الْوَزِيرِ ، وَدَعَاهُ مِنْ وَقْتِهِ ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : أَعِدْ قَوْلَكَ فِي مَعْنَى الرِّزْقِ . فَاضْطَرَبَ وَتَحَيَّرَ ، فَقَالَ لَهُ : أَعِدْ وَيْلَهُ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّمَا كَانَ قَوْلِي عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ مِنْ نَظَرِ الْوَزِيرِ الدَّقِيقِ فِي الْأَمْرِ الْقَلِيلِ : فَقَالَ : لَا تَتَعَجَّبْ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ حَظًّا مِنَ النَّظَرِ وَالتَّفَقُّدِ ، وَلَوْ لَمْ تَتَفَقَّدِ الصَّغِيرَ لِأَضْعَانِ الْكَبِيرِ ، وَهَذِهِ أَمَانَةٌ لَا بُدَّ مِنْ أَدَائِهَا فِي قَلِيلِ الْأُمُورِ وَكَثِيرِهَا . وَكَأَنَّكَ أَنْتَ نَظَرْنَا فِي هَذَا الدَّقِيقِ سَاعَةً فَكَذَلِكَ نَنْظُرُ فِي الْجَائِلِ سَاعَةً نَظَرًا يُوْدِي إِلَى اسْتِخْلَاصِ الْبَلَدِ الْعَظِيمِ ، وَتَحْصِيلِ الْمَالِ الْجَسِيمِ وَإِعَادَةِ الشَّاذِّ إِلَى الطَّاعَةِ ، وَنَأْتِي مِنَ التَّوْفِيرِ بِمَا يُضَعَّفُ عَلَى أَرْزَاقِنَا لِلْسِّنِينَ الْكَثِيرَةِ . وَإِذَا عِلْمُ مَعَامِلِنَا أَنَّا نَرَاعِي أُمُورَهُمْ هَذِهِ الْمُرَاعَاةَ لِنُؤْمِنُوا الْأَمَانَةَ وَخَافُوا الْخِيَانَةَ . أَخْرُجْ وَدَعِ الْفُضُولَ . فَخَرَجَ وَعِمَامَتُهُ فِي يَدِهِ .

وَحَدَّثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عِيسَى قَالَ : حَدَّثَنِي أَحَدُ الْخُدَمِ الْخَاصَّةِ قَالَ : حَضَرَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى دَارَ السُّلْطَانِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْبَرْدِ ، وَلَيْسَ بِيَوْمِ مَوْكَبٍ ، وَعَرَفَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ خَبْرَهُ ، فَجَلَسَ لَهُ فِي بَعْضِ الصُّحُونِ عَلَى كُرْسِيِّ وَرَأْسُهُ مَكْشُوفٌ . فَنَاطَبَهُ فِي مَعْنَى مَا حَضَرَ لَهُ ، فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَبَرُّزْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْقُدَاةِ الْبَارِدَةِ ، وَتَجَلَسْ فِي هَذَا الصَّحْنِ الْوَاسِعِ ، وَرَأْسُكَ بِغَيْرِ غِطَاءٍ ، وَالنَّاسُ فِي مِثْلِهَا يَجْلِسُونَ فِي الْمَوَاضِعِ الْكَثِينَةِ ، وَيَسْتَعْمِلُونَ مِنَ الدُّنَارِ مَا يَسْتَعْمِلُونَهُ ، وَأَحْسَبُكَ تُسْرِفُ فِي أَخْذِ الْأَشْرِيَةِ الْحَارَّةِ ، وَالْأَطْعَمَةِ الْكَثِيرَةِ الْمِسْكِ . فَقَالَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ : لَا وَاللَّهِ مَا أَفْعَلُ وَلَا آكُلُ طَعَامًا فِيهِ مِسْكٌ وَلَا يُطْرَحُ لِي فِي شَيْءٍ إِلَّا يَسِيرُ يَكُونُ فِي الْخَشْكَنَانِجِ ، وَرَبَّمَا أَكَلْتُ فِي الْأَيَّامِ وَاحِدَةً مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ : فَإِنِّي أَطْلُقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ شَهْرٍ فِي جَمَلَةِ نَفَقَاتِ الْمَطْبَخِ لِمَنْ الْمِسْكُ نَحْوُ ثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ . وَانْقَضَى كَلَامُهُمَا ، وَنَهَضَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ وَخَرَجَ الْوَزِيرُ . فَلَمَّا صَارَ فِي الصَّحْنِ وَقَفَ

المقتدر بالله وأمر برده ، فعاد وقال له : أظنك تنصرف الساعة وتفتتح نظارك بإحضار التوتى لأمر المطبخ وتواقفه على ما جرى بيننا فى معنى المسك وتقطعه . قال : كذلك هو يا أمير المؤمنين . فضحك وقال : أحب أن لا تفعل ذلك ، فلفل هذه الدنانير تنصرف فى أقوات ونفقات قوم ، ولا أريد قطعها عنهم . قال : السمع والطاعة .

وحدث عبد الرحمن قال : كان أحمد بن محمد بن المعلّى الكاتب يتولّى الوزير أبى الحسن على بن عيسى زمام النفقات ، فقال له فى بعض الأيام : يا أبا الحسن قد نقص الليل ثلاث ساعات هى رُبْعُهُ فَأَنْقُصِ الْفَرَّاشِينَ مِنَ الزَّيْتِ وَالشَّعْمِ رُبْعَ الْإِقَامَةِ . فقال له : هذا - أعز الله الوزير - استقصاء ماعرفوه ، واستيفاء ماعهدوه . فقال : أليس إذا احتاجوا إلى زيادة طلبوها وزيدوا ؟ قال : بلى . قال : وكذلك إذا وقع نقصان فليؤفروه .

وحدث عبد الرحمن قال تأخر الوزير أبو الحسن فى دار السلطان تأخراً طال - وقد كان الخبر ورد بتورّد المَغْرِبِيِّ^(١) مِصرَ ، وبلوغه الجيزة ، وهى فى جانبها الغربى ، وأخذَه الفيوم والإسكندرية ، ووقع الانزعاج من ذلك وضاعت به الصدور وأُغْمِلَ الفكر والنظر فى تدبيره - ثم وافى وقد تجاوزت صلاة الظهر فى يوم صائف . فقلنا له : ما سبب هذا التأخر ؟ فقد اعتورتنا الظنون فيه . فقال : نعم ، كنا والله فى أعجوبة لم يُسمع بمثُلها . قلنا : ما هى ؟ قال : كنت مع مؤنيس ومانس وغريب الخلال ونَصْرٍ الحاجب وشفيع وغيرهم من الخاصة ، نتجارى ماورد من أمر مصر ، ونُجِيلِ الرأى فيما يُدَبَّرُ به مع ما يُعَبَّرُ مِنْ رَأْيِ الخليفة فى السفر ، إذ خرجت أم موسى

(١) يقصد به داعية الفاطميين .

القهرة مائة جلست على منورة^(١)، واستدعت من خادميها مندبل حوائجها، فابتدأت تعرض رقعة لبعض الخشم في زيادة دينار في نزل^(٢)ه ، ولبعض الخدم في زيادة بسيرة في رزقه ، وأنا والجماعة تميز غيظاً من قطعها إيانا عن مثل هذا الأمر العظيم الحديث بمثل هذه الصغار المضرة بالمال . ثم رميت بالرقعة، وعطفت على القوم ومشاورتهم ، فقالت : هكذا يفعل بحوائج السادة ؟ فقلت : يا هذه ، نحن في حراسة الأرواح وحفظ أصول الملك ، وقد شغلتنا عنه بما لا فائدة فيه . فقالت : وما هذا الشغل كله ؟ قلت : مصر قد أشرفت على الذهاب والخروج عن يد السلطان وغلب المغربي منها على مواضع الارتفاع ، وإن تم - ونعوذ بالله من ذلك - ما نخاف فقد مضى المغرب كله ، ثم لا قرار على البساط بعده . فقالت : بظرو أم مصر ، ومتى كانت في يد السلطان حتى يقيم عليها إذا أخذت ؟ فورده على من قولها ما أدهشني . فقلنا له : فما كان الجواب عن هذا الجمل ؟ قال : قلت لها : بمثل هذا أدبر أمر الدنيا . ونهضت مغضباً ، وتفرق القوم ، وقد شاهدوا وسمعوا عجباً .

وحدث عبد الرحمن قال : حدثني محمد بن يحيى الصولى الشطرنجى قال : لما مضت مدة من وزارة الوزير أبى الحسن على بن عيسى وانتقل الحواشى وخدم الدار عما ألقوه مع أبى الحسن بن الفرات وأبى على الخاقانى من بسطهم وبلوغ أغراضهم وزيادتهم فى أنزالهم وأرزاقهم إلى ما رأوه فى أيام أبى الحسن من الضبط وتجملد الكف [و] اليد ، ووضع الأمور مواضعها وحفظ الأموال عما يتخرمها^(٣) ويتحيفها^(٤) ، ثقل على الجماعة أمره وانتفق أن دخل فى بعض الأيام إلى دار السلطان فحظف فى بعض الممرات برقعة وقعت فى صدره ، ولم يدر من رماه بها ،

(٢) النزل من معانيه الطاء .

(٤) يتحيفها : ينتقصها ويأخذ من جوانبها .

(١) السورة متسكاً من جلده .

(٣) يتخرمها : يهلكها .

فأخذها ، ودخل إلى القنطرة بالله ، وخرج فجلس في دار الوزارة وقرأها ، فإذا فيها
 أبيات قد هُجِيَ فيها واستبعد موته ومُدَّتْهُ ، ، فقَبَّها وكتب على ظهرها :
 إلى مُدَّةٍ لَا بُدَّ أبلغها معلومة فإذا انقضت مِتْ
 لو سَاوَرْتَنِي ^(١) الأسد ضارية لَعَلَّيْهَا مَالٌ يَجِي الوقت

ثم قال لبعض خدمه : ارم بهذه الرقعة في الممر الذي رُمينا بها فيه ، ففعل .
 وحدث أبو الحسن علي بن يحيى بن سليمان البصري الكاتب قال : كان
 أبو الحسن علي بن عيسى أيام تديره الأمور في وزارة حامد بن العباس قد عمل
 عملاً بالفضل في ضياع أبي الحسين بن أبي البغل ، وسلمه إلى حامد لينظره عليه
 بما شاء من الأمر ، فنظره حامد واعتقله ووكل به ، وعرفت أم موسى القيرمانه
 خبره ، فطالعت القنطرة بالله ، وخرج أمره بالإفراج عنه ، فلما علم علي بن عيسى
 بما جرى كتب إلى ابن أبي البغل رُقعة يذكُر فيها اغتنامه لما لحقه ، وسروره بما
 ظهر من حُسن رأى السلطان فيه ، فأجابه في تضايعها :

الصَّغُورُ ^(٢) يَصْفِرُ آمِنًا وَمِنْ أَجَلِهِ حُسِيسُ الْهَزَارِ لِأَنَّهُ يَتَرْتَمُ
 لو كنتُ أَجِلُ مَاعِلْتُ لَسَرَّني جَهْلِي كَمَا قَدْ سَاءَني مَا أَعْلَمُ
 لم أَسْتَفِدْ أَدْبِي لدَوْلَةٍ ظَالِمِي لَكِنَّهُ يَجْنِي عَلَيَّ وَيَظْلِمُ
 ذَنبِي إِلَيْهِ عَلَيَّ رَاكَ كَكَ فَهَمِي أَنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ

وحدث أبو الحسن علي بن عيسى قال : كان عبيد الله بن سليمان والقاسم
 ابنه بعده يُنْكِرَانِ على عَمَّاهُمَا الاستتارَ عنها ويقولان : إنما يقع الاستتار مع الإشفاق

(١) ساورة : واثبه أو وثب عليه .
 (٢) الصغور : صغار المصافير ، واحده صغورة . والصغور : طائر أصفر من الصغور وجهه
 صعاء وأصعاء .

من الظلم ، فأما مع الإنصاف في المعاملة واعتماد الحق في المحاسبة فهو طمع في السلطان وإرادة لكسر ماله . فاتفق أن حصر القاسم عاملاً من عمال الأهواز فاستتر ، فغَطَّ عليه ذلك ، وقال لي وللجماعة : أذكوا^(١) الميون عليه حتى تُثِيرُوهُ ، وَجِدُوا في طلبه حتى تُحْضَرُوهُ . وقال علي بن عيسى : فَبَكَرْتُ يوماً بُكُوراً أَقْضَى فيه حقاً وأعود إلى دار القاسم^(٢) بن عبيد الله . فإذا العاملُ قد خرج من موضع يريد موضعاً ، فرآه غلامني فأسكوه وجاءوني به . فقلت له : تستتر عن الوزير وعنا والإنصاف مبذول لك ؟ فقال : إذا كان الأمرُ على هذا ظَهَرْتُ وَجِئْتُكَ . فتذممتُ^(٣) من أن أحمله في الحال بالإكراه إلى دار القاسم فتلحقتني في هذا الفعل قباحة . فقلت له : لا تتأخرْ فإنني من وراء معاوتتك وتمشية أمرِكَ . وأمرتُ بتركه وتخليه سبيله ، ومضيت إلى مقصدي وعدت إلى دار^(٤) القاسم ودخلت إلى مجلسه ، فلم أجد عنده من البشاشة والإكرام ما كنتُ أعهدُه . ثم سلمَ إلىَّ فضلاً من رُقعة صاحبِ خبرٍ وقد ذكر فيه حالِي مع الرجل ، وقال لي : كان عندي أنك عونٌ لي وللسلطان على استيفاء حقوقه وإصلاح أموره ، ولم أعلم أنك على خلاف ذلك . فاشتقت من أن أجيبه جواباً رُبَّما ردَّ عليَّ عنه ما يقدح في الجاه ويُستمعُ على مَلَأٍ من الناس . فقلت : إذا خلا الوزير عرفتُه ما عندي في ذلك . وأمسك ، وبقيت حيران لا أعلم بأى عذر أعتذر ، وعدلت إلى أن سألتُ اللهَ كِفَايَتِي وتخليصي ، ولنت إذا رأيت المجلس قد خَفَّ أَحْسَسْتُ بقطع أعضائي . فأنا في ذلك إذ تقدَّم إلىَّ صاحب دواتي وأعطاني رُقعةً من وكيلى في دارى ، وقد وَقَعَ عليها اسمُه ،

(١) أذكوا الميون عليه : أرسلوا عليه الجواسيس .

(٢) في الأصل أبي القاسم بن عبيد الله .

(٣) تذممت : استنكف واستعجا .

(٤) في الأصل : أبي القاسم .

وبعد : مُهِم . فظننت أن القاسم بنزقه وغيظه قد أنفذ إلى دارى قوما ووكلَ بهم . فأسرعت إلى فضها وعقلى زائلٌ ، وروعى زائد ، فإذا فيها : صار إلى بابنا نسوةً وطلبن من يكلمهنَّ ، وخرجت إليهن ، فدخلن الدهليزَ وكشفت إحداهنَّ عن وجهها فإذا هو فلانُ العاملُ فنَحَى إزاره وخُفَّه ، وفعل غلامٌ كان معه مثل فعله ، وجلسا فى الدار ، وانصرف من كان معهما من النساء ، وأمرنى بأن أطلِلكَ بخبره وأقولَ لك عنه : قد سلَّتُ نفسى إليك جزاءَ لفعلك اليوم ، وثقةً بوعدك وأخذك ييدى ومعاونتى على أمرى ، فافعل ما تراه .

فحين قرأتها عادت نفسى واشتدَّ سرورى ، وتقوَّض المجلس ، وقال لى القاسم : هات ما عندك فى جواب قولى لك . قلت : نعم ، ما الأمر على ما وقع لك فى بابى ، بل عندى من المعاونة والمعاذة والخدمة والطاعة وبذلِ القدرة والاستطاعة وأطراح الديانة والأمانة فى كلِّ ما يُخَفِّفُ عنك ، ويقرِّبُ منك ، أكثر مما يجب لمثلك على مثلى ، ولكنك أيُّها الوزير تستقصِرُ الفعل ، وتريد زيادة على ما فى الوُسْع ، وإن كان هذا العاملُ يُنْصَفُ فى مواقفته ومحاسبه أحضرته الساعة . فأسفرَ وجهه وقال : أنكرتُ أن يكون منك إلا ما تقتضيه الثقة بك ، والآن فقد ردَدْتُ أمره إليك ورضيتُ بحكمك فيه ، فرُحْ به عشيًّا إلى حضرتى وأعمل من ديوانك عملاً لما يجب عليه . وقال لكتّاب الدواوين جميعاً أن يعملوا مثل ذلك .

وانصرفت إلى دارى ، وقلت للرجل كلَّ ما سكنتَ به نفسه ، وأزلت معه إشفاقه ، وجعلته على ثقة من تكفُّلى بأمره ، وأمرته بأن يروح معى . فلبس أحسنَ لباسٍ وتطيَّب أكثرَ طيبٍ وجاء معى ، فقلت له : قد أسرفت فى لباسك وطيبك . فقال لى : حالى على بُخلتها ، وما ألزمتُ ما شعثها ، ولأن يرى الوزير منى مروءة يستدل بها على كثرة كلفى وموئى أولى من غير ذلك .

ودخلنا إلى القاسم بن عبيد الله معاً فأراد الرجل أن يُقبّل يده فمنعه وضمه إليه حتى قبل كَتفه ، وأحضر كُتّاب الدواوين فقال لهم : نَظِرُوهُ . فكان يُنَاطِرُ على عَمَلٍ بعد عَمَلٍ ويَبْطُلُ باباً وَيُصِحُّ باباً ، وكلّما صَحَّ شَيْءٌ أَخَذَ به خَطَّهُ وأرَجّه أحد الكُتّاب إلى أن وجبت صلاة المغرب وصلينا ، ثم أقبل على الكاتب وقال له : كم جملة ما أَرَجَّته مما كتب به خَطُّه ؟ قال : ستة وثلاثون ألف دينار وَنَيْفٌ . قال : وأى شَيْءٍ بقى من الأعمال ؟ قيل له : عَمَلُ الديوان الفلاني والديوان الفلاني . فقال لى : يا أبا الحسن أنت الحكمُ فى أمره ، فقل ما عندك نَقْبَلُهُ . ولا أَقُلُّ من إتمام المبلغ خسين ألف دينار . فقلت : أيها الوزير ، إذا رَجَعْتَ إلى حكى فَأَثَارَ الرجل جملةً وطريقته مستقيمة ، ومن حكى فيه أن لا يُلْزَمَ شَيْئاً . فاحتَاطَ غِيظاً بان فى وجهه وإن لم يَبْدُ فى قوله وقال : ماذا قلت ؟ قلت : يُرَدُّ إلى عمله ، فإنه رفع من الارتفاع ما لم يَرُفَعْهُ غَيْرُهُ . فأطرق ثم رفع رأسه وقال : يُرَدُّ عليه خطه وَيُسَكَّبُ بإعادته إلى عمله . فقال الكاتب : كيف أدعوله ؟ قال : لا تَدْعُ . وقال للرجل : والله لئن عَاوَدْتَ ما أنكره منك لأَعْمَلَنَّكَ بما عامل الله به فِرْعَوْنُ فإنه جعله نَكَالَ الآخِرَةِ والأولى . وَكُتِبَتِ الكُتُبُ ، وأراد تَوَدِّيعَهُ ، فبسط رجله إليه حَتَّى قَبَّلَهَا . وقيل للقاسم : قد فَعَلْتَ أَيُّهَا الوزير فى أمره ما لم تفعله البرامكةُ مع مثله . قال : وجدتُ كُلَّ ما عَامَلْتُهُ به واقعاً مَوْقِعَهُ مع تسليمه نفسه وأمره إلى .

وحدث أبو عبد الله أحمد بنُ عليٍّ بنِ المختار الأنماطى — وكان قد خدم أبا الحسن عليَّ ابنَ عيسى واختَصَّ به — قال ^(١) : كنتُ بين يدي الوزير أنا وأخوه وأولاده

(١) القصة فى تجارب الأمم ١٤/٦ وفى مجمع الأدباء ترجمة على بن عيسى .

وَحَوَاضَهُ ، وَجَرَى حَدِيثُ الْبَرِيدِيِّ ^(١) فِي إِصْعَادِهِ إِلَى الْحَضْرَةِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَى اخْتِذِ الْأَمْوَالِ وَاسْتِبَاحَةِ الْأَحْوَالِ وَأَنَّ النَّاسَ عَلَى إِشْفَاقٍ مِنْهُ ، وَعَمَلٍ عَلَى الْهَرَبِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَأَشَارَتِ الْجَمَاعَةُ عَلَيْهِ بِأَنْ يَخْرُجَ هُوَ وَحَرَمُهُ وَأَوْلَادُهُ وَأَصْحَابُهُ عَنْ بَغْدَادَ ، فَمَا أَصْنَى إِلَى ذَلِكَ . ثُمَّ أَكْثَرُوا عَلَيْهِ إِكْثَارًا ثَنَوْهُ عَنْ رَأْيِهِ ، فَأُطْلِقَ لِي مَائِتِي دِينَارٍ لِأَسْتَأْجِرَ لَهُ بِهَا زَوَارِقَ يُصْعِدُ فِيهَا هُوَ وَعِيَالُهُ إِلَى نَاصِرِ الدُّوْلَةِ أَبِي مُحَمَّدٍ ابْنِ حُدَّانٍ . وَانْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِهِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ ، وَبَاكَرَنِي رَسُولُهُ يَسْتَدْعِينِي ، فَبَادَرْتُ إِلَيْهِ ، وَسَأَلَنِي عَمَّا عَمِلْتُهُ فَقُلْتُ : ضَاقَ الْوَقْتُ الْبَارِحَةَ عَمَّا أَرَدْتُهُ وَبَاكَرَنِي رَسُولُكَ فَخَضَرْتُ مَعَهُ . فَقَالَ لِي : فَكَّرْتُ فِيمَا أَشَرْتُ ثُمَّ بِهِ فَوَجَدْتُهُ خَارِجًا عَنِ الرَّأْيِ ، وَمُقْسِدًا لِلدِّينِ ، لِأَنَّ الْأَمْرَ مُقَدَّرٌ ، وَالْإِنْسَانَ مُدَبَّرٌ ، وَلَا يَحِبُّ لَخَلْقٍ أَنْ يَهْرُبَ مِنْ مَخْلُوقٍ . هَاتِ الدَّنَانِيرَ . فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا ، فَأَمَرَ بِأَنْ يُتَصَدَّقَ بِهَا ، وَأَقَامَ . فَلَمَّا قَرَّبَ الْبَرِيدِيُّ ^(٢) انْخَدَرَ إِلَيْهِ مُتَلَقِّيًا فَأَكْرَمَهُ ، وَعَرَفَ مَوْضِعَهُ ، وَوَفَّاهُ حَقَّهُ ، وَمَنْعَهُ مِنْ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ طَيَّارِهِ ، وَانْتَقَلَ هُوَ إِلَيْهِ ، وَخَاطَبَهُ بِمَا وَفَّاهُ الْجَمِيلَ وَالْبَرَّ فِيهِ .

وَكَانَ أَهْلُ السَّكُوفَةِ تَظَلَّمُوا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلَى بَنِ عَيْسَى فِي أَيَّامِ الْقَاهِرِ بِاللهِ وَقَدْ خَرَجَ إِلَى وَاسِطٍ مُدَبِّرًا لَهَا وَلِأَعْمَالِ سَقَى الْفَرَاتِ فِي أَمْرِ ثَمَارِهِمْ ، وَحَكَمُوا أَنْ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنِ بَشَّارٍ وَكُلَّ بِهَا وَسَامَهُمْ تَحْمِلُهَا إِلَى الْبِنَادِرَةِ ، وَأَجْرِي أَمَانَتَهَا فِي خَرَاجِهِمْ لِيُبْقِيَ عَلَيْهِمْ تَجَرًّا يَطَالِبُهُمْ بِهِ ، وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَنَاظَرَاتٌ وَغَخَاطَبَاتٌ آلَتْ إِلَى أَنْ كَتَبَ إِلَى ابْنِ بَشَّارٍ بِأَنْ يُقَاسِمَهُمْ عَلَى الثَّمَرَةِ كَمَا يُقَاسِمُهُمْ عَلَى الْعَلَّةِ .

(١) فِي الْأَصْلِ ابْنُ الْبَرِيدِيِّ وَالتَّصْوِيبُ مِنْ تَجَارِبِ الْأُمَمِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ ابْنُ الْبَرِيدِيِّ .

وحدث أبو عمرو الشرايبي قال : لما صُرف أبو الحسن عليُّ بنُ عيسى بأبي عليٍّ محمد بنِ عليٍّ بنِ مُقْلَةَ دخلت إليه في (١) تَحْبِيسِهِ لِحَادِثَتِهِ وَسَكَنَتْ مِنْهُ ، وسألته عما يُريده من الأشربةِ والأُسُوقَةِ والطعامِ لِأَتَقَدَّمَ بِحِمْلِهِ ، فوجدته طيِّبَ النَّفْسِ حَسَنَ الْبَقِيْنِ وقال لي : الآنَ تَمَّ لِي دِينِي وَتَفَرَّغْتُ لَصَلَاتِي وَأَدَاءِ مَفْتَرَضَاتِي ، وَقَدْ كُنْتُ أَحِبُّ الْعَزَلَ وَتَرَكَ هَذَا الْأَمْرَ ، وَلَكِنِّي احْتَسَبْتُ قِيَامِي بِهِ قِيَامَ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . فَمَنْ تَقَلَّدَ الْوِزَارَةَ ؟ قُلْتُ : ابْنُ مُقْلَةَ . قَالَ : حَدَّثَ يُحِبُّ الرِّئَاسَةَ وَيُرَاعِي يَوْمَهُ دُونَ غَدِهِ ، يَا أَبَا عَمْرٍو ، أَلَيْسَ تَدِيرُ الْخِلَافَةَ إِلَى قَوْمٍ مَبْلَغُ عُقُولِهِمْ أَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ ابْنَ مُقْلَةَ يَنْهَضُ بِمَا أَعْمَرُ أَنَا عَنْهُ ، وَيَسْتَقِلُّ بِمَا أَتَفَادَى مِنْهُ ؟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . ذَهَبَتْ وَاللَّهِ الدُّنْيَا وَضَاعَتْ الْأُمُورَ . فَقُلْتُ : مَا قَدَرُوا ذَلِكَ وَلَا تَوَهَّمُوهُ ، وَلَكِنْهُمْ أَرَادُوا مِنْ يَأْخُذُ أَمْوَالِ النَّاسِ وَيُعْطِيهِمْ إِيَّاهَا وَيُطْلِقَهُمْ فِيهَا مِنْعَتَهُمْ مِنْهُ . فَقَالَ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

وحدث عبدُ الرحمن بنُ عيسى قال : حدثني هارن الكاتب بن إبراهيم الكاتب قال : لما أحسن القاسم بن عبيد الله بحضور مَنِيَّتِهِ جَعَلَ يُوصِي أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى بِوَلَدِهِ ، وَأَبُو الْحَسَنِ يَذْكُرُهُ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِقْلَاعِ ، فَمَا فَارَقَهُ حَتَّى تَابَ تَوْبَةً جَرَّدَهَا وَصَحَّحَ فِيهَا الْعَزِيمَةَ . ثُمَّ دَعَا بِالْعَبَّاسِ بْنِ الْحَسَنِ فِي غَدَاةِ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ لِمَحْسٍ خَلُونِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةً إِحْدَى وَتَسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ قَضَى تَحْبِيسَهُ بِثَلَاثِ سَاعَاتٍ فَأَمْلَى عَلَيْهِ رُقْعَةً إِلَى الْمَكْتَنَى بِاللَّهِ ، كَانَتْ مَحْفِظَتَاهُ مِنْ أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا :

كُتِبَتْ هَذِهِ الرُّقْعَةُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - بِأَمْلَائِي وَأَنَا فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا ، وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ . وَقَدْ حَضَرَ مِنَ الْأَمْرِ مَاضِيٌّ عَلَيْهِ

(١) فِي الْأَصْلِ : لِإِلَهِ إِلَى عَجَبِهِ .

الأولون ، ويصير إليه الآخرون ، والحمد لله الذى لَمَّا قَضَى عَلَى الْمَوْتِ جَعَلَهُ فِي دَوْلَةِ
 أمير المؤمنين - أيدته الله - وجعلنى ماضياً على أحكام طاعته ودَارِجاً على أَفْضَلِ
 مَادَرَجٍ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ وَلَايَتِهِ - وَتَمَّ الْكَلَامُ وَشَكَرَ الْإِنْعَامَ ثُمَّ قَالَ - : وَلَمْ
 أَطِيبْ نَفْسًا مَعَ مَا آلَتْ إِلَيْهِ الْحَالُ بَأَن أُمْسِكَ مِنَ النَّصْحِ لِمَوْلَانَا حَيًّا كُنْتُ أُمِّمِيًّا
 وَلَا بَدَّ أَنْ يَقُومَ لخدمته مِنْ يَصْلُحَ لَهَا ، وَيَجْرَى تَجْرَاى فِي حِرَاسَتِهَا وَالذَّبِّ عَنْهَا
 وَالنَّهْوِ عَنْ بَأْعِبَائِهَا . وَهَذَا خَادِمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَاتِبُهُ عَلَى بْنُ عَيْسَى بْنُ دَاوُدَ
 ابْنِ الْجَرَّاحِ أَحَدُ الْكُتَّابِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَمَنْ قَدْ خَدَمَ آبَاؤُهُ الْخُلَفَاءَ الْمَاضِينَ وَكَانُوا
 مُرْصِنِينَ ^(١) مَحْمُودِينَ ، وَقَدْ عَرَفَ مَوْلَانَا مَذْهَبَهُ فِي أَمَانَتِهِ وَمُنَاصَحَتِهِ ، وَتَأَدَّتْ إِلَيْهِ
 أَخْبَارُهُ فِي سَدَادِهِ وَكَيْفَايَتِهِ . وَخَادِمُهُ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ كَاتِبُ خَضْرَى ، وَكَانَ
 مُلَازِمًا لِي وَقَدْ تَقَيَّلَ ^(٢) أَخْلَاقِي فِي الْخِدْمَةِ ، وَعَرَفَ مَذْهَبِي فِي الْمُدَافَعَةِ عَنِ الدَّوْلَةِ
 وَسَلَكَ مَذْهَبِي فِي الْمِبَالِغَةِ وَالطَّاعَةِ . وَعَلَى أَيُّهُمَا اعْتَمَدَ ، وَلَا يَهْمَا آثَرٌ وَقَدْ مَرَّ رَجَوْتُ
 أَلَّا يَعْدَمَ عِنْدَهُ شَيْئًا مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ خَادِمُهُ فِي الْمُنَاصَحَةِ .

وَتَمَّ الْقَوْلَ وَخَتَمَهُ بِالْوَصَاةِ بِوَلَدِهِ وَوَالِدَتِهِ وَأَسْبَابِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَمُكَافَأَتِهِ
 بِمَا يَسْتَحِقُّ فِيهِمْ .

قال عبد الرحمن : فحدثني أبو الحسن أخى قال : لَمَّا فَرَّغَ الْقَاسِمُ مِنْ إِمْلَاءِ
 هَذِهِ الرِّقْعَةِ دَفَعَهَا إِلَيَّ وَقَالَ : سَأَلْتُكَ بِحَقِّ مَا بَيْنَنَا إِلَّا بَادَرْتُ وَأَوْصَلْتُهَا مِنْ يَدِكَ ،
 وَاجْتَهَدْتُ فِي التَّعَجُّلِ بِمَا يَجْرَى ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَأْخُرْتُ أَنْ لَا تَلْحَقَنِي ، وَأَسْكِبُ
 أَمَلِي فِيمَا بَقِيَ مِنْ مُدَّتِي أَنْ أَعْرِفَ مَا يَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ الْحَالُ مِنْ بَعْدِي . قَالَ أَخِي :
 فَاسْتَعْفَيْتُهُ فَلَمْ يُعْفِنِي ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ فَضْلٌ لِمَعَاوِدَتِي ، وَعَجِبْتُ مِنْ شِدَّةِ نَفْسِهِ ، وَزِيَادَةِ

(١) المرصنين : المحكمين .

(٢) تقيل : أشبه .

حرصه على أمور الدنيا مع حضورِ أجله . فضيت ومعى العباس إلى دار السلطان وجلسنا على انتظارِ إذنه ، ثم أَذِنَ لنا فدخلنا . فلما حصلنا في وَسَطِ دهليزِ الصحن السبعينيِّ استدار العباس فصار في وجهي وقال لي : والله لئن ألتيت هذا الأمر إلى^(١) ونزلت عنه لي لأكون فيهِ من قِبَلِكَ ومتصرفاً على أمرك . فعجبت من قوله وقلت : ستعلم ما يجري ، وأرجو توفيق الله تبارك وتعالى . ووصلنا إلى الخليفة وأوصلتُ الرُّقعة . فلما قرأها سأل عن خبره ، فعرفته أنه في آخر رَمَقِهِ وما نقدر أننا نلحقه فدمعت عيناه ثم التفت إليَّ وجعل يُخاطبني مخاطبة من قد ردَّ الأمر إلىَّ واعتمد فيه عليَّ . وقال لي في عرضِ قوله : أنت يا عليُّ في نفسي مذكنت بالرفقة ، وأنا أعرف أخبارك وأشهد آثارك ، وقد آل الأمر الآن إليك ووقع اختياري عليك ، فتجردُ في القيام به وإزالة الخلل عنه ، وتفعل وتصنع . قلت : أنا يا أمير المؤمنين رجل ضيقُ المطن وفيَّ استقصاءٌ وشدة لا يصلحان لِمَتَوَلَّى هذا الأمر وشغلُ بما أخذُ فيهِ طويلٌ عريضٌ ، وإن نُقِلْتُ إلى ما هو أكثر منه بَعِلْتُ^(٢) ووَقَفْتُ . فراجعتُ القول وراجعتُهُ في الاستعفاء وقلت : وهذا العباسُ أعرفُ بما كان القاسم عليه من طُرُق الخدمة ، وإن عَوَّلَ عليه كُنَّا أعوانه وأعضاده . قال : فَتَضَمَّنْ لِي القيامَ بالشَّدِّ منه حتى يستقيم ما يُنَاطُ به ؟ قلت : أفعل وأبذلُ عَمَّنْ يَلِينِي مِنَ الْكُتَّابِ مِثْلَ ذَلِكَ . فدعا بالله واة وكتب الجواب بالتوجع والدعاء وقال : فَإِنْ - أَعُوذُ بِاللَّهِ - بُلِيتُ فَيْكَ بِمَا لَا أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ فَلَنْ أَعْدِلَ عَنْ اخْتِيَارِكَ ورد الأمر إلى من أشرت به . فأما الولد والحرمُ فأولادى وحرمى ، والله يصونهم ببقائك ويدفع لنا عن حَوَائِكَ^(٣) .

(١) بعل : تبحر فلم يدرك ما يصنع .

(٢) عن حوائك : عن نفسك .

وُخِيتِ الرِّقْعَةُ وتقدّم بتسليمها إلى ، فأخذتها وقبّلنا الأرض وعُدنا . فحين بلغنا دَرَجَةَ بابِ الخِصَّة من دار القاسم سمعنا الواعية ^(١) فنزل من أعلنا أنه قضى في الوقت عند وصولنا إلى الباب ، قال عبد الرحمن : وكان حَدِيثُ أبي الحسن أخى لنا بذلك وإسحاقُ بن حُثَيْنِ الْمُتَطَبِّبُ في مجلسه فقال : أ حَدَّثْتُكَ يا سيدي حديثه في هذه الحال ، وذلك أنه دعانى ، وقد حضر اليأس ، ولم يبقَ إلّا تردُّدُ النَّفْسِ . فقال لى : يا إسحاقُ جُسَّ النَّبْضِ وانظر هل بَقِيَ مِنَ الدِّمَاءِ ^(٢) ما يبقى بانتظارِ جوابِ الخليفة ؟ فَجَسَّتهُ وكان قد سقط ، فقلت : الحالُ صالحةٌ . فقال : أعيذك بالله ، لا والله ما أَحْسَبُنِي ألْحَقُ ذلك . ثم قال : انظروا الطَّيَّارَ هل أقبل ؟ وتنفس مرّة أو مرتين وقضى ، وما زال أخى يعجب من أمره — قال أخى : فلما عرفنا وفاته عُدنا إلى دار السلطان ، فوجدنا الخليفة قد خلا ، وعرفنا خفيّفاً السمرقندى الحاجبَ الصُّورَةَ حتّى أنهاها ، وتقدم إلينا بالبُكُورِ في غدٍ ، وانصرفنا إلى دار القاسم وأقننا إلى أن جُهِزَ ووُورِيَ وعَزَّيْنَا والدته وولده .

وشاع أمرُ العباس ، وتقرّرت الوزارة له واعتمادُ المكتفى بالله عليه ، وحضر الكُتَّاب من غدٍ دار السلطان ، وهم : العباسُ بن الحسن وعليُّ بن عيسى ومحمدُ ابن داودَ بن الجراح وعليُّ بن محمد بن الفرات ، ومحمدُ بن عبدون وهو أكبرُهم سنّاً ؛ لأنّه وُلِدَ في سنة ستٍ وثلاثين ومائتين ، وابن الفرات في سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ومحمد بن داود في سنة ثلاثٍ وأربعين ومائتين وعليُّ بن عيسى في سنة خمسٍ وأربعين ومائتين والعباس في سنة خمسين ومائتين . ووصل العباس وعليُّ ابن عيسى إلى الخليفة دون غيرهما ، فأمضى أمر العباس ، ووَصَّى عليُّ بن عيسى بالضبط والاحتياط ، وأدخل الناس بعد ذلك على طبقاتهم فعزّوا الخليفة ، وسمعوا

(١) الواعية : الصراخ .

(٢) الدماء : بقية الروح .

قوله في رَدِّه وزارته إلى العباس ، وإقراره أصحاب الدواوين على دواوينهم .
وانصرفت الجماعة مع الوزير إلى منزله ، وكان له غرفة في حريم البستان الزاهر المجاور
لدار القاسم على دجلة سكنها عند خدمته القاسم في التوقيع بين يديه . وعجب الناس
من تقلد العباس عجباً طال ، ولم تزل به الحال إلى أن ملك الأمور ، وأسرف
في التجبر والاستكبار ، فأرداه ذاك وأورده شرَّ مورد ونسأل الله حُسن العاقبة .

وحدث عبد الرحمن قال : حدثني الوزير أبو الحسن أخى قال ^(١) : كنت
بمكة ، فاتفق يومٌ شديدُ الحرِّ - وحرُّ تِهَامَةٍ إذا اشتدَّ ضُرب به المثلُ - قال :
فصليتُ الظهر جماعةً في المسجد الحرام ، وطفُتُ وسعيتُ وركعتُ عند المقام ،
ثم انصرفت وقد مسنى من الحرِّ ما زاد على فيه الأمر ، فتمنيتُ في الوقت شربةً
سويقٍ بثلج ، وأولعتُ نفسى بالفكر فيها ، فزجرتها وقلت : نلجُ في تِهَامَةٍ !
وحمدتُ الله تعالى على نعمة العافية ، فاليثنتُ والله أن ظهرَ في السماء قرعٌ ^(٢)
من غيم ، ثم اجتمع وانتظم وجاء ببرق ورعد مُتَّصِلٍ ، ثمَّ بمطرٍ وَبَلٍ ^(٣) ، ثم يبردُ
في غاية الكبر . فجمع الغلمانُ منه ما ملَّئوا به جُبًّا ^(٤) من حبابِ الماء . وكان هذا
بعد صلاة العصر ، فما كان فَطُورِي إِلَّا على سويقٍ وسكرٍ وثلجٍ وماء مانع ،
وبقينا على ذلك ثلاثة أيام والله الحمد .

تم الكتاب
بحمد الله وعونه
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه
وسلم

(١) القصة في المنتظم ٣٥١/٦ ونسب القول لأبي سهل بن زياد القطان صاحب على بن عيسى
(٢) الفرع : قطع من السحاب رفاق كأنها ظل إذا مرت من تحت السحابة الكبيرة .
(٣) الوبل : المطر الشديد الضخم التطر (٤) الحب : الحجرة الضخمة .

نصوص ليست في النسخة

علي بن عيسى

ولعلها أيضاً من أخبار أبي جعفر الصيمري

« نقله هـ . ف آمد روز عن تكملة تاريخ الطبري للممذاني

الموجودة بباريس تحت رقم ١٤٦٩ وأثبتته في دراسته لكتاب الوزراء »

حكى هلال بن الحسن : قال أبو علي بن محفوظ : لما ورد معز الدولة^(١) وأبو جعفر الصيمري معه إلى بغداد ، أراد أبو الحسن علي بن عيسى الركوب إليه وقضاء حقه . واتفق أنه نزل من^(٢) داره ليجلس في سميرية - وأبو جعفر محتاج^(٣) في طياره - وأنا وأخي أبو الحسن طازاد بن عيسى معه فقال لنا : من هذا ؛ قلنا : الوزير أبو الحسن علي بن عيسى . فقال لأبي الحسن طازاد^(٤) : قدّم بنا إليه فاسأله أن ينزل معنا في الطيار . فقدمنا منه ، وسلمنا عليه ، فقال له أبو الحسن طازاد : إلى أين توجه سيدنا ؟ فقال : أشار فتياننا ببقاء الأمير الوارد وقضاء حقه ، فعملت على ذلك . فقال له : فينتقل سيدنا إلى الطيار فإنه أولى . فامتنع ، ولم يزل يراجعه ، وكان معه ابنه أبو نصر^(٥) فخطبه حتى فعل ، وسهلّ عليه ذلك ونزل .

وقام له أبو جعفر الصيمري عن موضعه ، وقد وصّانا ألا نعرفه إياه . وكان أبو نصر عرفة وأراد أن يشعر أباه فلم ندعه طاعة لأبي جعفر .

(١) معز الدولة هو أبو الحسين أحمد بن بويه أبي شجاع بن فنا خسرو استولى على بغداد سنة ٣٣٤ وتوفي سنة ٣٥٦ .

(٢) في النسخة : نزل إلى .

(٣) كذا هي في النسخة ولعلها عرفة عن : مرتاح

(٤) في النسخة لأبي الحسن بن طازاد (٥) أبو نصر اسمه إبراهيم ، وزير الطبع ، مات سنة ٣٥٠

وسرنا مُضْعِدِينَ ، ووصلنا إلى معسكر معز الدولة بباب الشامية ، وقدم الطيار إلى المشرعة ، فقال أبو جعفر لأبي الحسن : تجلس ياسيدنا بمكانك حتى أصعد إلى الأمير وأعرفه خبرك وأودنه بحضورك . فقال له : لك - أطل الله بقاءك - عند الأمير أثره وبه أنسة ؟ قال : نعم . وصعد ، فلما صعد قال أبو نصر لأبيه : هذا الأستاذ أبو جعفر الصيمري . فارتاع وقال له : ألا أعلمتنا ذلك لأوفى الرجل حقّه ؟ قال : منعى أصحابنا . وأقبل على طازاد فقال له : لا أحسن الله جزاك ، كذا يفعل الناس ؟ فقال : والله ياسيدنا ما فعلت ما فعلته إلا لأن الأستاذ أمرني به ، ولم تمكّنني الخالفة له . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . ووجع وجعاً شديداً ثم قال . من هذان ، أعزهما الله ؟ وأشار إلىّ وإلى أخى . فقال طازاد : ابنا محفوظ . فاستبته وقال : الذى كان يصحب جعفر بن الفرات ^(١) ؟ قال : نعم . فقال : قد كان جعفر من العمال الظلمة .

ولما صعد الصيمري إلى معز الدولة وجده على شراب ، فلم يقل له شيئاً . وعاد إلى على بن عيسى ، فنهض له وأعظمه وقال له : قد جنى على أصحابنا فى كتابي موضع الأستاذ ، حتى كان فى تقصيري فى قضاء حقه ما لم أحتمله ، وأنا أعتذر إليه - أدام الله عزه - من ذاك . فقال : فعل الله بك يا سيدنا وصنع ، وأى تقصير جرى ؛ والتفت إلى طازاد فقال : ألم أوصك بترك إعلامه أمرى ؟ فقال : أبو نصر ولدّه أعلمه ، وقد حصلت بين العتب - أيها الأستاذ - منك ومنه .

وقال له أبو جعفر . الأمير على حال لا يجوز لقاء مثلك عليها ، وهو يعتذر من تأخر الاجتماع باعتراض ما اعترض منها ؟ وإذا تكلف سيدنا العود فى غداة غد ^(٢)

(١) لعلي يريد به جعفر بن محمد بن الفرات أما عبد الله الذى قلده عبيد الله بن سليمان أعمال بهرسيب والرومقان ... انظر ص ٢٦٥ من هذا الكتاب .

(٢) فى النسخة : عن

لَقِيَهُ وَوَفَاهُ مِنَ الْحَقِّ مَا يَجِبُ أَنْ يُوفِيَهُ إِيَّاهُ . وَالطَّيَّارُ يَبْكَرُ بَابَهُ .

وَانْصَرَفَ أَبُو الْحَسَنِ ، وَعَادَ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى مَعْرِزِ الدَّوْلَةِ فَقَالَ لَهُ : وَافَى عَلَى
ابْنِ عَيْسَى لِقَائِكَ ^(١) وَخَدَمْتِكَ ، فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ عَنْكَ بِأَنَّكَ عَلَى نَيْبِذٍ ، وَلَمْ يَحْزَنْ أَنْ
يَرَاكَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : مَنْ عَلَى بْنِ عَيْسَى ؟ فَقَالَ : وَزِيرُ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ . فَقَالَ : ذَلِكَ الْعَظِيمُ ؟
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مَا وَجِبَ أَنْ تَرُدَّهُ فَإِنِّي كُنْتُ أَقُومُ إِلَى مَجْلِسِ آخِرٍ وَالْقَاءَ فِيهِ ^(٢) .
فَقَالَ : مَا كَانَ يَحْسُنُ أَنْ يَشْمَ مِنْكَ رَائِحَةُ شَرَابٍ . وَفِي غَدٍ يَبْكَرُكَ . فَقَالَ مَعْرِزُ الدَّوْلَةِ :
وَكَيْفَ أَعْمَلُهُ ؟ وَمَا الَّذِي أَقُولُ لَهُ ؟ فَقَالَ لَهُ الصِّمْرِيُّ : تَنْزَعُجُ لَهُ بَعْضُ الْإِنْزَعَاكِ
وَتَرْفَعُ مَجْلِسَهُ وَتُعْطِيهِ مَخْدَةً مِنْ مَخَادِكَ وَتَقُولُ لَهُ : مَا زِلْتُ مُشْتَاقًا إِلَى لِقَائِكَ ،
وَمُتَشَوِّقًا ^(٣) لِلْاجْتِمَاعِ مَعَكَ . وَأُرِيدُ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ فِي تَدْيِيرِ الْأُمُورِ وَعِمَارَةِ الْبِلَادِ بِمَا
يَكُونُ الصَّوَابُ فِيهِ عِنْدَكَ .

وَجَاءَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَى بْنِ عَيْسَى مِنْ غَدٍ ، وَدَخَلَ عَلَى مَعْرِزِ الدَّوْلَةِ ، فَوَفَّاهُ مِنَ
الْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَكْثَرُ مَا وَاقَفَهُ عَلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ ، وَأَعْطَاهُ مَخْدَةً مِنْ دَسْتِهِ ^(٤)
فَقَبِلَهَا أَبُو الْحَسَنِ ، وَقَالَ لَهُ مَا يُقَالُ لِمُثْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ مَعْرِزُ الدَّوْلَةِ : كُنَّا نَسْمَعُ بِكَ فَيُعْظَمُ
عِنْدَنَا أَمْرُكَ ، وَيَكْثُرُ فِي نَفُوسِنَا ذِكْرُكَ . وَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْكَ الْآنَ مَا كُنْتُ مُؤَثِّرًا وَإِلَيْهِ
مُتَطَلِّعًا . وَالدُّنْيَا خَرَابٌ . وَالْأُمُورُ عَلَى مَا تَرَاهُ مِنَ الْإِنْتِشَارِ ^(٥) ، فَأَشِيرْ عَلَيَّ بِمَا عِنْدَكَ
فِي إِصْلَاحِ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ : هَذِهِ النَّيَّةُ مِنْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ دَاعِيَةٌ إِلَى الْخَيْرِ ،
وَسُسْمَلَةٌ إِلَى الشُّجْعَانِ ، وَطَرِيقُ الْعِمَارَةِ ، وَدُرُورُ الْمَادَّةِ ، وَاسْتِقَامَةُ أَمْرِ الْجُنْدِ وَالرَّعِيَّةِ
وَالْعَدْلِ . وَالَّذِي أَهْلَكَ الدُّنْيَا ، وَأَذْهَبَ الْأَمْوَالَ ، وَأَخْرَجَ الْمُلُوكَ عَنْ يَدِ السُّلْطَانِ

(٢) فِي النُّسخَةِ : وَالْقَاءَ فِيهِ

(١) فِي النُّسخَةِ : لِقَاءَهُ بِكَ

(٣) فِي النُّسخَةِ : وَمُتَشَوِّقًا .

(٤) الدَّسْتُ : صَدْرُ الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ جَالِسٌ عَلَيْهِ .

(٥) الْإِنْتِشَارُ : التَّفَرُّقُ .

خلافه . وإنما يتأتى الصلاح ، وبطرد الإغراض ^(١) ؛ بالولاية الموقفين والأعوان
 المناصبين ^(٢) وحدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا فلان ، وذكر الإسناد ^(٣) عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا أراد الله بوالٍ خيراً قيض له وزيرٌ صدق ، إن
 غفل أذكره ، وإن رفل ^(٤) أيقظه » . وقد وفق الله للأمير من هذا الأستاذ - وأشار
 لأبي جعفر - من تمت فيه أسباب الكفاية ، وبانت فيه شواهد الخالصة ، ويوشك
 أن يجري الخير على يده ، ويتأتى المرادُ بحسن تديره . فتراجع أبو جعفر وتوقف
 عن تفسير هذا القول لمعز الدولة . وفطن معز الدولة أن توقفه لأمرٍ كرهه ذكره . فقال
 لأبي سهل العارِض : انظر ما يقول . ففسره له تفسيراً لم يفهم عنه ، ولا استوفى القول
 فيه . وتلجلج في ذكر رجال الحديث . حتى استفهم معز الدولة أسماءهم وقال :
 هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو الحسن : لا ، هؤلاء رجال
 نقلوا لنا الحديث عنه . ثم عاد أبو جعفر إلى الترجمة بينهما ، وقال أبو الحسن : ومن
 أولى ما نظر فيه الأمير وقدمه سدُّ هذه البُتوق . هي أصل الفساد وخراب السواد .
 فقال : وقد نذرتُ لله عند حضوري في هذه الحضرة . ألا أقدم شيئاً على ذلك
 ولو أنفقت ^(٥) فيه جميع ما أملك .

قال : إذن يُحسِن الله عَوْنَكَ ، ويدللك كلٌّ ^(٦) صعب . ويُسهِّل كلٌّ مراد
 بين يديك ^(٧) .

فلما انقضى القول بينهما في ذلك قال معز الدولة : اذكر حوائجك لأتقدم فيها

(١) الإغراض : الامتلاء . (٢) في النسخة النصحين .

(٣) في النسخة : الأستاذ . (٤) رفل : خرق .

(٥) في النسخة : نفقت . (٦) في النسخة : على صعب .

(٧) في مروج الذهب في آخر حديثه عن خلافة المسكني : واستوفى الأمر لأحمد بن بويه الديلمي
 وشرع في عمارة البلد وسد البُتوق .

بما أفضى به حقك . قال : الحاجة الحاضرة هي إلى الله تعالى في أن يطيل بقاءك ويُديم
علاك . ومتى عرضت من بعدُ حاجة إليك كان المَعُول فيها عليك . قال : لا بدُّ من
أن تذكر شيئاً . قال : حراسة منازلٍ فإنها تشتمل على عددٍ كثير من بنين وبناتٍ
ومجانزٍ وأهلٍ وأقاربٍ وأتباعٍ وأصحابٍ . قال : هذا أقلُّ ما أفعله .

ونَهَضَ أبو الحسن . وشيعة أبو جعفر ، ومشى الغلمان بين يديه .

وتوفي أبو الحسن بعد عبور معز الدولة وهزيمته ناصر الدولة ^(١) يوم . ففضى
أبو عمران موسى بن قتادة وكان معه مائتا رجل من الديلم فنزل داره . وركب الصيمريُّ
إليها وقد فرغ من تجهيزه ووُضِعَ في تابوته ، فصلى عليه . وقال لموسى : اخرج
من هذه الدار فما يجوز نزولك فيها . فقال : لا أخرج . فقال : لا أمكنك منها .
فقال : لا أقبل منك . قال إذا لم تقبل أكرهتك . وتنابذا بالقول تنابذاً تولدت منه
فتنة ، واجتمع إلى موسى أصحابه وإلى أبي جعفر آخرون . وعرف معز الدولة ذلك .
فبادر لإطفاء النائرة ^(٢) وقال للصيمري : ليس هذا وقت ذلك . قال : بلى أيها الأمير ،
فذا ^(٣) وقته . ومتى افتتحنا أمرنا بسقوط هيبتنا استمرَّ ذلك ، وبعدَ تلافيه ^(٤) ، وازداد
الأمر من بعدُ وهناً ، والطمع استحكاماً .

فأخذ معز الدولة بيد موسى بن قتادة فأخرجه معه . وقال له : يكون نزولك
في الدار التي أنزلها ، ولا تفتيحُ أمراً بما يَفْجَحُ من انزعاج أولاد هذا الشيخ المشهور
ذِكْرُهُ في الدنيا وعياله عن منازلهم وأوطانهم .

(١) هو الحسن بن أبي الهيثم عبد الله بن حمدان التقي مات سنة ٣٥٨ .

(٢) النائرة . العداوة والشحناء والفتنة ، مشتقة من النار .

(٣) في النسخة كذا وقته (٤) في النسخة : تلافيه .

وبقيتْ دُورُ أبي الحسنِ عَلَى ولده ، ودورُ أخيه أبي عليّ عبد الرحمن عليه ^(١) في حياته بفعل أبي جعفرٍ مافعله .

علي بن عيسى

من أخباره المنثورة

« أوردته الأستاذ ميخائيل عواد في كتابه أقسام ضائعة

نقلا عن كتاب الأذكياء لابن الجوزي ص ٩٠ طبعة قسطنطينية المحصى مصر »

ذكر هلال بن الحسن [في كتاب الوزراء] أن رجلاً كان يقال له أبو العجب لم يُر مثله في ما كان يعمل من الشبهة دخل يوماً إلى دار المقتدر بالله ، فرأى خادماً من خواصه يبكي على بلبلٍ مات له . فقال له : ما عليك أيها الأستاذ إذا أحييته ؟ فقال : ما تريد . فأخذ البلبل الميت فأدخله كُمةً ، وأدخل رأسه ، وأخرج بعد ساعة بلبلاً حيّاً . فاجت الدار ، وعجب الحاضرون ، فاستدعاه عليُّ بنُ عيسى [الوزير] وقال : والله إن لم تصدقني عن حقيقة الأمر لأضربن عنقك . فقال : إني شاهدت الخادم يبكي على بلبله ، فطمعت بما آخذه منه ، ففضيت في الحال إلى السوق ، وابتعت بلبلاً وخبأته في كُمتي ؛ وعدت إلى الخادم فقلتُ ماقلت ، وأخذت البلبل الميت ، وأدخلت رأسه في كُمتي وأكلته ، وأخرجت الحيّ ، فلم يشك أنه بلبله ، وهذا رأس الميت .

(١) في النسخة : دور أخيه أبي علي بن عبد الرحمن « وجعلها » آمدرور : دور « ابن » أخيه أبي علي بن عبد الرحمن . هنا وأخوه علي بن عيسى هو أبو علي عبد الرحمن .

على بن عيسى

« وقد يكون من أخبار ابن مقلة ، وهكذا أورده الأستاذ ميخائيل

أعواد نقلا عن معجم الأدباء (٢٢٤/٥) »

« وحدث أبو الحسين هلال بن الحسن بن إبراهيم بن هلال الصابي* في كتابه
كتاب الوزراء قال :

حكى^(١) لى أبو الحسن ثابت بن سنان قال : كان أبو الحسن على بن سليمان
الأخفش مواسل^٢ المقام عند أبي على بن مقلة ويراعيه أبو على ويبره ، فشكا إليه
في بعض الأيام الإضافة ، وسأله أن يكلم أبا الحسن على بن عيسى - وهو يومئذ وزير
- في أمره . وسأله إجراء رزق عليه في جملة من يرتزق من أمثاله ، فخطبه أبو على في
ذلك ، وعرفه اختلال حاله وتعذر القوت عليه في أكثر أيامه . وسأل أن يخرج
عليه رزقا في جملة الفقهاء . فاتهره على بن عيسى اتهارا شديدا ، وأجابه جوابا غليظا ،
وكان ذلك في مجلس حافل ، وجمع كامل ، فشق على أبي على ما عامله به ، وقام
من مجلسه وقد اسودت الدنيا في عينيه ، وصار إلى منزله لا تمنا لنفسه على سؤال على بن
عيسى ما سأله ، وحلف أنه يُجرّد في السعي عليه .

ووقف الأخفش على الصورة واغتم ، وانهت به الحال إلى أن أكل الشلجم
النّي ، وقيل إنه قبض على قلبه فمات فجأة . وكان موته في شعبان سنة ٣١٥ .

« وانظر القصة في ابن خلكان ترجمة الأخفش على بن سليمان فقيها النص

(١) هكذا هو في معجم الأدباء ترجمة على بن سليمان الأخفش . والصواب حذف كلمة « لى »
لأن ثابت بن سنان مات قبل أن يكمل الصابي ستة أعوام . ونقل الصابي عنه في كتابه لم يذكر
فيه ما يدل على أنه شافه .

تقريباً نقلاً عن أبي الحسن ثابت بن سنان . وانظر أيضاً بغية الوعاة ترجمة
الأخفش على »

تكملة

« في طبعة هـ . ف آمدروز بالصفحة ٢٢٣ حذف شعراً ذكر أنه يتان من باب
المجون . والواقع أنه أربعة أبيات، وهذه هي الأبيات، وتوضع في نسختنا بالصفحة ٢٤٤
بعد السطر ١٦ : وقد أكلتها من نسخة الأزهر الخطية »
وله أيضاً في الغلابي :

أبا أمية قل لي ما بال أيرك نائم
ولم خصصت بأير رخي ضعيف الدعائم
فقال ربي ابتلاني فيه بإحدى العظام
فصرت أحمل أيرا كضعف ريش النعائم

في صفحة ٢٧٩ السطر ١٦ تكون الجملة كما يأتي :
فكانت سعتها ما بين عشرين ذراعاً وإلى ستة عشر ذراعاً .

ترجمة موجزة لما كتبه أمدرود

إن تاريخ الخلفاء العباسيين الذى دونه الطبرى حتى السنين الأولى للقرن الرابع الهجرى قد ولى تدوينه مؤرخون بعده ، ولكن مؤلفاتهم ضاعت تقريباً .

ومؤرخ السنين ٣٦٠ - ٤٦١ هو أبو الحسين هلال بن الحسن بن إبراهيم الصابى ، الذى ألف أيضاً كتاباً عن أهم وزراء العهدين العباسى والبويهى ، ما بين أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الخامس .

ومخطوط كتاب الوزراء الموجود فى مكتبة الجوتا Gotha رقم ١٧٥٦ جيد جداً . ويرجع نسخه على الأرجح إلى القرن الرابع عشر الميلادى وقد عثر عليه و . ج . سيتسن U. J. Seetzen سنة ١٨٠٩م والصفحة الأولى منه مفقودة ، وليس على المخطوط اسم ولا عليه ما يرمز إلى مؤلفه . ولكن أ . فون كريم A. Von. kremer استطاع فى عام ١٨٨٧ فى مقاله القيم عن دخل الخلافة العباسية فى عام ٣٠٦ هجرية أن يثبت أنه كتاب هلال الصابى .

وتحتوى مجموعة سيفير الموجودة الآن بالمكتبة الأهلية بباريس على مخطوط آخر تحت رقم ٥٩٨١ وقد اطلعت عليه ، ولكن هذا المخطوط هو نسخة من مخطوط الجوتا ، نسخ عنه قبل أن ينقل من القاهرة على الأرجح فى القرن السابع عشر ، وعلى بعض أوراق منه كتبت جملة « وقف المرحوم محمد بك بجامعه » .

لكن مخطوط باريس به خرم ونقص عن مخطوط الجوتا ، إلا أن الصفحة الأولى

منه موجودة وعليها اسم الكتاب، كما أن آخر الكتاب موجود، وبذلك أمكن استكمال الكلام الناقص في مخطوط الجوتا .

والمؤلف بجانب ماورده عن طريق الرواية ، كان من كتاب الدولة في عهده ، فاستفاد من الوثائق الرسمية التي وجدها بالدواوين ، وقد اعتمد أيضاً إلى حد ما على مؤلفات لكتاب سابقين ، مثال ذلك قصة ابني القرات وإطلاق سراحهما من السجن وتوليها المناصب « انظر ص ١٢ ، ١٣ » فهذه القصة منقولة عن كتاب أبي الفضل ابن عبد الحميد ، الذي ذكر فون كرىم في مقاله أنه هو أبو الفضل محمد بن أحمد ابن عبد الحميد الكاتب، مؤلف كتاب أخبار خلفاء بني العباس « انظر الفهرست ١٠٩ طبع ليبزج » .

كما أن هلالا الصابي ينقل عن عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر أمراً يختص بيد المعتضدى « انظر ص ١٩٩ » وعبيد الله هو ابن مؤلف كتاب بغداد ، وقد أكمل كتاب أبيه . فأنوه ألف كتابه إلى آخر أيام المهتدى ، وزاد عبيد الله فيه أخبار المعتضد ، وأخبار المعتضد ، وأخبار المكتفى ، وأخبار المقتدر ، ولم يمه « انظر الفهرست ١٤٧ » وينقل هلال أيضاً شعراً من نظم أحمد بن القرات المتوفى سنة ٢٩١ هـ « ص ٢٤٤ » . وذلك عن السباسى محمد بن داود بن الجراح الذى كان أيضاً مؤلفاً « انظر الفهرست ١٢٨ » . وينقل هلال عن الصولى مرتين « ص ٢٤١ ، ص ٣٨١ » ويروى أيضاً عن ثابت بن سنان وله كتاب فى التاريخ يبدأ من ٢٩٥ إلى ٣٦٠ هـ .

ويروى كثيراً عن القاضى أبى على الحسن بن على التنوخى الذى توجد له الآن بعض المؤلفات . وكثير من الأخبار التى رواها هلال الصابى توجد تقريباً بنفسها فى كتاب نشوار المحاضرة وبعضها يوجد فى الفرج بعد الشدة ، وهما للتنوخى . وواضح أننا

تملك جزءاً فقط من كتاب الوزراء ، وتدل فقرات من الكتاب على أن المؤلف كتب عن وزراء آخرين مثل حامد بن العباس وعبد الله بن محمد الخاقاني والخصيبي وابن مقلة .

ونهاية المخطوط لاتدل بالتاكيد على أن أخبار على بن عيسى المنشورة قد استوفيت فيه .

والأجزاء الضائعة من كتاب الوزراء والمختصة بوزراء الدولة البويهية لابد أنها كانت ذات أهمية تاريخية كبيرة .

والوزراء المذكورون في ص ٥ هم المهلبى وابن العميد وابن عباد وفخر الملك . وقد بدأ جد المؤلف أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى حياته السياسية كاتباً للمهلبى، وكان مديناً له بترقيه ، كما كان يرسل الصاحب بن عباد ، وكان المؤلف نفسه كاتباً لفخر الملك ، لذلك نأسف لفقدان هذه الأجزاء من الكتاب من أجل الوزيرين الكبيرين ابن العميد والصاحب بن عباد ونرجو أن يعثر على ذلك ، يوماً ما .

وتراجع هؤلاء موجوده في معجم الأدباء لياقوت الحموى . وسيرة ابن عباد موجودة في مخطوط بأ كسفورد . وسيرة ابن العميد موجودة في مخطوط بمكتبة كوبرلي زادة بالقسطنطينية . وقد حصل الدكتور مرجليوث على نسخة من المخطوط الأول الخاص بابن عباد من جامعة أ كسفورد ، وفي نيته أن يطبعه في وقت قريب ، وقد أبلغنى أن في هذين الكتائين نصوصاً منقولة عن هلال الصابى .

وهناك نصوص مقتبسة من كتاب الوزراء للصابى الموجود أماننا الآن ، ذكرها ابن خلكان ، وياقوت ، والصفدى في الوافى بالوفيات .

على أن هناك كثيراً من النواذر المذكورة موجود في الكتب المشتملة على
الفترة التي أوردتها هلال الصائغ، من ذلك تكملة الطبري لعريب، وتجارب الأمم
لابن مسكويه وهو من معاصري هلال، وتكملة الطبري أيضاً لمحمد بن عبد الملك
الهمداني، وهذا بخلاف مؤلفات الكتاب جاءوا بعده .

« انتقل أندروز بعد ذلك إلى تحليل شخصية الوزراء وشخصية المقتدر، وعن
تدهور الحكم، ثم شكر من أعانوه بالمراجع » .



الفهارس

الآيات والأحزاب

- « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » سورة الأنفال ٤٢ وردت في صفحة ٧ .
- « كَرَزِعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ » سورة الفتح ٢٩ وردت في صفحة ٢١٤ .
- « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » سورة فاطر ٢٨ وردت في صفحة ٧ .
- « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » سورة التوبة ٣٣ وردت في ص ٦٥ .
- « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ » الأنعام ١٦٤ والإسراء ١٥ وفاطر ١٨ والزمر ٧ وردت في صفحة ٩٧ .
- « وَأَوَّلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » سورة الأنفال ٧٥ وردت في ص ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ .
- « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذْ أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » سورة هود ١٠٢ وردت في صفحة ٣٧٠ .
- « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا » سورة الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ وردت في صفحة ٣ .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » سورة الحجرات ٦ وردت في صفحة ١١٥ .
 « يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ » سورة النساء ١١
 وردت في صفحة ٢٧٤ .

الْمُعَادِيثُ

« إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِوَالٍ خَيْرًا قَبِضَ لَهُ وَزِيرَ صَدَقٍ إِنْ غَفَلَ أَذْكَرَهُ وَإِنْ رَفَلَ أَيْقَظَهُ »
 ورد في ص ٣٩٥ .
 « أَسْرَعَ الذُّنُوبَ عِقُوبَةً كُفْرَانِ النِّعَةِ » ورد في ص ١٨٩ .
 « إِنْ اللَّهُ قَالَ لِلْعَقْلِ ، وَقَدْ خَلَقَهُ ، أَقْبِلْ . فَأَقْبِلْ ، وَأَدْبِرْ فَأَدْبِرْ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَ :
 وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَعَظَمَتِي مَا خَلَقْتَ خَلْقًا أَحْسَنَ مِنْكَ ، بَكَ آخِذٌ وَبَكَ أُعْطِي »
 ورد في ص ٧٠ .

« إِنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : هَذَا ابْنُكَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ :
 إِنَّهُ لَا يَخْنِي عَلَيْكَ وَلَا يَخْنِي عَلَيْهِ » ورد في ص ٦٧ .

« الْإِيمَانُ عَقْدٌ بِالْقَلْبِ وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ » ورد في ص ١٩٠ .

« تَوَفَّى ثَابِتُ بْنُ الدِّحْدَاحِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَاصِمِ بْنِ عَدِي :
 مَالُهُ فَيَكُمُ نَسَبٌ ؟ قَالَ : لَا . فَدَفَعَ تَرْكَتَهُ إِلَى ابْنِ أُخْتِهِ » ورد في ص ٢٧٣ .

« الْإِخْلَالُ وَارِثٌ مِنْ لَا وَارِثَ لَهُ ، يَرِثُ مَالَهُ وَيَمُوتُ عَنْهُ » ورد في ص ٢٧٢ .

« اللَّهُمَّ فَهِّمْنِي فِي الدِّينِ وَعَلِّمْنِي التَّوْبِيلَ » ورد في ص ٢٧٥ .

« المسلم لا يرث الكافر والكافر لا يرث المسلم وإنه لا يتوارث أهل الملتين »
ورد في ص ٢٧٠ .

« من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي » ورد في ص ٣٦١ .
« يؤتى بالبعد فيقف بين يدي الله تعالى ، فيأمر به إلى النار . فيقول : يا رب ،
لما أمرت بي إلى النار ؟ فيقول : لأنك لم تشكر نعمتي . فيقول : يا رب ، أنعمت
بكذا فشكرتُ بكذا ، فلا يزال يُحصى النعم ويعدد الشكر . فيقول الله عز وجل :
صدقت عبدي إلا أنك لم تشكر من أنعمت عليك على يده » ورد في ص ١٩٠ .



القوافي

(الهمزة)

الصفحة	قائله	قافيته	صدره
٦٠	—	أم وراؤه	وأصبح لا يدري
٣٩٩	عبد الرحمن بن أحمد	وفضل ثراء	أرادوا له

(الباء)

٧٤	مالك بن أسماء	عليه بحاجب	وإذا طلبت
٣١٥	علي بن الفرات	كل صعب	إذا بدعة
٣١٧	أبو الفضل بن الحجام	وريب	ياسيدي ومؤمل
٣٣٤	جعفر بن قدامة	تشب	لما غدت

(التاء)

١٦٢	علي بن هشام	دمعُ المكرماتِ	فوات غاض
١٦٣	خالد الكاتب	خُنْتُ	عيني أ كنت
٢١١	محمد بن إبراهيم	بالبكراتِ	أنعموا
٢٣٣	جعفر بن قدامة	والصَّلَاتِ	لما خلوت
٣٨٢	—	متُ	لى مدة

(الثاء)

٩	—	وحادثِ	هنيئًا
٣٤٥	أحمد بن إسحاق	أيما إثاثِ	قل لهذا

صدره	قافيته	قائله	الصفحة
(الدال)			
اقلوا عليهم	سدوا	—	٧٥
يارب	شاهد	ابن بسام	٨٦
كرم أنجز	نقدًا	البحرئ	٨٧
لو كان	دائمًا أبدًا	—	١٢٣
عزمت على	من يسود	—	٢٤٣
لا تلحنى	الرشد	أحمد بن القرات	٢٤٤
(الراء)			
لا تحب الحمد	الصبر	أعرابي	٦
قالوا تغير	بغير تجار	ابن بسام	٧٧
أياديك	قصير	عبيد الله بن عبد الله بن طاهر	١٨٩
ترك	بالبحيرة	ابن بسام	٢٠٣
أأنت الذي	لهجير	بعض العرب	٢٢١
وما أنس	سفع ثبير	بعض العرب	٢٢٢
أبطالنى	الأموير	محمد بن غالب	٢٢٦
(السين)			
سيرت	الإنس	سالم بن عبد الله	٣٣٤
(الضاد)			
نضا شبيه	فتعوضا	عبد الرحمن بن أحمد	٣٩٧
(العين)			
خليلى	فودعا	على بن القرات	٨٦

صدره	قافيته	قائله	الصفحة
(الغين)			
خليفة	وبفا	—	٢٤١
(الفاء)			
قابتُ	لا تني	ابن المعتز	٢١٠
يا ذا الذي	المسرف	ابن المعتز	٢١٠
ولى همة	هو أشرفُ	ابن أبي البغل	٢٩٧
(اللام)			
لى أحمدان	أعدّ لى	ابن بسام	٨٦
يادهر	فاتركه لى	ابن المعتز	٨٧
يا ابن الفرات	الفعال	جعفر بن قدامة	٢٣٣
(الميم)			
يا ولى الإمام	الصيام	عبيد الله بن عبد الله	٢١١
وعلمتني	ظلمى	أحمد بن الفرات	٢٤٤
الصعوى	يترتمُ	ابن أبي البغل	٣٨٢
أيا أمية	نائمُ	أحمد بن الفرات	٣٩٩
(النون)			
على كل حال	والحدثان	—	١٤٠
شكرى لك	وإعلاى	عبيد الله بن عبد الله	١٩٠
قالوا لنا	مولانا	يحيى بن على المنجم	٢٥٢

صدره	قافيته	قائه	الصفحة
أمل	بعد المكان	ابن أبي البغل	٢٩٧
	(الماء)		
معذبتي	من وجه	علي بن القرات	١٦٠
	(الواو)		
إخلاى	صاحبه خلو	أبو العتاهية	٢١٣



فهرس أعلام الأشخاص

(١)

إبراهيم بن أحمد بن إدريس ٢٤٦
 إبراهيم بن أحمد المادرائي ٢٤٦
 إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري ٥٣
 إبراهيم بن أيوب الكاتب = ابن
 أيوب ١٥٤ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٢٢
 إبراهيم بن حاجب النعمان بن عبد الله ٤٨
 إبراهيم بن سليمان ٢٨
 إبراهيم بن عبد الله عامل بادور يا ٢٧٨
 إبراهيم بن عيسى ٢٨٠
 إبراهيم بن عيسى بن الجراح أبو إسحاق
 ٥٠ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،
 ١٥٢ ، ٢٥٧ ، ٣٠٢ ، ٣١٢ ،
 ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٥٠
 إبراهيم بن فورعة ٢٦٧
 إبراهيم الكاتب ٣٨٧
 إبراهيم بن هلال الصابي أبو إسحاق
 ١٧٠ ، ٣١٢
 إبراهيم بن يوحنا ٢٤٨
 إبليس ١٢٨
 ابن الأجرى ٨٣

أحمد بن إبراهيم بن أفلح العكبري ٦٨٤
 أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضي
 ١١٣ - ١١٦ ، ١٧٥ ، ٢٤٥ ،
 ٣١٨ ، ٣١٩
 أحمد بن إسرائيل الكاتب أبو جعفر
 ٢١٢
 أحمد بن إسماعيل أبو الطيب ٢٠٢ ،
 ٢٠٤ ، ٢١٧
 أحمد بن أيوب ١٦٤
 أبو أحمد = الحسن بن علي بن محمد
 ابن الفرات
 أبو أحمد الوزير = العباس بن الحسن
 أحمد بن بدر العم أبو عيسى ٥٧ ،
 ١٧٣ ، ٣١٢ ، ٣٣٧
 أحمد بن بسطام أبو العباس = أحمد
 ابن محمد بن بسطام
 أحمد بن حماد الموصلي = ابن حماد
 الموصلي ٤٧ ، ٩٤ ، ١٨٠ ، ٣٢٣
 أحمد بن سعيد ٣٠٢
 أحمد بن صالح بن شيرزاد أبو بكر
 ٨٩ ، ٩٠

أحمد بن العباس النوفلى = أبو العباس

النوفلى ١٦١

أحمد بن العباس بن الحسن أبو الحسن

٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٥٤ ، ٢٧٥

أحمد بن العباس بن عيسى بن شيخ

١٦٥

أحمد بن عبد الرحمن بن جعفر ٧٨

أحمد بن عبد الله بن رشيد = ابن

رشيد ١٢٢

أحمد بن عبد الله « عبيد الله » بن

عمار ٢٢٣

أحمد بن عبيد الله بن سليمان =

أبو العباس الخصبى ٩٨ ، ٣٣٥ ،

٣٣٦ ، ٣٤٠

أحمد بن على أخو صلوك ٥٥ ، ٥٦

أحمد بن على بن المختار الأنطاكى ٣٨٥

أحمد بن القاسم الأزرق أبو بكر ٢٤٧

أحمد بن كشمرد ٥٧

أحمد بن محمد بن إبراهيم البسطامى

٢٤٥

أحمد بن محمد بن أبى الأصبح ٥٠ ،

٨٧ ، ١٥٢

أحمد بن محمد بن بسطام أبو العباس ١٢ ،

٤٩ ، ٥١ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ٢٧٥

أحمد بن محمد بن بشار ٣٨٦

أحمد بن محمد بن بعد شر = ابن

بعد شر

أحمد بن محمد بن ثوابة أبو العباس =

أبو العباس بن ثوابة ٢٧٨

أحمد بن محمد بن حامد بن العباس ٢٤٧

أحمد بن محمد بن جاني ٣٢٢

أحمد بن محمد بن حبش ١١٨

أحمد بن محمد بن الحسن البصرى

أبو عمر ٣٥٠

أحمد بن محمد الحلبي أبو عبد الله ٣٦٥

أحمد بن محمد بن خالد = أخو أبى

صخرة أبو عيسى ٢٦٨ ، ٢٩١ ،

٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٧٥

أحمد بن محمد بن رسم = ابن رسم ٢٣١ ،

٣٣٨ ، ٣٦٧ ، ٣٧١

أحمد بن محمد بن سمعون = ابن سمعون

٢٨٣ ، ٣٧٢

أحمد بن محمد بن سهل أبو الحسن

١٨٧ ، ١٨٨

أحمد بن محمد الطائى ١٤ ، ١٥

أحمد بن محمد بن عبد الحميد = ابن

عبد الحميد ١٩٦ ، ١٩٢

أحمد بن محمد بن على = قرق ٢٤٦ ، ٢٤٧

أحمد بن يزيد = ابن يزيد ١٨٣ ،
١٢٢ ، ٢٢٠

أحمد بن يوسف بن الأزرق أبو الحسن
١٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٧٥

إسحاق بن إبراهيم القاضي ٢٦

إسحاق بن إبراهيم المصعبي ٢٤٢

إسحاق بن أحمد أبو ياسر ٢٤٦

إسحاق بن إسماعيل ٣٣٨

إسحاق بن حنين الطيب ٢٥٠ ، ٣٩٠

إسحاق بن شاهين ١٩٤

إسحاق بن عمران ٣٠٦

أبو إسحاق القراريطي = محمد بن

أحمد الإسكافي ٣٤٤

أبو إسحاق المدير ٦٠

إسرائيل النصراني ١٠٩

أسماء بنت عيسى بن الجراح ١٦٦

إسماعيل بن إسحاق القاضي أبو الحسن

٢٤٢ ، ٢٧٨

إسماعيل بن بلبل أبو الصقر ١٣ ، ٤٤٠

٨٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢

إسماعيل بن عباد = صاحب بن عباد

أبو القاسم ٥

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل =

أبو القاسم بن زنجي

أحمد بن محمد الكاتب أبو عبد الله ٣٠٠

أحمد بن محمد بن الملقى أبو الحسين ٣٨٠

أحمد بن محمد بن موسى بن القرات =

أبو العباس بن القرات ١٢ -

١٤ ، ٢٨ ، ٧٠ ، ٨٣ ، ٨٦ -

٨٨ ، ١٣٥ ، ١٤٧ - ١٥٢ ، ١٥٧

١٦٠ ، ١٨٤ ، ١٨٩ - ١٩٣ ،

١٩٩ - ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،

٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ،

٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٧٥ -

٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٣٣٢

أحمد بن محمد بن ميمون أبو الحسين

١٦٣ ، ١٦٤

أحمد بن محمد المخرج ١٨٤

أحمد بن مروان أبو العباس ٢٢٥ ،

٢٢٨ ، ٢٢٩

أبو أحمد بن المنتاب ١٩٤

أحمد بن موسى الرازي ١٤٨

أبو أحمد ابن أخي ميمون بن إبراهيم

٢٠٣

أحمد بن نصر الباربار ٤٦ ، ٤٧

أحمد بن هلال ١٧٣

أحمد بن يحيى بن حاني ٢٤٦ ، ٣٧٨

أبو أحمد بن يزداد ١٢ ، ١٣

ابن أبي الأصمغ = أحمد بن محمد بن أبي
الأصمغ

ابن أبي الأصمغ = محمد بن أحمد بن ١٢
١٣

اصطفت بن يعقوب = يعقوب
بن اصطفت ١٥٨

الأصمغ ٢٢٢

أقليدس ٢٢٢

ابن الأكوش ٢٣٧

أبو أمية = الغلابي ٣٩٩

ابن أمينة ٢٨٣

أنوش بن الحرهان ١٥٦

أنوشروان ٢٣٩، ٢٤٠

أبو أيوب ٣١١

الباقر « محمد بن علي » ١٩٠

الباقطاني أبو عبد الله الحسن بن علي

٣٦٦، ٢٨٨

يحكم ٣٤٣

البحري ٨٧

بدر = بدر المعتضدي

ابن أبي بدر ٢٤٤

بدر الحرمي أبو الخير ١٢٠، ١٧٣

بدر الخادم ١٩٥

بدر اللاني ٢٩، ١٥٥، ٢٦٦، ٢٦٧

بدر المعتضدي أبو النجم ١٧، ١٨٠

١٩، ٢٥، ٢٧، ١٠٩، ١٩٩

٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٧

٢٠٩، ٢١٨، ٢٧١، ٢٧٨

٢٨٤

بدر الكبري ٢١٥، ٣٠٢

ابن البزال العامل ٣٨٢

البرامكة ٢٤٩، ٣٨٥

البريدي أبو عبد الله ٣٤٣، ٣٨٦

البزوفري = محمد بن علي

ابن بسام = علي بن محمد بن بسطام

٧٧، ٨٦، ١٢٣، ٢٠٣

ابن بسطام = أحمد بن محمد بن بسام

أبو العباس

ابن بسطام = أبو جعفر بن بسطام

٧٣، ٧٤

ابن بسطام = علي بن أحمد بن بسطام

أبو القاسم ٩٩، ٢٦٠، ٣١٣

ابن بسطام = محمد بن أحمد

أبو الحسن

ابن بسطام = محمد بن أحمد أبو الفضل

بشر الشراي ١٧٣

بشر بن عبد الله النصراني كاتب مفلح

٢٦٥

بشر بن علي أبو نصر ١٧٨، ٣٩

٢٦٥، ٢٦٤، ١٧٩

أبو بشر بن فرجويه = عبد الله بن

فرجويه ٣٦، ٣٥، ٣١، ٣٠

٣٧، ٣٩، ١١٢، ٩٠، ١٨٠

١٨١، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٩

بشرى غلام زنجي ١٩٨

ابن بطحا ١٧٦

بظرام الدنيا الكاتب ٧٣

ابن بعد شر = أحمد بن محمد ٦١،

٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩

١٣٩، ٨٠

بغا الشراي ١٧٣، ٢٤١

ابن أبي البغل أبو الحسن = علي بن

أحمد ١٨٥، ١٨٦، ٢٨٥، ٢٩٢،

٢٩٥، ٢٩٤

ابن أبي البغل = محمد بن أحمد أبو الحسين

٥١، ١٢٤، ٨٤، ٢٩١، ٢٩٩

٣٨٢، ٣٦٧، ٣٠٤

بو بكر بن ثوبة ٢٨٠، ٢٨١

أبو بكر بن رائق ٣٦٠

أبو بكر الزهري الأصماني ٢٩٦، ٢٩٥

أبو بكر الشافعي = الشافعي ٣٥٧،

٣٦١

أبو بكر الصديق ١٢٥، ٣٦٩

أبو بكر بن عبد العزيز = محمد بن

الحسن بن عبد العزيز

أبو بكر بن فتح الوراق ٢٣٨

أبو بكر بن قزاة ٤٦، ٧٧، ٨١

أبو بكر بن مقاتل ٣٧٦، ٣٧٨

بنان بن بنان أبو الفضل ٢٨٨، ٣٠٢

بني بن نفيس ٣١، ٣٢، ٣١٣

(ت)

تكوين الخاصة ١٥٦، ٢٣٠، ٣٤٦

تكوينك ٣٤٣

(ث)

ثابت بن أحمد بن المشرف أبو محمد ٣٧٣

ثابت بن الدحداح ٢٧٣

ثابت بن سنان أبو الحسن ٢٨، ٢٩

١١٠، ٢٩٩، ٣٤٩، ٣٩٢

ثمل القهرمانة ٤٨، ١٧٢

ابن ثوبة = أحمد بن محمد بن ثوبة

ابن ثوبة = العباس بن محمد بن ثوبة

ابن ثوبة ٣١٨

(ج)

ابن جبير = عبد الله بن جبير أبو منصور

٣٧٤، ٣٨٤، ٤٦٠، ٧٤٦، ٧٦٤، ٧٦٤

١٣٤، ١٥٨، ١٨٧، ١٩٣، ٢٤٥، ٢٤٥

٢٥٠، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٨٨، ٢٨٩

٣٣٣

ابن جبير = عيسى بن جبير أبو نوح

٣٩، ١٩٣ وانظر «أبو نوح»

الجرو = محمد بن الحسن الكرخي

ابن جريج ٢٧٢

ابن الجصاص = أبو عبد الله بن

الجصاص ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨

أبو جعفر = أحمد بن إسحاق

ابن البهلول

أبو جعفر بن بسطام ٧٣، ٧٤

جعفر بن جعفر الكرخي ٣٣٨

جعفر الحرامي الخازن ٢١٧

جعفر بن حفص ١٦٠

أبو جعفر بن شيرزاد ٣٤٢

أبو جعفر الصيمري ٣٩٢-٣٩٧

أبو جعفر = الطائي ٤٤، ١١٩،

١٢٤، ١٢٥

جعفر بن الفرات ٣٩٣

أبو جعفر والد ابن الفرات ٣٣

أبو جعفر بن القاسم بن عبيد الله ٢٤٩

جعفر بن قدامة ٢٣٣

جعفر بن محمد العامل بفارس ٥١

جعفر بن محمد بن حفص ١٢، ١٣

جعفر بن محمد بن الفرات أبو عبد الله

٢٢٥، ٢٥٨، ٢٧٨

أبو جعفر = محمد بن القاسم الكرخي

جعفر = المقتدر الخليفة

جعفر بن ورقاء ١٧٤

الجنابي = أبو طاهر سليمان القرمطي

٥٧، ٧٩، ٣٤١

ابن جناح ١٩٤

الجهظ = علي بن الحسين ٨٨، ٨٩،

٢٧٨

الجهشياري = محمد بن عبدوس ٤،

٣٤١

ابن جهم «علي بن الجهم» ٢٣٤

الجوهري رسول القرمطي ٣٤٢

(ح)

حامد بن العباس ٣٧-٤٤، ٤٨-٥٢،
٦٦، ٧٩، ٨٠، ٩٣-٩٥، ١٠٣-
١٠٥، ١٠٨، ١١١، ١١٣-١١٧،
١٣٩، ١٧٥، ١٧٨، ١٩٤-١٩٦،
٢٢٢، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٩،
٢٤٧، ٢٤٨، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٠،
٢٧٥، ٢٨٩، ٢٩١، ٣١٣، ٣١٤،
٣١٩، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٥،
٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٨، ٣٧٥، ٣٨٢،

ابن حبشى ٤٧

حبشى بن إسحاق السجاني ١٥٧

الجبشى المستخرج ٤٧

ابن حبيب الذراع ٢٧٨

أم حبيب ٢٥

ابن الحجاج = محمد بن جعفر بن الحجاج

الحجاج بن يوسف ١١٩، ١٢١، ١٢٢

حجر ٢٢٤

الحربي وكيل ابن المقندر ٢٢٦

الحسن بن إبراهيم الخرائطي ٢٤٧

أبو الحسن = أحمد بن العباس بن الحسن

الحسن بن أحمد المادرائي أبو أحمد ٢٤٨

أبو الحسن الأزرق التنوخي ٢٣٧

الحسن بن إسماعيل الإسكافي ٣٤١

أبو الحسن بن أبي البغل = علي
ابن أحمد

أبو الحسن بن جعفر بن حفص
الكاتب ٢٣٨

الحسن بن حمدون أبو علي = ابن
حمدون ٢٣٩، ٢٤٠

الحسن بن روح أبو محمد = ابن روح
٢٩٩، ٣٠٠

أبو الحسن الروزباري = محمد بن
عبد الرحمن

أبو الحسن بن سنان = ثابت بن سنان
الحسن بن شبيب العتي ٦٩

أبو الحسن بن أبي الشوارب القاضي
١٧١

أبو الحسن بن ظفر الكرخي ٣٤٦
أبو الحسن بن عبد الحميد ٣٣

الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب
١٧٦

الحسن بن علي = الباقر بن أبي عبد الله
٢٨٨

الحسن (بن علي بن أبي طالب) ٧٠

الحسن بن علي العدوي أبو سعيد ٢٢٣

الحسن بن علي بن محمد بن الفرات

٣٩، ٤٢، ٦٠، ١٧٤، ٢٣٢

١٣٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٣٤١ <

٣٧٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٦

أبو الحسين = أحمد بن محمد بن ميمون

الحسين بن إسماعيل الحاملي أبو عبد الله

١٧٦

أبو الحسين بن أبي البغل = ابن أبي

البغل = محمد بن أحمد

الحسين بن حمدان ٨١ ، ١٠٠ ، ٢٥٦ <

٣٠٧

الحسين الخادم = الخلدی ١٦٢

الحسين بن سعد القطريلي ٢٤٧

الحسين بن عبد الأعلى ١٢٤

الحسين بن عبد الله الجوهري =

ابن الجصاص ٢٤٥

(الحسين بن علي) = السبط

الحسين بن علي بن محمد بن القرات

٣٢ ، ٢٩

الحسين بن علي بن كردی =

ابن كردی ٢٥٩

الحسين بن علي بن نصير ٢٤٧

أبو الحسين بن أبي عمر القاضي ٣٥٠

أبو الحسين بن عياش ٣٥١

الحسن بن أبي عمرو الشراي ٣١٢

الحسن بن أبي عيسى الناقد ٢٤٥ ،

٢٤٦

أبو الحسن بن قرابة ٨٢

أبو الحسن بن ماني الكوفي ٢٧٨

أبو الحسن = محمد بن جعفر بن ثوابه

الحسن بن محمد الصلحي أبو محمد ١٣٠ ،

١٣٣ ، ١٣٥ ، ٢٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨

الحسن بن محمد بن عينة ٣٦٣

الحسن بن محمد القصري = ابن زياد

٢٥٤ ، ٢٥٥

الحسن بن محمد الكرخي أبو أحمد

٩٣ ، ٩٤ ، ١٨٨ ، ٣٣٥

الحسن بن محمد المهلبی ٥

الحسن بن مخلد ٨٢ ، ٢٨٤

الحسن المزين ١٩٥

الحسن الملقب المستخرج ١١٩

أبو الحسن بن نيداد ٣٦٢

الحسن بن هارون أبو علي ٣٥٣

الحسين بن أحمد المادرائي = أبوزنور

٥١ ، ٥٢ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،

١٠٥ - ١٠٨ ، ١١٠ ، ١٢٩ ،

أبو الحسين بن فراس ٢٤٩

الحلاج ٢٣١

ابن حماد كاتب موسى بن خلف ١١٤

ابن حماد الموصلي = أحمد بن حماد

حمد بن إسحاق المادرائي أبو جعفر ٨٣

حمد بن محمد القنائي ٩٢ ، ٣٧٥

ابن حمدون = محمد بن محمد بن حمدون

خزابة ٦٣ ، ٦٤

ابن الحوارى = أبو القاسم بن

الحوارى = علي بن محمد الحوارى

٣٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٨ ، ٧٩ ،

٨٠ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١١٠ ،

١٣٩ ، ١٧٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٥ ،

٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٧٤

(خ)

أبو خازم القاضي ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٧١ ،

٢٧٨

خاطف ١١٩

خاقان بن أحمد بن يحيى ٦٢

الخاقاني الأكبر ٢٨١

الخاقاني = عبدالله بن محمد أبو القاسم =

ابن الخاقاني

الخاقاني = محمد بن عبيدالله

خالد الكاتب ١٦٢

خديجة بنت الفضل بن جعفر ٢٣٦

أبو خراسان صاحب بيت المال ١٣٣

أبو الخصيب كاتب أحمد بن العباس

٢٧٥

الخصبي أبو العباس = أحمد بن

عبيدالله بن سليمان

أبو الخطاب ولعله العباس بن أحمد بن

محمد ١١٢

أبو الخطاب بن أبي العباس = العباس

بن أحمد بن محمد بن القرات

خطارمش ٢٥٦

خفيف السمرقندي الحاجب ١٥٤ ،

١٦٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ،

٣٩٠

ابن الخياط = أحمد بن عبد الرحمن بن جعفر

(د)

دانيال بن عيسى ١٥٨

داود بن حمدان ٣٣١

ابن الدردى ٢٨٩

دريرة ٢٠٢ ، ٢٠٣

دستبويه أم ولد المعتضد ١١٩ ، ٢٨٧ ،

دق صدره لقب محمد بن عبيدالله

الدقيق قهرمان ٦١

ابن رشيد = محمد بن عبدالله بن رشيد

رشيق القارى ١٩

الرضا أبو الحسن ١٩٠، ٨٩

رهبان جارية ٦٩

(ز)

زبيدة ٢٤٢

الزجاج ٣٦٩

زكرويه ٨١، ٨٠

زكريا بن يحيى بن شاذان = ابن

شاذان ٧٦

زكريا بن يوحنا ١٧٧

زنجى أبو عبدالله = محمد بن إسماعيل

زنجى ٣٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٨ ،

١٩٢ ، ١٩١ ، ١٤٥ ، ١٤٣ ، ١٤١

١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ،

٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ،

٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ،

٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ -

٢٥٥ ، ٢٦٠ - ٢٦٤ ، ٢٦٨ ،

٣٢٨

أبو زنبور المادرائى = الحسين بن أحمد

ابن الزنداق الحاجب ٤٣

ابن زياد = الحسن بن محمد القصرى

ابن أبى دلف ١٩

دلويه أبو محمد ٣٤١

أبناء دميانة ١٠١ ، ٢٥٦

دنانير جارية زوجة الحسن ٦٩

دولة أم ولد ابن الفرات ٣٩ ، ١٧٤ ،

٣٣٢

(ذ)

ذكا الأعور ٢٣٠

ذكويه = عبدالله بن على أبو محمد

٣١٧

(ر)

راشد ١٧

راشد بن سعد ٢٧٢

الراضى بالله الخليفة ٢٤٥ ، ٣٤٩ ،

٣٦٠ ، ٣٥٩

ابن راهويه الفقيه ١٩١

رائق خادم السيدة ٥١ ، ١٥٦ ، ١٧٣

ابن رستم = أحمد بن محمد بن رستم

ابن رستم كان بسر من رأى ١٦٣

ابن رستم كاتب كان مع بغا ١٦٣

الرشيد الخليفة ١٦٠ ، ٢٤٩

ابن رشيد = أحمد بن عبيد الله

ابن رشيد

سعيد بن سنجلا = سعيد بن عمرو
أبو الحسن ١٤١، ١٥٨

سعيد بن الفرخان = ابن الفرخان
١٨٠، ٢٢٦، ٢٦١، ٢٢٩

سعيد بن محمد أبو غانم كاتب الحسن
٤٥، ٦٠، ٣٢٢

ابن أبي السلاس ٣٧٣

سلامة الحاجب ٣١٠

سلامة الطولوني ٣٣٥

سليمان بن الحسن بن نخلد أبو القاسم
٣٣، ٣٤، ٤٧، ٥٥، ٧٥، ٨٩، ٩٠

١٠٣، ١١٧، ٢٢٩، ٢٤٨، ٣٠٢

٣٣٦، ٣٣٩

سليمان بن أبي شيخ ٢٢٤

سليمان بن عبد الحميد كاتب السيدة =
ابن عبد الحميد ١١٧

سليمان بن عبد الملك ٢٤٨

سليمان بن وهب ٢٨، ٣٦، ١٩٩

٢١٤، ٢٣٠، ٢٨٤

ابن سمعان صاحب بدر المتضدى
١٩٩-٢٠١

ابن سمعون = أحمد بن محمد
ابن سمعون

أبو سهل بن زياد القطان ٣٧٤

زيد بن إبراهيم عامل كرمان ٥١،
٢٣١

زيد بن ثابت ٢٧٠، ٢٧٤

زيدان القهرمان ٣٧، ٣٩، ٩٧،

١٠٤، ١٢٠، ١٧٢، ٢٦٦،

٣١٠، ٣١٣، ٣٢١، ٣٢٤-

٣٢٦، ٣٤٢

(س)

ابن أبي الساج = يوسف بن داود
٥٤، ٥٥، ٥٦، ١١٤، ١١٥،

١٧٣

ساكن صاحب الدواة ١٢٣، ٢٦٤،

٣٢٨

سالم بن عبد الله أبو ميمون ٣٣٤

السيط الحسين بن علي ١٩٠

سبك المفلحي ٣٠٠

سبكتكين أبو منصور ١٩٩

سبكري ١٢٠

السجاد « علي بن الحسين » ١٩٠

سرخاب الخادم ١٠١، ٢٥٦،

سرور غلام خديجة بنت الفضل ٢٣٦

ابن سعد حاجب الخاقاني ٢٨٧

سعيد بن إبراهيم التستري ٣٩، ٦٠،

٢٦١

ابن أبي شبيب ١٣٧	أبو سهل العارض ٣٩٥
أبو شجاع ٣١١	أبو سهل النوبختي ٤٠
شريك بن عبد الله ٢٧٢	سوسن الجصاصي ١٠١
الشعبي ١٨٦	سوسن الحاجب ٢٩ - ٣٢ ، ١٠٢ ،
شفيع ٣٨٠	١٥٧ - ١٥٥
شفيع خادم السيدة ٥٧ ، ٢٩٠	سومنة الطيب ٣٥
شفيع الكبير = شفيع اللؤلؤي	السيدة أم القتدر « شغب » ٣٦ -
شفيع اللؤلؤي أبو الفصن ٤٦ ، ٦١ ،	٣٨ ، ٤٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٧٧ ،
٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٨٠ ،	٩٧ ، ٩٨ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٧ ،
١٠٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،	١١٩ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٧٢ ،
١٧٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ،	٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ - ٢٩٥ ،
٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦	٣٠٨ - ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٢١ ،
شفيع القتدر ٣٩ ، ٥٤ ، ١٧٣	٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٤٣ ، ٣٤٧ ،
(ص)	٣٧٧
صاحب الخال « الحسين بن زكرويه »	سَيَا « غلام » ١٥٩
٢٨٩ ، ١٥٢	(ش)
الصادق (جعفر بن محمد) ١٩٠	ابن شاذان = زكريا بن يحيى
صاعد بن مخلد ٨٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩١	ابن شاذان
صافي مولى القتدر ١٠١ ، ١٥٦ ،	ابن الشاشي = سعيد بن محمد
٢٥٧ ، ٣٢٥	الشافعي = أبو بكر الشافعي
صالح « قائد » ٣٢٤	ابن شاذة ١٩٤
	الشاه بن ميكال ٤٩

أبو الطيب الكلوزاني = الكلوزاني
= محمد بن أحمد الكلوزاني

(ع)

عاصم بن عدى ٢٧٣
أبو عامر الهوزني ٢٧٢
عائشة أم المؤمنين ٢٧٢
عبادة بن أبي عباد ٢٧٢
العباس بن أحمد بن محمد بن القرات
أبو الخطاب ٢٤٩
أبو العباس بن ثوبة = أحمد بن محمد
ابن ثوبة

العباس بن الحسن أبو أحمد ٤ ، ١٠ ،
٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٥٠ ، ٨٠ ، ٨١ ،
٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ،
١١٠ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٨٥ ،
١٨٦ ، ١٨٨ ، ٢٢٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩ ،
٢٥٠ - ٢٥٨ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،
٣٢٠ ، ٣٨٧ - ٣٩١

ابن عباس = عبد الله بن العباس
العباس بن عبد المطلب ٣٥٧
أبو العباس بن القرات = أحمد بن
محمد بن القرات

أخو أبي صخرة = أحمد بن محمد
ابن خالد

ابن الصريفي صاحب الجيش ٣٣١
صلوك أخو أحمد بن علي ٥٦
أبو الصقر = إسماعيل بن بلبل
الصقر بن محمد أبو الحسين ٧٦ ، ٣٣ ،
١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،
أبو الصلت الهروي ١٨٩ ، ١٩٠ ،
صلح ١٤٠
صمصام الدولة ١٦٩ ، ١٧٠ ،
الصولي أبو علي ١٦١

الصولي محمد بن يحيى أبو بكر ٤ ،
٢٤١ ، ٣٨١
ابن الصيرفي = عثمان بن سعيد ٦٧ ،
٢٣٠ ، ٢٣١

(ط)

طازاد بن عيسى ٣٩٢ ، ٣٩٣
أبو طالب بن البهلول ١٧٦
أبو طاهر بن أبي سعيد = الجنابي
أبو طاهر محمد بن عبد الصمد ٥٤
طاووس ٢٧٢
الطائي = أبو جعفر
طلحة بن عبد الله أبو جعفر ٢٣٨

عبد الرحمن بن محمد بن يزداد ٨٧
 عبد الرحمن بن هشام بن عبد الله =
 أبو قيراط ١٥٨، ١٥٩
 عبد الله بن أحمد بن داسة أبو محمد ٣٧٤
 عبد الله بن أحمد بن عياش ١٢٩، ٣٥٩
 أبو عبد الله البريدى = البريدى
 عبد الله بن جبير = ابن جبير
 أبو عبد الله بن الجصاص = ابن الجصاص
 عبد الله بن حمدان أبو الهيجاء ٥٧،
 ١٧٤، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤
 عبد الله بن الزبير ٢٤٨
 أبو عبد الله زنجى = زنجى
 عبد الله بن زيد بن إبراهيم ٢٤٧
 عبد الله بن العباس ٢٦٩، ٢٧٠،
 ٢٧٤، ٢٧٥
 أبو عبد الله بن عبد الأعلى الإسكافى ٢٩٠
 أبو عبد الله بن أبي العلاء ٣٠١
 عبد الله بن على الجرجاني ٣٦٤
 عبد الله بن على أبو محمد = ذكويه
 عيسد الله بن فرجويه = أبو بشر
 ابن فرجويه
 عبد الله بن الفرخان = أبو بشر ١٨٠،
 ٢٦١، ٢٦٢
 أبو عبد الله بن القاسم بن محمد السكونى
 ٢٩٥، ٢٩٦

العباس الفرغانى ٣٠، ٣١، ٤٦، ٤١٥،
 ٢٢١، ٣٣٣
 العباس بن محمد بن ثوبة أبو الهيثم =
 ابن ثوبة ١١٨، ١١٩، ٢٨٥، ٢٨٧
 أبو العباس بن المقتدر ٥٨
 العباس بن منصور ٢٨٠
 العباس بن موسى بن المثنى = ابن المثنى
 ٢٨٢، ٢٨٣
 أبو العباس بن النفاط ٣٠١
 أبو العباس النوفلى = أحمد بن العباس
 النوفلى
 ابن عبد الأعلى = الحسين بن عبد الأعلى
 ابن عبد الحميد = أحمد بن محمد بن عبد الحميد
 ابن عبد الحميد كاتب السيدة = سليمان
 عبد الحميد بن عبد العزيز القاضى ٢٦٩
 عبد الرحمن بن أحمد الأصبهانى
 أبو سعيد ٢٩٧
 عبد الرحمن بن جعفر الشيرازى ٣٦٧
 عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح ٥٠،
 ١٤١، ١٤٩، ١٥٢ - ١٥٩، ١٧٩
 ٣٠٠، ٣١١، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٤٢ -
 ٣٤٥، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٧٨ - ٣٨١،
 ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٧

عبدالواحد بن محمد بن عبيد الله الخاقاني

٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦

عبدالواحد بن الناصر ٢٥

ابن عبدوس حاجب علي بن عيسى

١١٦

ابن عبدون = محمد بن عبدون

عبدالوهاب بن أحمد بن ماشاء الله =

ابن ماشاء الله ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧

٢٤٦ ، ٣١٢

عبدالوهاب الخاقاني ١٤٠

العبرتاني = محمد بن جعفر

عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر ١٩٩

عبيد الله بن أحمد اليعقوبي ٢٤٧

عبيد الله بن الحسن النرسي = النرسي

١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩١ ، ١٩٢

عبيد الله بن سليمان أبو القاسم ١٢ -

١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٢٧

٨٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦

١١٩ ، ١٤٨ - ١٥٠ ، ١٦٢

١٧٤ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٠

٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧

٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٣٦

٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨

٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٩٣ ، ٣٣٣ ، ٣٨٢

أبو عبد الله الكوفي ٣٤٣

أبو عبد الله بن الماسح = ابن الماسح

٢٧٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤

عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخاقاني

أبو القاسم ٤٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦

٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٧٩

٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦

٣٤٠ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧

عبد الله بن محمد المروزي أبو الفتح ٧٢

عبد الله بن مسعود ٢٦٩ ، ٢٧٠

٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥

عبد الله بن المعتز = ابن المعتز ٢٨

٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٨٦ ، ٩٠

١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٠ ، ١٣٠ -

١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥٤ ، ١٥٥

١٦٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٥٥

٢٥٦ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧

أبو عبد الله بن أبي موسى ١٧٦

أبو عبد الله الموسوي العلوي ٣٥٣

عبد الملك بن محمد بن عبد الملك الزيات

١٧٨ ، ١٩٥

عبد الملك بن مروان ٢٤٨

عبدالواحد بن عبيد الله بن عيسى

٢٤٦

علي بن أحمد بن بسطام = ابن
بسطام

علي بن أحمد بن علي بن الحسين ١٣٧
علي بن أحمد بن يحيى = ابن أبي
البغل

علي بن إسحاق ١٩٤
أبو علي أبو أبي بكر بن ثوبة ٢٨١
أبو علي التنوخي = المحسن بن علي
١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨
١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ،
١٦٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٣٥١ ،
٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ،

٣٧٥

علي بن جعفر أبو الحسن ٢٨٢
علي بن الحسن الباذيني ٤٨ ، ٢٤٥ ،
٢٤٦

علي بن الحسن بن هبتي القناني ٧٧
علي بن الحسين = الجمظ
أبو علي الخاقاني = محمد بن عبيد الله
- بن خاقان

علي بن خلف أخو محمد بن خلف ٤٦
علي بن سليمان الأخفش ٣٩٨
أبو علي الصولي = الصولي
علي بن أبي طالب ٨٦ ، ١٢٥ ، ١٩٠ ،
٢٤٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ - ٢٧٥

عبيد الله بن عبد الله بن الحارث ٣٣٦
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ١٨٩ ،
١٩٠ ، ١٩١ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٤١ ،
عبيد الله بن عيسى بن داود بن الجراح
٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣٣٧

عبيد الله بن القاسم ٣١٢
عبيد الله بن محمد أبو أحمد ١٧٩
عبيد الله بن محمد الكلوزاني أبو القاسم
٧٦ ، ٧٧ ، ١٣٨ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،
٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ،
٣٤٠

عبيد الله بن يحيى ٨٣ ، ٨٩
أبو العتاهبة ٢١٣
عثمان بن الحسن بن عبد العزيز ٢٣٣
عثمان بن سعيد = ابن الصيرفي
عج بن عاج ٢٨٧
أبو العجب « مشعب » ٣٩٧
عجيب خادم نازوك ٧١
عرفان زوجة ابن الحجاج ١٣٨
ابن عرفة ٣٣٨
العرمرم = محمد بن عيسى بن داود
عضد الدولة ١٦٩
أبو العلاء بن سنجلا ٥١

أبو علي بن القاسم بن عبيد الله، ٢٤٩

علي الليثي ١٠١، ٢٥٦

علي بن مأمون بن عبد الله الإسكافي

٢٤٧، ٥٠، ٤٦

علي بن محمد بن أحمد بن السمان ٢٤٧

علي بن محمد الخواري = ابن الخواري

علي بن محمد بن داود ١٦٦

علي بن محمد بن موسى بن القرات

أبو الحسن ٥، ١٠، ١١-٢٩٤

٣٠٤-٣٠٨، ٣١٣-٣٢١

٣٢٤-٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٩

٣٤٠، ٣٤٤، ٤٤٩، ٣٥٢

٣٥٩، ٣٦٦، ٣٧٧، ٣٨١، ٣٩٠

أبو علي بن محفوظ ٣٩٢

علي بن القنطرة ٢٦٦

أبو علي بن مقلة = ابن مقلة = محمد

ابن علي ٥، ٣٧، ٤٤، ٤٥

٤٧، ٧٧، ٨١، ٨٦، ١١١

١٢٢، ١٢٤، ١٣٣، ١٣٥

١٣٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٣٧

٢٤٥، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٣٦

٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣

٣٥٢، ٣٨٧، ٣٩٨

علي بن عبد الرحمن = ابن هاني

الكوفي ٢٣٣

علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان

١٧٠، ١٧١، ٢٣٤

أبو علي بن أبي عبد الله بن الجصاص

١٢٨، ١٢٥

علي بن عيسى بن داود بن الجراح

٥، ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٣٥-٣٨

٤٠، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٨-

٥٢، ٦٤، ٦٥، ٧٢، ٧٣

٧٨-٩٢، ٩٤، ٩٨، ٩٩

١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١١٠

١١٣-١١٧، ١٣٦، ١٣٨

١٤٠، ١٤٣، ١٤٩، ١٥١-

١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٦

١٦٨، ١٨٥، ٢٢٢، ٢٢٩

٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٥

٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٢

٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨

٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٧، ٢٧٨

٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٦

٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٩

٣٠٢-٣٠٤، ٣٠٥-٣٩٩

علي بن عيسى الزنداني ٢٨٨، ٣٠٢

عمر بن مسعدة ١٦٢
 عمرو بن مسلم ٢٧٢
 ابن عمرو به ٢٨
 عيسى بن جبير أبو نوح = ابن جبير
 أبو عيسى من الجلساء والمليين ٢٤
 عيسى بن شيخ ١٦٥
 أبو عيسى أخو أبي صخرة = أحمد
 ابن محمد بن خالد
 عيسى بن علي بن عيسى ٣٥٧، ٣٤٨
 ٣٣٧، ٣٧٦، ٣٧٤
 عيسى الناقد ٣١٦
 ابن عينونة = أبو محمد بن عينونة
 ١٧٩، ١٨٧
 (غ)
 أبو غانم كاتب الحسن = سعيد بن محمد
 غريب الجلي ١٥٦، ١٧٣
 غريب الخال أبو القاسم ٣٦، ٣٤، ٢٨
 ٣٨٠، ٢٩٠
 غريب الكبير ١٧٣
 الغلابي أبو أمية ٣٩٩
 (ف)
 فاثك المعتضدي ٢٥٦، ١٠٠
 فارس الدابة ٢٥٠

علي بن محمد بن نصر بن بسام =
 ابن بسام
 أبو علي بن هبتي القناني ١٧٨، ١٧٩،
 ١٨٠
 علي بن هشام بن الحسين ٦٠، ٨٧—
 ٩٤، ٩٦، ٩٨، ١٠٣، ١٠٩،
 ١١١ — ١١٣، ١١٧، ١١٨،
 ١٢٠ — ١٢٢، ١٢٤، ٢٨٨،
 ٣٠٢، ٣٦٥، ٣٦٦
 علي بن يحيى بن سليمان ٣٨٢
 ابن أبي عمر كاتب الحسن ٤٧
 أبو عمر بن الأطروش ٧٨
 عمر بن الحسن الأشثاني ١٧٦
 ابن عمر خازن الديوان ١٨٥
 عمر بن الخطاب ٧٨، ١٢٥، ٢٠٩،
 ٢٦٩ — ٢٧٥
 عمر بن شبة ٣٩٥
 عمر بن عبد العزيز ٢٤٩
 أبو عمر القاضي = محمد بن يوسف
 ٢٣٤، ٢٣٦، ٣٥٣
 عمر بن محمد أبو السري ٣٥٧
 أبو عمرو بن الجليل ١٣٩
 أبو عمرو الشراي ٣٨٧
 أبو عمرو بن الفرخان = سعيد بن الفرخان

فاطمة القهرمانه ١٥٨

فائق وجه القصعة ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٤٧

فخر الملك أبو غالب = محمد بن علي

بن خلف ١٧١، ٥

ابن الفرات = أحمد بن محمد بن موسى

ابن الفرات = علي بن محمد بن موسى

أبو الفرج بن حفص ١٤٠

فرج النصرانية صاحبة أم موسى ٢٩٣

أبو الفرج السلي الكاتب ٣٠١

ابن فرجويه = أبو بشر = عبدالله

ابن الفرخان = سعيد بن الفرخان

أبو عمرو

فرخان شاه بن إسحاق أبو منصور ٧٧،

١٧٩

فرعون ٣٨٥

فرغان الخادم أبو خراسان ١٥٨

فريد ١٧٣

فريدة جارية المعتضد ٣٠١، ٢٠٢

الفضل بن أحمد الحياني ٣٥٧

الفضل بن أحمد بن محمد بن الفرات =

أبو محمد بن أبي العباس ٢٤٩

الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات

٣٤١، ٣٤٠، ٣٣٦، ٢٢٩، ٦٣

أبو الفضل بن الحجام النحوي ٢١٦

الفضل بن الحسن الواسطي ٢٣٤، ٢٣٥

أبو الفضل بن حد ٧٧

أبو الفضل بن عبد الحميد الكاتب ١٣

الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر ٣٥٣

الفضل بن علي بن محمد بن الفرات

٢٩، ٦٠، ٣٣٤

أبو الفضل بن الوارث ١٦١

ابن فلة ٣١٧، ٣١٩

فلقل ٥٧، ٣٢٦، ٣٣٠

(ق)

القادر بالله ١٧٠

أبو القاسم الخاقاني = عبد الله بن محمد

أبو القاسم الخال = غريب الخال

القاسم بن دينار ٢٣١

القاسم بن زرق أبو العلاء ٢٤

أبو القاسم بن زنجي = إسماعيل بن

محمد ٦٠، ٧٥، ٩٥، ١٦٦،

١٨٢، ١٨٩، ١٩١، ١٩٤،

١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤،

٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٧،

٢٢١ - ٢٢٦، ٢٢٩ - ٢٣٢،

٢٥٩ - ٢٦٤

(ك)

كلون « غلام » ٢٢٨

الكرخي = الحسن بن محمد أبو أحمد

الكرخي = القاسم بن محمد

ابن كردى = الحسين بن على بن كردى

كسرى أنوشروان ٢١١، ١٢١، ١١٩

أم كلثوم قهرمانة ابن القرات ٩٧

الكلوذاني = أبو القاسم = عبيد الله

ابن محمد

الكلوذاني = محمد بن أحمد

الكلوذاني

كورتكين ٣٤٣

(ل)

ابن لشكرون ١٩٩

ليث ٢٧٢

(م)

ابن الماسح = أبو عبد الله بن الماسح

ابن ما شاء الله = عبد الوهاب بن أحمد

ابن ما شاء الله

مالك بن الوليد ١٠٩

المالكي ٢٨٩

المالكي « يحيى بن مقيم » ١٤٠

الأمون الخليفة ٢٤٩

القاسم بن عبيد الله ٤، ٢٥، ١٢٤،

١٤٤، ١٤٥، ١٤٨، ١٤٩،

١٥١، ١٥٢، ١٦٢، ١٧٤،

٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١١،

٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٧٨،

٢٧٩، ٢٩٣، ٣١١، ٣٨٢ -

٣٨٥، ٣٨٧ - ٣٩١

أبو القاسم = عبيد الله بن سليمان

أبو القاسم الكلوذاني = عبيد الله

ابن محمد الكلوذاني

أبو القاسم بن محمد ١٩١

القاسم بن محمد الكرخي ٩٣، ٢٩٥

أبو القاسم = هشام والد على بن هشام

القاهر بالله ١٥٩، ٣٨٦

القائم بأمر الله ١٦٩

ابن قرابة = أبو الحسن بن قرابة

ابن قرابة = أبو بكر بن قرابة

قرقر = أحمد بن محمد بن على

قريب بن قريب أبو القاسم ٧٧، ٧٨

قسيم الجوهري ٣٨

ابن القناني = أبو على بن هبتي

أبو قباط = عبد الرحمن بن هشام بن

عبد الله

قيصر خادم شفيع ١٤١، ٣٢٨

مانس ٣٨٠

ماهر خادم على ٣٤٥

ابن المبارك القمي = المظفر بن المبارك

المتقى لله ٣٤٣، ٣٤٤

المتوكل على الله ٢٥، ١١٠، ٢٤٩

المتى جد العباس بن موسى بن المتنى

ابن المتنى = العباس بن موسى

ابن المتنى

أبو المتنى ١٠١، ٢٥٦

ابن مجاشع ١٦٠

الحسن بن علي بن محمد بن القرات

أبو أحمد ٢٩، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٣

٤٥، ٤٧، ٥٢، ٥٤، ٥٥

٥٧، ٥٩، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩

٧١، ٨٠، ٨٤، ٨٦، ١٢٠

١٢١، ١٣٩، ١٤٧، ١٤٨

١٦٤، ١٦٥، ١٧٤، ١٧٨

١٨٠، ١٩٥، ١٩٧، ٢٣٦

٢٣٧، ٢٤٥، ٢٦٤، ٢٦٦

٣٢٠، ٣٣٥، ٣٥٧

الحسن بن علي التنوخي = أبو علي

التنوخي

الحسن بن محمد بن الحسن الجوهري =

المتقى ٣٤٨

أبو حلم ٢٢٢

محمد بن إبراهيم البرقي ٢٢٣

محمد بن إبراهيم بن الخصب ٢١١

محمد بن أحمد بن أبي الأصمغ = ابن

أبي الأصمغ

محمد بن أحمد بن بدر الم ١٧٣

محمد بن أحمد بن بسطام أبو الحسن

٢٤٧

محمد بن أحمد بن بسطام أبو الفضل ٢٤٥

محمد بن أحمد بن أبي البغل أو الحسين =

ابن أبي البغل

محمد بن أحمد بن حماد ٢٤٦

محمد بن أحمد بن الصباح أبو عمرو ٢٤٦

محمد بن أحمد الكلوزاني ٣٤، ٦٠، ٦١

٦٣، ٧٢، ٢٦١، ٣١٧، ٣٢٠

محمد بن أحمد بن ماسراد ٢٤٧

محمد بن أحمد بن القرات أبو جعفر =

أبو جعفر بن أبي العباس ٢٤٩

محمد بن إسحاق ٢٧٢

محمد بن إسحاق بن إبراهيم المصعب ٢٤٢

محمد بن بدر الحامي أبو بكر ٣٣١

محمد بن جعفر ٢٥٨

٢٨٧، ٢٨٦، ٢٨٤، ٢٧٨، ٢٥٧

٣٩٠

محمد الرقاص ١٠١، ٢٥٦

محمد بن زكريا = وزير الإسكافي

٢٧٦

محمد بن سعيد ٣٠٢

محمد بن سعيد الأزرق ١٠١، ١٦٥

٢٥٦، ١٦٦

محمد بن سعيد الديناري أبو عيسى ١٣

محمد بن سعيد حاجب الخاقاني ٦٢

أبو محمد بن سهلان ١٧١

محمد بن صالح أبو عبد الله ٢٦١

محمد بن صالح الهاشمي ٣٥٨

أبو محمد الصلحي = الحسن بن محمد

الصلحي ٣٥٩، ٣٦٠

محمد بن عبد الرحمن الروذباري ٢٣٨

محمد بن عبد الرحمن بن قريعة ٣٥٤

محمد بن عبد السلام بن سهل ٢٤٦

محمد بن عبد الصمد أبو طاهر ٥٤

٥٥

محمد بن عبد الله بن جعفر بن الحسن

١٣٩

محمد بن عبد الله بن الحارث ٢٤٦

(٢٨ - الوزراء)

محمد بن جعفر بن ثوبة ٢٦٨، ٢٧١

محمد بن جعفر بن الحجاج ١٣٧

١٣٨، ١٣٩

محمد بن جعفر العبرثاني = العبرثاني

٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٦٦، ٣٦٧

محمد بن جعفر القرمطي ٢٣٠

محمد بن جعفر الكرخي ٣٣٨

محمد بن حاتم المزنوي أبو حاتم ٢٤١

محمد بن الحسن = أبو طاهر ٢٤٥

محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي

٣٥٧

محمد بن الحسن بن عبد الوهاب ٥١

٣٣٥

محمد بن الحسن كاتب المسمعي ٣٣٨

محمد بن الحسن الكرخي = الجرو

٣٣٨

محمد بن الحسين بن العميد ٥

أبو محمد بن أبي الحسين ٣٥٠

محمد بن خلف التبرماني ٣٤١

محمد بن داود بن الجراح ٢٩ - ٣١

١٠٠، ١٠٩، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٨ -

١٥٠، ١٥٣ - ١٥٥، ١٦٦، ١٨٥

١٩١، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٦

محمد بن علي بن مقله = أبو علي
ابن مقله = ابن مقله

محمد بن عيسى ٤٦

محمد بن عيسى بن داود بن الجراح =

العرمرم ٢٥٨، ٢٥٧

أبو محمد بن عينونة = ابن عينونة ١٧٨

محمد بن غالب الأصفهاني ٢١٤، ٢١٣

٢٢٦، ٢٢٥

محمد بن القاسم الكرخي أبو جعفر

٣٣٨، ١٩١، ٧٥، ٧٤

أبو محمد المادرائي ١٨١

محمد بن محمد بن حملون = ابن حملون

٣٦٤، ٢٤٧، ١٤٩

أبو محمد المهلبى ٣٥٨

محمد بن نصر ٦٤، ٤٧

محمد بن يحيى أبو بكر = الصولى

محمد بن يحيى بن حبان ٢٧٢

محمد بن يوسف أبو عمر القاصى ٣٢

١٧٥، ١١٥، ١١٤، ١٠١، ٣٣

٣٤٨، ٢٥٦

محمود بن صالح ٢٨١، ٣٤

ابن محمود كاتب بن أبي الساج ١١٦

الختار « بن أبي عبيد » ٢٤٨

الخلدى = الحسين الخادم

محمد بن عبد الله بن رشيد = ابن رشيد

١٩١، ١٩٠، ٨٩

محمد بن عبد الله الشافعى ٢٤٥

محمد بن عبد الله القارقى ١٧٣

محمد بن عبدوس = الجهشياري

محمد بن عبدون ١٠١، ٣٢، ٣١، ٢٩

١٥٣-١٥٧، ١٨٥، ١٩١، ١٩٩

٢٥٦، ٢٥٢، ٢٤٩، ٢٤٢، ٢٠٠

٣٩٠، ٢٨٧، ٢٨٦

محمد بن عبد الوهاب ٢٠٧

محمد بن عبيد الله العلوى الكوفى

٢٣٣

محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان

١٠٨، ٦٥، ٤٠، ٣٧، ٣٥، ٣٤

١٢٤، ١٥٧، ١٦٤، ٢٨٤ ترجمة

٣٥٠، ٣١٤، ٣٠٨، ٣٠٦، ٣٠٥

٣٨١، ٣٧٧، ٣٦٧

محمد بن علي = البرزوفرى ٤١، ٤٠

٣٢٨، ١٩٥، ١٩٤، ٤٩، ٤٢

محمد بن علي بن خلف = خمر الملك

محمد بن علي المادرائى ٩٩، ٥٢، ٤٨

٢٩٤، ٢٤٨، ٢٤٦، ٢٣١، ١٠٧

٣٧٥

المرشد الخادم ١٠٩
 مروان بن محمد الخليفة ٢٤٩
 المرى ٢٣٩
 مريب خادم المحسن ١٧٩
 المستعين ٢٥
 ابن مسعود = عبد الله بن مسعود
 السعوى ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ٣٣٨
 أبو مسلم الخراساني ٢٤٩
 ابن الشرف الذارع المهندس ٢٣٩
 ٣٦٥
 المصرى « محمد بن يعقوب » ١٤٠
 الطبع لله ٣٥٩
 الظفر بن المبارك القمى = ابن المبارك
 ١٨٨
 معاوية بن أبي سفيان ٢٤٨
 معاوية بن صالح ٢٧٢
 ابن المعتز = عبد الله بن المعتز
 المعتضد « أحمد » ١٢-١٨، ٢١-٢٥
 ١١٩، ١٧٩، ٩٦، ٩٥، ٨٣، ٥٦
 ١٥٨، ١٥٧، ١٤٨، ١٤٣، ١٣٢
 ٢٠٤، ٢٠٢، ٢٠١، ١٩٢، ١٧٢
 ٢٥١، ٢٤٩، ٢٤١، ٢١٠-٢٠٦
 ٢٨٠-٢٧٥، ٢٧١-٢٦٨، ٢٦٣
 ٣٤٠، ٣١٧، ٣٠٨، ٢٨٧، ٢٨٦

المعتمد على الله ٨٢، ٢٧٠، ٢٨٤
 معز الدولة ٣٥٨، ٣٩٢، ٣٩٦
 أبو معشر الفلكي ١٨٠، ١٨١
 مفلح الأسود ٤١، ٤٣، ٥٥، ٥٩، ٦٠،
 ٦٧، ٧٥، ١٧٣، ١٩٧، ٢٣٥، ٢٣٧
 ٢٦٥
 مقبل الخادم ١٥٩
 المقتدر بالله « جعفر » ٢٨-٤٣، ٤٧،
 ٥٠-٦٤، ٦٨-٧٢، ٧٥-٨١،
 ٩٣-٩٧، ١٠٧-١٠٩، ١١١،
 ١١٨، ١١٩، ١٢٨، ١٣١-١٣٤،
 ١٣٦، ١٣٩، ١٤١، ١٥٤-١٥٨،
 ١٦٨، ١٧٢، ١٩٧، ٢١٥، ٢٢٥،
 ٢٣١، ٢٣٥، ٢٦٢-٢٦٨، ٢٨٤-
 ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٣-٣١٧، ٣١٣،
 ٣١٨، ٣٢١-٣٢٧، ٣٣٥، ٣٣٦،
 ٣٤٠-٣٤٣، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٥٤،
 ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٤،
 ٣٧٦، ٣٧٩-٣٨٢، ٣٥٤، ٣٩٧
 المقتنى = المحسن بن محمد بن الحسن
 الجوهري
 المقدام بن ممدى كرب ٢٧٢
 المقدمى ٢٢٤

مرشد الخادم ١٠٩
 مروان بن محمد الخليفة ٢٤٩
 المرى ٢٣٩
 مريب خادم المحسن ١٧٩
 المستعين ٢٥
 ابن مسعود = عبد الله بن مسعود
 السعوى ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ٣٣٨
 أبو مسلم الخراساني ٢٤٩
 ابن الشرف الذارع المهندس ٢٣٩
 ٣٦٥
 المصرى « محمد بن يعقوب » ١٤٠
 الطبع لله ٣٥٩
 الظفر بن المبارك القمى = ابن المبارك
 ١٨٨
 معاوية بن أبي سفيان ٢٤٨
 معاوية بن صالح ٢٧٢
 ابن المعتز = عبد الله بن المعتز
 المعتضد « أحمد » ١٢-١٨، ٢١-٢٥
 ١١٩، ١٧٩، ٩٦، ٩٥، ٨٣، ٥٦
 ١٥٨، ١٥٧، ١٤٨، ١٤٣، ١٣٢
 ٢٠٤، ٢٠٢، ٢٠١، ١٩٢، ١٧٢
 ٢٥١، ٢٤٩، ٢٤١، ٢١٠-٢٠٦
 ٢٨٠-٢٧٥، ٢٧١-٢٦٨، ٢٦٣
 ٣٤٠، ٣١٧، ٣٠٨، ٢٨٧، ٢٨٦

مؤنس الخادم المظفر ٢١ ، ٢٧ ، ٢٨ ،
٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٧ —
٦٢ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ١٣٢ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ،
١٧٢ ، ١٧٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ،
٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١٥ ، ٣٣٣ —
٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٧٤ ،

٣٧٧ ، ٣٨٠

مؤنس الخازن ٣٠ ، ١٥٦

مؤنس بن عبد الكريم ٨٠

مؤنس الورقاني ١٦٠

ميمون بن إبراهيم أبو القاسم ٢٠٣ ،
٢٠٤ ، ٢٥٠

ميمون الخازن صاحب بيت المال ٧٦ ،
٩١ ، ٣٠٨

(ن)

نازوك ٤٢ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧١ ،
١٥٦ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ، ٣١١ ، ٣٢٣ ،
٣٢٤ ، ٣٣٦

الناصر ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٥٦ ،
١٠٩

ناصر الدولة أبو محمد بن حمدان ٣٨٦ ،
٣٩٦

ناقد خادم الحسن بن مخلد ٨٩ ، ٩٠ ،
نجاح بن سلة ١١٠

ابن مقلة = أبو علي بن مقلة = محمد
ابن علي بن مقلة

المكتفي بالله ٢٩ ، ٥٦ ، ٨٠ ، ١٣٠ ،
١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٧٢ ، ٢١٠ ، ٢٤٩ —
٢٥٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٨ ،
٣١٧ ، ٣٨٧

مكرم بن بكر ٣٥٤

المتصر الخليفة ٢٤٩

المنصور الخليفة ٢٤٩

أبو منصور ١٣٧ ، ١٣٨

المهتدي بالله ٢٥ ، ٢٤٤

المهدي الخليفة ٣٦٨ ، ٣٦٩

موسى بن جعفر الكاظم ١٩٠

موسى بن خلف ٣٤ ، ٣٩ ، ١١٢ ، ١١٤ ،
١١٥ ، ١٣٨

موسى بن عيسى كاتب مؤنس ٢٩ ، ٣٠

أبو موسى زوج أم موسى ٣٠١

موسى بن قتادة أبو عمران ٣٩٦

أم موسى القهرمانة ١١٨ ، ١١٩ ، ١٧٥ ،
٢٨٩ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ،

٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢

الموفق ٤٤ ، ٨٢ ، ٢٤٩

مؤنس ٩٨

نصر بن الفتح كاتب مؤنس ٣٠٠

نصر القشورى = نصر الحاجب

نصير بن على ٢٤٧، ٣٣٨

النعمان ١٣٩

النعمان بن عبد الله أبو المنذر ٤٨، ٤٩،

٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٠

نعمة الكاتبة ٣٢٦

النهيكي ٨٧

النوبختي ٤١

أبو نوح بن جبير = ابن جبير عيسى

٨٢، ٣٤

النوشجاني ٢٣، ٩٥، ٩٦

(٥)

هارون بن إبراهيم الكاتب ١٤٤، ٣٨٧

هارون بن أحمد بن هارون ٢٤٧

هارون الشاري ٣٥، ٣٠٧

هارون بن عمران ٣٨، ٩٠، ٩١، ٩٣،

١٤٠، ١٤١، ١٧٧، ٣٣٢

هارون بن غريب الخال ٦٢، ٦٣،

٦٥، ٦٨، ٧٠، ١٧٣، ٣٣٤،

٣٣٦، ٣٤١، ٣٤٢

ابن هاني الكوفي = على بن عبد الرحمن

ابن هبنتي القناني = إسحاق بن على ١٤٠

أبو هريرة ٢٧٢

نبح ٨٢، ٨٣

نبح بن رستم ٢٣٠

نبح الطولوني ١٧٣

نحير العمري ٥٧، ٢٠٠

نذير الحمصي ١١٦، ٢٩١

النرسي = عبيد الله بن الحسن

النرسي كاتب الطائي ١١٩

نزار بن محمد ١١٦، ١١٧، ٢٣٢

نزهة الملقمة ٢٣٣

نسيم الخادم أبو الهواء ١٤١، ١٤٣،

٣٣٦

نصر بن أحمد صاحب خراسان ١٧٢

نصر الحاجب = نصر القشورى ٣٦،

٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٨، ٥٤-٦١،

٦٤-٦٧، ٧٢، ١٠٣، ١٠٦،

١١٠، ١١٦، ١٧٣، ٢٣١، ٢٦٤،

٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٣١٧، ٣٢٠،

٣٢٣، ٣٤٠-٣٤٣، ٣٤٧، ٣٨٠

أبو نصر بن أبي الحسين ٣٥٠

نصر بن على ١٨٧

نصر بن على الطيب أبو سهل ٢٦٥

أبو نصر بن على بن عيسى «إبراهيم» =

٣٩٢، ٣٩٣

(ى)

أبو ياسر ٢٨٣ وانظر إسحاق بن أحمد
أبو ياسر الجرجاني ٣٧٢
ياقوت ٥٨ ، ١٥٦ ، ١٧٣ ، ٣٢٤ ،
٣٣٦

يحيى بن إبراهيم المالكي أبو عيسى
٢٨٨ ، ٣٠٢

يحيى الدقيق = يحيى بن عبد الله الدقيق
يحيى بن عبد الله بن إسحاق ٢٤٧
يحيى بن عبد الله الدقيق أبو زكريا ،
١٩٦

يحيى بن علي للنجم ٢٤١ ، ٢٥٢
يحيى بن محمد بن فهد ٧٣

أبو يحيى بن مكرم = مكرم بن بكر
أبو يعقوب = أبو يعقوب بن هبتي
يعقوب بن اصطفتي = اصطفتي بن
يعقوب ١٥٨

يعقوب بن عتبة ٢٧٢
أبو يعقوب بن هبتي القناني ١٧٨ ،
١٧٩

أبو يعقوب بن يوسف بن الأرزق
٣٧٦

ابن هشام = علي بن هشام ٦٠

هشام بن عبد الله ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢١ ،
١٢٤ ، ٢٨٨ ، ٣٠٣ ، ٣٢٥ ،
٣٢٦ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ - ٣٣٩

هلال بن بدر ٥٨ ، ٦٠

أبو الهواء = نسيم الخادم

أبو الهيثم بن ثوبة = العباس بن محمد
بن ثوبة ٣٠٦

أبو الهيجاء بن حمدان = عبد الله بن
حمدان

(و)

الواثق ٢٥

واسع بن حبان ٢٧٢

وراد من الجلساء ٢٤

وزير الإسكافي = محمد بن زكريا

وصيف « في شعر » ٢٤١

وصيف البكتمري ١٧٣

وصيف بن صوارتكين ١٠١ ، ٢٥٦

وصيف كاه ٣٦٦

وكيع القاضي ٣٦٩

يوسف بن ديوداذ = ابن أبي الساج

٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٢٩ ، ٩٩

يوسف بن فتحاس ١٧٧ ، ٩٣ ، ٩١ ، ٩٠ ،

١٩٨

يوسف بن يعقوب ٢٦٩ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٢٦ ،

٢٧٠

يلقب ٣٠٥ ، ٢٨٧ ، ٧٠ ، ٦٠ ، ٣٤

يمن الكبير ٢٥٦ ، ١٠١

يوسف بن داود = ابن أبي الساج =

يوسف بن ديوداذ

يوسف بن أبي الساج = ابن أبي

الساج



فهرس الأماكن والبلدان

الأباز ١٨، ٢٨١، ٢٨٣، ٣٣٦، ٣٤١،

٣٤٢

أنطاكية ١٧٣، ٣٥٤

الأهواز ٢٩، ٣١، ٤٧، ٤٩، ٥٣، ٩٢،

١٥٧، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٨،

١٩٧، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٨٢، ٢٩٥،

٢٩٦، ٣١٥، ٣٤٥، ٣٦٢، ٣٦٧،

٣٨٣

أينج ١٧٤

الإيفاران ١٧٣

إيفار يقطين ٤٩، ٢٢٥، ٢٨٠،

(ب)

باب الأبواب ٢٣٩

باب البستان ٣١١، ٣٣٦،

باب خراسان ٢٦٤

باب السهميين ١٥٩

باب الثمسية ٦٠، ٨١، ٣٩٣،

باب العامة ٣١، ٣٠٩، ٣٤٣،

(١)

آمد ٤٨، ١٦٥،

الأبلة ٤٧

أبر ١٧٣

الأجستان ٢٥٧

أجة هوانا ٢٦٦

أجناد الشام ٩٥، ١٠٦، ١٧٣، ٢٠٨،

الأحدى ٢٥٠

أذربيجان ١٩، ١٧٣، ١٩٨،

الأربعيني ١٧

أرحاء عبد الملك ٢٣٩

أردبيل ١٤٤، ١١٥، ١١٦،

أرنينية ٥٤، ١٧٣، ١٩٨،

أسكاف بنى الجنيد ٢٨٢

الإسكندرية ٢٠٨، ٣٨٠،

أبو الأسود « بنق » ٢٨٠

أصبهان = أصفهان ١١٤، ١٢٤،

١٧٣، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ٢٩٥،

٢٩٦، ٢٩٧، ٣٣٨، ٣٦٧،

أفريقية ٣١٥

٢٨٨،٥٨ باب الكناس

باب الحرم ٢٨

بابل ١٨٩

بابلي صريفين ١١

باحوريا ٢٨١،٢٧٩،٢٧٨،٢٧٧،٨٧

٣٧٤،٣٧٣،٣٧٢

باروسما الأسفل ١٤

باروسما الأعلى ٢٧٨،١٤

براز ٨٦

براز الروز ١٨٧

البرت ٢٨٣

بركة السباع ١٧

بزبدى ٢٨٦،١٧٢

بزرجابور ٢٠٢

البستان الزاهر ٣٩١

البصرة ٥٠،٤٧،٣٧،٣٢،٣١،١٦

١٧٥،١٧٣،١٥٢،١١٤،٨٢

٣٤٤،٣١٣،٢٠٨،١٨٦،١٨٥

بصني ٣٥٩

بغداد = مدينة السلام ٢٥،٢٠،١٨

٧٣،٥٧،٥٥،٥١،٤٢،٣٩،٣٧

١٥٩،١٤٨،١١٧،١١٤،٩٥

٢٥٢،٢٠١،١٧١،١٦٢،١٦٠

٢٩١،٢٨٩،٢٨٢،٢٧١،٢٦٩

٣٥٠،٣٣٦،٣٢٩،٣١٠،٢٩٦

٣٩٢،٣٨٦،٣٥٨

بلد ٤٧

البندنيجين ١٨٧

البنيان ١٧٤

بهرسير ٢٨٠،٢٢٦،٢٢٥،٤٩

بيت الدم ٢٣٢

بيت الدمشقي ٢٣٠

بيت المقدس ٣٥٥

بيروز ٣٥٩

(ت)

تستر ٣٤٥

تهامة ٣٩١

التيز ١٧٤

(ث)

ثبير ٢٢٢

الثريا ٢٠٦،٢٠٤

الثغر ٣٥٤

الثغور ١٧٥،١٤٧

الثغور الجزرية ١٧٣

الثغور الشامية ١٧٣

(ج)

جازر ٧٦

(خ)

خانيجار ١٨

خراسان ١٥، ١٨، ١٢٠، ١٧٢، ١٨٧،

١٩٠، ٢٠٨، ٢٥٨، ٣٣٨، ٣٣٢، ٣٤٤،

٣٦٥

الخز ٢٣٩

خطرية ١٨٩

خندق ظاهر ٣٥٨

خير ٧٨، ٢٤٨،

(د)

دار ابجد ٨٣

دار ابراهيم بن سليمان ٢٨

دار الأزج ١٧

دار بدر اللاني ٢٩

دار البستان ١٩٩

دار البطيخ ١٧٦

دار البلاط ٣٥٧

دار الحجبة ٢٩٤

دار الحجر ٢٦٤

الدار الحسنية ١٧

دار سليمان بن وهب ٢٨، ٣٦، ١٩٩،

٢١٤، ٢٣٠، ٣٠٦،

الجامدة ٤٠

الجل ٨٣، ١٤٨، ١٧٦، ١٧٧، ٢٠٧،

٢٨٤، ٢٠٨

جدة ٣١١

الجراحي ٣١١

جرجرا ٢٨٣، ٢٩٦،

جسر قارون ٣٤٦

جسر منبج ٣٣٦

جعدة ولعلها جعدة ١٣٩

جلولا ٣٣٨

جنبل ١٢٢

جندة لعلها تصويب جعدة ١٣٩

جند يسابور ٣٤٥

جوخى ١٥، ١٧٤،

الجيزة ٣٨٠

(ح)

الحاجر ١٦٠

الحرمان ١٩٨، ٣١١،

حصن مهدى ٣١٠

حلب ٥١

الحلبة ٢٥٨

حلوان ٢٨٦

الخناطين ٣١١

الذبيان « ولعلها الزابات » : الزاب

الأسفل والأعلى ١٥

(ر)

الراذنان ١٥١، ١٥

ربض حميد ٢٣٢

الرجبة ٣٣٦، ١٧٤

الرصافة « قصر الرصافة » ٢٥

الركة ٣٣٣، ١٤١، ٦٨، ٦١، ٥٤، ٥٣

٣٨٩، ٣٤١

روذستان ١٢٣، ١٢٢

الرومقان ٢٨٠، ٢٢٥، ٤٩

الرى ٩٩، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٦،

٢٢٩، ١٧٧

(ز)

الزاب الأسفل ٣٣٨

الزاب الأعلى ١٤٩

الزابات ٢٧٧

زازان ١٨

الزبيدية ٣٧٨

الزوموم ١٧٤

زنجان ١٧٣

(س)

الساج « مشرعة الساج » ١٥٧

دار صاعد بن مخد ٢٨٥

دار الصلاة ٢٦٤

دار ابن طاهر ١٣٢، ٩٦

دار عبید الله بن القاسم ٣١٢

دار فتح القلانسی ١٣٧

دار القطن ١٧٦

دجلة ٢٨، ١٥، ٧١، ٦١، ١٣٩، ٨٠،

٣٠٢، ٢٨٥، ٢٨١، ٢٧٩، ٢٦٥

٣٩١، ٣٣١، ٣١٢

درب أبي سورة ٢٣٢

دستيسان ١١٨

دقوقا ١٨

دليل النصراني ٣٢٢

دمشق ٣٣٦، ٣٣٥، ٥١

-الدمشقي « بيت » ٢٣٠

دما « قنطرة دما » ٢٧٨

ديار ربيعة ١٧٣، ٨١، ٢٠٨، ١٧٥،

٣٦٣، ٣٣١، ٣٣٠، ٣١٠

ديار مضر ٢٠٨، ١٧٣، ٥٣

دير قني ٣٠٥

(ذ)

ذوطلوح ٢٤٣ في شعر

السارية ٢٧٨

الستيني ٣١٢

سجستان ٢٠٨

سرمن رأى ١٤٤ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،

٢٨٤،٢٥٠،٢١٧

سكة الخوض ٢٣٣،٢٣٢

السند ٢٠٨

السواد ١٣ ، ٤٤ ، ٥٣ ، ٧٨ ، ١٣٥ ،

١٤٢ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٩٧ ،

٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ،

٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٣١٠ ،

٣٦٥ ، ٣٧٤ ، ٣٩٥

السوس ٣٤٥

سوق بحر بالأهواز ٣١٠

سوق الثلاثاء ٣٣٦

سوق الرقيق ١٧٦

سوق السلاح ١٢٤

سوق الطعام ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،

٢٨ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٩ ،

٢١٩

سوق القمح ١٧٦

سوق المسك ٢٦٦

سويقة أبي الورد ٣٢٢

السيان ٢٥٨

السيب الأسفل ١٢٢

السيب الأعلى ١٨٣ ، ١٨٤ ،

(ش)

شارع عمرو بن مسعدة ١٦٢

شارع الماديان ٢٣٦

الثام ٥١ ، ٥٣ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٦ ،

١٠٧ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،

٢٠٨ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٣٠ ،

٣٢٣٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ،

الشعبي ١٨٦

الشمسية ٢٢

(ص)

الصافية ١٥٢

الصحن التسعيني ٥٩

الصحن الحسيني «وكتب خطأ الحسيني»

١٧

الصحن السبعيني ٣٨٩

صفيين ٢٢٤ ، ٢٤٨ ،

الصلح ٤٠ ، ٢٩٥ ، ٣٦٤ ،

صنعاء ٣٣٣ ، ٣٣٧ ،

الصين ٢٠٨

(ط)

طبرستان ١١٤

طريق خراسان ١٥ ، ١٨ ، ١٨٧ ،

٢٥٨ ، ٣٣٨ ، ٣٤٤

طوس ١٦٠

الطيب ١٧٤

(ع)

عبادان ٨٤ ، ٣٥٩

العباسية ٣١١

المروزي ٢٣٢

عمان ١٧٣ ، ١٩٨

العواصم ١٧٣

(ف)

فارس ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٨٢ ، ٩٥ ،

١٤٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،

١٧٧ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٣٩ ،

٣١٠ ، ٣١٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ،

٣٣٨ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ،

٣٧٠ ، ٣٧١

الفرات ١٥ ، ٧١ ، ١٩١ ، ٢٧٨ ،

٢٧٩ ، ٣٣٦ ، ٣٨٦

فروج بيت الذهب ٢٠٨

الفريديات ٢٠٢

الفيوم ٣٨٠

(ق)

القاطول ٢٥٢

قردي ١٧٣ ، ٢٨٦

قرقوب ١٧٤

قزوين ١١٤ ، ١٧٣

قسنطينية ٣٥٥ ، ٣٥٦

القصر ١٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧

قصر أم حبيب ٢٥

قصر الرصافة ٢٥

قصر الطين ٢٢

قصر ابن هبيرة ٢٥٤

قطر بل ٨١ ، ٣٤٥

القنندهار ٢٠٨

قنسرين ١٠٦ ، ١٧٣

قنطرة دما ٢٧٨

(ك)

كحلة ٢٨١

الكرخ ٦٤ ، ٨٥ ، ١٦١ ، ٢٨١ ،

٣٦١

كرمان ٥١ ، ١٧٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ،

٣١٧ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٧٠

كسكر ١٥ ، ٣٧ ، ٢٥٧ ، ٣٤٤

٣٧٦ ، ٣٧٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٧

٣٨١ ، ٣٨٠

المشوق ٢٨٤

مقابر الخيزران ٣٠١

مكران ١٧٤

مكة ١٦ ، ٣٢ ، ١٤٧ ، ١٤٨

١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠

٢٤٨ ، ٢٨٧ ، ٣٠٥ ، ٣١٠

٣٩١ ، ٣٣٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٣ ، ٣١١

المنارة ٤٧

مهرجا نقذف ١٧٤ ، ١٧٦ ، ٢٨٤

الموصل ٤٨ ، ٩٤ ، ١٥٩ ، ١٧٣

٢٠٨ ، ٢٢١ ، ٢٤٦ ، ٢٧٧

٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٣٠

(ن)

نصيبين ١٧٩

نهاوند ٣٤٥

نهر بوق ١٥ ، ٣٢٨

نهر بين ١٥ ، ٢٥٨

نهر جوبر ١٠٥

نهر در قيط ١٦٦ ، ٢٨٣

نهر الرفيل ٢٨٠

كلوازي ١٥ ، ٢٥٨ ، ٣٤٥

كوفي ٨٢ ، ١٣٩ ، ١٦٦ ، ٢٨٣

الكوفة ١٤ ، ٨٠ ، ٥٨ ، ١٨ ، ١٥٧

١٧٤ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٦

٣٨٦ ، ٣٤٥

(م)

ما بان « بستان » ٢٩٦

ما سبذان ١٧٤ ، ١٧٦ ، ٢٨٤

ماه البصرة ٨٢ ، ١٧٣

ماه الكوفة ١٧٣ ، ٢٨٦

المبارك ٤٠ ، ٢٩٥ ، ٣٦٤

الحرم ٦٣ ، ١٩٩ ، ٣٣٥ ، ٣٦٨

المدائن ٤٢ ، ١١٣

مدينة السلام = بغداد

المدينة العتيقة ٧٦

المسرقان ١٨٨

مشرة الساج ٥٧

مشرة القصب ٣٠١ ، ٣٣١

مصر ١٦ ، ٣٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣

٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧

١٢٩ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ، ١٧٦

١٧٧ ، ٢٠٨ ، ٢٣٠ ، ٣١٤

٣١٥ ، ٣٣٥ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦

هيت ١٧٤ ، ٣٣٦

(و)

واسط ١٥ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ،

٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ،

٤٩ ، ٩٦ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٥٠ ،

١٥١ ، ١٥٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،

١٧٦ ، ١٩٤ ، ٢٧٦ ، ٢٩٥ ،

٣٢٧ ، ٣٦٥ ، ٣٨٦

الولدى ١٨٦

(ى)

يقطين « إيفار يقطين » ٤٩

اليمين ١٧٤ ، ٣٣٥

اليوسقية ٣١١

نهر السدرة ٣١٠

نهر الملك ٢٨٠

نهر الموفقى ٢٥

النهر وان الأعلى ١١

النهروانات ٣٣٨ ، ٣٧٢

النيل ٣٠١

(هـ)

الهير ٥٧

هرمز جرد ١٢٢ ، ١٢٣

هذان ١٧٣

هينبا ٢٨٣

الهند ٢٠٨

هوانا « أجة هوانا » ٢٦٦



المناصب والأعمال والحرف التي كانت تجرى عليها المرتبات

« ذكر لكل منها رقم على سبيل المثال »

البوابون ٢٧	أزمة الدواوين ٢٩٥
البوقيون ١٩	الأسا كفة ٢٢
بيت مال الخاصة ١٤١	الإسقاطيون ٢٢
بيت مال العامة ٢٠٨	أصحاب الأخبار ١٩
التفاريق ٢٢	أصحاب الأرباع ٢٠
الجشارون ٢٦	أصحاب أسواق الرقيق ١٧٦
الجلساء ٢٤	أصحاب الأعلام ١٩
الحدادون ٢٢	أصحاب الحراب ٢٤
الحرس ١٩	أصحاب الشباك ٢٤
الحالون ٢٣	أصحاب الطوق ٢٠
خازن الديوان ١٨٤	أصحاب العيار ١٧٦
خازن الشمع ٢٣	أصحاب المصاف يباب العامة ١٥
خازن القرش ٢٣	أصحاب المرور ٢٤
الخجازون ٢٧	أصحاب المظالم ١٧٦
الخلم الأستاذون ١٧	أصحاب المواريث ١٧٦
الخراطون ٢٢	أصحاب التوبة ١٥
الخطباء ٢٥	أصول الدواوين ٢٩٥
خلفاء الحجاب ٢٦٧	الأمم ٢٦
الخياطون ٢٢	البازياريون ٢٢

ديوان الأرتة ٨٩	ديوان المشرق ٤٤
ديوان الإشراف ٢٨٤	ديوان المغرب ٥١
ديوان الإعطاء ٢٦	ديوان النفقات ١٤٠
ديوان الإنشاء ٢٨٤	الذَّرَاع ١٧٧
ديوان البر ٣١٦	الرفاءون ٢٢
ديوان البريد ١٧٧	زمام الخراج ٢٨٤
ديوان بيت المال ٨٩	زمام الضياع السلطانية ٢٨٤
ديوان التوقيع ٨٩	زمام النفقات ٣٨٠
ديوان الجيش ٦٧	السباعون ٢٤
ديوان الخاتم ١٩٨	السجانون ٢٠
ديوان الخاصة ٣٣	السقاءون ٢١
ديوان الخاصة والمستحقة ٣٤٠	الشرطة ٢٠
ديوان الخراج ٨٧	صاحب الدواة ٢٦٤
ديوان الخرائط = ديوان البريد ١٧٧،	الصاغة ٢٢
١٧٨	الصقارون ٢٤
ديوان الدار ١٤٨	الصيدون ٢٤
ديوان الدار الكبير ٢٨٥	الطبالون ١٩
ديوان السواد ٣٧	عامل الجوالى ١٧٦
ديوان الضياع ٤٨	عامل دار البطيخ والقطن ١٧٦
ديوان ضياع الخاصة ٣٠٠	عامل سوق القمح ١٧٦
ديوان القصر والخاتم ١٩٨	عامل المستغلات بالحضرة ١٧٦
ديوان المرافق ٣٧	العرض على الخليفة ٢٨٥

مجلس التفرقة ٢٦	المطارون ٢٢
مجلس الجماعة ١٨٤	عمال الخراج ٦٧
مجلس السودان ١٨٤	عمال المعاون ٦٧
مجلس العامة ٣٣	الغلمان الخاصة ١٦
مجلس المقابلة ١١٧	الفعالون ٢٤
المجلسيون ٢٣	الفراشون ٢٣
المختصة ١٧٦	الفرشون ٢٢
الخزفون ١٩	الفرافقون ٢٩
المدير ٢٢٠	الفرسان ١٧
المستحثون ١٧٧	الفتحاميون «ولعلمهم أصحاب البنج» ١٩
المشارف ١٤	أو لعلمهم نسبة إلى بنكام ومعناها
المشهورون ٢٢	ما يقدر به الساعة النجومية ويراد
المضحكون ١٩	بهم الذين يحسبون الساعات
المطالبون ١٧٦	القيادون ٢٤
المطبخيون ٢٣	القراء ١٩
المطرزون ٢٢	القصارون ٢٢
المكبرون ٢٦	كاتب سر الوزير ١٣٥
الملاحون ٢٤	الكتاب ٢٦
الملهون ٢٤	الكحالون ٢٧
المنفقون في الإعطاء ١٧٧	الكلابون ٢٤
المهندسون ١٧٧	المشائون ٢٧
المؤذنون ٢٦	الماصرون ٢٠
النجادون ٢٢	المتطيفون ٢٤
النجادون ٢٢	مجلس الأصل ١٨٤
الوراقون ٢٢	

تعريفات لبعض ما يرد من اصطلاحات وتعبيرات
« مشروحة من مفاتيح العلوم وصباح الأعشى والمغرب وشفاء الغليل
وكثير من الألفاظ شرحت بالهوامش »

(أرج) : التأريج : النظام يعمل للعقد لعدة أبواب يُحتاج إلى علم جملها .
أوهو إثبات تحت كل اسم من دفعات القبض يكون مصفوقاً ليسهل عقده بالحساب ،
أوهو تفصيل من الأوراج بأن ينقل ما على إنسان ويثبت فيه ما يؤديه دفعة بعد أخرى
إلى أن يستوفى ما عليه .

(المؤامرة) : عمل تُجمع فيه الأوامر الخارجة في مدة أيام الطمع « الأرزاق »
ويوقع السلطان في آخره بإجازة ذلك .

(بابہ) : استعملت الكلمة مراداً بها معنى كلمة « شأنه » أو « أمره »
انظر مثلاً ص ١٣ : سأل الخليفة في بابہ وص ٢٣٥ يسأله في بابہ .

- (الجريب) : « مساحة » : ستون ذراعاً طولاً في مثلها عرضاً يكون تكسيروها
« أي مساحتها المربعة » ٣٦٠٠ مكسرة أي مربعة ، وهناك جريب مكيال ويختلف
عياره في البلدان .

(الجريدة) : دفتر أرزاق الجيش في الديوان .

(الجهبذ) : الذي يتولى قبض الأموال وصرفها ، سمي بعد ذلك الصيرفي .

(خُشْكَنانج) : دقيق الخنطة إذا عججن بشيرج وبسط وملئ بالسكر واللوز
أو الفستق وماء الورد وجمع وخبز « قطايف » أو « بقلالوة » وأهل الشام
يسمونه المكفن .

- (الدَّسْتُ) : صدر البيت واستعمل بمعنى الديوان ومجلس الوزارة والرياسة .
- (دِهْقَان) : من معانيه رئيس القرية ومقدم أهل الزراعة من المعجم .
- (الرُّسْتَق) : يعنون به كل موضع فيه مزدرع وقرى ولا يقال ذلك المدن .
- (مرافق) : تعبير يراد به ما يشبه المصاريف السرية .
- (تريشت حاله) : أصلها من راش يرش : جمع المال والأثاث واغتنى .
- (تسبيب) : أن يسبب رزق رجل على مال متعذر ليعين السبب له العامل على استخراجِه فيجمل ورْداً للعامل وإخراجاً إلى المرتزق .
- (أسبابه) : أسباب الرجل هم المتصلون به .
- (سَفَاتِيح) : جمع سَفْتَجَة أن يعطى مالا لآخر وللآخر مال في بلد المعطى فيوفيه إياه هناك فيستفيد أمن الطريق . وعرف أيضاً بأنه كتاب صاحب المال لوكيله أن يدفع مالا قراضاً يأمن به من خطر الطريق .
- (سُكْرُجَات) : جمع سُكْرُجَه قصاع صغار يؤكل فيها وقيل لها أيضاً أسكرجة .
- (تسويغات) : أن يسوِّغ الرجل شيئاً من خراجه في السنة أى يعفى من بعض خراجه .
- (شك الورق) : استعمل في ما يشبه الملفات .
- (الطبرزين) : وجهه طبرزينات : فارسي تفسيره فأس السرج لأن فرسان المعجم تحمله معها يقاتلون به .
- (الطسوج) : الناحية كالقرية ونحوها .
- (الطُّسُق) : الوظيفة توضع على أصناف الزرع لكل جريب « ضريبة » .
- (الطمع) : العطاء جمعه أطماع ، والأطماع سميت الرِّزَقَات واحتمتها رِزْقَة لأنها المرة الواحدة من الرِّزْق .

(العبرة) : ثبت الصدقات لكورة كورة ، وعبرة سائر الارتفاعات أن يعتبر مثلاً ارتفاع السنة التي هي أقل ربعا والسنة التي هي أكثر ربعا ويجمعان ويؤخذ نصفهما فتلك العبرة « متوسط » بعد أن تعتبر الأسعار وسائر العوارض الواقعة .

(معناه) : خاطب الخليفة في معناه : أريد بهذا الاستعمال أنه خاطبه في شأنه .

(إغلاق الخراج) : الفراغ من جبايته .

(افتتاح الخراج) : البدء في تحصيله .

(الفرانق) : الحامل للخرائط « رسول »

(الفالج) : هو خمسا الكر المدل . والكر المدل ٦٠ قفيزا

(فنجاميون) : لعل الكلمة مأخوذة من بنكام ومعناها ما يقدر به الساعة

النجومية ويراد بالفنجامين الذين يحسبون الساعات . أولعها نسبة إلى البنج ويراد بهم أصحاب البنج .

(الفيج) : رسول السلطان على رجليه وجمعه فيوج .

(إقطاعات . قطعة قطائع) : الإقطاع أن يقطع السلطان رجلا أرضا فتصير له

رقيتها وتسمى تلك الأرضون قطائع واحدها قطعة .

(الفقيز) : « في المساحة » عُشر جريب = ٣٦٠ ذراعا مكسرة أى مربعة

وهناك قفيز في المكيال والميزان = ٢٥ رطلا بنداديا .

(الكر) : منه كرت هاروني ، وكر أهوازي وكر هاشمي . وهذه الثلاثة ثلث

الكر المدل والكر المدل = ٦٠ قفيزا .

(انكسار المال) : عدم الطمع في استخراجه لغية أهله أو موتهم أو نحو ذلك .

وكسر الخراج ونحوه : جعله لا يطمع في استخراجه .

(التكسير) : هو « التريع » يقال الذراع المكسرة وهي أن يكون مقدار

طولها ذراعا وعرضها ذراعا « ويقال هذه الأرض تكسيرها كذا » أى مساحتها المربعة .

(الإلجاء والتلجئة) : أن يحمل الإنسان ماله لبعض ورثته دون بعض كأنه يتصدق به عليه وهو وارثه .

(ماء الهواء) أريد به الماء الطبيعي الذي لم يثلج .

(ماء البصرة) : ماء معناه بلوماء البصرة يراد به نهاوند أو نهاوند وهمذان وقم .

(ماء الكوفة) : هو الدينور .

(إيفاز) : الإيفاز هو الحماية وذلك أن تحمي الضيعة أو القرية فلا يدخلها عامل .

ويوضع عليها شيء يؤدي في السنة لبيت المال في الحضرة أو في بعض النواحي .

(المستوفى) : الذي يضبط الديوان وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله .



أقسام ضائفة من كتاب تحفة الأمراء

جمعها الأستاذ ميخائيل عواد

لقد بذل الأستاذ ميخائيل عواد جهداً مشكوراً في البحث عن النصوص المنقولة من مؤلف الصابي في الوزراء واستطاع أن يجمع عدة أخبار خاصة ببعض الوزراء.

١ - عن أبي محمد الحسن بن محمد المهلب عشرة أخبار .

تسعة منها عن معجم الأدباء ج ١ ، ٣٢٨ ، ٣٤٢ ج ٣ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،
١٩٢ ج ٥ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ .

والعاشر من خطط المقرئ ج ٢ ، ٤٤ وصبح الأعشى ج ١٣ ، ٥٩

٢ - عن أبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد خمسة أخبار .

اثنان من معجم الأدباء ج ٥ ص ٩ ، ج ٦ ص ٧٣ واثنان من وفيات الأعيان
ج ٢ ص ٨٦ وواحد من بدائع البدائنه ص ٥٣

٣ - عن أبي الفتح بن العميد « على بن محمد بن الحسين » خبران

وهما من معجم الأدباء ج ٥ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣

٤ - عن إسماعيل بن عباد سبعة أخبار :

ستة من معجم الأدباء ج ١ ، ٦٩ و ج ٢ ص ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٨
وكذلك ٣٣٨

وواحد من بدائع البدائنه ١٩٩

٥ - عن فجر الملك أبي غالب محمد بن علي بن خلف :

خبر من معجم الأدباء ج ١ ص ٢٣٥

وخبر آخر في الاستدراك نقلًا عن النجوم الزاهرة ج ٤، ٢٥٧

وخبر ثالث في الاستدراك أطلعه عليه الأستاذ المحقق الدكتور مصطفى جواد من

كتاب معجم الألقاب ٢٦٥

٦ - عن أبي القاسم المطهر بن عبد الله خبران :

من معجم الأدباء ج ١ ص ٣٢٩، ٣٣٢

٧ - عن ابن مقلة أبي علي محمد بن علي خبر واحد :

من معجم الأدباء ج ٥، ٢٢٤

٨ - عن أبي الريان حامد بن محمد الوزير خبر واحد

من معجم الأدباء ج ١ ص ٣٣٥

٩ - عن أبي طاهر محمد بن بقیة خبر واحد :

من معجم الأدباء ج ١، ٣٤٣

١٠ - عن أبي العباس أحمد بن محمد بن قوابة

من معجم الأدباء ج ٢، ٤٠٢

١١ - عن علي بن عيسى خبر واحد :

من الأذكياء لابن الجوزي ص ٩٠ طبعة قسطنطينية .

١٢ - عن الموفق عمدة الملك الحسن بن محمد بن إسماعيل الإسكافي خبر واحد أطلعه

عليه الأستاذ المحقق الدكتور مصطفى جواد .

من معجم الألقاب لابن الفوطي ص ١٣٤ نسخة الدكتور مصطفى جواد .

١٣ - عن أبي أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي خبر واحد :

نقله الدكتور مصطفى جواد عن تاريخ ابن النجار .

١٤ - عن عميد الأمة أبي الفضل عبد الرحمن بن الحسين الفارسي خبر واحد :

أطلعه عليه الدكتور مصطفى جواد من معجم الألقاب لابن الفوطي .

تصويب

الخطأ	الصواب	صفحة	سطر
الحسنى	الحسينى	١٧	١٠
عمه	أخيه	٣٣	٨
وأطعمه	وأطعمه	٣٣	١١
الجملة	الجملة	٣٨	١٦
المبارك	المبارك	٤٠	١٣
من مقامك ، عندى	من مقامك عندى ،	٥٣	٥
وأمرهما	وأمرهما	٥٨	٦
وللزنجى صاحب دواة يقرأ	وللزنجى صاحب دواة يقرأ	٧٣	١
« ويلقى الهامش » ١١			
المتضد	المعتمد	٨٩	٦
خطهما	خطهما	٩٢	١
سأرسيك	سأريك	٩٢	٢
مقامها	مقامها	٩٣	٨
وتتجريت	وتجريت	٩٥	١١
النوشجاني : فيه	النوشجاني فيه :	٩٦	٣
ابن بسطام	ابن محمد بن بسطام	١٠٠	٤
عل نفسك	على نفسك	١١٣	٩
قاستزاد	قاستزاد	١٤٠	٧
ابن الأصبع	ابن الأصبع	١٥٢	١٥
أبو الحسن	أبو الحسين	١٥٩	١١

صفحة	سطر	المطأ	الصواب
١٦١	٩	ونصف	ونصف
٢٠١	٧	ابن العباس	أبي العباس
٢٠٢	١٣	أحتج	احتج
٢٠٢	١٦	أرددى	ارددى
٢٠٤	٤	كَاتَبَكَ	كَاتَبَكَ
٢٠٩	١٥	وافرةُ الأموال	وافرةُ والأموال
٢١٣	٧	عن عبد الله	عن أبي عبد الله
٢٢٤	٨	ترقيعه	توقيعه
٢٢٤	٢٠	فانصرف	فانصرف
٢٢٥	١٤	الوزير	بالوزير
٢٣٠	١٣	وتركه وإخراج	وتركه وإخراج
٢٤٣	١٦	ذَكَرَ	ذُكِرَ
٢٤٥	٣	فيما أخذ	فيما أخذت
٢٤٩	٢١	ومواقفه	ومواقفته
٢٥١	١١	وَأَنَّ المعتضد	وإن المعتضد
٢٥٥	٥	بن زنجي	زنجي
٢٥٩	١٠	من أعمالها	من أعمالهم
٢٦١	١٣	التفل	التفل
٢٦٢	١٢	الواحي	النواحي
٢٧٩	٢	السواد	السوداء
٢٨٠	٢	وحدث محمد	وحدث محمد
٢٨٦	٤	ماء الكوفة	ماء الكوفة

أهم المراجع

- ابن الأثير : مطبعة بولاق
تجارب الأمم : طبع مصر ١٩١٤
شفاء الغليل : المطبعة الوهبية ١٢٨٢
صبح الأعشى : دار الكتب
صلة عريب : ليدن سنة ١٨٩٧
الطبرى : بولاق
عيون الأنباء : المطبعة الوهبية ١٨٨٢
الفرج بعد الشدة : طبع مصر ١٣٥٧
الفهرست : ليزر ١٨٧٢
كشف الظنون : أسماء الكتب فيه مرتبة وأشرت إلى الموضع
معجم الأدباء : مطبعة هندية
معجم البلدان : أسماء البلدان مرتبة وأشرت إلى الموضع
المعرب : دار الكتب
مفاتيح العلوم : بريل ١٨٩٥
المنتظم : حيدرآباد
نزهة الألبا : طبعة حجر ١٢٩٤
نشوار المحاضرة : « جامع التواريخ ج ٨ طبع دمشق ١٩٣٠
وفيات الأعيان : له عدة طبعات وأشرت إلى صاحب الترجمة.

بعض الطرائف في الكتاب

- الاختلاف في كيفية العقل ٧
- ضمان أحد الطائي وأقساطه ١٥
- الأرزاق وطوائف المرتزقين ١٥
- اختبار الجنود في الفروسية وعلامات درجاتهم ١٧
- تحقيق الشخصية والأرقام السرية ١٨
- عطلة يومى الجمعة والثلاثاء ٢٧
- القبض على ابن الفرات ٦٠
- القبض على المحسن ٦٣
- مناظرة ابن الفرات ١٠٣، ٦٥
- قتل ابن الفرات وابنه ٧١
- لم سمي السواد سواداً ٧٨
- المزبن مع كسرى ١٢١
- الحجج مع الحجاج ١٢١
- الحسين بن الجصاص ١٢٥
- المشورة في بيعة المقتدر ١٤٣، ١٣٠
- السبب في دفع ابن المعتز عن الخلافة ١٤٤، ١٣٠
- تلون المقتدر ١٣٤
- من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ١٣٧
- الألقاب واستنكار المؤلف عليها ١٦٦ .
- أول من بالغ في الألقاب ١٧٠

- مطبعا ابن القرات وما كان يحرق فيها ٢١٥
سعيد بن القرخان والمزين الكريم ٢٢٦
دفتر منسوب للحلاج اسمه آداب الوزارة ٢٣١
غدر ابن ماشاء الله وجزاؤه ٢٣٤
قاعدة فلسكية تنجيمية ٢٤٨
ما كتب به ابن القرات عند توليه ٢٥٥
مائدة ونظامها وما عليها ٢٦١
المواريث والفتوى فيها ٢٦٨
ما كان يفرق في الأعياد ٢٨٩
الرسم في القبض على الوزراء ٢٩١
إفراد دار للوزير وأول من غير ذلك ٢٩١
حافات الخاقاني ٣٠١
خواص البلدان ٣٤٤
الكتاب هم الذين يتولون الوزارات ٣٤٨
أسرى المسلمين وكيف خفف عنهم ٣٥٤
أبو محمد المهلب وما فعله في فتنة العيارين ٣٥٨
سجع صرف عاملا ٣٦٢
رسم الوزراء إذا أرادوا كتب كتاب بحضرة الخليفة ٣٦٩
خبز البيت ينقذ من مطالبة ٣٧٦
مرتب الوزير في الشهر ٣٧٨
تقبيل رجل الوزير ٣٨٥
تاريخ ولادة بعض الوزراء ٣٩٠
على بن عيسى ومعز الدولة ٣٩٢
الشعب ٣٩٧ - ٩٣٨

فَهْرَسْتُ الْمَوْضُوعَاتِ

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
			المقدمة
٣٣٥	وزارة على بن عيسى الثانية	٣	مقدمة المؤلف
٣٤٤	أخبار على المنشورة	١٨	ترجمة لعلی بن محمد بن القرات
٣٩٢	نصوص مضافة	٢٨	وزارة ابن القرات الأولى
٣٩٩	تكملة	٣٥	وزارة ابن القرات الثانية
٤٠١	موجز ما كتبه أمدرور	٣٩	وزارة ابن القرات الثالثة
٤٠٥	الفهارس	٤٤	أسماء من قبض عليهم المحسن
٤٠٥	الآيات والأحاديث	٧٢	أخبار ابن القرات منشورة
٤٠٨	القوافي	١٧٢	المخاطبات عن ابن القرات
٤١٢	الأعلام	١٩٩	أحاديث عن أبي العباس أحمد
٤٤٠	البلدان والأماكن		ابن القرات
٤٤٨	المناصب والأعمال والحرف	٢٤٥	مصادر المحسن ومقدارها
٤٥١	تعريفات لبعض ما يرد من	٢٨٤	ترجمة لمحمد بن عبيد الله
	اصطلاحات		الخاقاني
٤٥٥	أقسام ضائعة من كتاب تحفة	٢٨٨	أخبار الخاقاني المنشورة
	الأمراء	٣٠٥	ترجمة لعلی بن عيسى بن الجراح
٤٥٧	تصويب	٣١٣	خلافة على بن عيسى لحامد بن
٤٦٠	المراجع		العباس
٤٦١	فهرس بعض الطوائف في الكتاب		